



# السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن اسحاق (دراسة مقارنة في العهد المكي)

أ. د. سليمان بن حمد العودة

١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

كرسي الشيخ عبد الله بن صالح الراشد الحميد  
لخدمة السيرة النبوية والرسول صلى الله عليه وسلم

٢٣  
جامعة القصيم ، كرسي السيرة النبوية وخدمة الرسول صلى الله

عليه وسلم ، ١٤٣٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العودة ، سليمان بن حمد

السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن اسحاق : دراسة مقارنة في

العهد المكي / سليمان بن حمد العودة - بريدة ، ١٤٣٣ هـ

٥٢٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩٧٨ - ٦٠٣ - ٨٠١٨ - ٢٢ - ٤

١- السيرة النبوية أ. العنوان

١٤٣٣ / ٣٩٩٩

ديوي ٢٣٩

رقم الإيداع : ١٤٣٣ / ٣٩٩٩

ردمك : ٩٧٨ - ٦٠٣ - ٨٠١٨ - ٢٢ - ٤

رقم الإيداع : ١٤٣٣ / ٣٩٩٩

ردمك : ٩٧٨ - ٦٠٣ - ٨٠١٨ - ٢٢ - ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





## قائمة المحتويات

قائمة المحتويات	٥
تقديم	٩
المقدمة	١١
مصادر الكتاب: .	١٨
هذه تعاريف لأعلام وردت في ص ١٧: .	٢٣
التمهيد	٢٩
تدوين السيرة قبل ابن إسحاق	٣١
ابن إسحاق والشيخان ومنهجهم في تدوين أحداث السيرة	٣٤
١ - التعريف بمحمد بن إسحاق ومنهجه في تدوين أحداث السيرة: .	٣٤
نشأته ورحلاته العلمية: .	٣٨
ابن إسحاق بين الجرح والتعديل .	٤٣
منهج ابن إسحاق في السيرة: .	٦٦
٢ - الإمام البخاري ، ومنهجه في تدوين أحداث السيرة: .	٨٣
٣ - الإمام مسلم ومنهجه في تدوين أحداث السيرة: .	١١٧
الفصل الأول: محمد ﷺ بين الميلاد والنبوة	١٣٣
زواجه بخديجة وبقية أزواجه في مكة: .	١٨٠
الفصل الثاني: البعثة وبعض الأحداث في مكة .	٢٠٣
إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأثره	٢٢٧
من معجزات النبي ﷺ في مكة	٢٤٥



٢٧٧	الفصل الثالث : أساليب الدعوة في مكة
٣٧٣	الفصل الرابع : مقدمات الهجرة
	تسمية من شهد العقبتين كما ذكرهم ابن إسحاق مع الإشارة إلى من ذكر
٤١٣	في الصحيحين منهم
٤٢٣	الفصل الخامس : الهجرة إلى المدينة
٤٢٥	الفصل الخامس : الهجرة إلى المدينة .
٤٢٥	أسبابها ودوافعها :
٤٢٥	اضطهاد المؤمنين :
٤٢٦	خوف الفتنة في الدين :
٤٢٧	تكذيب قريش للنبي ﷺ وإخراجه من مكة :
٤٣١	اختيار المدينة مكاناً للهجرة :
٤٣٤	هجرة المؤمنين إلى المدينة .
٤٣٤	أول من هاجر :
٤٣٥	هجرة أبي سلمة وأهل بيته :
٤٣٧	طائفة من المهاجرين
٤٤٧	هجرة المصطفى ﷺ
٤٤٧	ومن معه إلى المدينة
٤٤٧	الإذن بالهجرة والوصول إلى غار ثور .:
٤٥٨	في الغار:
٤٦٢	في طريق الهجرة
٤٦٢	(حديث الرّحل).



## قائمة المحتويات

٤٦٣	أولاً: خبر الراعي: . . . . .
٤٦٤	ثانياً: قصة سراقه بن مالك: . . . . .
٤٧٠	روايات أخرى في طريق الهجرة . . . . .
٤٧٠	لقيا الزبير في ركب من المسلمين: . . . . .
٤٧٦	أبو بكر يلهي الناس عن النبي ﷺ . . . . .
٤٧٦	وهم في الطريق إلى المدينة . . . . .
٤٨٣	الوصول إلى المدينة واستقبال الأنصار: . . . . .
٤٨٩	الخاتمة ونتائج البحث. . . . .
٤٩١	الخاتمة ونتائج البحث. . . . .
٤٩٥	ثبت المصادر والمراجع . . . . .
٤٩٧	ثانياً: المراجع: . . . . .



قائمة المحتويات





## تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد ؛

فإني أشكر الله إذ يسر لي المساهمة في كرسي يعني بالرسول ﷺ وصحابته الكرام ، كما أشكر جامعة القصيم حيث تحتضن هذا الكرسي .

وحيث تأتي في أولويات أهداف كرسي الشيخ عبد الله بن صالح الراشد الحميد لخدمة السيرة والرسول ﷺ تعميم ثقافة السيرة النبوية ، وتوسيع دائرة الإطلاع على مفردات وقيم خير القرون ، فقد جاء الاهتمام بطباعة عددٍ من الكتب والرسائل العلمية والبحوث المتميزة لتحقيق هذا الهدف، وهذه الكتب والرسائل والأبحاث وإن اختلفت في عناوينها فيظل محورها الرئيس محمداً ﷺ وصحبه.

وحين يُقدم كرسي الشيخ عبد الله الصالح الراشد لخدمة السيرة والرسول ﷺ على طباعة عددٍ من الكتب في هذا الميدان فهو على قناعة بأن هذه الأعمال العلمية مما يطول ويدوم أثره ، وهو إن خدم الباحثين والمتخصصين في ميدان التاريخ عامة وميدان السيرة النبوية بوجه أخص فخدمته لعموم المسلمين بل وغير المسلمين لا تخفى ، على أننا نتطلع أن تكون الخطوة اللاحقة هي خطوة الترجمة - وبعده من اللغات الحية - لهذا المنجز العلمي حتى تُعم الفائدة غير العرب وغير المسلمين.

ومهما كان التأليف والعرض عن سيرة محمد ﷺ وسيرة أصحابه خير القرون كثيراً ، فلا تزال الحاجة تُلح على المزيد لعظمة هذا التاريخ من جانب ، فقائده يحمل تزكيات السماء ومحبة أهل الأرض ، ومن جانب آخر فالمنجز الحضاري والقيمي لهذا التاريخ يستحق الإشارة والتجديد في العرض والكتابة.



إن من دواعي سرور المسئولين والقائمين على هذا الكرسي أن تصل رحمة محمد ﷺ للعالمين عبر تواصل حضاري يمثل الكتاب معبره.

وشرف للكرسي أن يساهم في تقليص مساحة الأمية عن أخلاق نبي الرحمة، وشرف آخر حين يهتدي من ضل الطريق إلى الإسلام بفضل الله أولاً، ثم بفضل قراءة أي من هذه الكتب في مجال السيرة النبوية.

وفى زمن التنافس الحضاري وعولة الفكر، يتقدم أتباع شرائع السماء والمقتدون بهدي الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ومحمد ﷺ في مقدمتهم ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ وعسى أن تحقق هذه الكتب المطبوعة هذا الهدف النبيل، والله من وراء القصد.

راعي الكرسي

عبد الله بن صالح الراشد الحميد



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، وبعد :  
فتمثل سيرة النبي ﷺ أصح وأشمل ، وأزكى وأطهر سيرة في الوجود ،  
ويكفي أن يقول الحق تبارك وتعالى في وصف صاحبها : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ  
عَظِيمٍ ﴾ . والسيرة بهذا التصور لم تتل - في حجم الرسائل الجامعية - ما  
يكافئها من الدراسة والتوثيق والبيان .

وقد أخذ التأليف في السيرة - في مراحلها الأولى - جانب جمع الروايات  
مشفوعة بالإسناد - غالباً - وكانت هذه الروايات جمعاً لأحداث السيرة دون  
تمحيص دقيق يكشف الصحيح منها والضعيف ، إذ لم يشترط أصحابها الصحة  
فيما يجمعون ، ولعل معرفة الناس في تلك العصور بالإسناد وأحوال الرواة جعلت  
أولئك الأعلام يكتفون بذكر الحادثة مسندة ليستدل الناس - بإسنادها - على  
صحتها أو ضعفها .

وحيث لم تعد المعرفة بالرجال وأنواع الأسانيد من أسس الثقافة في القرون  
المتأخرة ، بل يندر أن تجد من يهتم بذلك من مثقفي هذا العصر ، فقد جاءت  
كتابات المعاصرين من أهل التاريخ خلواً - في الغالب - من تمييز الروايات وفق  
قواعد المحدثين .

وإذا كان بالإمكان تلمس العذر - للخلاص من هذا المنهج النقدي - في  
أحداث التاريخ الإسلامي في عصوره المتأخرة ، فليس ثمة عذر في عدم الاستفادة من  
هذا المنهج في أحداث التاريخ الإسلامي في عصوره المتقدمة بشكل عام ، وفي  
أحداث السيرة النبوية بشكل خاص ، وذلك لتوفر الإسناد الذي يمكن من



دراسته والحكم على الرواية من خلاله، ولوجود آراء نقدية في هذه الحادثة أو تلك - وإن كانت مبعثرة هنا وهناك - لكن جمعها والإفادة منها للحكم على الروايات من الأهمية بمكان في سبيل إخراج سيرة صحيحة تتأى بها عن تشكيك المفرضين، تجليها موثقة لا سبيل إلى تضييفها أو الطعن في بعض مروياتها من قبل الناقدين.

ولا شك أن كتابة السيرة - بهذا المنهج - تحتاج إلى جهد وإلى نوع من التخصص يستطيع المتضلعون فيه دراسة الأسانيد والحكم على الروايات، لكن ذلك لا يعفي غيرهم من التبعة في هذا المجال.

إن التوجه إلى توثيق نصوص السيرة مطلب ملح تفرضه طبيعة الرسالة الخاتمة، وهو ضرورة تقتضيه المنهجية الحقة التي تميز صحيح الأخبار من معلولها قبل أن تستخرج العبر والدروس منها. ولقد كان توثيق نصوص السيرة من أبرز نتائج هذه الدراسة كما سيراه القارئ.

ولقد غبرت على الباحثين والمختصين في حقل التأريخ الإسلامي سنون دون أن يفيدوا من كتب السنة الفائدة المرجوة، ولا شك أنها تمثل مصدراً مهماً من مصادر التأريخ الإسلامي بشكل عام، وأحداث السيرة على الخصوص، وهي وإن كانت لا تقدم الحادثة في قالب كالذي تقدمه به كتب التأريخ - لاختلاف طبيعة المنهج - إلا أنها ربما رصدت حدثاً كان نصيبه الإهمال في المدونات التاريخية، وربما أوردته من مصدر آخر فزاد توثيق الخبر، وربما زادت عليه، أو أوضحت إشكالاته فيه، أو نحو ذلك، ولهذا فالبعد عنها وعدم الإفادة منها يبقى نتائج البحوث والدراسات ناقصة في هذا الميدان. ويأتي الصحيحان (صحيح البخاري، وصحيح مسلم) في الذؤابة من كتب السنة، فالإجماع منعقد على أنهما أصح الكتب بعد كتاب الله، وهما وإن اشترطا في تدوين الروايات - بشكل



عام - علواً في الإسناد أسقطا بسببه كماً من الروايات التاريخية لا ترقى إلى هذا الشرط، فقد حفلا بنصوص كثيرة للسيرة ، وجمع هذه الروايات ومن ثم الموازنة بينها وبين ما ساقه ابن إسحاق في السيرة يكشف نتائج طيبة ، سأشير إلى بعضها في خاتمة البحث .

ولهذه الأسباب وغيرها تبدو أهمية الموضوع «السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق ، دراسة مقارنة في العهد المكي» ، وأهمية البحث ليست لمجرد جمع وترتيب وقائع السيرة في الصحيحين في العهد المكي - مع ما لهذه من أهمية - وليست لمقابلة النصوص بين الصحيحين وابن إسحاق وبيان المؤلف والمختلف فيها فحسب - وهذه هي الأخرى لها أهميتها - وإنما تهدف الدراسة فوق هذا وذلك ، إلى نقد النصوص التي يقع فيها التعارض والاختلاف وسبر أغوارها ، وغالباً ما تنتهي ببيان ضعف إسنادها وسقوط الرواية من أصلها ، وأحياناً أمور أخرى ستوضح في ثنايا البحث بمشيئة الله.

وكان عليّ قبل أن أسجل أن أقرأ ، بل أديم القراءة في الصحيحين لاستخراج نصوص السيرة منها. ووجدت أنه لا يكفي القراءة في كتب المغازي والسير ، أو الفضائل أو نحوها من مظان أبواب السير في الصحيحين ، بل رأيت الأمر ملحاً على استيفاء قراءة الصحيحين صفحة صفحة .. بل حديثاً حديثاً ؛ إذ لم يكن بوسعي جمع الروايات بطرقها المختلفة وما تحويه هذه الطرق من زيادات - أحياناً - إلا بهذه الطريقة ، بل إن هذا الشمول في القراءة كشف لي نصوصاً لا توجد في مظانها المتوقعة فيها ، إذ من المصاعب التي تواجه الباحث في الصحيحين صعوبة استخراج بعض الحوادث منهما نظراً لعدم وضوح الحادثة أحياناً إما لتسميتها غير اسمها المؤلف في كتب السيرة ، أو لذكرها عرضاً في نص عام يجمع إليها غيرها ، وعلى سبيل المثال جاء ذكر حادثة (حصار الشعب)



في البخاري هكذا: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ - حين أراد حيناً - : «منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر» وبهذا العرض قد يفوت على القارئ أن قصد البخاري بذلك الإشارة إلى حصار الشعب، لا سيما وقد ذكرها في كتاب «مناقب الأنصار» وبوّب لها ب«تقاسم المشركين على النبي ﷺ». وقبل هذا ذكر البخاري الحادثة في كتاب الحج تحت باب «نزول النبي ﷺ مكة»، وفي الجهاد والسير ضمن باب «إذا أسلم قوم في دار الحرب»، وفي المغازي ضمن باب «أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح»، كما ذكرها مسلم في كتاب الحج ضمن باب «استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به». وكل هذه الأبواب قد لا تلفت نظر من يبحث عن هذه الحادثة في الصحيحين إذا لم يقرأ ما تحتها، بل قد يحتاج الأمر إلى قراءة في شروح الصحيحين، ولهذا أجدني مضطراً هنا - وقد أستبق الأحداث في الكلام على مصادر الرسالة - للقول بأنني أفدت كثيراً من شرح ابن حجر للبخاري (فتح الباري) فكثيراً ما تحيرت في قصد البخاري بهذا الحديث أو بهذه الترجمة، وحين أعمد إلى الفتح، يفتح الله به علي ما أشكل والتبس. وصدق من قال: «لا هجرة بعد الفتح» فرحمه الله ورحم غيره من العلماء الذين خدموا العلم وطلابه.

وكلمة لا بد من إيضاحها في المنهج حيث اعتمدت في تدوين الأحداث على ما ذكره الشيخان أو أحدهما في صحيحهما، واعتبرت ذلك أصلاً أقارن بعده ما جاء في سيرة ابن إسحاق وربما غيره موافقاً أو مخالفاً لهما في ذات الحدث، مشيراً إذا كانت هذه الحادثة أو تلك لا توجد أصلاً في سيرة ابن إسحاق على أن ذلك زيادة حفلت بها نصوص الصحيحين دون ابن إسحاق، وعلى هذا فقد يرى



القارئ أن ثمة أحداثاً آخر في العهد المكي<sup>(١)</sup> - في سيرة ابن إسحاق - لم تذكر، فهذا سببها ، وعلى أي حال فلا أدعي أنني أتيت على الصغير والكبير واستوفيت كل ما ورد في الصحيحين من أحداث السيرة ؛ فقد يندّ عني ما لم يكن في الحساب مما يندرج في دائرة الخطأ والنسيان ، وحسبي أنني اجتهدت ما وسعني الجهد ، وما توفيقي إلا بالله .

هذا وينتظم الكتاب في خمسة فصول أساسية ، وهناك فصل تمهيدي قصدت منه التعريف بابن إسحاق وما قيل فيه جرحاً أو تعديلاً ، ورأي العلماء فيه خاصة في جانب المغازي والسير - وما نحن بصده - ومنهجه في تدوين أحداث السيرة ، ورواة المغازي والسير عنه ، ثم أتبع ذلك الحديث عن الإمام البخاري ، مع وقفة عند صحيحه ، ومنهجه في تدوين أحداث السيرة ، وأخيراً ترجمة للإمام مسلم وتحدثت عن صحيحه ، وما أمكن الوقوف عليه من منهجه في أحداث السيرة. وقد حاولت - في هذا التمهد - إبراز الفرق بين منهج المحدثين بشكل عام وأصحاب السير في كتابة أحداث السيرة وعرضها .

**أما الفصل الأول من الكتاب «محمد ﷺ بين الميلاد والنبوة» . فيشمل:**  
الحديث عن مولد النبي ﷺ ، ونشأته ، وأسمائه ، وفضل نسبه ، والبيئة التي عاش فيها ، وموقفه منها ، وصفاته الخلقية والخلقية ، وتوقفت طويلاً عند بعض

---

(١) منها على سبيل المثال لا الحصر : كفالة جده عبد المطلب له ، وكفالة عمه أبي طالب في صغره ، واختلاف قريش في وضع الحجر الأسود وحكم النبي ﷺ بينهم ، وحرب الفجار ، وإسلام حمزة رضي الله عنه ، وخبر الصحيفة المعلقة في الكعبة ، وخبر دار الندوة ، واجتماع قريش بها حين علمت بخبر هجرته للمدينة .



ما وقع له في تلك الفترة ، وهو يحتاج إلى مزيد بيان وإيضاح من أمثال «شق صدره» ورحلته مع عمه إلى الشام . كما توقفت عند زواجه بخديجة ومَن عقد عليهن أو دخل بهن في الفترة المكية .

وشمل الفصل الثاني «البعثة وبعض الأحداث في مكة» : إرهاصات النبوة والعزلة ، والتحنث ، ثم نزول الوحي وفتوته ، والخلاف فيه ، وأول ما نزل من القرآن وما أشكل فيه ، وألحقت بهذا الفصل الحديث عن بعض الأحداث البارزة في مكة كإسلام عمر ، وحصار الشعب ، وموت عم النبي ﷺ ، وزوجه خديجة . وأخيراً نماذج من معجزات النبوة في مكة كالإسراء والمعراج ، وانشقاق القمر ، وإخباره ﷺ عن جمع من الشهداء وهو على جبل «حراء» ، إضافة إلى معجزة القرآن الكريم.

أما الفصل الثالث ، فكان عن «أساليب الدعوة في مكة» : وقد تحدثت فيه عن الدعوة في مرحلتها السرية - مدعماً ذلك بنصوص الصحيحين وما ذكره ابن إسحاق - ثم ذكرت نماذج لأوائل المؤمنين ، ثم انتقل الحديث إلى مرحلة الجهر بالدعوة ، وموقف قريش منها وإيذاء النبي والمؤمنين ، وإبطاء قريش بالإسلام ودعاء النبي عليهم ، ثم الحديث عن هجرة الحبشة وعودة المهاجرين وقصة الغرانيق - التي أطلت الوقوف عندها لكثرة الحديث حولها - ثم ختمت هذا الفصل بالحديث عن ذهابه ﷺ للطائف مع بيان ما اختلفت فيه رواية الصحيحين عن ابن إسحاق في هذه الحادثة .

وكان الفصل الرابع عن «مقدمات الهجرة» وابتدأته بالحديث عن بدء إسلام الأنصار ، فألمحت إلى إشارة البخاري لذلك ، أما ابن إسحاق فاستجمعت رواياته قبل بيعة العقبة ودرستها دراسة نقدية ، كما شمل الحديث - في هذا الفصل - الوقوف عند أسباب إسلام الأنصار ، وأبنت عن إضافة الصحيحين في الأسباب ما





لا يتوفر عند ابن إسحاق وبيعة العقبة الأولى ومناحي الاتفاق والاختلاف بين رواية ابن إسحاق والصحيحين ، وإمكان الجمع بينهما ، والإشكالات التي استشكلها بعض العلماء في رواية الصحيحين لها والإجابة عنها ، وبيعة العقبة الثانية ورواية الصحيحين لها ، ومحصلة رواية ابن إسحاق ، وما يتفق أو يختلف مع رواية الصحيحين. وبالجملة ففي كل روايات العقبة - وفيما يخص روايات ابن إسحاق - كنت أقف عند سند الرواية وأبين درجتها من الصحة والضعف.

أما الفصل الأخير (الخامس) فكان عن «الهجرة إلى المدينة» ، وابتدأته بذكر ما وقع في روايات الصحيحين من أسباب الهجرة ، وأعقبته بما ذكره ابن إسحاق ، وأوضحت زيادة الصحيحين منها ثم وقفت عند اختيار المدينة مكاناً للهجرة ، ونصوص الصحيحين في ذلك ، وأول من هاجر من المسلمين والاختلاف بين رواية الصحيحين وابن إسحاق ، ثم هجرة من هاجر من المسلمين ، ووقفت عند هجرة عمر ومن كان معه ، وأوضحت الفهم الخاطئ في هجرته علناً وأن الرواية بذلك لا تستقيم أمام النقد العلمي ، ثم أخذ البحث طريقه في هجرة النبي ﷺ من حين أذن له ، إلى أن وصل إلى الغار وما صاحب ذلك من دراسة نقدية للروايات ، ثم حديث الرحل «في طريق الهجرة» وما يتضمنه هذا الحديث من زيادات في الصحيحين لا وجود لها عند ابن إسحاق ، كما توقفت عند الطريق الذي سلكه النبي ﷺ في هجرته فحاولت إيضاح معالمه. وجمعت ما ورد في وصفه من الصحيحين وابن إسحاق. وأخيراً الوصول إلى المدينة واستقبال الأنصار ، ولفت الانتباه إلى صيغة الاستقبال - كما وردت في الصحيحين - مشيراً إلى ضعف ما اشتهر بأنه أُسْتُقْبِلَ بهذه الأبيات :

طلع البدر علينا من ثيات الوداع ... إلخ وذلك لضعف الرواية به سنداً وممتاً.

ثم أنهيت البحث بخاتمة أشرت فيها إلى أهم النتائج التي وصلت إليها.



## مصادر الكتاب :

تتوعت مصادر الكتاب نظراً لطبيعة الموضوع ومنهج الكتابة، فشملت كتب الحديث والسير، وهما مصدران في السيرة يكمل أحدهما الآخر، ولكل منهما منهج وطريقة، فميزة كتب السير أنها تبسط الموضوع وتجمع أطرافه بشكل لا يتوفر في كتب الحديث دائماً، لكننا مع ذلك نلقي كتب أحاديث - أحياناً - تفصل مجملاً، أو توضح مبهماً، أو توثق حدثاً ورد في كتب السير لكن بإسناد فيه مقال، فأوردته كتب الحديث من طريق آخر لا مطعن فيه.

ومن كتب الحديث التي أفدت منها - إضافة إلى الصحيحين - مسند الإمام أحمد، وسنن الترمذي، ومستدرک الحاكم، وجامع الأصول لابن الأثير الجزري، ومجمع الزوائد للهيثمي.

أما كتب السير فأبرزها سيرة ابن إسحاق وتهذيبها لابن هشام، وتعد سيرة ابن إسحاق من أبرز كتب السيرة النبوية، وقد استطاع مؤلفها أن يجمع - في سيرته - بين منهج أهل الحديث الملتزم بسوق الرواية الواحدة بإسنادها دون خلط بين الروايات، وبين منهج الإخباريين الذين كانوا يسوقون الروايات الكثيرة مساقاً واحداً دون إسناد، ودون تمييز بين رواية وأخرى، فجاءت سيرة ابن إسحاق مسندة غالباً، ولكنها تجمع في الخبر الواحد أكثر من رواية ويسوقها مساقاً واحداً، وربما نبّه إلى ذلك في بداية الرواية.

وهذا المنهج أعطى لسيرته مزية ترابط الحدث، ووضوح الصورة، الأمر الذي تفقده في روايات المحدثين الذين يجزئون سياق الحادثة بتجزئة مروياتها، ولقناعة أهل الحديث بهذا المنهج وخوفهم اختلاط صحيح الروايات بمعلولها عابوا على ابن إسحاق صنيعه، فقد سئل الإمام أحمد عن قبوله لحديث ابن إسحاق إذا



انفرد به فقال: لا والله إنني رأيتُه يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا .

وسيرة ابن إسحاق تغلب عليها الروايات الصحيحة ، ومقارنتها بما ورد في الصحيحين تؤكد ذلك ، وهذا ابن عدي يوثق لنا - في الجملة - مرويات ابن إسحاق فيقول : وقد فتشت أحاديث ابن إسحاق الكثيرة فلم أجد في أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ أو وهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره ، ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به<sup>(١)</sup> .

وقال الذهبي : ولابن إسحاق ارتفاع بحسبه لا سيما في السير<sup>(٢)</sup> . ولعل ذلك يكشف لنا الاتجاه الخاطئ عند بعض المستشرقين ومن شايهم من مؤرخينا إذ يعلون من شأن مغازي الواقدي ويقدمونها على سيرة ابن إسحاق ، والحق - كما يقول الدكتور العمري - : إن سيرة ابن إسحاق أدق وأوثق وتتطابق معلوماتها مع معلومات كتب الحديث في كثير من الجوانب<sup>(٣)</sup> .

ومع ذلك كله فلا يعني هذا - كما أسلفت - أن سيرة ابن إسحاق خلوٌ من الروايات الشاذة ، وقد أنصفه الذهبي حين قال فيه : ما له عندي ذنب إلا ما قد حشى في السيرة من الأشياء المنكرة والمنقطعة<sup>(٤)</sup> .

والحديث عن سيرة ابن إسحاق لا ينفك عن تهذيبها «سيرة ابن هشام» وحين يعلم أن عدداً من الرواة نقلوا السيرة عن ابن إسحاق ، فلا شك أن أوفى ما وصل

(١) انظر : الكامل في الضعفاء لابن عدي ٢١٢٥/٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤١/٧ .

(٣) انظر : المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور أكرم العمري ص ٢٧ .

(٤) ميزان الاعتدال ٤٦٩/٣ .



إلينا رواية البكائي عن ابن إسحاق وهي التي هذبها تلميذه ابن هشام فحذف منها ما ليس له علاقة بالسيرة، وليس للرسول ﷺ فيه ذكر ، كما هذب من أشعارها ، واختصر من مطولاتها ، وأوضح الغريب والمبهم فيها كما أبان عن ذلك في مقدمة كتابه .

ولقد أثنى العلماء على جهود ابن هشام في السيرة ، واشتهرت سيرته حتى كاد بعض الناس أن ينسوا صاحبها الأول وهو ابن إسحاق . يقول القفطي : وهذه السيرة التي يرويها عن ابن إسحاق قد هذب منها أماكن مرة بالزيادة ومرة بالنقصان وصارت لا تعرف إلا بسيرة ابن هشام <sup>(١)</sup> .

وتظهر أمانة ابن هشام في محافظته على نص رواية ابن إسحاق إذ يقدم لها بالقول: (قال ابن إسحاق) ثم يورد نص الرواية ، وإذا عقب عليها فإنه يبين عن ذلك بقوله: (قال ابن هشام) وهذا كثير لمن تأمله . وأحياناً ينقل روايات ليست لابن إسحاق ويقدم لها بالقول : حدثني بعض أهل العلم ، أو: فيما يذكر لي بعض أهل العلم ، أو: فيما بلغني ونحوها مما يؤكد دقته وأمانته في النقل. ومنها : «الدرر في اختصار المغازي والسير» والكتاب مختصر ، لكنه مفيد. فقد أفاد مؤلفه من مغازي موسى بن عقبة كثيراً كما ذكر ذلك في مقدمته <sup>(٢)</sup> ، و«عيون الأثر» لابن سيد الناس. وميزته أنه نقل عن مصادر لا تكاد توجد بين أيدينا حيث نقل عن مغازي «محمد بن عائذ القرشي» <sup>(٣)</sup> وساق في آخر كتابه سنده عنه <sup>(٤)</sup> ،

(١) انظر : انباه الرواة ٢/٢١٢ .

(٢) انظر : مقدمة الكتاب ص ٣ .

(٣) هو : الإمام المؤرخ الصادق أبو عبد الله القرشي الدمشقي ، تولى ديوان الخراج بالشام زمن المأمون ، جمع كتاب المغازي ، يقول الذهبي : سمعت معظمه ، وله كتاب الفتوح والصوائف. (سير أعلام النبلاء ١١/١٠٥ ، ١٠٦) . وقد وثقه ابن معين وذكره أبو زرعة



و«جوامع السيرة» لابن حزم، و«زاد المعاد» لابن القيم، و«سيرة الذهبي» وهي مع اختصارها لها قيمتها العلمية نظراً لوقفات الذهبي النقدية، و«سيرة ابن كثير»، وهي - في نظري - من أجود كتب السير لجمع مؤلفها بين كتب الحديث والسير من جهة، ولترجيحات ابن كثير وآرائه من جهة أخرى، و«سيرة الصالحي» «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» والتي ذكر مؤلفها أنه اقتضبها من أكثر من ثلاثمائة كتاب وتحرى فيها الصواب<sup>(١)</sup>. وللكتاب فضل مزيّة حيث يختم المؤلف كل باب من أبوابه بإيضاح المشكل، ويبين فيه النفائس المستجدات مع بيان لغريب الألفاظ وضبط المشكلات، والجمع بين الأحاديث التي يظن بها أنها من المتناقضات. ويلحق بهذين النوعين من المصادر (كتب الحديث والسير) شروحهما، وهي من الأهمية بمكان، خاصة شروح كتب الحديث، وأهم الشروح للصحيحين شرح النووي على صحيح مسلم، وشرح ابن حجر «الفتح» للبخاري، ورغم أهمية شرح النووي، فشرح ابن حجر للبخاري يبرز مصدراً مهماً لا يستغني عنه الباحث في السيرة ليس فقط لأنه حفظ لنا نقولاً في السيرة لا تتوفر بين أيدينا الآن<sup>(٢)</sup>. وإنما كذلك لموازنات ابن حجر وتعليقاته

الدمشقي في أهل الفتوى بدمشق، ورماه بعضهم بالقدر، توفي سنة (٢٣٢هـ). (المصدر السابق ١٠٥/١١، وانظر: تهذيب التهذيب ٢٤١/٩ - ٢٤٢).

(١) عيون الأثر ٣٤٤/٢.

(٢) انظر: مقدمة المؤلف ١/١.

(٣) من أمثال «السيرة الصحيحة» لسليمان بن طرخان التميمي (ت ٤٢هـ) انظر: نقول ابن حجر منها في الفتح (٢٣/١)، ٤٩٨/٧، ٧١٠/٨، والسير لابن إسحاق الفزاري (ت ١٨٥هـ) انظر: نقول ابن حجر منها في الفتح ٢٢/١، ٧٧/٦، والمغازي لمحمد بن عائذ القرشي (ت ٢٣٢هـ). وانظر: نقول ابن حجر منها في الفتح ٣٠٢/٧، ٢٢٦، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٥٩



الجياد ، وصدق من قال : «لا هجرة بعد الفتح» . ويقصد بذلك فتح الباري .  
أما شروح كتب السيرة ، فأبرزها : (أ) شرح «السهيلي» ، «الروض الأنف» ،  
(ب) وشرح أبي ذر الخشني .

كما شملت مصادر الرسالة كتب «الشمائل» و«الدلائل» ومن أهمها :  
(ج) دلائل النبوة لأبي نعيم ، (د) ودلائل النبوة للبيهقي وهو من أحسن ما ألف في  
بابه حتى قال عنه الذهبي : «عليك به فإنه كله هدى ونور» ، (هـ) والشفاء بتعريف  
حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض .

وتشكل كتب الطبقات والتراجم مصدراً مهماً من مصادر الموضوع ، ويأتي  
في مقدمتها (و) «الطبقات الكبرى» لابن سعد ، وقد أفرد فيه جزءاً خاصاً  
بالسيرة ، فانفرد بأشياء دون غيره ، فقد روى طائفة من مرويات «ابن إسحاق»  
في السيرة من غير طريق شيخه الواقدي ، فروى من طريق هارون بن  
عيسى عن ابن إسحاق<sup>(١)</sup> ، ومن طريق عبد الله بن إدريس الأودي عن ابن  
إسحاق<sup>(٢)</sup> ، ومن طريق إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> ، فضلاً عن كونه  
أخذ من مغازي موسى بن عقبة من غير طريق شيخه<sup>(٤)</sup> ، وكذا من مغازي

---

وغيرها ، وانظر : منهج كتابة التاريخ الإسلامي لمحمد بن صامل السلمي ص ٣١٠ - ٣١٦ .

(١) انظر : الطبقات ٥١/١ ، ٥/٢ .

(٢) المصدر السابق ٥/٢ ، ٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ٦/٢ .

(٤) المصدر نفسه ٦/٢ .



أبي معشر السندي<sup>(١)</sup>.

ومن هذا النوع من المصادر: فضائل الصحابة للإمام أحمد ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وأسد الغابة لابن الأثير، والإصابة لابن حجر - وهو من أوسعها - وتحوي هذه الثلاثة الأخيرة جُملاً من وقائع السيرة ، سواء أكان ذلك عن طريق الترجمة للنبي ﷺ وذكر مختصر لسيرته - كما صنع ابن عبد البر ، وابن الأثير - أم كان عن طريق التراجم للصحابة ، كما فعل ابن حجر .

### هذه تعاريف لأعلام وردت في ص ١٧ :

(أ) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي ، حافظ ، عالم باللغة والسير ، ولد في مالقة ، وعمي وعمره ١٧ سنة ، اتصل خبره بعد نبوغه بصاحب مراکش فطلبه إليها وأكرمه حتى توفى فيها سنة ٥٨١هـ.

له غير شرح السيرة : «التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام» و«الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين» و«نتائج الفكر»<sup>(٢)</sup>.

(ب) أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخثني الجياني الأندلسي ، قاض ،

---

(١) المصدر نفسه ٥/٣ وأبو معشر هو : نجيح بن عبد الرحمن السندي ، الإمام المحدث ، صاحب المغازي ، كان يعاصر ابن إسحاق وتوفى بعده سنة ١٧٠هـ ، وذكره ابن سعد في الطبقة السادسة من التابعين من أهل المدينة وقال عنه : كان كثير الحديث ضعيفاً (الطبقات ٤١٨/٥) ويقال : كان أمياً إلا أنه حفظ المغازي وأخبار الناس (سير أعلام النبلاء ٤٢٧/٧) .

(٢) الأعلام للزركلي ٨٦/٤ .



من العلماء بالحديث والسير والنحو . أصله من مدينة جيان ولد ونشأ فيها وتجوّل في العدة والأندلس ، وولي القضاء في جيان أيام المنصور ، واستقر بفاس وتوفي بها سنة ٦٠٤هـ، له من الكتب : شرح غريب السيرة ، وشرح الإيضاح ، وشرح الجمل<sup>(١)</sup> .

(ج) أبو نُعَيْمٍ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ، حافظ مشهور ومؤرخ ، عدّه ابن خلكان من الثقات ، وقال الذهبي : تُكَلِّمُ فيه بلا حجة ولكن هذه عقوبة من الله لكلامه في ابن منده بهوى ، ولد ومات بأصبهان ، له من المصنفات: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، وطبقات المحدثين بأصبهان لواسمه الصحيح: ذكر أخبار أصبهان] ، ومعرفة الصحابة. توفي سنة ٤٣١هـ<sup>(٢)</sup> ..

(د) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الشافعي ، ولد في خسرو جرد ، ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد والكوفة ومكة وغيرها ، ومات في نيسابور سنة ٤٥٨هـ ، قال عنه إمام الحرمين الجويني : ما من شافعي إلا وللشافعي عليه فضل إلا البيهقي. فإن له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرته مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه ، وقال الذهبي : أصاب الجويني ، هكذا هو ، ولو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف .

صنّف زهاء ألف جزء : منها السنن الكبرى ، والسنن الصغرى ، معرفة السنن والآثار ، والأسماء والصفات ، والآداب والترغيب والترهيب وغيرها<sup>(٣)</sup> .

(١) الأعلام ١٥١/٨ .

(٢) وفيات الأعيان ٩١/١ ، وميزان الاعتدال ١١/١ ، والأعلام ١٥٠/١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦٩/١٨ ، تذكرة الحفاظ ١١٣٢/٣ ، والأعلام للزركلي ١١٣/١ .





(هـ) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي. كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، مولده في سبته، وولي قضاءها، ثم قضاء غرناطة، وله مصنفات منها: الإكمال في شرح مسلم، ومشارك الأنوار، والتببيهاة، وكتاب في التاريخ، توفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ<sup>(١)</sup>.

(و) محمد بن سعد بن منيع الزهري مولاهم، صحب الواقدي زماناً وكتب عنه، ومن أشهر كتبه الطبقات الذي قال فيه الخطيب البغدادي: أجاد فيه وأحسن وهو من أهل العدالة والفضل، وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته كما قال الخطيب، ولد في البصرة وسكن بغداد وبها توفي ٢٣٠هـ<sup>(٢)</sup>.

(ز) محمد بن عمر بن واقد أبو عبد الله الواقدي المدني، ولد بالمدينة سنة ١٣٠هـ، قال عنه الخطيب البغدادي: قدم بغداد وولي قضاء الجانب الشرقي فيها وهو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره، ولم يخف على أحد عرف أخبار الناس أمره وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات وغيرها. وقال فيه الذهبي: «جمع فأوعى وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدرّ الثمين فاطرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم»، ويذكر للواقدي ميزة في كتابه المغازي وهي تتبعه للأثار ومعانيته لمواضع السيرة، وقد ذهب للمريسي وغيرها، ويسترشد بأبناء الصحابة وأبناء الشهداء في تعريف المواقع، ولهذا قال عنه ابن كثير: وعنده زيادة حسنة وتاريخ

(١) وفيات الأعيان ٤٨٣/٣، والأعلام ٢٨٢/٥.

(٢) تاريخ بغداد ٣٢١/٥، والأعلام ٦/٧.



محرر، توفي سنة ٢٠٧هـ<sup>(١)</sup>.

ومن المصادر كتب التاريخ العامة ، ذلك لأن معظمها تبدأ التاريخ الإسلامي بذكر سيرة الرسول ﷺ ، ومن أهم مصادر هذا النوع : تاريخ خليفة بن خياط ، وهو وإن ابتدأ كتابه بالسيرة فلم يكن للفترة المكية من ذلك نصيب ، عدا حديثه عن ولادة النبي ﷺ ، ومدة إقامته بمكة والمدينة ، وذلك لأنه ابتدأ يؤرخ من السنة الأولى للهجرة .

وتاريخ الطبري ، وميزته أنه يُعد مدونة تاريخية جمع فأوعى وحفظ لنا نصوصاً من كتب لا تزال في عداد المفقودات ؛ من أمثال روايته عن ابن إسحاق - في السيرة - من رواية مسلمة بن الفضيل من طريق شيخه محمد بن حميد الرازي<sup>(٢)</sup> وروايته عن مغازي ابن شهاب الزهري كثيراً<sup>(٣)</sup> ، ونقله عن مغازي أبي معشر السندي في أكثر من مائة موضع<sup>(٤)</sup> ، كما نقل عن مغازي سعيد بن يحيى الأموي<sup>(٥)</sup> إلى غير ذلك .

(١) تاريخ بغداد ٣/٣ ، سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٩ .

(٢) محمد بن حميد - هذا - من شيوخ الطبري ، وقد أكثر من الرواية عنه في تاريخه لكن ضعفه كثير من العلماء ، قال يعقوب بن شيبه : كثير المناكير ، وقال البخاري : فيه نظر ، وكذبه أبو زرعة ، وقال النسائي : ليس بثقة ، قيل لابن خزيمة : لو أخذت الإسناد عن ابن حميد فإن أحمد بن حنبل قد أحسن الثناء عليه ، قال : إنه لم يعرفه ولو عرفه كما عرفناه ما أتى عليه أصلاً ، مات سنة (٣٤٨هـ) (ميزان الاعتدال ٥٣٠/٣) .

(٣) روى عنه الطبري في أكثر من مائة موضع جعلها في السيرة ، انظر : (منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص ٢٠٢ لمحمد بن صامل السلمي) .

(٤) وجلها في السيرة ، ومنها ما هو خارج إطار السيرة ( المرجع لاسبق ص ٣١٢) .

(٥) انظر : تاريخ الطبري ٢٤٦/١ ، ٣٦٤/٢ ، ٢٧/٣ ، ٦٨ ، ١٦٢ ، ١٩٤ . وسعيد هذا قال

=



ومن مصادر هذا النوع - أيضاً - الكامل في التاريخ لابن الأثير ، والبداية والنهاية لابن كثير . وقد سبق الكلام عن سيرته ، وهي مجتزأة من البداية والنهاية .

وبقي نوع من المصادر أفدت منه في الكتابة ، وقد لا يحسب له بعض الباحثين حسابه ، وهو كتب الرجال ، أو ما يسمى (بالجرح والتعديل) فهذه تأتي أحياناً على أحداث السيرة من خلال تراجمها لبعض الرجال ، وميزتها النقدية للإسناد ، وبيانها لدرجة صحة الواقعة أو ضعفها تعطيها أهمية وتجعلها مصدراً لا يستغني عنه من يريد دراسة السيرة بهذا المنهج ، ومن نماذج هذا النوع : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ، وميزان الاعتدال للذهبي ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ، ونحوها .

---

عنه ابن المديني : هو أثبت من أبيه ، وقال يعقوب بن سفيان : هو وأبوه ثبتان ، ووثقه النسائي ، وقال أبو حاتم : صدوق ، وقال صالح بن حميد : صدوق إلا أنه يغلط ، وذكره ابن حبان في الثقات ، مات سنة ٢٤٩هـ . (تهذيب التهذيب ٩٧/٤ ، ٩٨) .



المقدمة

التمهيد



التمهيد



## تدوين السيرة قبل ابن إسحاق

بدأ الاهتمام بالمغازي والسير مبكراً ، نظراً لكونها تمثل جانباً من حياة النبي ﷺ عزَّ على المسلمين أن يدرس وينسى وهو الأسوة والقودة.

وقد تجاوز اهتمام الرعيل الأول بالسيرة مجال العمل بها والتأسي ، إلى مجال العلم بها ، وتدوينها للأجيال اللاحقة ، فكانت تعقد لها الحلقات والدروس ، وما مجلس «ابن عباس» - رضي الله عنهما - والذي كان يحدث الناس فيه في إحدى عشياته عن المغازي <sup>(١)</sup> إلا نموذج لهذا الاهتمام .

وبلغ الاهتمام بالسير والمغازي أنهم كانوا يتعلمونها كما يتعلمون السورة من القرآن <sup>(٢)</sup> .

ويجزم «الأعظمي» بأن جزءاً غير قليل من وقائع السيرة كان قد كتب في عصر الصحابة ، وفي حياة النبي ﷺ ، لكن ذلك لم يكن بشكل متميز ، وإنما كان ضمناً مع جملة أحاديث الرسول ﷺ <sup>(٣)</sup> .

وعلى كل حال فقد كان لهذا الاهتمام بالسيرة من قبل الصحابة أثره في جيل التابعين من أبناء الصحابة وغيرهم ، لا سيما إذا وضع في الاعتبار أن السيرة في بدء تدوينها لم تتفصل عن تدوين الحديث بشكل عام ، ولهذا كان رواد دراسة المغازي من المحدثين <sup>(٤)</sup> .

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٦٨/٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٥٠/٣ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٦٥/٣ .

(٣) الأعظمي : مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير ص ٢١ .

(٤) الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٠ .



فأبان بن عثمان (ت ١٠٥هـ) وهو محدث كان له ميل إلى دراسة المغازي ، وقد ذكر «ابن سعد» أن المغيرة بن عبد الرحمن كان لديه مغازي أبان بن عثمان ، وكانت كثيراً ما تقرأ عليه ، ويأمر بتعلمها <sup>(١)</sup> .

وحيث لا يوجد ذكر لمغازي «أبان» بل ولا نُقُول عنه ، فلعل مرد ذلك إلى عدم وجود تلاميذ له يقومون بنشر علمه بعد مماته ، ولم تنتشر في حياته فعلى عليها وحي النسيان <sup>(٢)</sup> .

أما عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) فيعده «الواقدي» أول من صنف المغازي <sup>(٣)</sup> وكان مرجعاً للخلفاء والأمراء والعلماء يكتبون إليه ويسألونه في أمر المغازي والسير ، وينقل لنا «الطبري» نصوصاً طويلة من كتابات عروة إلى عبد الملك بن مروان <sup>(٤)</sup> ، كما نقل ابن حجر نص كتاب عروة إلى الوليد : «أما بعد فإنك كتبت إليّ تسألني عن قصة الفتح ....» <sup>(٥)</sup> .

ومن المعاصرين لعروة «شرحبيل بن سعد» (ت ٢٣هـ) وقد قال عنه سفيان بن عيينة : لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدرين منه <sup>(٦)</sup> ، ولكنه سقط من أعين الناس بعد أن احتاج ، أو لخلطه في الأحداث بعد كبر سنه <sup>(٧)</sup> ، ولم يرو عنه «ابن إسحاق» أو «الواقدي» شيئاً ، وروى عنه «ابن سعد» خبراً عن هجرة النبي ﷺ من

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢١٠/٥ .

(٢) الأعظمي : مغازي عروة ص ٢٧ .

(٣) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ١١٣/٩ .

(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٢٨ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ .

(٥) فتح الباري ٢٧/٨ .

(٦) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤/٣٢١ .

(٧) المصدر نفسه ٤/٣٢١ .





قباة إلى المدينة<sup>(١)</sup> .

وفي الطبقة التالية لهؤلاء برز ثلاثة من علماء الحديث وجهوا عنايتهم إلى المغازي، وهم : عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والزهري - وهؤلاء من شيوخ ابن إسحاق - والزهري هو أشهرهم وأكثرهم رواية، ويصف «السهيلي» سيرة الزهري بأنها أول سيرة ألفت في الإسلام<sup>(٢)</sup> .

وخلف الزهري بعده تلاميذ كان أشهرهم في المغازي : موسى بن عقبة، ومعمربن راشد ، ومحمد بن إسحاق، أما موسى بن عقبة فقد كان من موالى آل الزبير، ويثني الإمام «مالك» على مغازيه بقوله : «عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي، فإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن ولم يكتر كما أكثر غيره»<sup>(٣)</sup> ، وإذا كانت مغازيه لم تصل إلينا فقد حفظ «ابن سعد» في طبقاته<sup>(٤)</sup> و«الطبري» في تاريخه<sup>(٥)</sup> قبسات منها، أما معمربن فكان من أوثق الناس في الزهري ، وأثنى عليه الإمام أحمد وغيره<sup>(٦)</sup> .

وأخيراً وبعد هؤلاء جاء ابن إسحاق المطلبى فغطت شهرته من سبقه وبدأت منه الخطوط الجديدة في تطور الكتابة التاريخية .... وهذا ما سنعرفه بالتفصيل في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى .

(١) انظر : طبقات ابن سعد ١/٢٣٧ .

(٢) الروض الأنف ٢/٢٣٩ .

(٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠/٣٦١ .

(٤) انظر : على سبيل المثال في طبقات ابن سعد ٣/٨٥ ، ١٢٣ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ٢٤٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢ ، ٤٥٩ ، ٩٧/٤ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٤٢ ، ٢١٣ .

(٥) انظر : على سبيل المثال في تاريخ الطبري ١/٢٣١ ، ٢/٢١٣ ، وللمزيد انظر هورفتس : المغازي الأولى ص ٧١ ، ٧٢ .

(٦) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٤ ، ٢٤٥ .



## ابن إسحاق والشيخان

### ومنهجهم في تدوين أحداث السيرة

#### ١ - التعريف بمحمد بن إسحاق ومنهجه في تدوين أحداث السيرة :

##### اسمه ونسبه :

هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، وقيل : ابن يسار بن كوثران المدني مولى قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف <sup>(١)</sup> .

قال ابن سعد : كان جده «يسار» من سبي عين التمر <sup>(٢)</sup> ، وزاد ابن قتيبة : «الذين بعث بهم خالد بن الوليد إلى أبي بكر بالمدينة» <sup>(٣)</sup> . وذكر أنه أول سبي دخل المدينة من العراق <sup>(٤)</sup> .

وهناك خلاف بين كون جده «يسار» أو «خيار» هو الذي كان مولى لابن مخزومة ذكره «البغدادي» في تاريخه <sup>(٥)</sup> ، ويميل بعض الباحثين إلى ترجيح كون «خيار» هو المولى لقيس بن مخزومة <sup>(٦)</sup> ، وعلى كل حال فهو مطلبي بالولاء <sup>(٧)</sup> .

وعن أصل «ابن إسحاق» روى «الخطيب البغدادي» عن محمد بن الحسين بن

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢١٤/١ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٣/٧ .

(٢) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ٣٢١/٧ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف (ص ٢١٥) .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢١٦/١ .

(٥) المصدر السابق ٢١٦/١ .

(٦) محمد حميد الله : سيرة ابن إسحاق (المقدمة) ص (يز) من المقدمة .

(٧) انظر : السهيلي : الروض الأنف (تحقيق عبد الرحمن الوكيل) ٣٧/١ .



فضل القطان، عن عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ، عن يعقوب بن سفيان قال: محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة مولى فارسي<sup>(١)</sup> ، ويرد ذلك «البكري» في معجمه فيقول - في مادة عين التمر - : «ويكنيسة عين التمر وجد خالد بن الوليد الغلطة من العرب الذين كانوا رهناً في يد كسرى وهم متفرقون بالشام والعراق ، منهم جد الكلبي العالم النسابة ... وجد محمد بن إسحاق صاحب المغازي»<sup>(٢)</sup> .

وحيث أورد «الطبري» في وقعة «عين التمر» رواية تفيد أن من بين من أسرهم «خالد» أربعين غلاماً وجددهم في «بيعة» يتعلمون «الإنجيل» ، وحين سألهم من أنتم؟ قالوا: رهن<sup>(٣)</sup> ، فقد تمسك به من قال بأصول «كتابية» لابن إسحاق<sup>(٤)</sup>! الأمر الذي يعده «حميد الله» ظناً لبعض المستشرقين ويدفعه بأن معرفة «ابن إسحاق» بالإنجيل تعلمه من علماء عصره، لا من أجداده<sup>(٥)</sup> .

ويدور خلاف حول «كنية» ابن إسحاق، بين أبي عبد الله ، وبها قال خليفة ابن خياط<sup>(٦)</sup> وابن سعد<sup>(٧)</sup> ويعقوب بن شيبة<sup>(٨)</sup> وابن قتيبة<sup>(٩)</sup> ، وبين «أبي بكر»

(١) تاريخ بغداد ٢١٥/١ .

(٢) معجم ما استعجم (تحقيق مصطفى السقا ) ٢١٩/١ .

(٣) تاريخ الطبري (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ) ٣٧٧/٣ .

(٤) أمثال المستشرق (يوسف هوروفتس) في كتابه: المغازي الأولى ومؤلّفوها (ترجمة حسين

نصار) ص٧٦. والدكتور: سهيل زكار في مقدمته للسير ، المغازي لابن إسحاق ص١١ .

(٥) مقدمته على السير والمغازي لابن إسحاق (رواية يونس بن بكير) ص: يح.

(٦) انظر: تاريخ بغداد ٢١٧/١ .

(٧) الطبقات الكبرى ٢٢١/٧ .

(٨) تاريخ بغداد ٢١٧/١ .

(٩) المعارف ص٢١٥ .



وبها قال ابن المديني<sup>(١)</sup> والبخاري<sup>(٢)</sup> ومسلم<sup>(٣)</sup> ، ثم بقي هذا الاختلاف عند من تلاهم من العلماء والباحثين.

ويذكر أن «يساراً» كان له ثلاثة من الولد ، تزوج أحدهم - وهو المسمى إسحاق - ابنة مولى يسمى «صبيح» أنجبت له محمد بن إسحاق هذا<sup>(٤)</sup> .

كما ذكر أن لابن إسحاق أخوين : أبا بكر ، وعمر بن إسحاق<sup>(٥)</sup> ، وأن ابن إسحاق أعلاهم ، ومات أخوه «عمر» بعده بسنة أو سنتين<sup>(٦)</sup> .

### مولده ووفاته :

لا تكاد معظم المصادر القديمة التي عنيت بالترجمة لابن إسحاق تذكر السنة التي ولد فيها ، ولهذا جنح كثير من الباحثين المحدثين إلى اعتبار مولده في حدود سنة ٨٥ للهجرة<sup>(٧)</sup> ، لكننا نجد عند الذهبي مولده قبل ذلك حيث قال: ولد

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٧/١ .

(٢) التاريخ الكبير ٤٠/١ (القسم الأول ج١) ، ط. حيدر آباد الدكن .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٧/١ .

(٤) القسطلاني : إرشاد الساري إلى شرح البخاري ٣٢٨/٤ .

(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٤/١ .

(٦) عبد الغني المقدسي : الكمال في أسماء الرجال (مخطوط في برلين) انظر حميد الله في مقدمته للسيرة ص: (بط).

(٧) منهم : كارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (ط. الرابعة دار المعارف) ١٠/٣ ، ومارسدن جونس في مقدمته على مغازي الواقدي (نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت) ص٢٥ ، وهوروفيتس في كتابه: المغازي الأولى ومؤلفوها ص(٧٦) ، وفؤاد سزكين في كتابه، تاريخ التراث العربي (نشر جامعة الإمام) المجلد الأول الجزء الثاني (التدوين التاريخي) ص(٨٧) ، وسهيل زكار في مقدمته للسير والمغازي لابن إسحاق



ابن إسحاق سنة ثمانين<sup>(١)</sup> .

والخلاف وارد أيضاً في السنة التي توفي فيها ابن إسحاق، وبسببه وضع «الخطيب» في تاريخه فصلاً في «الاختلاف في تاريخ وفاة محمد بن إسحاق» ساق فيه عدة روايات في سنة وفاته<sup>(٢)</sup> . وإذا كان المشهور أن وفاته سنة إحدى وخمسين ومائة<sup>(٣)</sup> ، فقد صوّب «الخطيب» الرأي القائل بوفاته سنة اثنتين وخمسين ومائة<sup>(٤)</sup> ، وهو الذي جزم به خليفة بن خياط في تاريخه<sup>(٥)</sup> ، أما في طبقاته فقال : توفي سنة ثلاث أو اثنتين وخمسين ومائة<sup>(٦)</sup> ، ثم جزم في موضع آخر منه بوفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة<sup>(٧)</sup> ، وكانت وفاته في «بغداد» ، ودفن في مقبرة «الخيزران» بالجانب الشرقي وهي منسوبة إلى «الخيزران» أم «هارون الرشيد» وأخيه «الهادي» ، وإنما نسبت لها لأنها مدفونة بها ، وهي أقدم المقابر التي بالجانب الشرقي<sup>(٨)</sup> رحمه الله .

ص(١٠) ، ورجحه محمد محيي الدين عبدالحميد في مقدمته لسيرة ابن هشام ٢٥/١ .

(١) سير أعلام النبلاء ٣٤/٧ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد ١/٢٣٢ .

(٣) ذكره ابن سعد في الطبقات ٧/٢٢٢ ، والبخاري في التاريخ الكبير ١/٤٠ ، وصححه ابن

خلكان في وفيات الأعيان ٤/٢٧٧ .

(٤) تاريخ بغداد ١/٢٣٣ .

(٥) تاريخ خليفة ص(٤٢٦) .

(٦) الطبقات - رواية أبي عمران موسى بن زكريا التستري - (تحقيق د. أكرم العمري ،

نشر دار طيبة ، الرياض) ، ص(٢٧١) .

(٧) المصدر السابق ص(٢٢٧) .

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/٢٧٧ .



## نشأته ورحلاته العلمية :

ولد ابن إسحاق ، ونشأ نشأته الأولى بالمدينة ، فقد عاش فيها قرابة ثلاثين عاماً ، كانت المدينة خلال تلك الفترة زاخرة بالعلماء الأفاضل أمثال : مالك ، والزهري ، ونافع مولى ابن عمر وأبان بن عثمان بن عفان ، وغيرهم .

روى ابن إسحاق عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، وسعيد بن المسيب<sup>(١)</sup> ، وسمع القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وأبان بن عثمان بن عفان ، ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأبا سلمة بن عبدالرحمن بن عوف ، وعبدالرحمن بن هرمز الأعرج ، ونافعاً مولى عبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، كما حدث عن أبيه ، وعمه موسى بن يسار ... وخلق كثير<sup>(٢)</sup> . وذكر أنه تعلم - أيضاً - من عاصم بن قتادة ، وعبدالله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان - تلميذ عروة بن الزبير - وأنه درس التفسير عند محمد بن أبي محمد ، وعند المغيرة بن أبي ليبيد : كُتِبَ «وهب بن منبه» عن الإسرائيليات<sup>(٣)</sup> ، (وعد له) بعضهم مائة شيخ من المدنيين في سيرة ابن

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٤/١ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٤/١ ، وسير أعلام النبلاء ٣٤/٧ ، وقد : أطلال في ذكر الذين حدث عنهم ابن إسحاق ولم يستقصهم كلهم .

(٣) انظر : المغازي الأولى ص ٨٨ ، ٨٩ وحميد الله في مقدمته للسيرة ص «كا» = ومسألة تعلم ابن إسحاق الإسرائيليات ودراسته التفسير على هذين الراويين المذكورين محل نظر ، ذلك لأن الأول منهما (محمد بن أبي محمد) في عداد المجهولين ، ولهذا قال عنه الذهبي : لا يعرف (الميزان ٢٦/٤ والتهذيب ٤٣٣/٩) ، أما الآخر (مغيرة بن أبي ليبيد) فقد ذكره البخاري في التاريخ الكبير ج ١ ص ٢٢٥/٧ ولم يذكر رواية ابن إسحاق عنه ، لكن ذكره أبو حاتم ابن حبان في الثقات ٤٦٦/٧ وذكر رواية ابن إسحاق عنه دون الإشارة إلى نقل الإسرائيليات .



هشام عدا الرواة المجهولين<sup>(١)</sup> .

ومما يلفت النظر إلى مشايخ «ابن إسحاق» أن بعضهم رووا عنه - لا سيما في أحداث السيرة - ولعل مرد هذا إلى الثقة به وشدة حفظه أو عنايته في السير خاصة (وهذا ما يعرف في «مصطلح الحديث» برواية الأكابر عن الأصاغر، ومنه رواية النبي ﷺ عن تميم الداري خبر الجساسة)، فقد روى عنه: يحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن أبي حبيب - وهما من شيوخه<sup>(٢)</sup> - قال الخليلي: روى عن ابن إسحاق من أستاذه: الزهري، وصالح بن كيسان، وعقيل، ويونس<sup>(٣)</sup> والزهري - وهو من أكبر مشايخ ابن إسحاق - ربما رئي وهو يسأل ابن إسحاق عن شيء من أمر المغازي<sup>(٤)</sup>، بل ذكر أنه تلقف المغازي من ابن إسحاق فيما يحدثه عن عاصم بن عمر<sup>(٥)</sup> .

أما استشارة «ابن إسحاق» لشيخه «الزهري» في الحدث من أحداث السيرة يريد تدوينه والتوثيق منه فليس بمستغرب<sup>(٦)</sup> .

لم يكن اهتمام «ابن إسحاق» قاصراً على السيرة، فقد اهتم قبل ذلك بتدوين أحاديث الأحكام، ويعد «الذهبي» أول من دَوّن العلم بالمدينة، قبل

(١) حميد الله في مقدمة السير والمغازي ص «كا» .

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٥/٧، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣٩/٩ .

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٧/٧ .

(٤) المقدسي: الكمال في أسماء الرجال (عن حميد الله ... ص كا) .

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٩/٧ .

(٦) انظر: السيرة لابن هشام ٤١١/٣ (في كيفية إعطاء يهود خيبر نخلهم) والطبري ٦٤٥/٢

(في تسمية من بعثهم النبي إلى الملوك وما قال لهم) .



مالك وذويه<sup>(١)</sup>. وقال علي بن المديني: مدار حديث رسول الله ﷺ على ستة - فذكرهم - ثم قال: فصار علم الستة عند اثني عشر أحدهم ابن إسحاق<sup>(٢)</sup>. وقال البخاري: ينبغي أن يكون لابن إسحاق ألف حديث ينفرد بها<sup>(٣)</sup>.

قدم «ابن إسحاق» الإسكندرية سنة خمس عشرة ومائة<sup>(٤)</sup>، وقيل: تسع عشرة ومائة<sup>(٥)</sup>، وروى عن جماعة من أهل مصر؛ منهم: عبيد الله بن المغيرة، ويزيد بن أبي حبيب، وثمامة بن شفي، وعبيد الله بن أبي جعفر، والقاسم بن قرمان، والسكن بن أبي كريمة. روى عنهم أحاديث لم يروها عنهم غيره - كما يقول الذهبي<sup>(٦)</sup> -، وقد روى عنه من أهل مصر الأكابر؛ منهم: يزيد بن أبي حبيب، وقيس بن أبي يزيد<sup>(٧)</sup>.

ويرى «بروكلمان» أن ابن إسحاق اختتم دراسته للحديث وروايته في مصر سنة ١١٥ هـ، ثم عاد إلى المدينة - موطنه - فتمم بها كتابه في السيرة، حيث

(١) سير أعلام النبلاء ٣٥/٧.

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد ٢١٩/١.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤٢/٩.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٧/٧.

(٥) ذكر ذلك ابن حجر في التهذيب ٤٤/٩ - ولعله خطأ في النسخ، تصحفت معه الخمسة إلى تسعة، ويقوي ذلك أنه لم يذكرها كتابة، بعكس الذهبي فقد نص عليها (خمس عشرة) والذهبي أقدم، بل ومن موارد ابن حجر ولو كان يغير ما عنده لذكره، وأخيراً وجدت في مخطوط (تهذيب الكمال للمزي ١١٦٨/٣)، كما ذكر الذهبي مما يؤكد التصحيح المشار إليه.

(٦) سير أعلام النبلاء ٤٧/٧، ٤٨.

(٧) المصدر السابق ٤٨/٧.





كان كتابه هذا مسنداً كله إلى حديث أهل المدينة <sup>(١)</sup> ، ويُخطئ «هوروفتس» متابعاً «فيك» من يظن أن ابن إسحاق رحل من مصر إلى العراق مباشرة دون أن يمر بالمدينة - بلدته <sup>(٢)</sup> - ويخالفه في ذلك محمد حميد الله <sup>(٣)</sup> على أن «يونس بن بكير» يروي لنا عن شيخه «ابن إسحاق» قوله : «حفظت المغازي بمكة مرة ، ثم تقلت مني ، ثم عدت فيها فحفظتها» <sup>(٤)</sup> ، وهذا - إن ثبت - يؤكد مقام ابن إسحاق بمكة فترة .

واكتفى «ابن سعد» في ترجمته «لابن إسحاق» بقوله : «وكان خرج من المدينة قديماً فأتى الكوفة والجزيرة ، والري ، وبغداد ، فأقام بها حتى مات» <sup>(٥)</sup> ورواته من أهل هذه البلدان أكثر من رواته من أهل المدينة <sup>(٦)</sup> .

وهناك من يرى أن سبب خروج ابن إسحاق من المدينة - للمرة الثانية - ورحيله إلى العراق معارضة «مالك بن أنس» له حين ألف كتابه السيرة ، وما تبع ذلك من رميه بالقدر والتشيع ، وكان ذلك سنة ١٣٢هـ <sup>(٧)</sup> . وصاحب هذا الرأي يرى أن رواية الخطيب التي ساقها في تاريخه وتفيد طلب الخليفة «المنصور» إلى

(١) تاريخ الأدب العربي ١٠/٣ .

(٢) المغازي الأولى ص(٧٧) .

(٣) حيث قال : فمن المحتمل أنه لم يرجع أبداً إلى المدينة ، بل سافر من مصر إلى العراق وإيران ، ولكن يصعب أن نعرف إلى أين سافر أولاً . (مقدمته على سيرة ابن إسحاق (ك) وذكر في حاشيته رأي هوروفتس السابق) .

(٤) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٢/٧ .

(٥) الطبقات ٣٢٢/٧ .

(٦) ابن حجر : التهذيب ٤٤/٩ .

(٧) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ١١/٣ .



ابن إسحاق أن يكتب لابنه « المهدي » سيرة منذ بدء الخليقة إلى زمانه<sup>(١)</sup> لا تعدو أن تكون أسطورة<sup>(٢)</sup>!!

ويرى « هورفتس » أن ابن إسحاق لم يكن أصل كتابته للمغازي بعهد من الخليفة العباسي « المنصور » مستدلاً على ذلك بعدة أدلة<sup>(٣)</sup> .

أما عن صلوات « ابن إسحاق » بالخلفاء ، وأثرها في رحلاته ، فيرى « سزكين » أنه لم يكن على صلة بالأمويين - كما كان الأمر مع شيخه الزهري - ولذا فلم يكن تحول الحكم إلى العباسيين السبب الأساسي لانتقاله إلى بغداد<sup>(٤)</sup> . على حين يرى « زكار » أن توجه « ابن إسحاق » إلى المنصور لم يكن مصادفة ، فقد كان يعرفه في الغالب قبل وصول العباسيين إلى السلطة ، حيث كانت لهم صلوات طيبة بالقدرية في أول الأمر (على اعتبار ابن إسحاق منهم) وكانت القدرية قد دخلوا في صفوف المعارضين للأمويين منذ ثورة ابن الأشعث (٨٢ - ٨٤هـ) حتى سقطت دولتهم عام ١٣٢هـ إلى أن يقول : « ولا شيء يمنع من تصور كون العباسيين قد حاولوا استغلال حركة القدرية المعارضة للأمويين لصالحهم »<sup>(٥)</sup> .

وهذا الذي يشير إليه الدكتور « زكار » ليس على إطلاقه - في نظري - فعلى فرض تسليمنا بقدرية ابن إسحاق - وهو ما سنشير إليه فيما بعد - كان

(١) تاريخ بغداد ٢٢١/١ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب ١١/٣ أشار إليها في الحاشية .

(٣) المغازي الأولى ص(٨٠).

(٤) تاريخ التراث العربي (التدوين التاريخي) ص(٨٨).

(٥) مقدمته للسيرة والمغازي لابن إسحاق ص١٢ ، ١٣ .



من بين خلفاء بني أمية من كان قدرياً (كيزيد بن الوليد بن عبدالمك بن مروان الذي توفي سنة ١٢٦هـ) بل ونصر القدرية والمعتزلة بعد أن نصره (١) ، وهو الذي قال عنه الشافعي: ولي يزيد بن الوليد - وكان قدرياً - فدعا الناس إلى القدر وحملهم عليه ، وباع لأخيه إبراهيم بن الوليد بالعهد ، ومن بعده لعبدالعزيب بن الحجاج بن عبدالمك ، حمله على ذلك أصحابه القدرية لمرض أصابه (٢) . هذا فوق أن في خلفاء بني العباس من لم يرض عنه المعتزلة كأبي جعفر المنصور ، أما هارون الرشيد فقد منع الجدل في الدين ، وحبس أهل الكلام ، وكان يكره الاعتزال والمعتزلة (٣) .

### ابن إسحاق بين الجرح والتعديل

اختلفت أقوال علماء الجرح والتعديل في رواية ابن إسحاق لأحاديث الأحكام بين الجرح والتعديل ، حتى قال البغدادي: « احتج بروايته في الأحكام قوم من أهل العلم وصدف عنها آخرون » (٤) ، وسأبسط القول في نقولات من تكلموا فيه ، ومن تتبعهم من العلماء ، وكذا من رأوا عدالته ووثقوه .

(١) انظر : رسالة (القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه) أطروحة ماجستير مقدمة من الباحث / عبدالرحمن بن صالح المحمود لقسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام للعام ١٤٠١ / ١٤٠٢هـ ص ١٤٨ .

(٢) انظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - لعبد الملك بن حسين العصامي المالكي ت ١١١١هـ (٣/٢٢٢) .

(٣) انظر : رسالة القضاء والقدر (السابقة) ص ١٤٩ .

(٤) تاريخ بغداد ٢١٥/١ .



## أولاً : من تكلموا فيه :

وإذا كان أشد من تكلم في ابن إسحاق إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وهشام بن عروة بن الزبير، فعمل من المناسب أن أفردهما بالحديث في نهاية هذه الفقرة، ولنبدأ بمن سواهما :

قال حماد بن سلمة : لولا الاضطرار ما رويت عن محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> ، وقال يحيى بن معين: لا تشبث بشيء مما يحدثك به ابن إسحاق، فابن إسحاق ليس هو بقوي في الحديث ، فقال رجل ليحيى: أيصح أن ابن إسحاق كان يرى القدر؟ قال: نعم كان يرى القدر<sup>(٢)</sup> .

وقال الإمام أحمد : كان ابن إسحاق رجلاً يشتهي الحديث ، فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه<sup>(٣)</sup> ، وسئل : إذا تفرد ابن إسحاق بالحديث تقبله؟ قال: لا والله ، إنني رأيت يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا<sup>(٤)</sup> ، وكان يدلس كثيراً ، قيل له : فإذا قال : حدثني وأخبرني فهو ثقة؟ قال: وهو يقول أخبرني فيخالف<sup>(٥)</sup> . وكان يحيى القطان يقول : تركت حديث ابن إسحاق بالكوفة متعمداً<sup>(٦)</sup> ما تركت حديثه إلا لله<sup>(٧)</sup> ، وكان سيء الرأي

- 
- (١) انظر : العقيلي : الضعفاء الكبير (تحقيق د. عبدالمعطي أمين قلعجي) ٢٥/٤ ، ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ٢١١٦/٦ .
  - (٢) التاريخ ليحيى بن معين (تحقيق د. أحمد محمد نور سيف ٥٠٤/٢) .
  - (٣) العقيلي : الضعفاء الكبير ٢٨/٤ .
  - (٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٣/٩ .
  - (٥) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٤/٧ ، العقيلي : الضعفاء الكبير ٢٨/٤ .
  - (٦) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٣/٧ .
  - (٧) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٢١١٦/٦ .



فيه يضعفه<sup>(١)</sup>. اتهمه بالكذب : سليمان التيمي ، ويحيى القطان ، ووهيب بن خالد ، إضافة إلى هشام بن عروة ، ومالك<sup>(٢)</sup> ، والأعمش<sup>(٣)</sup>. وعن المعتمر قال لي أبي: لا ترو عن ابن إسحاق فإنه كذاب<sup>(٤)</sup>، وقال الحرابي: كانوا يطعنون عليه بشيء من غير جنس الحديث<sup>(٥)</sup>، وقال الجوزجاني: الناس يشتهون حديثه، وكان يرمي بغير نوع من البدع<sup>(٦)</sup>، وقال أبو داود : قدرى معتزلي<sup>(٧)</sup>.

وسئل الفريابي عن حديث لمحمد بن إسحاق وكان يأبى عليهم في مجلسه، فلما كرروا عليه قال: محمد بن إسحاق ! فذكر كلمة شنيعة فقال : زنديق<sup>(٨)</sup>، وقال عنه النسائي : ليس بالقوي<sup>(٩)</sup>، وقال الدارقطني : لا يحتج به<sup>(١٠)</sup>، وقال محمد بن نمير: وإنما أتى ابن إسحاق من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة<sup>(١١)</sup>.

رمي ابن إسحاق بالقدر ذكره سفيان بن عيينة<sup>(١٢)</sup>، وحين سئل ابن معين:

- 
- (١) العقيلي : الضعفاء الكبير ٢٦/٤ .
  - (٢) المصدر السابق ٢٤/٤ ، وتهذيب التهذيب ٤٥/٩ .
  - (٣) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٢١١٧/٦ .
  - (٤) المصدر السابق ٢١١٦/٦ .
  - (٥) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٢/٩ .
  - (٦) المصدر نفسه ٤٢/٩ .
  - (٧) الذهبي : ميزان الاعتدال ٤٦٩/٣ .
  - (٨) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٢١١٧/٦ .
  - (٩) الضعفاء والمتروكون / للنسائي (نشر دار الوعي / حلب ، تحقيق محمود إبراهيم زايد).
  - (١٠) الذهبي : ميزان الاعتدال ٤٦٩/٣ .
  - (١١) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٢١٢٠/٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٣/٧ .
  - (١٢) وقال : رأيت ابن إسحاق في مسجد الخيف فاستحييت أن يراني معه أحد ، اتهموه بالقدر (الضعفاء للعقيلي ٢٥/٤ ، والميزان للذهبي ٤٦٩/٣) .



أكان يرى القدر؟ قال: نعم<sup>(١)</sup> ، وعن يزيد بن زريع قال : كان ابن إسحاق قدرياً ، وكان رجلاً عاملاً<sup>(٢)</sup> ، ورأى حميد بن حبيب ابن إسحاق مجلوداً في القدر ، جلده إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك<sup>(٣)</sup> ، كما ذكره « ابن قتيبة » في حديثه عن الفرق مع « القدرية »<sup>(٤)</sup> ، كما رمي ابن إسحاق بالتشيع<sup>(٥)</sup> ، وأخذ عليه حديثه عن أهل الكتاب<sup>(٦)</sup> .

هذه جملة ما اتهم به ابن إسحاق ، وما تكلم عليه به ، وحينما نعود مرة أخرى إلى من تكلموا فيه نجد بعضهم عدّله ووثقه ، وبعضهم الآخر حسّن حديثه ، كما نجد طائفة من هذه الاتهامات قد أُجيب عنها ، وبعضها الآخر بيّن العلماء بطلانها ، وإليك البيان :

فيحيى بن معين - مثلاً - وهو ممن تكلم فيه - قال عنه : ثقة ولكنه ليس بحجة<sup>(٧)</sup> ، وقال مرة : صدوق ، ولكنه ليس بحجة<sup>(٨)</sup> ، وقال أخرى : كان ثبناً

(١) التاريخ ليحيى بن معين ٥٠٤/٢ .

(٢) الكامل لابن عدي ٢١٢٠/٦ .

(٣) اللالكائي : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧٢٤/٤ (الطبعة الأولى ، نشر دار طيبة ، الرياض) .

(٤) المعارف ص (٢٦٨) .

(٥) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد ٢٢٤/١ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٩/٧ ، وابن حجر : تقريب التهذيب ١٤٤/٢ .

(٦) ابن عدي : الكامل ٢١١٨/٦ ، وابن تيمية : الفتاوى (طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ) ، ٣٤٥/١٣ ، الذهبي : الميزان ٤٧٠/٣ .

(٧) التاريخ : ليحيى بن معين ٥٠٤/٢ .

(٨) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٢/٧ .



في الحديث <sup>(١)</sup> .

والإمام أحمد - مع حديثه فيه - قال عنه : حسن الحديث <sup>(٢)</sup> ، أما قوله فيه : إنه يحدث عن الجماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا ، فقد أجاب عنها «ابن سيد الناس» بقوله : وقد تتحد ألفاظ الجماعة وإن تعددت أشخاصهم ، وعلى تقدير أن لا يتحد اللفظ فقد يتحد المعنى ، واستدل بقول واثلة ابن الأسمع : إذا حدثتكم عن المعنى فحسبكم . وقول ابن سيرين : كنت أسمع الحديث من عشرة ، اللفظ مختلف والمعنى واحد <sup>(٣)</sup> . كما أجاب عن قول أحمد : كان ابن إسحاق يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه ، بقوله : لا يتم الجرح بذلك حتى ينفي أن تكون مسموعة له ، ويثبت أن يكون حدث بها ، ثم ينظر في كيفية الإخبار فإن كان بألفاظ لا تقتضي السماع تصريحاً فحكمه حكم المدلسين ، ولا يحسن الكلام معه إلا بعد النظر في مدلول تلك الألفاظ ، وإن كان يروي ذلك عنهم مصرحاً بالسماع ولم يسمع فهذا كذب صراح ، واختلاق محض ، لا يحسن الحمل عليه إلا إذا لم يجد للكلام مخرجاً غيره <sup>(٤)</sup> . وقال الذهبي : « هذا الفعل سائغ ، فهذا « الصحيح » للبخاري فيه تعليق كثير <sup>(٥)</sup> . أما سفيان بن عيينة فهو وإن كان نقل اتهام الناس لابن إسحاق بالقدر - كما سبق - فإننا نستشف من رأيه هو أنه ليس كذلك حيث قال : « جالست ابن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقول فيه

(١) ابن حبان : الثقات ٣٨٢/٧ .

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/١٧٢ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤١/٩ .

(٣) عيون الأثر (نشر دار المعرفة ١/١٤) .

(٤) المصدر نفسه ١/١٥ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٧/٤٦ .



شيئاً»<sup>(١)</sup>.

كما نقل « ابن نمير » اتهام ابن إسحاق بالقدر ، ثم أعقبه بالقول « كان أبعد الناس منه »<sup>(٢)</sup> . وأما قول (ابن نمير) : إن ابن إسحاق أتى من حديثه عن المجهولين أحاديث باطلة ، فقد أجاب عنها « ابن سيد الناس » بقوله : « لو لم ينقل توثيقه وتعديله لتردد الأمر في التهمة بها بينه وبين من نقلها عنه ، وأما مع التوثيق والتعديل فالحمل فيها على المجهولين المشار إليهم لا عليه ، وأما الطعن في العالم بروايته عن المجهولين فغريب. قد حكى ذلك عن سفيان الثوري وغيره ، وأكثر ما فيه التفرقة بين بعض حديثه وبعض ، فيرد ما رواه عن المجهولين ، ويقبل ما حمّله على المعروفين... »<sup>(٣)</sup> .

أما اتهام سليمان التيمي ، ويحيى القطان ، وهيب بن خالد ، وهشام ومالك لابن إسحاق بالكذب ، فقد أورده « العقيلي » هكذا : حدثني الفضل بن جعفر ، حدثنا عبد الملك بن محمد ، حدثني سليمان بن داود قال لي يحيى بن سعيد القطان: أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب ، قال : قلت : وما يدريك؟ قال: قال لي وهيب بن خالد ، فقلت لو هيب: وما يدريك؟ قال : قال لي مالك بن أنس ، فقلت لمالك بن أنس : ما يدريك؟ قال : قال لي هشام بن عروة ، قال : قلت لهشام بن عروة : وما يدريك؟ قال : حدثت عن امرأتي فاطمة بنت المنذر ، أدخلت عليّ

(١) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٢/٧ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٠/٩ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٣/٧ .

(٣) عيون الأثر ١٤/١ ، قلت : وقع لابن إسحاق - غفر الله له - شيء من هذا ، وقد ذكرت نموذجاً له في إحدى رواياته عن الجهر بالدعوة ، وفي موت أبي طالب ، كما سيتضح بعد.





وهي بنت تسع سنين وما رآها رجل حتى لقيت الله عز وجل<sup>(١)</sup> .

وأجاب عنها « ابن القيم»: هذه الحكاية وأمثالها هي التي غرّت من اتهمه بالكذب وجوابها من وجوه :

**أحدها** : أن سليمان بن داود - راويها عن يحيى - هو الشاذكوني ، وقد اتهم بالكذب ، فلا يجوز القدح في الرجل بمثل رواية الشاذكوني.

**الثاني** : أن في الحكاية ما يدل على أنها كذب ، فإنه قال: أدخلت فاطمة عليّ وهي بنت تسع وفاطمة أكبر من هشام بثلاث عشرة سنة ، ولعلها لم تزفّ إليه إلا وقد زادت على العشرين ، ولما أخذ عنها ابن إسحاق كان لها نحو بضع وخمسين سنة .

**الثالث** : أن هشاماً إنما نفى رؤيته ولم ينف سماعه منها ، ومعلوم أنه لا يلزم من انتفاء الرؤية انتفاء السماع ... إلخ كلامه<sup>(٢)</sup> .

وقريب من هذا أجاب تلميذه « الذهبي»<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن حجر : « فأما وهيب ، والقطان فقلدا فيه هشام بن عروة ومالكاً ، وأما سليمان التيمي فلم يتبين لي لأي شيء تكلم فيه ، والظاهر أنه لأمر غير الحديث؛ لأن سليمان ليس من أهل الجرح والتعديل»<sup>(٤)</sup> .

هذا كله فضلاً عن تزكية أهل الحديث لابن إسحاق في الصدق ، حتى قال

(١) الضعفاء الكبير ٢٤/٤ .

(٢) انظر: تهذيب سنن أبي داود لابن القيم - المطبوع في حاشية عون المعبود - تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان - نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثانية ١٣/١٢ .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٩/٧ ، والميزان ٤٧١/٣ .

(٤) تهذيب التهذيب ٤٥/٩ .



علي بن المديني: إن حديث ابن إسحاق ليتبين فيه الصدق، يروي مرةً : حدثني أبو الزناد، ومرةً : ذكر أبو الزناد، وروي عن رجل عن رجل ممن سمع منه يقول: حدثني سفيان بن سعيد عن سالم أبي النضر عن عمر « صوم يوم عرفة » وهو من أروى الناس عن أبي النضر، ويقول : حدثني الحسن بن دينار عن أيوب عن عمرو بن شعيب<sup>(١)</sup> « في سلف وبيع » وهو من أروى الناس عن عمرو بن شعيب ، وهل بعد أن يختبره « أهل الحديث » فيروا صدقاً وخيراً – كما حكى ذلك البغدادي<sup>(٢)</sup> – يبقى مجال لاتهامه بالكذب !؟

قال أبو حاتم : كان ابن إسحاق يكتب عن من فوقه ، ومثله ، ودونه ، لرغبته في العلم وحرصه عليه ، وربما يروي عن رجل عن رجل قد رآه ، ويروي عن آخر عنه في موضع آخر ، ويروي عن رجل عن رجل عنه . فلو كان ممن يستحل الكذب لم يحتج إلى الإنزال ، بل كان يحدث عن من رآه ويقتصر عليه ، فهذا يدل على صدقه وشهرة عدالته في الروايات<sup>(٣)</sup> .

وعن حديث ابن إسحاق عن أهل الكتاب ، فقد أجيب عنه بقول النبي ﷺ : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ... »<sup>(٤)</sup> ، وقوله : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم »<sup>(٥)</sup> ، قال الذهبي : ما المانع من رواية الإسرائيليات عن

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢٢٩/١ .

(٢) المصدر نفسه ٢٢٤/١ .

(٣) الثقات ٢٨٤/٧ .

(٤) صحيح البخاري ١٤٥/٤ كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

(٥) ذكره الذهبي في الميزان ٤٧٠/٣ . ولم أجده بهذا اللفظ في عدد من كتب الحديث كجامع الأصول لابن الأثير ، ومجمع الزوائد للهيتمي ، والمقاصد الحسنة للسخاوي ، وكشف الخفاء للعجلوني ، وصحيح الجامع الصغير للألباني ، ووجدت في ضعيف =



أهل الكتاب مع قوله ﷺ ثم ذكر الحديثين الماضيين - وأتبعهما بالقول : هذا إذن نبوي في جواز سماع ما يأترونه في الجملة ، كما سمع منهم ما ينقلونه من الطب ، ولا حجة في شيء من ذلك ، إنما الحجة في الكتاب والسنة <sup>(١)</sup> . وقال في موضع آخر : « هذا يشنع به على ابن إسحاق ، ولا ريب أنه حمل ألواناً عن أهل الذمة مترخماً بقوله ﷺ : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » <sup>(٢)</sup> .

قلت : ومع هذا يؤخذ عليه توثيقه لبعضهم كما قال : حدثني الثقة ، فقليل له : من؟ قال : يعقوب اليهودي <sup>(٣)</sup> ، وتركه لمن هو أولى منهم ، وقد قال رجل لابن إسحاق : كيف حديث شرحبيل بن سعد؟ فقال : وأحدٌ يحدث عنه؟ ولهذا تعقبه يحيى فقال : العجب من ابن إسحاق يحدث عن أهل الكتاب ويرغب عن شرحبيل <sup>(٤)</sup>!

أما اتهام ابن إسحاق « بالزندقة » فليست على ظاهرها ، ولم يكن قصد قائلها - فيما يبدو - دلالة الكلمة فيما بعد ، بدليل أن هذه التهمة كان يوجهها محافظو الرواة إلى القائلين بالقدر من علماء البصرة وغيرها <sup>(٥)</sup> ، وقد سبق

---

الجامع قريباً منه ولفظ آخر ولفظه : « إذا حدثكم أهل الكتاب حديثاً فقولوا : آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسوله » (ضعيف الجامع الصغير للألباني ١٧٢/١) .

- (١) المصدر السابق ٤٧٠/٣ .
- (٢) سير أعلام النبلاء ٥٣/٧ .
- (٣) الذهبي : الميزان ٤٧١/٣ .
- (٤) المصدر السابق ٤٦٩/٣ ، ٤٧٠ .
- (٥) انظر : تاريخ الإسلام ٢٧٧/٦ ، ومعجم الأدباء ٧/١٨ (عن مقدمة سهيل زكار للسيرة ص ١٢) .



حديثنا عن ذلك .

وأما « التشيع » المنسوب لابن إسحاق ، فالحق أن ابن إسحاق روى عن الشيعة أمثال: أبي مريم (عبد الغفار بن القاسم) وهذا قيل: إنه كان غالباً في التشيع<sup>(١)</sup> ، وكان من رؤوس الشيعة<sup>(٢)</sup> كما روى عن غيره ، ولهذا انتقد « صادق عرجون » حديث ابن إسحاق عن المؤاخاة بين المهاجرين حيث ذكر فيها مؤاخاة النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب ، بنفس تفوح منه رائحة التشيع<sup>(٣)</sup> وقبله أنكر « ابن تيمية » المؤاخاة بين المهاجرين ، وخصوصاً مؤاخاة النبي ﷺ لعلي - رضي الله عنه<sup>(٤)</sup> - وإن كان « ابن حجر » تعقبه في هذا<sup>(٥)</sup> .

لكن يبقى السؤال : هل يعني ذلك تشيع ابن إسحاق؟ وهل كل من نقل عن الشيعة فهو شيعي؟! وإذا كان ذلك كذلك فما هو نوع التشيع المنسوب إليه؟

لو كان الأمر كذلك لأصبح التشيع تهمة تلحق كل من نقل عن الشيعة أمثال الطبري وغيره ، وربما قال قائل : إن لدينا مستمسكاً بإجازة العلماء للرواية عن أهل البدع ، بشرط أن لا يكونوا من الدعاة إلى مذهبهم<sup>(٦)</sup> أو ردوا ما يؤيد

(١) ابن عدي : الكامل في ضعفاء الرجال ١٩٦٥/٥ .

(٢) الذهبي : الميزان ٦٤٠/٢ .

(٣) محمد رسول الله ٦٥/٣ ، ٦٦ . ويلاحظ أن ابن هشام نقد بعض ما جاء في هذه الرواية ، وخاصة ما يتعلق بجعفر حيث ذكر في المؤاخاة وهو بعد في الحبشة ( انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٢٤/٢ ) .

(٤) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (نشر مكتبة الرياض الحديثة ) ٩٦/٤ ، ٩٧ .

(٥) فتح الباري ٢٧١/٧ .

(٦) مقدمة ابن الفلاح في علوم الحديث (دار الكتب العلمية ، بيروت ) ، ص ٥٤ ، ٥٥ .



مذهبهم فيقال: هذا صحيح ، لكن الرافضة « الشيعة » يستثون من أهل البدع ، حيث لا تقبل الرواية عنهم ، فقد نقل «ابن تيمية» اتفاق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أنهم أكذب الطوائف<sup>(١)</sup> . ولهذا قال «يزيد بن هارون» : نكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة ، فإنهم يكذبون<sup>(٢)</sup> .

وربما حسم الأمر «يحيى بن سعيد القطان» حينما قال : «كان محمد بن إسحاق ، والحسن بن ضمرة ، وإبراهيم بن محمد ، كل هؤلاء يتشيعون ويقدمون علياً على عثمان»<sup>(٣)</sup> .

وعلى هذا فربما كان التشيع المنسوب لابن إسحاق - إن ثبت - تفضيله علياً على عثمان ، وهذه مسألة قال بها بعض أهل السنة ، فقدموا علياً على عثمان<sup>(٤)</sup> ، وهذه المسألة - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة ، وإن كان قد استقر أمرهم على تقديم عثمان على علي<sup>(٥)</sup> .

(١) منهاج السنة ١٦/١ .

(٢) المصدر السابق ١٦/١ .

(٣) معجم الأدباء ٧/١٨ - ٨ ، ومقدمة محمد حميد الله في سيرة ابن إسحاق ص: ك .

(٤) انظر : الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٢/٣ ، وانظر : منهاج السنة ١٧٨/٢ ، ٢٠٢/٤ ، وهو يطلق عليهم «الشيعة الأولى» في المنهاج .

(٥) الفتاوى ١٥٢/٣ ، منهاج السنة ٢٠٢/٤ . ولمزيد من الإيضاح راجع «مارسدن جونس» الذي يرى أن سبب اتهام ابن إسحاق بالتشيع لا يرجع إلى عقيدته الشخصية ، وإنما يرجع إلى ما في كتابه من الأقوال والآراء الشيعية التي تقتضيه طبيعة التأليف في مثل هذه الموضوعات (مقدمة مغازي الواقدي ١٨/١) . وسهيل زكار الذي يقرر أن تهمة التشيع كانت تسري لتال أكثر الذين يعملون في مجال سيرة النبي ﷺ (مقدمة السيرة لابن إسحاق ص ١٢) .



## قول هشام بن عروة ومالك بن أنس في ابن إسحاق :

قال أبو حاتم ابن حبان في الثقات : «وقد تكلم في ابن إسحاق رجلاان : هشام بن عروة ومالك بن أنس ، فأما هشام بن عروة فحدثني محمد بن زياد الزيادي ، قال: ثنا ابن أبي شيبة قال : ثنا علي بن المديني قال : سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: قلت لهشام بن عروة : إن ابن إسحاق يحدث عن فاطمة بنت المنذر ، قال: وهل كان يصل إليها ؟

قال أبو حاتم - رضي الله عنه - وهذا الذي قاله هشام بن عروة ليس مما يجرح به الإنسان في الحديث ، وذلك أن التابعين مثل : الأسود ، وعلقمة من أهل العراق ، وأبي سلمة وعطاء ودونهما من أهل الحجاز قد سمعوا من عائشة من غير أن ينظروا إليها ، سمعوا صوتها ، وقبل الناس أخبارهم من غير أن يصل أحدهم إليها حتى ينظر إليها عياناً ، وكذلك ابن إسحاق كان يسمع من فاطمة والستر بينهما مسبل ، أو بينهما حائل من حيث يسمع كلامها ، فهذا سماع صحيح والقادح فيه غير منصف ....»<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا اعتمد هشام - رحمه الله - في تكذيب ابن إسحاق ، فروي عنه مرة وقد قيل له : إن ابن إسحاق يحدث بكذا وكذا عن فاطمة ، فقال : كذب الخبيث<sup>(٢)</sup> ، وقال أخرى : العدو لله الكذاب يروي عن امرأتي من أين رآها؟<sup>(٣)</sup> . وإذا كان أبو حاتم أجاب عن هذا الاتهام بما يرفع الإشكال ، فقبله أجاب «ابن المديني» حينما سأل عن كلام هشام بن عروة في ابن إسحاق بقوله :

(١) الثقات ٧/٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ١/٢٢٢ .

(٣) المصدر السابق ١/٢٢٢ .



«الذي قال هشام ليس بحجة ، لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام «أحمد» : «وقد تمكن أن يسمع منها تخرج إلى المسجد ، أو خارجة فسمع ، والله أعلم»<sup>(٢)</sup>. وأنكر على هشام بقوله : وما ينكر هشام! علّه جاء فاستأذن عليها فأذنت له - قال ابنه عبد الله - أحسبه قال: ولم يعلم<sup>(٣)</sup>. وقبلهما قال سفيان بن عيينة : أخبرني ابن إسحاق أن فاطمة حدثته ، وأنه دخل عليها<sup>(٤)</sup>.

قال الذهبي معلقاً : «هو صادق في ذلك لا ريب»<sup>(٥)</sup>. كما أجاب عن قول هشام أنه ما رأى أحد زوجته «فاطمة» حتى لقيت الله تعالى ، بقوله : «والرجل فما قال إنه رآها ، أفبمثل هذا يعتمد على تكذيب رجل من أهل العلم؟ هذا مردود»<sup>(٦)</sup>. كما ذكر «الذهبي» عدة احتمالات تقوي رواية ابن إسحاق من «فاطمة بنت المنذر» فقد يكون رآها وهو صبي فحفظ عنها ، أو يكون أخذ عنها حين كبرت وعجزت ، وكذا ينبغي فإنها أكبر من زوجها هشام بأزيد من عشر سنين ، فقد سمعت من جدتها أسماء ، ولما روت لابن إسحاق كان لها قريب ستين سنة<sup>(٧)</sup> ، قال الذهبي : ويحتمل أن تكون إحدى خالات ابن إسحاق من

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٣/٩ .

(٢) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٦/٢١٢٠ .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ١/٢٢٢ .

(٤) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٧/١٩٢ ، الخطيب : تاريخ بغداد ١/٢٢١ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٧/٣٧ .

(٦) ميزان الاعتدال ٣/٤٧١ ، وسير أعلام النبلاء ٧/٣٨ .

(٧) سير أعلام النبلاء ٧/٤٢ .



الرضاعة، فدخل عليها وما علم هشام بأنها خالة له أو عمّة<sup>(١)</sup>.

وفوق هذا كله فجائز أن تكون فاطمة كتبت لابن إسحاق، لا سيما وأهل المدينة يرون الكتاب جائزاً، ذكره بعض الأئمة<sup>(٢)</sup>، وجائز - أيضاً - أن تكون الغيرة أدركت «هشاماً» فحملته على تكذيب ابن إسحاق، وقبله حملت «الغيرة» «سعد بن عباد» - رضي الله عنه - على أن يقول: يا رسول الله، أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلاً أيقنته؟ قال رسول الله ﷺ: «لا»، قال: سعد: بلى والذي أكرمك بالحق... إلخ الحديث<sup>(٣)</sup>.

هذا عن هشام، أما مالك بن أنس، فقد قال «ابن حبان» في تنمة كلامه السابق عمن تكلم في ابن إسحاق: «أما مالك، فإنه كان ذلك منه مرة واحدة، ثم عاد له إلى ما يجب، وذلك، أنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من محمد بن إسحاق، وكان يزعم أن مالكا من موالي ذي أصبح، وكان مالك يزعم أنه من أنفسهم، فوقع بينهما لهذا مفاوضة، فلما صنف مالك الموطأ قال ابن إسحاق: اتتوني به فأنا بيطاره، فنقل ذلك إلى مالك، فقال: هذا دجال من الدجاللة يروي عن اليهود، وكان بينهم ما يكون بين الناس، حتى عزم محمد بن إسحاق على الخروج إلى العراق، فتصالحا حينئذ فأعطاه مالك عند الوداع خمسين ديناراً نصف ثمرته تلك السنة، ولم يكن يقدر فيه مالك من أجل الحديث، إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي ﷺ عن أولاد اليهود

(١) المصدر السابق ٥٠/٧.

(٢) المصدر نفسه ٤١/٧، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٤٢/٩.

(٣) مسلم ١١٣٥/٢: كتاب اللعان، باب في الذي يجد مع امرأته رجلاً، والبخاري ٣١/٨: كتاب المحاربين، باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتله.





الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر، وقريظة، والنضير، وما أشبهها من الغزوات عن أسلافهم، وكان ابن إسحاق يتتبع هذا عنهم ليعلم من غير أن يحتج بهم، وكان مالك لا يرى الرواية إلا عن متقن صدوق فاضل يحسن ما يروي، ويدري ما يحدث<sup>(١)</sup>.

ومع هذا الوضوح في كلام «ابن حبان» في أسباب ما حدث بين الرجلين، ثم وقوع الصلح بينهما حين عزم «ابن إسحاق» على الخروج إلى العراق وهو كاف للوقوف عنده، والانتهاه إليه - فإنني أنقل ما أثر عن قول «مالك» في «ابن إسحاق» وما أجاب به «العلماء» غير ابن حبان، استكمالاً للفائدة ولمزيد الإيضاح، فقد كان «مالك» يتهم ابن إسحاق بالكذب<sup>(٢)</sup> بل قال عنه: دجال من الدجاجلة<sup>(٣)</sup>، وقال: نحن نفيناه عن المدينة<sup>(٤)</sup>، وكان يقول: يا أهل العراق، لا يفت<sup>(٥)</sup> عليكم بعد محمد بن إسحاق أحد<sup>(٦)</sup>، وفي رواية: يا أهل العراق، من بعث عليكم بعد محمد بن إسحاق!!<sup>(٧)</sup>

قلت: وهذه الأقوال المأثورة عن مالك نحو قوله: «نحن نفيناه من المدينة»

(١) الثقات ٣٨١/٧، ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) العقيلي: الضعفاء الكبير ٢٤/٤.

(٣) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١٩٣/٧، والضعفاء للعقيلي ٢٤/٤.

(٤) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١٩٣/٧.

(٥) غت الضحك يغته غتاً: وضع يده على فيه ليخفيه، وفي الحديث: «يا من لا يغته دعاء الداعين» أي: يغلبه ويقهره. (لسان العرب - نشر دار صادر / بيروت - ٦٣/٢ مادة «مادة غتت»، والنهية في غريب الحديث والأثر ٣٤٢/٣).

(٦) ابن عدي: الكامل في الضعفاء ٢١١٧/٦.

(٧) العقيلي: الضعفاء ٢٧/٤.



وقوله لأهل العراق محذراً : «لا يفت عليكم بعده أحد» ونحوها ربما قلت من أهمية قول «ابن حبان» السابق ، إنه وقع الصلح بينهما حين عزم على الخروج للعراق ، وأن مالكا أعطاه نصف ثمرته تلك السنة ..

وعلى كل حال وسواء وقع هذا أو ذلك ، فالذي يعيننا رأي العلماء في جرح «مالك» لابن إسحاق ، فقد سئل «ابن المديني» عن كلام مالك في ابن إسحاق فأجاب: مالك لم يجالسه ولم يعرفه ، ثم قال : ابن إسحاق أي شيء حدث بالمدينة؟<sup>(١)</sup>

وقال أبو زرعة (عبد الرحمن بن عمرو النصرى) ذكرت «دُحيماً»<sup>(٢)</sup> قول مالك - في ابن إسحاق - فرأى أن ذلك ليس للحديث ، إنما هو لأنه اتهمه بالقدر<sup>(٣)</sup>. وقال إبراهيم بن المنذر : حدثنا عمر بن عثمان أن الزهري كان تلقف المغازي من ابن إسحاق فيما يحدثه عن عاصم بن عمر ، والذي يذكر عن مالك في ابن إسحاق لا يكاد يتبين<sup>(٤)</sup> ، وقال البخاري : لو صحَّ عن مالك تناوله من ابن إسحاق فلربما تكلم الإنسان فيرمي صاحبه بشيء واحد ، ولا يهتمه في الأمور كلها<sup>(٥)</sup>.

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ١/٢٢٩ .

(٢) واسمه : عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو الأموي - مولاهم - الدمشقي ، محدث الشام في عصره ، وكان من الثقات الحفاظ ، روى عنه جماعة من الأئمة كالبخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وغيرهم ، مات سنة (٢٤٥هـ) . (انظر : تهذيب التهذيب ٦/١٣١ ، والأعلام للزركلي ٤/٦٤) .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ١/٢٢٤ .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٧/٣٩ .

(٥) المصدر السابق ٧/٤٠ .



قال الذهبي معلقاً :

لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر ، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينهم وبينه شحنة وإحنة ، وقد علم أن كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر ولا عبرة به ، ولا سيما إذا وثق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف ، وهذان الرجلان كل منهما قد نال من صاحبه ، لكن أثر كلام «مالك» في محمد بعض اللين ، ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة ... إلخ <sup>(١)</sup> .

وقال الخطيب البغدادي : «ذكر بعض العلماء أن مالكا عابه جماعة من أهل العلم في زمانه بإطلاق لسانه في قوم معروفين بالصلاح والديانة والثقة والأمانة» <sup>(٢)</sup> . لكن تعقبه الذهبي بقوله : «كلا ، ما عابهم إلا وهم عنده خلاف ذلك ، وهو مثاب على ذلك وإن أخطأ اجتهاده رحمة الله عليه» <sup>(٣)</sup> ، وإن كان «الذهبي» قد قرر أن «مالكا» نال من «ابن إسحاق» بانزعاج ، وذلك لأنه بلغه أنه يقول : اعرضوا عليّ علم «مالك» فأنا بيطاره ، فغضب «مالك» ، فقال: انظروا إلى دجال من الدجاجة <sup>(٤)</sup> .

### ثانياً : الذين وثقوا ابن إسحاق :

وفي مقابل من تكلموا في ابن إسحاق وجرحوه ، اتجهت طائفة من العلماء إلى توثيقه والثناء عليه ، وفوق من سبقت الإشارة إليهم - ممن عدلوا ابن إسحاق

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٠/٧ ، ٤١ .

(٢) تاريخ بغداد ٢٢٣/١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٨/٧ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١٧٣/١ .



— قال شعبة: لو سُودَّ أحد في الحديث لسُودَّ محمد بن إسحاق ، وسمع «سفيان بن عيينة» يقول : محمد بن إسحاق <sup>(١)</sup> أمير المحدثين ، فقليل له : لم ؟ فقال : لحفظه <sup>(٢)</sup> .

وقال عاصم بن عمر بن قتادة : لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق <sup>(٣)</sup> ، وكان أبو معاوية يقول : كان ابن إسحاق من أحفظ الناس ، فكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر فاستودعها عند ابن إسحاق قال : احفظها عليّ ، فإن نسيتهما كنت قد حفظتها عليّ <sup>(٤)</sup> .

أما «الزهري» فكان يثني على ابن إسحاق فيقول : لا يزال بالمدينة علم جمّ ما دام فيهم ابن إسحاق <sup>(٥)</sup> ، وكان الشافعي معجباً به ، كثير الذكر له ، ينسبه إلى العلم والمعرفة والحفظ <sup>(٦)</sup> ، وسئل «ابن المبارك» : ما تقول في محمد بن إسحاق؟ فقال : أما إنا وجدناه صدوقاً — ثلاث مرات <sup>(٧)</sup> — وقال ابن سعد : كان محمد ثقة وقد روى الناس عنه ، ومن الناس من تكلم فيه <sup>(٨)</sup> ، وأثنى عليه الإمام

- 
- (١) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٦/٢١٢٠ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١/٢٢٧ .
  - (٢) البخاري : التاريخ الكبير ١/٤٠ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٧/١٩٢ ، الخطيب : تاريخ بغداد ١/٢٢٨ .
  - (٣) الخطيب : تاريخ بغداد ١/٢٢٠ .
  - (٤) المصدر السابق ١/٢٢٠ .
  - (٥) المصدر نفسه ١/٢١٩ .
  - (٦) المصدر نفسه ١/٢٢٧ .
  - (٧) أبو حاتم : الثقات ٧/٢٨٣ .
  - (٨) الطبقات الكبرى ٧/٣٢١ ، ٣٢٢ .



«البخاري» فقال: ينبغي أن يكون ألف حديث ينفرد بها<sup>(١)</sup>، وحين ترجم له في «التاريخ الكبير» لم يذكر فيه جرحاً، بل نقل ثناء العلماء عليه؛ أمثال: سفيان والزهري وشعبة<sup>(٢)</sup>، وحيث لم يذكره في كتابه «الضعفاء»<sup>(٣)</sup>، فلا بد أن يكون لهذا دلالة معينة عند البخاري. وسئل عنه «أبو زرعة الرازي»<sup>(٤)</sup>، فقال: صدوق من تكلم في محمد بن إسحاق؛ محمد بن إسحاق صدوق<sup>(٥)</sup>.

أما أبو زرعة الدمشقي<sup>(٦)</sup>، فقال: وابن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم في الأخذ عنه، منهم سفيان، وشعبة، وابن عيينة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، وإبراهيم بن سعد، وروى عنه الأكابر: يزيد بن أبي حبيب<sup>(٧)</sup> وقال العجلي: مدني ثقة<sup>(٨)</sup> وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه<sup>(٩)</sup> أما أبو حاتم ابن حبان فقال عنه: لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤٣/٩.

(٢) التاريخ الكبير ٤٠/١.

(٣) انظر: ميزان الاعتدال ٤٧١/٣.

(٤) هو: عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، الرازي محدث حافظ من الري. زار بغداد، وحدث بها، وجالس أحمد بن حنبل، وتوفي بالري سنة (٢٦٤هـ) وله مسند. (معجم المؤلفين ٢٣٩/٦).

(٥) أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية (دراسة وتحقيق د. سعدي الهاشمي ٩٢٦/٢).

(٦) هو: عبد الرحمن بن عمرو النصرى الدمشقي، محدث حافظ، مؤرخ، توفي بدمشق سنة (٢٨٠هـ)، له كتاب العلل في الحديث، وكتاب التاريخ. (معجم المؤلفين ١٦٣/٥).

(٧) الخطيب: تاريخ بغداد ٢٢٤/١.

(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٧/٧.

(٩) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١٩٢/٧، ١٩٤، وانظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٤٦/٩.



إسحاق في علمه ، ولا يوازيه في جمعه <sup>(١)</sup> قال الحاكم : وذكر عن «البوشنجي» <sup>(٢)</sup> أنه قال : هو عندنا ثقة ثقة <sup>(٣)</sup> ، أما «ابن عدي» فبعد ثنائه على سيرته - كما سيأتي - قال : وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد فيها ما يتهماً أن يقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ أو وهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره ، ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به <sup>(٤)</sup> وقال السهيلي : ابن إسحاق ثبت في الحديث عند أكثر العلماء <sup>(٥)</sup> .

ونقل «السهيلي» : توثيق يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن سعيد القطان ، لابن إسحاق ، وأنهم احتجوا بحديثه <sup>(٦)</sup> ، وأن الدارقطني ذكر في «السنن» حديث «القلتين» من جميع طرقه ، وما فيه من الاضطراب ، ثم قال في حديث جرى : وهذا يدل على حفظ محمد بن إسحاق وشدة إتقانه <sup>(٧)</sup> ، كما نقل توثيق «البخاري» و «مسلم» لابن إسحاق ، قال : وبسبب طعن مالك فيه لم يخرج البخاري عنه ، وأخرج عنه مسلم حديثاً واحداً في الرجم <sup>(٨)</sup> . قلت : ذكر الذهبي أن «مسلماً» روى له «المتابعات» خمسة أحاديث ، وأن «البخاري» استشهد به ،

(١) الثقات ٣٨٣/٧ .

(٢) محمد بن إبراهيم بن سعد العبدى ، المالكي ، فقيه ، محدث ، ارتحل شرقاً وغرباً ، وجمع وصنف ، ولقي الكبار ، توفى بنيسابور سنة (٢٩١هـ) . (معجم المؤلفين ٢٠٢/٨) .

(٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٦/٩ .

(٤) الكامل في الضعفاء ٢١٢٥/٦ .

(٥) الروض الأنف ٣٧/١ .

(٦) المصدر السابق ٣٨/١ .

(٧) الروض الأنف ٣٨/١ .

(٨) المصدر نفسه ٣٨/١ ، ٣٩ .



وأخرج أرباب السنن له <sup>(١)</sup> .

أما رأي «الذهبي» في ابن إسحاق في أحاديث الأحكام <sup>(٢)</sup> ، فقد لخصه في «الميزان» بقوله : «فالذي يظهر لي أن ابن إسحاق حسن الحديث ، صالح الحال صدوق ، وما انفرد به ففيه نكارة ، فإن في حفظه شيئاً ، وقد احتج به أئمة ، فالله أعلم» <sup>(٣)</sup> ، وفي «التذكرة» بقوله : «ليس بحجة في الحلال والحرام ، نعم ولا بالواهي ، بل يستشهد به» <sup>(٤)</sup> ، وفي «السير» بقوله : «وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن ، ولا فيما شدّ فيه ، فإنه يعد منكرأ ، هذا الذي عندي في حاله ، والله أعلم» <sup>(٥)</sup> .

أما «ابن حجر» فانتهى في «تهذيبه» بعد سياقه لأقوال العلماء فيه جرحاً وتعديلاً إلى قوله : «وهو عالم واسع الرواية والعلم ، ثقة» <sup>(٦)</sup> ، أما في «التقريب» فقال : «صدوق يدلّس ، ورمي بالتشيع والقدر» <sup>(٧)</sup> ، وفي «شرح التقريب للعراقي» : «المشهور قبول حديث ابن إسحاق ، إلا أنه مدلس ، فإذا صرح بالتحديث كان حديثه مقبولاً» <sup>(٨)</sup> .

(١) ميزان الاعتدال ٣/٣٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ٧/٥٥ .

(٢) أؤكد على ذكر الأحكام : لأن رأي الذهبي فيه في المغازي يختلف عنه في الأحكام وكذا غيره ، كما سيتضح .

(٣) ميزان الاعتدال ٣/٤٧٥ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١/١٧٣ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٧/٤١٧ .

(٦) تهذيب التهذيب ٩/٤٦٩ .

(٧) تقريب التهذيب ٢/١٤٤ .

(٨) أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ) : طرح التثريب شرح التقريب (نشر دار إحياء التراث ، بيروت ٧٢/٨) .



وهكذا نجد «ابن إسحاق» بين ثلاث طوائف من العلماء : إحداهما : جرحوه ولم يذكروا تعديله ، والثانية : وثقوه ولم يذكروا فيه جرحاً ، والطائفة الثالثة : ذكروا ما فيه من جرح وتعديل ، وهذه - في نظري - أقرب الطوائف إلى الصواب ، وأميلُ إلى ما انتهى إليه الذهبي بشأنه ، وأن حديثه في الأحكام ينحط من مرتبة الصحة إلى مرتبة الحسن ، إلا ما شذَّ فإنه يعد منكرأً - هذا كله في أحاديث الأحكام - أما في المغازي والسير فهو ما سنبينه في الفقرة التالية بإذن الله تعالى.

### إمامة ابن إسحاق في المغازي والسير :

لابد لنا قبل الحديث عن منهج ابن إسحاق في السيرة أن نؤكد ثناء العلماء على سيرته ، وشهودهم له بالإمامة في فن المغازي والسير ، فما سبقت الإشارة إليه إنما كان رأي العلماء في «ابن إسحاق» في أحاديث الأحكام.

أما في المغازي والسير فقد سئل عنه «الزهري» فقال : هذا أعلم الناس بها<sup>(١)</sup> ، وقال الشافعي : من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> .

أما الإمام «أحمد» فمع احتياطه في الرواية عن «ابن إسحاق» في أحاديث الحلال والحرام ، كان يرى كتابة المغازي وأشباهاها عنه<sup>(٣)</sup> ، وقال الجمحي : «وكان من أعلم الناس بالسير»<sup>(٤)</sup> .

وقال «ابن عدي» : ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك

(١) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٦/٢١١٩ ، الخطيب : تاريخ بغداد ١/٢١٩ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ١/٢١٩ .

(٣) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٧/١٩٣ .

(٤) طبقات الشعراء ص٤ .





عن كتب لا يحصل منها شيء ، فصرف اشتغالهم حتى اشتغلوا بمغازي رسول الله ﷺ ، ومبتدأ الخلق ، ومبعث النبي ﷺ ، فهذه فضيلة لابن إسحاق سبق بها ، ثم بعده صنفه قوم آخرون ، ولم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق فيه ... إلخ كلامه<sup>(١)</sup> .

وقال السهيلي : وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها<sup>(٢)</sup> ، وتبعه في ذلك ابن خلكان<sup>(٣)</sup> .

وأثنى «الذهبي» على ابن إسحاق في السيرة ، ووصفه بعدة أوصاف تشير إلى حفظه وإتقانه لها ، فقال : كان في المغازي علامة<sup>(٤)</sup> ، وقال : كان حبراً في معرفة المغازي والسير<sup>(٥)</sup> ، وقال - في معرض حديثه عما وقع بينه وبين مالك - : وأما الآخر - يعني ابن إسحاق - فله ارتفاع بحسبه ، ولا سيما في السير<sup>(٦)</sup> .

وقال ابن كثير : محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية التي جمعها وجعلها علماً يهتدى به ، وفخراً يستجلى به ، والناس كلهم عيال عليه في ذلك ، كما في الشافعي وغيره من الأئمة<sup>(٧)</sup> .

وهكذا تتضافر أقوال العلماء في الثناء على ابن إسحاق ، والإشادة بجهوده في السيرة النبوية ، لكننا مع هذا الثناء والإشادة نحتاج إلى وقفة موضوعية

(١) الكامل في الضعفاء ١١٢٥/٦ .

(٢) الروض الأنف ٣٧/١ .

(٣) وفيات الأعيان ٢٧٦/٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٧/٧ .

(٥) تذكرة الحفاظ ١٧٣/١ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٤١/٧ .

(٧) البداية والنهاية ١٠/١٢٦ .



متأمل، نرصد ما فيها من جوانب نقص ، ربما كان إيضاحها سبباً لمزيد الثقة بها ، وهذا ما سنتبينه في ثنايا الحديث عن منهج ابن إسحاق في السيرة.

### منهج ابن إسحاق في السيرة :

نهج «ابن إسحاق» في أصل كتابه «المغازي» إلى تقسيمه إلى أجزاء ثلاثة:

١ - المبتدأ ، وبه عالج تاريخ الرسائل قبل الإسلام .

٢ - والمبعث ، وبه درس حياة النبي ﷺ ونشاطه في مكة .

٣ - المغازي ، وضمنه الحديث عن غزوات النبي ﷺ وحياته في المدينة<sup>(١)</sup> .

وهذا التقسيم ليس محل اتفاق بين الباحثين : «فالطرايشي» يرى أن حدود المغازي والسير لابن إسحاق تشمل: المبتدأ ، والمغازي ، والخلفاء ، وأن القدماء حينما يقولون: «مغازي ابن إسحاق» يغلبون المغازي - وهي بيت القصيد في عمله - على المبتدأ قبلها ، والخلفاء بعدها ، ويرى أن إدخال المبعث بدلاً عن الخلفاء أمر فيه نظر<sup>(٢)</sup> ، بل عدّه من الأوهام التي وقعت للمتقدمين أمثال: ابن النديم<sup>(٣)</sup> ، ومنه إلى ياقوت<sup>(٤)</sup> ، ثم سحبت ظلالها على فريق الباحثين المحدثين<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر: هورفتس: المغازي الأولى ص٨٢ ، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١١/٣ ، والدوري: نشأة علم التاريخ ص٢٧ .

(٢) مقالة بعنوان «رواة المغازي والسير عن ابن إسحاق» لمطاع الطرايشي في مجلة مجمع اللغة بدمشق ص٥٢٤ ، من المجلد ٥٦ ج٣ .

(٣) (الفهرست ص١٤٢) (نشر المكتبة التجارية ، القاهرة) .

(٤) معجم الأدباء ٨/١٨ .

(٥) انظر: مقال الطرايشي السابق ص٥٩٣ ، وذكر من سبقت الإشارة إليهم ، وأضاف سزكين .



ويقول الدوري - بعد إشارته إلى التقسيم السابق - : ولكنني أرى أن الكتاب نفسه يتألف من قسمين متميزين: المبتدأ ، والمغازي<sup>(١)</sup> .

وعلى أي حال فنحن نجد عند المتقدمين ما يفيد حديث «ابن إسحاق» عن قصص الأنبياء<sup>(٢)</sup> ، بل حدد «السخاوي» حديث ابن إسحاق عن قصص الأنبياء في كتابه المبتدأ<sup>(٣)</sup> .

أما «تاريخ الخلفاء لابن إسحاق» فالذي يظهر أنه لا علاقة له مباشرة بالسير، وإنما يتحدث فيه عن الخلفاء ، وقد نشر جزء منه ضمن الحديث عن مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واجتماع أهل الشورى لاختيار خليفة المسلمين<sup>(٤)</sup> ، كما حفظ لنا «الطبري» أجزاء منه في الفتنة أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه<sup>(٥)</sup> ، وأيام علي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهما<sup>(٦)</sup> .

وإذا كنا ألمحنا إلى شهود العلماء لابن إسحاق في الإمامة بالمغازي والسير، فإننا نجد مصداق ذلك في عرضه وترتيبه لأحداث السير - بأقسامها - ففي الجزء الأول والثاني يظهر ابن إسحاق براعة في حسن الصياغة ، فيربط تاريخ النبوات بعضها ببعض ، وينتهي إلى إبراز نبوة محمد ﷺ خاتمة لها بعد إشارته إلى

(١) نشأة التاريخ عند العرب ص ٢٧ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢١٥/١ .

(٣) الإعلان بالتبويب لمن ذم التاريخ (نشر دار الكتاب العربي) ص ٩٢ .

(٤) سزكين : تاريخ التراث العربي (التدوين التاريخي) ص ٩٠ ، وانظر : ترجيح «ليفى دلافيد» لاختلاف مادة هذه المؤلفات (دائرة المعارف الإسلامية ٤٥١/١٢) .

(٥) تاريخ الطبري ٣٦٩/٤ ، ٣٨١ .

(٦) المصدر نفسه ٥٥٧/٤ ، ٤٦/٥ ، ٦٩ ، ٢٦٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦ .



أصولها القديمة ، وبعد أن ساق المبشرات لها <sup>(١)</sup> .

### تجميعه للحدث الواحد :

ومما يذكر لابن إسحاق - أيضاً - أنه كان يبذل جهداً خاصاً في ربط الروايات الفردية إحداها بالأخرى بعبارات موجزة ، تلخص محتوياتها ، وأنه كان يكون في كثير من الأحيان خبراً عاماً موحداً من عدة أخبار من رواته المختلفين يصدره بأسمائهم وخاصة في المغازي <sup>(٢)</sup> ، وهذا يعرف بالإسناد الجمعي <sup>(٣)</sup> ، وقد كان سائداً عند أهل المدينة ، وقد استعمله قبل ابن إسحاق عروة بن الزبير ، والزهري <sup>(٤)</sup> ، كما استعمله الواقدي بعدهم <sup>(٥)</sup> .

فوق ذلك امتاز «ابن إسحاق» في عرضه للسيرة بذكر عرض مجمل للحادثة ، ربما كانت تلك تجمع مختلف الروايات التي وقعت له من عدة رواة ، ثم

(١) سهيل زكار : مقدمة السير والمغازي لابن إسحاق ص ١٧ .

(٢) هورفتس : المغازي الأولى ص ٩٥ .

(٣) انظر مثاله في سيرة ابن هشام ٢/٢٤٤ .

(٤) مغازي عروة بن الزبير (تحقيق الأعظمي) ص ٦٨ ، وانظر نموذج للإسناد الجمعي عند عروة في البخاري في قصة الحديبية (البخاري مع الفتح ٧/٤٥٣) وانظر أنموذجاً لجمع الزهري في الإسناد واتحاد المتن في حديث الإفك (المصدر السابق ٧/٤٣١) . وهنا يجدر ملاحظة الفرق بين الإسناد الجمعي عند عروة والزهري وغيرهم من ثقاة المحدثين : لأن هؤلاء يجمعون الأسانيد إذا كان الرواة كلهم ثقاة ، أما ابن إسحاق فإنه يجمع بين رواية الثقة وغير الثقة ويسوقها مساقاً واحداً (انظر : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، نشر دار طيبة ، في طبعته الأولى ١٤٠٦ هـ لمحمد بن صامل العلياني ص ٣٥٢) .

(٥) الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٣١ .



يعقبه بتفصيل الحادثة وتسمية رواتها<sup>(١)</sup> ، ويلاحظ في ترتيبه البدء بروايات مشايخه وأساتذته ، ثم يدون ما جمعه بنفسه عن سواهم<sup>(٢)</sup> .

كما يلاحظ في أسلوبه في السيرة جمعه بين أساليب المحدثين والقصاص ، ولهذا يظهر أثر القصص في سيرته<sup>(٣)</sup> ، كما يظهر إكثاره من الشعر ، وإن لم يكن متيناً فيه ، حتى روي أنه كان يدفع إلى شعراء وقته أخبار المغازي ويسألهم أن يقولوا فيها الأشعار ليلحقها بها<sup>(٤)</sup> ، ولهذا يعدّه ابن سلام الجمحي<sup>(٥)</sup> ممن هجن الشعر وأفسده ، إذ يقول : «وكان ممن هجن الشعر وأفسده ، وحمل كل غناء محمد بن إسحاق مولى آل مخرمة ، وكان أعلم الناس بالسير ، فنقل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر فيها ويقول : لا علم لي بالشعر ، إنما أوتى به فأحمله ، ولم يكن له ذلك عذر ، فكتب في السيرة من أشعار الرجال الذين لم يقولوا

(١) منها على سبيل المثال حديثه عن أخبار الكهان من العرب والأخبار من اليهود والرهبان من النصارى بأمر رسول الله ﷺ ٢٢١/١ ، ٢٢٤ ، وما بعدها من سيرة ابن هشام ، انظر كذلك حديثه عن عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة ٣٣٩/١ ، ٣٤٠ ، ومثل ذلك حديثه عن البعثة وهجرة الحبشة وغيرها .

(٢) ابن هشام ١٥٦/١ ، هورفتس في المغازي الأولى ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٣) الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٨ .

(٤) الذهبي : ميزان الاعتدال ٤٧١/٢ .

(٥) محمد بن سلام الجمحي البصري (أبو عبد الله) أديب ، لغوي ، إخباري ، راوية ، حافظ ، قدم بغداد وتوفي وهو من أبناء التسعين ، وكان يقول : أفنيت ثلاثة أهلين ، تزوجت وأطلقت فماتوا (ثلاث مرات). كان ابن معين يختلف إليه ، وقال أحمد : كتبت ليحيى بن معين النسب عنه بخطي ، وكان بعضهم لا يرى كتابة الحديث عنه ، وكانت وفاته سنة (٢٣١هـ). تاريخ بغداد ٣٢٧/٥ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٦٥١/١٠ ، ومعجم المؤلفين (٤١/١٠).



شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وشمود أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر ومن أذاه منذ ألوف السنين! والله يقول: ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَتَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال في عاد : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾<sup>(٣)</sup> .<sup>(٤)</sup>

### عدم اشتراطه الصحة فيما جمع :

ولهذا فالذهبي - مع ثنائه على ابن إسحاق في السير - قد انتقده على ما حشا في سيرته من الأشعار المكذوبة ، والأشياء المنكرة المنقطعة<sup>(٥)</sup> ، وكان يقول : فلو حذف منها ذلك لحسنت<sup>(٦)</sup> ، وقال في موضع ثالث : «ولا ريب أن ابن إسحاق كثر وطولٌ بأنساب مستوفاة اختصارها أملح ، وبأشعار غير طائفة حذفها أرجح ، وبآثار لم تصحح ، مع أنه فاته شيء كثير من الصحيح لم يكن عنده ، فكتابه محتاج إلى تنقيح وتصحيح ورواية ما فاته»<sup>(٧)</sup> .

ومن هذا الوصف للذهبي ، والاستقراء لسيرة ابن إسحاق نخرج بتحديد

(١) الآية (٥١) من سورة النجم .

(٢) الآية (٨) من سورة الحاقة .

(٣) الآية (٩) من سورة إبراهيم .

(٤) طبقات الشعراء (إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي ، دار النهضة ، بيروت ص٤).

(٥) ميزان الاعتدال ٤٦٩/٣ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٥٢/٧ .

(٧) المصدر السابق ١١٥/٦ ، ١١٦ .



منهج «ابن إسحاق» ، في تدوين الأحداث فلم تكن «الصحة» شرطاً فيما جمع ، ولم يكن من منهجه تمييز الروايات الصحيحة من الضعيفة ، ولهذا حوت سيرته - إلى جانب الروايات الصحيحة - الأخبار الواهية ، والروايات المنكرة<sup>(١)</sup> ، ولعل وجود مثل هذه الروايات جعل «يحيى بن سعيد القطان» يقول - وقد مرّ به جماعة - فقال: أين كنتم؟ قالوا: كنا عند وهب بن جرير ، يعني يقرأ علينا كتاب المغازي عن أبيه عن ابن إسحاق ، فقال يحيى : تتصرفون من عنده بكذب كثير<sup>(٢)</sup>.

ومما يذكر «لابن هشام» أنه تلافى كثيراً من هذه السقطات في سيرة ابن إسحاق ، وخفف من وطأ هذه الملحوظات بما اختصره وهذبّه وعلّق عليه ، وقد نوّه إلى هذا في مقدمته للسيرة ، فقال : «وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله ﷺ من ولده ، وأولادهم لأصلاّبهم الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة لاختصار إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقرّ لنا «البكائي» بروايته ، ومستقص - إن

(١) سنأتي على روايته في موت أبي طالب على الإسلام ، وروايته عن أبي مريم في الجهر بالدعوة ، وهي نماذج لهذه الروايات .

(٢) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٣/٧ .



شاء الله تعالى - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به <sup>(١)</sup> .

ويظهر للمتأمل في كلام ابن هشام أن اختصاره في الأمور السابقة على سيرة النبي ﷺ وأكثر منها في السيرة ذاتها ، كما يبدو أن البكائي - قبل ابن هشام - هو الآخر حذف من أصل السيرة لابن إسحاق أموراً من المحتمل أنها لم تبلغه ، ومن المحتمل أنها بلغت ، ولكن تركها للاختصار ، أو لأنه لم يرض عنها ، وقول ابن هشام: «وبعض لم يقرّ لنا البكائي بروايته» يقوي هذا الاحتمال.

### ترتيب الأحداث زمنياً :

ولا يفوتنا - ونحن بصدد الحديث عن منهج ابن إسحاق في السيرة - أن نؤكد نهجه في ترتيب الأحداث واتخاذ الترتيب الزمني أساساً لعرض الموضوعات؛ فترى تسلسل الأحداث المكية ، ثم تليها الأحداث في المدينة ، ومن خلال هذا وذاك يبرز النسق (الحوالي) فيصلاً في تقديم هذا الحدث أو تأخير ذلك. وهذا النسق من الترتيب الزمني لم يكن له أثر سلبي واضح <sup>(٢)</sup> على تجزئة الأحداث بشكل تحتاج الحادثة الواحدة معه إلى تجميع ، وهو أمر يميز عرض «ابن إسحاق» (ومن بعده أصحاب السير) لأحداث السيرة عن أصحاب المدونات في الحديث التي يظهر فيها تجزئة الخبر الواحد حيث تذكر طرفه في موضع ثم

(١) مقدمة سيرة ابن هشام ٢/١ ، ٣ .

(٢) احترز هنا لأن الترتيب الزمني له تأثيره على تقطيع الحوادث وعدم ارتباطها ، ولكني أردت أن ذلك - عند ابن إسحاق - لا يصل إلى ما هو موجود من تقطيع الحادثة الواحدة وتفريقها في أكثر من موضع (حسب الكتب والأبواب وما يناسبها من الأحكام) وهو ما تهجه كتب الحديث دون كتب المغازي والسير.





تتمه في موضع أو مواضع آخر<sup>(١)</sup> .

وإزاء منهج ابن إسحاق في أحداث السيرة ربما بالغ بعض الباحثين في قوله: إن سيرة ابن إسحاق تجربة ثورية في الكتابة التاريخية<sup>(٢)</sup>، وقد تعقبه آخر فقال: إن موضوع السيرة ومنهج التأليف فيه ثابت ومقدر قبل أن يكتب ابن إسحاق سيرته المعروفة<sup>(٣)</sup> .

**وأقول :** لقد سبق لنا بيان طرف من سمات هذا المنهج الذي سبق ابن إسحاق فيه غيره كعروة والزهري ، ولكن مما ينبغي أن يذكر لابن إسحاق أنه وسّع دائرة السيرة بما جمعه من أحداث ربما لم تتوفر لمن قبله ، وربما كان لمنهجه (الجمعي) دور في تدوين أحداث ضاقت عنها مناهج الآخرين (النقدية) من أمثال «عروة» و «الزهري» و «موسى بن عقبة» ، ولهذا صقل ابن إسحاق هذه المادة بحاسته ، وبما هو مشهور عنه من النبوغ في هذا الميدان ، فخرجت سيرته لتغطي - بشهرتها ، وغزارة مادتها - ما ألف في السيرة قبله ، ومن ثم أصبحت مورداً لمن جاء بعده من أرباب السير ، حتى قيل : إن الناس عيال على ابن إسحاق في المغازي والسير.

### مصادر ابن إسحاق في السيرة ورواتها عنه :

يمكن تقسيم مصادر ابن إسحاق في السيرة إلى نوعين من المصادر :

أ - مصادر مكتوبة .

(١) سنأتي على نماذج لهذا في أثناء الحديث عن منهج البخاري ومسلم في صحيحيهما .

(٢) ليفي دلافيد (انظر : مقدمة مارسدن جونس على مغازي الواقدي ص ١٩).

(٣) مارسدن جونس (المرجع السابق ص ١٩).



ب - وأخرى مروية بالمشافهة .

وقد اعتمد المصادر المكتوبة في الأجزاء المتقدمة على السيرة ، حيث اعتمد على الإسرائيليات التي اجتمعت عند العرب في أخبار الخليقة من آدم وحتى إسماعيل - عليهما السلام - ، وقد أكملها في أثناء وجوده بمصر<sup>(١)</sup> ، وقد نقل عن وهب بن منبه - في هذه الفترة - كثيراً<sup>(٢)</sup> ، كما نقل عن كعب الأحبار<sup>(٣)</sup> ، ومحمد بن كعب القرظي<sup>(٤)</sup> ، وأحياناً عن أهل التوراة<sup>(٥)</sup> ، أو أهل العلم بالكتاب الأول<sup>(٦)</sup> ، دون أن يسمى أحداً . أما الروايات التي ساقها ابن إسحاق - في هذه الفترة - دون إسناد فكثيرة جداً<sup>(٧)</sup> .

واعتمد «ابن إسحاق» الرواية بالمشافهة في أحداث السيرة ، ويظهر اعتماده على مشايخه المدنيين بشكل واضح ، ويحظى الزبيريون ومواليهم بنصيب وافر من مروياته ، وإذا كان عروة بن الزبير<sup>(٨)</sup> وهشام بن عروة<sup>(٩)</sup> ويحيى بن عروة<sup>(١٠)</sup> ، وعمر بن عبد الله بن أخي عروة<sup>(١١)</sup> ، ومحمد بن جعفر ابن أخي

(١) سهيل زكار : مقدمة كتاب السير والمغازي لابن إسحاق ص ١٧ .

(٢) الطبري ٣٢٢/١ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ ، ٤٣٢ ، ٤٦٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ .

(٣) المصدر السابق ٢٦٥/١ ، ٤٠١ .

(٤) المصدر نفسه ٤١٨/١ ، ٤٢٠ .

(٥) المصدر نفسه ٤٤/١ ، ١٨٣ .

(٦) المصدر نفسه ١٤٠/١ .

(٧) الطبري ٣٤/١ ، ١٥٩ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ، ٢٢٤ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ .

(٨) سيرة ابن هشام ٣٥٦/٣ ، ٣٧٦ .

(٩) المصدر نفسه ٢٥٩/١ ، ٣٤٠ .

(١٠) المصدر نفسه ٣١٠/١ ، ٣٣٦ .

(١١) المصدر نفسه ٢٢٠/٢ .



عروة<sup>(١)</sup>، ويحيى بن عباد بن عبد الله بن أخي عروة الكبير<sup>(٢)</sup>، إذا كان هؤلاء من مصادر ابن إسحاق فلم تقتصر روايته عنهم، بل روى عن موالي آل الزبير أمثال: يزيد بن رومان<sup>(٣)</sup>، ووهب بن كيسان<sup>(٤)</sup>، وصالح بن كيسان<sup>(٥)</sup>، وإسماعيل بن أبي حكيم<sup>(٦)</sup>.

ويعد «الزهري» من أكبر مشايخ ابن إسحاق، ومن أهم مصادره في أحداث السيرة<sup>(٧)</sup>، وكذا عاصم بن قتادة الأنصاري<sup>(٨)</sup>، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم<sup>(٩)</sup>.

ومن مصادر ابن إسحاق أقارب الرجال والنساء الذي اشتركوا في الحوادث<sup>(١٠)</sup>. كما نجد من بين مصادر ابن إسحاق والده «إسحاق بن يسار»<sup>(١١)</sup>، ويزيد بن أبي حبيب المصري<sup>(١٢)</sup>.

(١) المصدر نفسه ١٠٩/٢، ٢٠٦، ٣٠٦.

(٢) المصدر نفسه ١٠٢/٢.

(٣) المصدر نفسه ٣٦٣/١، ٢٤٢/٢، ٢٤٤، ٢٤٥.

(٤) المصدر نفسه ٢٥٣/١، ٢٥٤.

(٥) المصدر نفسه ٢٦٢/١، ١٩٥/٢.

(٦) المصدر نفسه ٢٥٧/١.

(٧) المصدر نفسه ١٠٢/٢، ٢١٨، ٢٤٤، ٣٥٦/٣، ٢٦٢، ٣٧٧.

(٨) المصدر نفسه ٤٧/٢، ١٢٧، ١٤٦.

(٩) المصدر نفسه ١٢٧/٢، ١٤٠، ٢٤٤، ٢٦٠، ٣٥٧/٣.

(١٠) سيرة ابن هشام ٢٣١/١، ٣١١، ٣٧١، ٤٧/٢، ١٣٨، ٤٤١.

(١١) المصدر نفسه ١٦٩/١، ٤١٨، ٧٧/٢، ٤٢٨.

(١٢) المصدر نفسه ١٥٤/١، ١١٦/٢، ٣٠٢، ٣٨٢/٣.



وروى ابن إسحاق عن أهل الكتاب وانتقد عليه<sup>(١)</sup> ، وإنما كان يتتبع غزوات النبي ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وبني قريظة وبني النضير وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم ، لكنه يتتبع ذلك ليعلمه من غير أن يحتج به<sup>(٢)</sup> . كما روى عن المجهولين أحاديث باطلة<sup>(٣)</sup> .

وهناك طائفة من مرويات ابن إسحاق رواها بلاغاً<sup>(٤)</sup> ، وأخرى بلفظ : «من لا أتهم»<sup>(٥)</sup> ، أو عن «بعض أهل العلم»<sup>(٦)</sup> ، وأحياناً بصيغ توحى بالشك كقوله : «فيما يزعمون» و «اللّه أعلم» ، ولهذا قيل : إن اضطرابه في استخدام الإسناد صدم فقهاء المدينة صدمة عنيفة حتى أنكروا عليه صفة المحدث الثبت ، وأن عذره في ذلك جمع مادة وافرة ومتنوعة أحوجته إلى قبول عدد من الروايات لا تدعمها الأسانيد دعماً كافياً<sup>(٧)</sup> .

(١) الذهبي : الميزان ٤٧٠/٣ ، وقد سبقت إجابة الذهبي عن ذلك في أول هذا التمهيد ، وانظر نماذج لرواية ابن إسحاق عنهم في سيرة ابن هشام ١٩٤/٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ .

(٢) ابن سيد الناس : عيون الأثر ١٧/١ .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ٢٢٧/١ ، ومن نماذج روايته عن المجهولين روايته عن «جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحي» ، كما في السيرة لابن هشام ١٧٢/١ ، وسنأتي على مزيد تفصيل لهذه الرواية في الفصل الأول بمشيئة اللّه .

(٤) ابن هشام : السيرة ٢٥١/١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٦٥ .

(٥) المصدر السابق ٤٨/٣ ، ٧٣ ، ٤٢٤ .

(٦) المصدر نفسه ٢٢٥/١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٥٢/٣ .

(٧) ليفي دلافيد : مقال في دائرة المعارف الإسلامية (مادة سيرة) ٤٥١/١٢ ، ٤٥٢ .



قلت : ومع عدم التسليم - مطلقاً - بهذا العذر ، فالذي لا شك فيه أن في سيرة ابن إسحاق روايات متصلة بالإسناد ، ورواتها ثقات ، بل من رجال الصحيحين كما سيتضح .

على أنه مما ينبغي التنبه له - في مصادر ابن إسحاق - أنه وإن اعتمد الرواية بالمشافهة في أغلب روايات السيرة ، فلا يعني ذلك عدم استفادته من الوثائق المكتوبة في هذه الفترة ، والوثيقة التي رواها له يزيد بن أبي حبيب<sup>(١)</sup> بل ومجموعة الوثائق التي رواها ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر<sup>(٢)</sup> تعد نماذج لهذا النوع من المصادر عند ابن إسحاق .

فإذا ما أتينا إلى رواية المغازي والسير عن ابن إسحاق تبين لنا أن عددهم غير قليل : فهذا الذهبي أحصى منهم أربعين راوياً ، ثم أعقبه بالقول : وأمم سواهم يشق استقصاؤهم ويبعد إحصاؤهم<sup>(٣)</sup> ، وعدّ ابن حجر منهم أسماء تسعة وعشرين راوياً ثم قال : وجماعة<sup>(٤)</sup> .

ولا شك أن قول الذهبي : «أمم سواهم» وقول ابن حجر : «وجماعة» يخفيان وراءهما جمعاً من الرواية ، ومما يؤكد ذلك أن أحد الباحثين أحصى ستين راوياً عن ابن إسحاق في المغازي والسير<sup>(٥)</sup> ، وهذا العدد أيضاً لن يكون نهائياً ، فهناك

(١) الطبري ٦٤٥/٢ .

(٢) الطبري ١٢٦/٣ ، ١٢٨ ، ١٤٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٥/٧ .

(٤) تهذيب التهذيب ٣٩/٩ .

(٥) مطاع الطرابيشي في مقاله (السابق) رواية المغازي والسير عن ابن إسحاق / مجلة مجمع اللغة ص(٥٤٣).



روايات مبنوثة في طبقات ابن سعد ، وتاريخ خليفة بن خياط ، وأنساب الأشراف للبلاذري ، وكلها تروي عن ابن إسحاق دون إسناد بلفظ : قال ابن إسحاق ، أو : وفي رواية ابن إسحاق ، وهذه وتلك - لا شك - تخفي أسماء عدد غير مرعوف من الرواة عنه <sup>(١)</sup> .

وأشهر الرواة المكثرين عن ابن إسحاق في المغازي والسير، البكائي <sup>(٢)</sup> ،

(١) الطرايشي ، رواة المغازي والسير / مجلة اللغة ص(٥٣٦) ، وانظر : نماذج من ذلك في تاريخ خليفة ص٦٢ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ١١٢ ، وفي طبقات ابن سعد ٤٧/٣ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٩٥ ، ١٢٣ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٩٥ ، وغيرها كثير .

(٢) هو : زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي العامري ، روى عنه جماعة منهم الإمام أحمد ، قال وكيع : هو أشرف من أن يكذب ، وقال أحمد : ليس به بأس ، حديثه حديث أهل الصدق ، وقال الدوري عن ابن معين : ليس بشيء ، وكان عندي في المغازي لا بأس به ، وقال زياد في ابن إسحاق : ثقة ، قال ابن إدريس : ما أحد أثبت في ابن إسحاق منه ، لأنه أملى عليه إملاء مرتين ، وقال صالح بن محمد : ليس كتاب في المغازي عند أحد أصح منه عند زياد ، وزياد في نفسه ضعيف ، ولكن هو من أثبت الناس في هذا الكتاب ، وذلك أنه باع داره وخرج يدور مع ابن إسحاق حتى سمع منه الكتاب ، وقال الدارمي : سألت يحيى بن معين عن أكتب المغازي ممن يروي عن يونس أو غيره؟ قال : اكتبه عن أصحاب البكائي . وقال السخاوي : إنه أوثق من يونس ابن بكير في ابن إسحاق ، ضعفه ابن المديني ، وابن سعد ، والنسائي ، وابن حبان ، وروى عنه البخاري في كتاب الجهاد مقروناً بغيره ، وخرّج عنه مسلم في مواضع من كتابه ، مات سنة (١٨٣هـ) . (انظر: تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي - من منشورات مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز - ص١١٤ ، والروض الأنف ٤٠/١ ، وتهذيب التهذيب ٣٧٥/٩ ، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٨٨).



وسلمة بن الفضل<sup>(١)</sup> ، ويونس بن بكير<sup>(٢)</sup> ، أما البكائي فقد وصلتنا روايته عن

(١) هو : سلمة بن الفضل الأبرشي الأنصاري مولا هم قاضي الري ، روى عنه ابن معين ، وابن حميد الرازي ، وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم ، ضعفه ابن راهويه ، وقال البخاري : في حديثه بعض المناكير. وقال ابن معين : كتبنا عنه وليس في المغازي أتم من كتابه ، وقال النسائي : ضعيف ، وقال زنيخ (محمد بن عمر الرازي) : سمعت سلمة يقول : سمعت المغازي من ابن إسحاق مرتين وكتبت عنه من الحديث مثل المغازي ، وثقه ابن سعد ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : يخطئ ويخالف ، وقال أبو حاتم : محله الصدق في حديثه إنكار ، يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال ابن معين : سلمة بن الأبرش راوي يتشيع قد كتبت عنه وليس به بأس ، وقال ابن عدي : لم أجد لسلمة ما جاوز الحد في الإنكار ، وقال ابن المديني : ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة ، وقال أبو زرعة : كان أهل الري لا يرغبون فيه لسوء رأيه ، وظلم فيه. وروى الخطيب - بسنده - أن ابن إسحاق صنف كتاب السيرة في القراطيس ثم صير القراطيس لسلمة ، فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره لحال تلك القراطيس ، قال عنه ابن حجر : صدوق كثير الخطأ ، مات سلمة سنة إحدى وتسعين ومائة . (تاريخ بغداد ٢٢١/١ ، ميزان الاعتدال ١٩٢/٢ ، تهذيب التهذيب ١٥٣/٤ ، التقريب ٣١٨/١) .

(٢) يونس بن بكير بن واصل الشيباني الكوفي ، وثقه ابن معين ، وابن نمير ، وابن حبان ، وكتب عنه أحمد ، فقال : ما كان أزهد الناس فيه وأنفهم عنه ، وقال الجوزجاني : ينبغي أن يثبت في أمره ، وقال الساجي : كان ابن المديني لا يحدث عنه وهو عندهم من أهل الصدق ، وعن أبي داود ليس هو عندي بحجة كان يأخذ كلام ابن إسحاق فيوصله بالحديث ، ضعفه العجلي ، وقال : كان على المظالم لجعفر بن برمك ، أخرج له مسلم في الشواهد ، وكذا ذكره البخاري مستشهداً به ، وقال الذهبي : هو حسن الحديث ، قال يونس في كتابه المغازي : كل شيء من حديث ابن إسحاق مسند فهو أملاه عليّ ، أو قرأه عليّ ، أو حدثني به ، وما لم يكن مسنداً فهو قراءة قرئ على ابن إسحاق. مات سنة تسع وتسعين ومائة .

(المغازي والسير برواية يونس ص ٢ / تحقيق حميد الله ، الميزان ٤٧٨/٤ ، تهذيب التهذيب ٤٣٥/١١) .



ابن إسحاق في تهذيب ابن هشام ، كما سبق ، وأما سلمة بن الفضل فقد حفظ لنا الطبري - في تاريخه - جزءاً كبيراً منها ، وأما يونس بن بكير فقد وصلنا نتف من روايته عن ابن إسحاق - وإلى جانبها روايات أخرى لا تنتهي إلى ابن إسحاق - في الجزء الذي حققه محمد حميد الله ، وسهيل زكار ، ويبدو أن أجزاء من رواية يوسن عن ابن إسحاق مبنوثة في المدونات ولعل من أشهرها مستدرك الحاكم ، والسنن ، ودلائل النبوة للبيهقي ، وابن عساكر في تاريخه ، وابن الأثير في الكامل وأسد الغابة<sup>(١)</sup> .

ويبقى بعد ذلك عدد من الرواية الذين لم تصلنا مروياتهم عن ابن إسحاق بشكل منفرد وكامل ، وإن كانت المدونات التاريخية وغيرها حفظت لنا نماذج منها<sup>(٢)</sup> .

ومما يلفت النظر - في سيرة ابن إسحاق - اختلاف دلائلها أحياناً باختلاف الرواة عنه حتى في الحادثة الواحدة ، وهو أمر قد فطن له الأقدمون<sup>(٣)</sup> ، وأمامنا

(١) مقال الطراييشي السابق ص ٥٥٥ .

(٢) فقد حفظ لنا الطبري في تاريخه وتفسيره جزءاً كبيراً من الفصل الخاص بأنبياء أهل الكتاب كما حفظ لنا في تاريخه مقتطفات من السيرة - معظمها برواية سلمة بن الفضل - وحفظ الأزرقى أخباراً كثيرة تتناول تاريخ مكة القديم - وهي من الأمور التي حذفها ابن هشام - كما حفظ يحيى بن آدم في كتابه الخراج ، وابن سعد في طبقاته ، وخليفة في تاريخه وطبقاته ، والفسوي في تاريخه ، والبلاذري في أنسابه ، والبيهقي في دلائله ، وكذا أبو نعيم - وغيرهم - مقتطفات من سيرة ابن إسحاق بمختلف الرواة عنه . (انظر : مقال الطراييشي السابق ص ٥٤٣ ، المغازي الأولى ص ٨٣) .

(٣) انظر على سبيل المثال كلام «السهيلي» حول الفرق بين رواية البكائي ، ويونس بن بكير عن ابن إسحاق في إسلام عامر بن فهيرة . (الروض الأنف ٢/٢٨) . وانظر جملة





لتفسير هذه الظاهرة تأويلان : أحدهما أن كتابة ابن إسحاق للسيرة مرّت بمراحل ثلاث، وتكون منها ثلاث نسخ : الأولى من العهد المدني ، والثانية من العهد الكوفي، والثالثة من العهد البغدادي ، وكل واحدة من هذه النسخ تمثل شكلاً معيناً<sup>(١)</sup> .

أما التأويل الآخر فيقضي بكون المغازي - أصلاً - لم تصدر عن ابن إسحاق مجموعة بين دفتي كتاب ، وإنما كانت قراطيس تملى على الرواة أو تقرأ عليهم ، وهذه النسخ المعروفة من المغازي إنما ترجع إلى أصحاب ابن إسحاق لا إليه<sup>(٢)</sup> .

النقولات التي ساقها «ابن الأثير» في الاختلاف في شهود «عامر بن الحارث الفهري» بدران بين الرواة عن ابن إسحاق أمثال إبراهيم بن سعد ، والبكائي ، وسلمة بن الفضل ، ويونس بن بكير حتى قال ابن الأثير : «ولم يزل أصحاب ابن إسحاق وغيره يختلفون ، فكان هذا مما اختلفوا فيه» . (أسد الغابة ١٢٠/٣) . وانظر - أيضاً - وقفة «ابن حجر» في ترجمة «أنس بن رافع - أبو الحيسر - والخلاف في إسلامه ومن معه حين قدم مكة قبل الهجرة بين رواية سلمة عن ابن إسحاق وتفيد إسلامه ومن معه ، ورواية البكائي التي تفيد عدم إسلامهم ما عدا إياس بن معاذ (الإصابة ٢١٦/١ ، ١٤٦ ، والسيرة لابن هشام ٣٦/٢ ، ٣٧) .

(١) سهيل زكار : مقدمته للسيرة والمغازي لابن إسحاق ص(١٢) .

(٢) مطاع الطرابيشي (مقالة في مجلة مجمع اللغة بدمشق) ص ٥٣٥ ، ٥٣٧ .

دعم «الطرابيشي» رأيه هذا بالرواية التي سبق ذكرها في ترجمة سلم بن الفضل من كون ابن إسحاق أودعه قراطيس السيرة ، وبالرواية عن يونس بن بكير وأن ابن إسحاق أملى عليه السيرة أو قرأها عليه (سبقت في ترجمة يونس) وكذا ما يفيد أن ابن إسحاق أملى على البكائي السيرة (سبقت في ترجمته) ص ٥٣٥ ، من المقالة السابقة.



وأخيراً بقي أن نعلم حجم الروايات الصحيحة ، والضعيفة في سيرة ابن إسحاق، والحق أنها تتنظم هذا أو ذاك ، ويوجد فيها - إلى جانب الروايات الصحيحة - الأخبار الواهية ، لكنها بشكل عام تقترب إلى حد كبير مما أوردته كتب الحديث الصحيحة ، بل تتطابق معلوماتها مع معلومات كتب الحديث في كثير من الأحيان - كما انتهى إلى ذلك الدكتور أكرم العمري<sup>(١)</sup> .

ولعل المقارنة بروايات الصحيحين تعين على تمييز الروايات الضعيفة الباطلة ، وتقوي بعض الروايات التي يظن أنها ضعيفة ، وستشكف الدراسة في الفصول القادمة - بإذن الله - نماذج لهذا أو ذاك .

---

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى - من مطبوعات الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٧ ، ٤٧ .



## ٢ - الإمام البخاري ، ومنهجه في تدوين أحداث السيرة :

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي ، البخاري<sup>(١)</sup> ، فالبخاري نسبة إلى بخارى ، وهي من أعظم مدن ما وراء النهر ، وبينها وبين «سمرقند» مسافة ثمانية أيام<sup>(٢)</sup> ، والجعفي نسبة إلى «اليمان الجعفي» الذي أسلم على يديه جد البخاري «المغيرة» ، فنسب إليه نسبة ولاء على من يرى أن من أسلم على يده شخص كان ولاؤه له<sup>(٣)</sup> ، و«بردزبه» - فتح الباء الموحدة ، وسكون الراء المهملة ، وكسر الدال المهملة ، وسكون الزاي المعجمة ، وفتح الباء الموحدة بعدها هاء - لفظه بخارية ومعناها الزراع<sup>(٤)</sup> ، وهو مجوسي مات عليها<sup>(٥)</sup> .

أما ابنه المغيرة فقد أسلم على يد اليمان الجعفي - كما سلف - وأما ولده «إبراهيم» فقد قال عنه الحافظ ابن حجر : لم نقف على شيء من أخباره<sup>(٦)</sup> .

أما والد البخاري «إسماعيل» فقد ترجم له «ابن حبان» في الثقات ، وعدّه في الطبقة الرابعة ، وقال عنه : روى عن حماد بن زيد ، ومالك ، وروى عنه العراقيون<sup>(٧)</sup> ، كما ترجم له ابنه (البخاري) في التاريخ الكبير ، فذكر أن

(١) انظر : تاريخ بغداد ٤/٢ ، هدي الساري في مقدمة فتح الباري ٤٧٧/١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٩١/٤ .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ٦/٢ ، ابن حجر : هدي الساري ٤٧٧/١ .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٢ ، ابن حجر : هدي الساري ص ٤٧٧ .

(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ٦/٢ .

(٦) هدي الساري ص ٤٧٧ .

(٧) الثقات ٩٨/٨ .



كنيته «أبو الحسن» ، وقال عنه : رأى حماد بن زيد ، صافح ابن المبارك بكلتا يديه ، وسمع مالكا<sup>(١)</sup> كما ذكر عنه ولده أنه كان من الصالحين<sup>(٢)</sup>. ومما يؤكد هذا قول أحميد بن حفص: دخلت على إسماعيل والد أبي عبد الله عند موته ، فقال: لا أعلم مالي درهماً من حرام ولا درهماً من شبهة<sup>(٣)</sup> ، وحكى وراق البخاري: أنه ورث من أبيه (إسماعيل) مالاً جليلاً<sup>(٤)</sup>.

### مولده ونشأته :

ولد البخاري سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى ، بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال<sup>(٥)</sup> ، وتوفي والده والبخاري صغير ، فنشأ في حجر أمه ، وكان له أخ أكبر منه ، وهو «أحمد» وقد حجّ مع أمهما ، فبقي البخاري بمكة مجاوراً يطلب العلم ، أما أخوه أحمد فرجع إلى «بخارى» فمات بها ، وقد ذكر أن البخاري ذهبت عيناه في صغره ، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام ، فقال لها: يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك أو لكثرة بكائك ، فأصبحوا وقد ردّ الله عليه بصره<sup>(٦)</sup>.

نشأ البخاري نشأة علمية متميزة ، فقد وهبه الله ذهنًا وقادراً ، وحافظه

(١) التاريخ الكبير ١/٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١/٢٧٤ .

(٣) ابن حجر : هدي الساري ص ٤٧٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٧٩ .

(٥) المصدر السابق ص ٤٧٧ .

(٦) ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ١/٢٧٤ ، (نشر دار المعرفة / بيروت) . تهذيب الكمال

ص ١١٧٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢/٣٩٣ .



عجيبة ، وكان يقول عن نفسه : ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب ، فقيل له : كم أتى عليك إذ ذلك؟ فقال: عشر سنين أو أقل ، ثم خرجت من الكتاب فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره ، فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: سفيان أبي الزبير عن إبراهيم ، فقلت : إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم . فانتهرني ، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك ، فدخل ، فنظر فيه ، ثم رجع ، فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلت : هو الزبير ، وهو ابن عدي عن إبراهيم ، فأخذ القلم وأصلح كتابه ، وقال لي : صدقت ، فقيل له : ابن كم حين رددت عليه ؟ فقال: ابن إحدى عشرة سنة <sup>(١)</sup> .

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق : سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام ، فلا يكتب ، حتى أتى على ذلك أيام ، فكنا نقول له : إنك تختلف معنا ولا تكتب ، فما تصنع؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً : إنكما قد أكثرتما عليّ وألحمتما ، وأعرضا عليّ ما كتبتما ، فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث . فقرأها كلها عن ظهر القلب ، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ، ثم قال: أترون أني أختلف هدرأ وأضيع أيامي. فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد!! <sup>(٢)</sup> .

وفي سمرقند كان بها - كما يقول أبو الأزهر - أربعمائة ممن يطلبون الحديث ، فاجتمعوا سبعة أيام ، وأحبوا مغالطة البخاري ، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق ، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين ، فما تعلقوا منه بسقطة لا في

(١) ابن حجر : هدي الساري ص ٤٧٨.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/٢ ، سير أعلام النبلاء ٤٠٨/١٢ .



الإسناد ولا في المتن<sup>(١)</sup> .

والحديث في مثل هذه الأشياء يطول ، وإنما أردت الإشارة إلى نبوغه ، وحفظه منذ الصغر ، ويكفي أنه معدود في الأربعة الذين انتهى إليهم الحفظ في خراسان<sup>(٢)</sup> ، وكان يكفيه من الكتاب اطلاعه .. ، فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة<sup>(٣)</sup> .

### رحلاته :

وفي سبيل العلم وطلبه طوّف البخاري بكثير من الأقطار الإسلامية ، فدخل الشام ، ومصر ، والجزيرة مرتين ، والبصرة أربع مرات ، وأقام بالحجاز ستة أعوام ، ولا يحصى كم دخل الكوفة وبغداد مع المحدثين<sup>(٤)</sup> .

وقال أبو عبد الله الحاكم : أول ما ورد البخاري «نيسابور» سنة تسع ومائتين<sup>(٥)</sup> ، ووردها في الأخير سنة خمسين ومائتين ، فأقام بها خمس سنين يحدث على الدوام<sup>(٦)</sup> .

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤١١/١٢ .

(٢) المصدر السابق ٤٢٣/١٢ ، والأربعة هم : ١ - أبو زرعة الرازي ٢٠ - والبخاري .  
٢ - وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي ٤ - والحسن بن شجاع البلخي .

(٣) ابن حجر : هدي الساري ص ٤٨٦ .

(٤) ابن حجر : هدي الساري ص ٤٧٨ ، وانظر : الفصل الذي كتبه الذهبي في رحلته وطلبه ... سير أعلام النبلاء ٤٠٠/١٢ .

(٥) يبدو أن هذا يخالف ما جزم به الحافظ في هدي الساري ص ٤٧٨ في كون أول رحلته سنة عشر ومائتين ، وذكر الذهبي أن أول سماع للحديث سنة ٢٠٥ هـ . (تذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢).

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٠٤/١٢ .



وقد تلقى الحديث في كل بلد رحل إليه ، وكتب عن مشايخ جمة ، وطبقات مختلفة ، وقد قال عن نفسه : كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث<sup>(١)</sup>. وفي «تاريخ بغداد» : كتبت عن ألف شيخ وأكثر ما عندي حديث لا أذكر إسناده<sup>(٢)</sup> .

وحصر الذهبي وابن حجر شيوخه الذين كتب عنهم وحدث عنهم في خمس طبقات :

**الطبقة الأولى :** من حدثه عن التابعين مثل محمد بن عبد الله الأنصاري حدثه عن حميد ... ونحوهم .

**الطبقة الثانية :** من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين كأدم ابن أبي إلياس وأمثالهم.

**الطبقة الثالثة :** هي الوسطى من مشايخه ، وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار الأتباع ، كسليمان بن حرب ، وقتيبة بن سعيد ، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ونحوهم ، وهذه الطبقة شاركه «مسلم» في الأخذ منهم .

**الطبقة الرابعة :** معاصروه في الطلب ومن سمع قبله قليلاً كمحمد بن يحيى الذهلي ، وأبي حاتم الرازي ، وعبد بن حميد ، وجماعة من نظرائهم ، وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه ، أو ما لم يجده عند غيرهم.

**الطبقة الخامسة :** قوم في عداد طلبته في السن والإسناد ، سمع منهم للفائدة :

(١) ابن حجر : هدي الساري ص ٤٧٩ .

(٢) تاريخ بغداد ١٠/٢ .



كعبد الله بن حماد الأملي ، وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي ... وغيرهم ، وقد روى عنهم أشياء يسيرة ، وعمل في الرواية عنهم مما روى عثمان بن أبي شيبة عن وكيع قال: لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عنن هو فوقه ، وعنن هو مثله ، وعنن هو دونه <sup>(١)</sup> .

أما الذين رووا عنه - فكما قال الذهبي - خلق كثير منهم : أبو عيسى الترمذي ، وأبو حاتم ، وإبراهيم بن إسحاق الحربي ، وأبو بكر بن أبي الدنيا ، وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وروى عنه مسلم في غير صحيحة ، وبعد أن ذكر الذهبي مجموعة منهم ، قال : وأمم لا يحصون <sup>(٢)</sup> .

### ثناء العلماء عليه :

لقد أتى العلماء - سواء منهم مشايخ البخاري أو أقرانه أو تلاميذه - عليه ووصفوه بالعلم والفقہ : فهذا أبو عمر سليم بن مجاهد يقول : كنت عند محمد بن سلام البيكندي <sup>(٣)</sup> ، فقال : لو جئت قبل قليل لرأيت صبياً يحفظ سبعين ألف حديث ، قال : فخرجت في طلبه حتى لحقته ، قال : أنت الذي يقول : إنني أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال : نعم ، وأكثر ، ولا أجيبك بحديث من الصحابة

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٣٩٥ ، ٣٩٦ ، هدي الساري ص ٤٧٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٣٩٧ .

(٣) هو : أبو عبد الله محمد بن سلام بن فرج السلمى بالولاء البخاري ، من حفاظ الحديث ، رحال جوال ، كان يحدث ما وراء النهر ، وكان يقول : أنفقت في طلب العلم أربعين ألفاً ، ومثلها في نشره ، كان يحفظ خمسة آلاف حديث وهو من شيوخ البخاري ، ولادته سنة ١٦٢هـ ، ووفاته سنة ٢٢٧هـ ، وهو من الثقات . (تهذيب التهذيب ٩/٢١٢ ، الأعلام ١٦٧/١٦٧) .





والتابعين إلا عرفتك مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروي حديثاً من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي من ذلك أصل أحفظه حفظاً عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ<sup>(١)</sup> .

وكان يحيى بن جعفر يقول : لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت ، فإن موتي يكون موت رجل واحد ، وموته ذهاب العلم<sup>(٢)</sup> .

ويقول البخاري : حين دخلت البصرة صرت إلى مجلس بندار ، فلما وقع بصره عليّ قال : من أين الفتى ؟ قلت : من أهل بخارى ، فقال لي : كيف تركت أبا عبد الله ؟ فأمسكت ، فقالوا له : يرحمك الله هو أبو عبد الله ، فقام ، وأخذ بيدي ، وعانقني ، وقال : مرحباً بمن أفتخر به منذ سنين<sup>(٣)</sup> .

وجاء مسلم بن الحجاج إلى البخاري ، فقال : دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في عله .

وبالغ أهل بغداد في ثنائهم على البخاري حينما كتبوا إليه :

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد<sup>(٤)</sup>

والحديث في الثناء عليه يطول<sup>(٥)</sup> .

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢/٤١٧ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ٢/٢٤ .

(٣) المصدر السابق ٢/٢٧ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٣ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ٢/٢٢ ، سير أعلام النبلاء ١٢/٣٤٣ .

(٥) وللمزيد انظر : تاريخ بغداد ٢/٢١ - ٣٠ ، سير أعلام النبلاء ١٢/٤١٦ - ٤٣٨ .



## وفاة البخاري :

قال محمد بن أبي حاتم الوراق : سمعت أبا منصور غالب بن جبريل ، وهو الذي نزل عليه البخاري بـ «خرتلك»<sup>(١)</sup> يقول : إنه أقام عندنا أياماً ، فمرض واشتد به المرض ، حتى وجه إليه رسول من أهل «سمرقند» يلتمسون منه الخروج إليهم ، فأجاب وتهيأ للركوب ، ولبس خفيه وتعمم ، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها ، وأنا آخذ بعضده ، قال : أرسلوني فقد ضعفت ، فأرسلناه ، فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى - رحمه الله - فسأل منه عرق كثير ، وكان قد قال لنا : كفنوني في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ، قال : ففعلنا ، فلما أدرجناه في أكفانه وصلينا عليه ووضعناه في حفرته ، فاح منه تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ، ودامت أياماً ، وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياماً يأخذون من ترابه ، إلى أن جعلنا عليه خشباً مشبكاً<sup>(٢)</sup> .

وذكر الخطيب البغدادي راوية عن عبد الواحد بن آدم الطواويسى قال : رأيت النبي ﷺ في النوم ، ومعه جماعة من أصحابه ، وهو واقف في موضع - ذكره - فسلمت عليه فردّ السلام ، فقلت : ما وقوفك يا رسول الله ؟ فقال : أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري ، فلما كان بعد أيام بلغني موته ، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي ﷺ فيها<sup>(٣)</sup> .

(١) قرية من قرى سمرقند ، وبينهما نحو ثلاثة أميال . (وفيات الأعيان ١٩١/٤ ، سير أعلام النبلاء ٤٦٩/١٢).

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١٢ ، ٤٦٧ ، هدي الساري ص ٤٩٣ .

(٣) تاريخ بغداد ٣٤/٢ .



على أن هناك رواية تفيد خروج البخاري من بخارى إلى «بيكند»<sup>(١)</sup> وأن الناس كانوا معه حزينين : حذب معه ، وحذب عليه ، إلى أن كتب له أهل سمرقند بالخروج إليهم ، فقدم إلى أن وصل إلى بعض قرى سمرقند ، فوقع بين أهل سمرقند فتنة بسببه ، قوم يريدون إدخاله البلد ، وقوم لا يريدون ذلك ، إلى أن اتفقا على أن يدخل ، فخرج يرد أن يركب ، فلما استوى على دابته قال: اللهم خر لي - ثلاثاً - فسقط ميتاً ، فأعلم أهل سمرقند ، فحضره بأجمعهم<sup>(٢)</sup> .

لكن هذه الرواية انتقدها الذهبي وأعلها بالشذوذ والانقطاع ، وقال: والصحيح ما يأتي خلافها<sup>(٣)</sup> .

كانت وفاة البخاري ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان عمره اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً ، وقبره بـ «خرتلك»<sup>(٤)</sup> - رحمه الله - وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً .

### تصانيفه :

بدأ تصنيف البخاري للكتب مبكراً مذ أن طعن في الثامنة عشرة من عمره

(١) بيكند : بالكسر وفتح الكاف ، وسكون النون - كما في معجم البلدان - بلدة بين بخارى وجيحون ، على مرحلة من بخارى ، وكانت بلدة كبيرة حسنة كثيرة العلماء ، وينسب إليها جماعة من الأعيان منهم : أبو أحمد محمد بن يوسف البيكندي .. وغيره ، مشهورة بكثرة الرباطات ، حتى قيل : إن عددها نحو ألف رباط . (مجمع البلدان ٥٣٣/١).

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٦٣/١٢ .

(٣) المصدر السابق ٤٦٤/١٢ .

(٤) تاريخ بغداد ٣٤/٢ ، سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١٢ ، وهدي الساري ص ٤٩٣ .



حيث صنف فيها «قضايا الصحابة والتابعين وأقوايلهم» ، كما صنف - إذ ذاك - كتب التاريخ عند قبر النبي ﷺ في الليالي المقمرة ، وهو الذي قال فيه : وكل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أنني كرهت تطويل الكتاب <sup>(١)</sup> .

وقد أحصى «ابن حجر» للبخاري قرابة عشرين مصنفاً - غير الجامع الصحيح - وهي بالإضافة إلى ما سبق : الأدب المفرد ، ورفع اليدين في الصلاة ، والقراءة خلف الإمام ، وبر الوالدين ، والتاريخ الأوسط ، والصغير ، والكبير ، وكتاب الأشربة ، والهبة ، وأسامي الصحابة ، والوجدان ، والمبسوط ، والعلل ، والكنى والفوائد <sup>(٢)</sup> .

ويضيف إليها «فؤاد سزكين» : التواريخ والأنساب ، والعقيدة أو التوحيد ، وأخبار الصفات ، والتاريخ في معرفة رواة الحديث ، ونقل الآثار والسنن وتمييز ثقاتهم من ضعفائهم وتاريخ وفاتهم <sup>(٣)</sup> .

### الجامع الصحيح ومنهج البخاري في تدوين أحداث السيرة :

لا غرو أن تقوم شهرة البخاري على صحيحه ، فقد اتفق العلماء - كما نقل النووي - على أن كتابه «الصحيح» أصح كتاب بعد كتاب الله <sup>(٤)</sup> .

وإذا كان «صحيح مسلم» يشاركه في هذا الأولوية بين كتب الحديث المدونة ، فإن «مسلماً» نفسه يعترف للبخاري بالسبق ، وبأنه ليس له نظير في علم

(١) تاريخ بغداد ٧/٢ ، سير أعلام النبلاء ٤٠٠/١٢ .

(٢) هدي الساري ص ٤٩١ ، ٤٩٢ .

(٣) تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول في علوم القرآن والحديث ، الجزء الأول ص ٢٥٧ - ٢٥٩ .

(٤) انظر : مقدمة النووي لشرحه لصحيح مسلم ١٤/١ ، ومقدمة ابن الصلاح ص (٩) .



الحديث<sup>(١)</sup> .

و«البخاري» أول من صنّف الصحيح ، ثم تلاه «مسلم»<sup>(٢)</sup> .

وقد عني البخاري بكتابه «الصحيح» فمكث في تصنيفه ست عشرة سنة<sup>(٣)</sup> ، وكان جهد الليل منه موصولاً بجهد النهار ، وقد أحصى وراق البخاري «محمد بن أبي حاتم» للبخاري خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في ليلة واحدة ، كل ذلك يقوم ، ثم يسرج ، فيخرج أحاديث ، فيعلم عليها<sup>(٤)</sup> .

ومع هذا نقل عنه أنه لم يضع فيه حديثاً إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين<sup>(٥)</sup> ، وقد أخرج صحيحه من ألوف مؤلفة من الأحاديث الصحيحة<sup>(٦)</sup> ، وحددها بعضهم بستمائة ألف حديث<sup>(٧)</sup> .

وهذا لا يعني أن البخاري استوعب الأحاديث الصحيحة في صحيحه ، وهو الذي قال : «ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح ، وتركت من الصحاح لحال الطول»<sup>(٨)</sup> ، نقل عنه «الترمذي» تصحيحه لأحاديث في السنن وغيرها ، وليست في صحيحه<sup>(٩)</sup> .

(١) شرح النووي لمسلم ١٤/١ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص(٩) ، تهذيب التهذيب ٥٤/٩ ، ٥٥ .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ١٤/٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٠٥/١٢ .

(٤) المصدران السابقان ١٣/٢ ، ٤٠٤/١٢ .

(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ٩/٢ .

(٦) النووي : شرح النووي لمسلم ١٤/١ .

(٧) ابن حجر : هدي الساري ص٧ .

(٨) الخطيب : تاريخ بغداد ٩/٢ .

(٩) ابن كثير : اختصار علوم الحديث ص(٢٥) .



ومن الأسباب الباعثة للبخاري على تأليف «صحيحه» كون المصنفات المدونة قبله تجمع بين الصحيح والحسن، والكثير منها يشمله التضعيف، فحرك همته لجمع الحديث الصحيح، وقوى شيخه «إسحاق بن راهويه» عزمه حين قال: «لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ» فوقعت هذه الكلمة موقعها في قلب البخاري، وجمع الصحيح<sup>(١)</sup>.

يضاف إلى ذلك باعث آخر - روي بالإسناد الثابت إلى البخاري - أنه قال: «رأيت النبي ﷺ (في المنام) وكأني واقف بين يديه، وبين يدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح»<sup>(٢)</sup>.

وقد سمى البخاري صحيحه: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسنته وأيامه»<sup>(٣)</sup>.

وبعد فراغ البخاري من تأليفه عرضه على أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني وغيرهم، فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث، قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن حجر: هدي الساري ص(٦، ٧).

(٢) المصدر نفسه ص(٧).

(٣) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح ص(١٣)، وذكر ابن حجر أن اسم صحيحه: «الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسنته وأيامه» هدي الساري ص(٨)، قال الدكتور نور الدين عتر: والأول أصح لإطباق المتقدمين عليه. (انظر: الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين، ط. الأولى، ١٤١٩هـ، ص٢٤).

(٤) تهذيب التهذيب ٥٤/٩، هدي الساري ص(٧).



لكن ذلك لم يعف البخاري من انتقاد العلماء ، وتتبعهم لطائفة من أحاديث الصحيح ، ومن هؤلاء : أبو مسعود الدمشقي ، وأبو علي الجبائي الغساني ، وأبو الحسن الدارقطني<sup>(١)</sup> وهو أشهرهم ، وقد ألف في ذلك كتاب : «الإلزامات والتتبع»<sup>(٢)</sup> .

ولا ريب أن الإمام البخاري مقدم على أهل عصره ومن جاء بعده ، كالدارقطني في معرفة الصحيح والمعلول ، وقد شهد له أهل عصره بذلك ، ومنهم الإمام مسلم - كما سبق إيضاح ذلك - هذا بشكل مجمل ، وعلى وجه التفصيل فقد تتبع العلماء أقوال الدارقطني وأجابوا عنها<sup>(٣)</sup> .

وحين نأتي إلى الحديث عن منهج البخاري في صحيحه - بشكل مجمل - نستطيع أن نميز أموراً عدة بعضها من تسمية البخاري لصحيحه ، وبعضها الآخر بالاستقراء والتتبع لأحاديثه وآثاره ، فتسميته «بالجامع» بيان منه أنه لم يختص بصنف دون آخر ، ولهذا أورد فيه الأحكام ، والفضائل ، والأخبار المحضة عن الأمور الماضية والآتية ، إلى غير ذلك من الآداب والرفاق ، وقوله : «الصحيح» يحدد نوعية الأحاديث فيه ، وأنه قصره على ما صح عنده ، دون الحسن

(١) انظر : مقدمة النووي لشرح مسلم ٢٧/١ ، ومقدمة مقبل بن هادي على كتاب الإلزامات والتتبع للدارقطني ص(٤).

(٢) وقد حقق الكتاب : مقبل بن هادي الوادعي ، ونشرته المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(٣) أمثال «النووي» الذي قال في كتابه «ما تمس إليه حاجة القاري لصحيح مسلم والبخاري» ص(٦٧) : إن ذلك الطعن فاسد ، مبني على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جداً ... إلخ كلامه ، وقال في شرحه لمسلم : وقد أجيب عن كل ذلك أو أكثره ٢٧/١ .

و«ابن حجر» حيث عقد فصلاً في «هدي الساري» ص(٤٣٦) عن الأحاديث التي انتقدها الدارقطني وأجاب عن معظمها .



والضعيف ، وأما قوله : «المسند» فليبين أن الأصل عنده إخراج الأحاديث المتصلة الإسناد ، وأما ما وقع - وهو يخالف ذلك - فليس على شرطه ، وليس أصلاً ، وإنما وقع تبعاً<sup>(١)</sup> .

وأما قوله «المختصر» فأشعار منه أنه اختصره مما اجتمع لديه ، كما سبق بيانه . وقوله : «من أمور رسول الله وسننه وأيامه» يفيد عدم قصره على الأحاديث القولية ، وإنما ضم إليه ما ثبت عنده من سيرة النبي ﷺ الفعلية ، وهو ما سنبينه بعد .

وأما ما عرف بالاستقراء فلنذكر له نموذجاً في تصرف البخاري في اختيار رواية صحيحه ، حيث عمد إلى انتقاء أكثرهم صحبة لشيخه ، وأعرفهم بحديثه ، وإن خرج من حديث من لا يكون بهذه الصفة فإنما يخرج في المتابعات ، وحيث يقوم له قرينة بأن ذلك مما ضبطه هذا الراوي<sup>(٢)</sup> .

وهناك أسرار وحكم - في منهج البخاري - وقصد بها ترتيب كتبه ، وتراجم أبوابه ولها قطع أحاديثه ، فذكر طرفاً من الحديث في موضع ، وطرفه في موضع آخر ، وأحياناً يكرر الحديث نفسه - ولفائدة معينة - في أكثر من موضع في صحيحه ، وأحياناً يستعمل حديثاً ، أو معنى حديث ليس على شرطه ترجمة لباب من أبوابه ، ثم يتبعه بآية من كتاب الله تشهد له ، أو حديثاً يؤيد عموم ما دلّ عليه ذلك الخبر ، وكذلك حوى صحيحه المعلقات والمتابعات والشواهد والآثار ... وكلها تخدم أغراضه ، ولا تخرج عن حدود منهجه ، وإليك

(١) ابن حجر : النكت (مختصر فتح الباري ، مخطوط بمكتبة الأزهر) مقدمة الكتاب (نقلًا عن الحسيني عبدالمجيد هاشم في كتابه: الإمام البخاري محدثاً ، وفتيهاً ص ٨٩).

(٢) المرجع السابق ص(٩١).





البيان :

ففي كتبه استهل البخاري صحيحه بـ «كيف بدأ الوحي» ولم يقل كتاب بدء الوحي من بعض ما يشتمل عليه الوحي - كذا قال البلقيني<sup>(١)</sup> ، وقال ابن حجر: ويظهر لي أنه إنما عراه من باب ؛ لأن كل باب يأتي بعده ينقسم منه فهو أم الأبواب فلا يكون قسيماً لها<sup>(٢)</sup> .

قال البلقيني: وقدّمه ؛ لأنه منبع الخيرات ، وبه قامت الشرائع ، وجاءت الرسائل ، ومنه عرف الإيمان والعلوم ، ثم أعقبه بـ «كتاب الإيمان» وهو أشرف العلوم ، ثم العلم وبعد العلم يكون العمل ، وأفضل الأعمال البدنية الصلاة ، ولا يتوصل بها إلا بالطهارة ، فذكرها بعد العلم ، ثم كتاب الصلاة ، ثم الزكاة ، واختلفت النسخ في ترتيب الصوم والحج أيهما قبل الآخر<sup>(٣)</sup> . إلى آخر ما رتبته من

(١) عمر بن رسلان أبو حفص ، محدث حافظ ، فقيه أصولي مفسر ، نحوي . (وهو شيخ ابن حجر ، وعنه نقل في مقدمته هدي الساري) . وله تصانيف كثيرة ، توفي سنة ٨٠٥ هـ بالقاهرة . (معجم المؤلفين ٢٨٤/٧) .

(٢) هدي الساري ص (٤٧٠) .

(٣) قال ابن حجر : ظهر لي أن يقال في تعقيب الزكاة بالحج أن الأعمال لما كانت بدنية محضة ، ومالية محضة ، وبدنية مالية معاً ، رتبها كذلك فذكر الصلاة ثم الزكاة ثم الحج... إلخ كلامه في هدي الساري ص (٤٧٠) .

وهناك أمر آخر وهو أن رواية الإمام البخاري لحديث «ابن عمر» بني الإسلام على خمس تذكر الحج قبل الصيام ، ونص الرواية : «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج وصوم رمضان» (٨/١ كتاب الإيمان ، باب بُني الإسلام على خمس) . قال ابن حجر : وعلى هذا بنى البخاري ترتيبه ، لكن ابن حجر يرى أن رواية البخاري - تلك مروية بالمعنى ، ويستدل على ذلك بعدة أمور :

=



كتب ، وكلها تتعلق بمعاملة العبد مع الخالق ، وبعدها رتب الكتب التي تتعلق بمعاملة العبد مع الخلق فذكر كتاب البيوع ، والسلم ، والشفعة ، والحوالة ، والكفالة ، والحرب ، والمزارعة ونحوها .

فلما انتهى ما يتعلق بالمعاملات مع الخالق ومع الخلق أردفها بمعاملة جامعة بين معاملة الخالق وفيها نوع اكتساب فترجم كتاب الجهاد وفرض الخمس والجزية ، وأحوال أهل الذمة والموادعة ونحوها ، ثم ذكر بعد هذه المعاملات الثلاث «بدء الخلق» و «الأنبياء» وبعضاً من فضائلهم ، ثم أعقبه «بالفصائل» و «المناقب» المتعلقة بهذه الأمة ، ثم شرع في سياق المغازي وبدأ بإسلام «ابن سلام»<sup>(١)</sup>

=

منها : ما وقع في مسلم من رواية سعد بن عبيدة عن ابن عمر بتقديم الصوم على الحج ، وفيها قال رجل: والحج وصيام رمضان ، فقال ابن عمر : لا ، صيام رمضان والحج ، هكذا سمعت من رسول الله ﷺ (صحيح مسلم ٤٥/١ كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام) .

قال ابن حجر : يحتمل أن حنظلة - وهو راوي حديث البخاري عن ابن عمر - لم يسمع رد ابن عمر على الرجل لتعدد المجلس أو حضر ذلك ثم نسيه ، منها : أنه وقع في مسلم برواية حنظلة - أيضاً - عن ابن عمر بتقديم الصوم على الحج (٤٥/١ كتاب الإيمان ، الباب السابق) . كما وقع عند «أبي عوانة» من وجه آخر عن حنظلة أنه جعل صوم رمضان قبل ، فتتويمه دال على أنه روي بالمعنى .

قال ابن حجر : ويؤيد ذلك ما وقع عند البخاري في التفسير (١٥٧/٥) بتقديم الصيام على الزكاة ، أفيقال : إن الصحابي سمعه على ثلاثة أوجه ؟ هذا مسبتعد والله أعلم (فتح الباري ٥٠/١) .

(١) إسلام ابن سلام ليس في أول المغازي - في النسخة التي بين يدي - وإنما في أواخر أبواب «مناقب الأنصار» التي تسبق المغازي فلعل ابن حجر أراد بالبداية كونه «قبيلة» .



تفاضلاً بالسلامة في المغازي ، وبعدها ذكر الوفود ، ثم حجة الوداع ، ثم مرض النبي ﷺ ووفاته ... ونحوها ، ولما تمت أحوال الناس في الحياة الدنيا ذكر أحوالهم بعد الموت ، فقال كتاب «الفرائض» وأردفه «بالحدود» و«الديات» وغيرها ، ولما كان أصل العصمة أولاً وآخرهاً هو توحيد الله ختم صحيحه بكتاب «التوحيد»<sup>(١)</sup>.

وفي تراجم البخاري لأبوابه يظهر براعة نادرة ، وتتجلى قدراته ويفيض فيها علمه ، ولهذا قيل : «فقه البخاري في تراجمه»<sup>(٢)</sup> ، وقد نهج فيها نهجاً لم يسبق إليه ، حيث كان من قبله يفرزون الأحكام عن أصولها ، أما هو فترجم بها للحديث ، وقد يعلق عليها أحياناً بالرأي ، ويدعم الحكم بمعلقات الصحابة والتابعين وأقوالهم الفقهية ، وقد يكتفي بها تعبيراً عن رأيه<sup>(٣)</sup>. وكان قصده بذلك ألا يخلي صحيحه من الفوائد الفقهية ، والنكت الحكيمة ، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها ، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة ، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الواسعة<sup>(٤)</sup>.

والتراجم في صحيح البخاري نوعان : ظاهرة ، وخفية ، ومعنى الظاهرة : أن تكون الترجمة دالة بالمطابقة لما يورد في مضمونها ، وفائدتها الإعلام بما ورد في ذلك الباب من غير اعتبار لمقدار تلك الفائدة ، ومثال ذلك - في مناقب الأنصار - باب ذكر هند بنت عتبة - رضي الله عنها - ، ثم ذكر حديث «هند» عن

(١) ابن حجر : هدي الساري - الفصل الخاص بذلك ص ٤٧٠ - ٤٧٣ بتصرف واختصار.

(٢) المصدر السابق ص ١٣.

(٣) الحسيني عبد المجيد هاشم : الإمام البخاري محدثاً وفقهياً - منشورات المكتبة العصرية ، ص ١٦٥.

(٤) ابن حجر : هدي الساري ص ٨.



عائشة - رضي الله عنها - قالت : جاءت هند بنت عتبة ، فقالت : يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إليّ أن يذلوا من أهل خبائك... إلخ الحديث<sup>(١)</sup> .

أما الخفية فقد ذكر «ابن حجر» أن لها عند البخاري أكثر من غرض<sup>(٢)</sup> ، وسأكتفي بالإشارة إلى نماذج من هذه التراجم :

فقد يأتي بالترجمة تفسيراً للمعنى المراد من كلمة في الحديث بها يتضح المعنى ، ومثاله : باب الاغتباط في العلم والحكمة . وأورد الحديث المسند عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها »<sup>(٣)</sup> . فهو بهذه الترجمة بين أن المراد بالحسد إنما هو الغبطة ، وهي تمنّي مثل ما للمغبوط من غير زواله بخلاف أصل الحسد ، الذي هو تمنّي زوال نعمة غيره ، فالترجمة هنا بيان بتأويل ذلك الحديث ، معينة لمعناه<sup>(٤)</sup> .

وقد يجمع «البخاري» في الترجمة الواحدة أكثر من نكته ، مما يفتح آفاقاً للعلماء للبحث عن المعنى المقصود ، وفي هذه الترجمة - التي نحن بصدددها - ما يشهد لذلك ، فهو بعد قوله : «باب الاغتباط في العلم والحكمة» أردفه بقول «عمر» - رضي الله عنه - : «تفقهوا قبل أن تسودوا» . قال أبو عبد الله - يقصد نفسه - «وبعد أن تسودوا» ، وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم ،

(١) ٢٣٢/٤ .

(٢) هدي الساري ص ١٣ ، ١٤ .

(٣) صحيح البخاري ٢٦/١ كتاب العلم .

(٤) الحسيني : الإمام البخاري محدثاً وفاقياً ص (١٧٩) .



قال ابن المنير: مطابقة قول عمر للترجمة أنه جعل السيادة من ثمرات العلم ، وأوصى الطالب باغتنام الزيادة قبل بلوغ درجة السيادة ، وقال ابن حجر: الذي يظهر لي أن مراد البخاري أن الرياسة وإن كانت مما يغبط بها صاحبها في العادة ، لكن الحديث دلّ على أن الغبطة لا تكون إلا بأحد أمرين: العلم ، أو الجود ، ولا يكون الجود محموداً إلا إذا كان بعلم ، فكأنه يقول: تعلموا العلم قبل حصول الرياسة، لتغبطوا إذا غبطتم بحق ، ويقول أيضاً: إن تعجلتم الرياسة التي من عادتها أن تمنع صاحبها من طلب العلم فاتركوا تلك العادة ، وتعلموا العلم لتحصل لكم الغبطة الحقيقية<sup>(١)</sup> .

وقد يترجم بحديث مرفوع لم يصح عنده أوليس على شرطه ، ومثاله في كتاب «الغسل» باب «إذا التقى الختانان»<sup>(٢)</sup> ثم ساق حديث أبي هريرة «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل»<sup>(٣)</sup> .

وأحياناً يكتبي بالترجمة بآية من كتاب الله مشعراً أنه لم يصح في الباب حديث على شرطه<sup>(٤)</sup> ، ومثاله في كتاب الوصايا: «باب قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ ...

(١) الفتح ١/١٦٦ .

(٢) هذا طرف من حديث عائشة «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل» . أخرجه الشافعي في الأم، والنسائي ، وصححه ابن حبان ، وابن القطان . أما البخاري فقد أعله بأن الأوزاعي أخطأ فيه . (انظر: نيل الأوطار للشوكاني - نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١/٢٣٢) .

(٣) البخاري ١/٧٦ .

(٤) ابن حجر: هدي الساري ص(١٤) .



الآية<sup>(١)</sup>.

وكثيراً ما يترجم بأمر مختص ببعض الوقائع لا يظهر في بادئ الرأي كقوله: «باب استياك الإمام بحضرة رعيته» فإنه لما كان الاستياك قد يظن أنه من أفعال المهنة فلعل بعض الناس يتوهم أن إخفاءه أولى مراعاة للمروءة، فلما وقع في الحديث أن النبي ﷺ استاك بحضرة الناس دلّ على أنه من باب التطيب لا من الباب الآخر. نبه على ذلك ابن دقيق العيد فيما نقله ابن حجر<sup>(٢)</sup>.

ويستوقفنا في منهج البخاري تقطيعه للحديث، واختصاره، وفائدة إعادته له في الأبواب وتكراره، وفي هذا يقول الحافظ محمد بن طاهر المقدسي<sup>(٣)</sup>: «اعلم أن البخاري، رحمه الله، كان يذكر الحديث في كتابه في مواضع، ويستدل به في كل باب بإسناد آخر، ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذي أخرج فيه، وقلما يورد حديثاً في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد، وإنما يورده من طريق آخر لمعان نذكرها والله أعلم بمراده،

(١) البخاري ١٩٤/٣.

(٢) هدي الساري ص(١٤).

(٣) هو: «ابن القيسراني» الحافظ، الرحالة، المؤرخ، مولده ببيت المقدس، ووفاته ببغداد سنة ٥٠٧هـ، له كتب كثيرة منها: تاريخ أهل الشام ومعرفة الأئمة منهم والأعلام، ومعجم البلدان، وتذكرة الموضوعات، والجمع بين كتابي الكلاباذي والأصبهاني في رجال الصحيحين، وصفوة التصوف وغيرها، قال الذهبي: ليس بالقوي فإنه له أوهاماً كثيرة في تواليفه. وله انحراف عن السنة إلى تصوف غير مرضي، وهو في نفسه صدوق لم يتهم، وقال ابن ناصر: كان لحنه، وكان يصحف (ميزان الاعتدال ٥٨٧/٣، والأعلام ٤١/٧).



ثم ذكر جملة من هذه المعاني»<sup>(١)</sup>. وسأذكر نموذجاً لهذا حين الحديث عن منهجه في السير.

ويقول ابن حجر : لم يتعمد البخاري أن يخرج في كتابه حديثاً معاداً بجميع إسناده ومتمته ، وإن كان قد وقع له من ذلك شيء فعن غير قصد ، وهو قليل جداً<sup>(٢)</sup> ، إلى أن يقول : حتى لو لم تظهر لإعادته فائدة من جهة الإسناد ولا من جهة المتن لكان ذلك لأجل مغايرة الحكم الذي تشتمل عليه الترجمة الثانية موجباً لئلا يعد مكرراً بلا فائدة<sup>(٣)</sup> .

كما يستوقفنا - في منهجه - إيراده للأحاديث المعلقة<sup>(٤)</sup> مرفوعة وموقوفة ، كذا المتابعات والشواهد . جاء في التقريب وشرحه في معرفة الاعتبار والمتابعات والشواهد : هذه أمور يتداولها أهل الحديث يتعرفون بها حال الحديث ، ينظرون هل تفرّد رواية أو لا ؟ وهل هو معروف أو لا ؟ فالاعتبار أن يأتي إلى حديث لبعض الرواة فيعتبره بروايات غيره من الرواة بسبر طرق الحديث ليعرف هل شاركه في ذلك الحديث راو غيره فرواه عن شيخه أو لا ؟ فإن لم يكن ، فينظر هل تابع أحد

(١) ابن حجر : هدي الساري ص(١٥) ، وقد عقد ابن حجر فصلاً خاصاً بهذا الشأن .

(٢) المصدر السابق ص(١٦).

(٣) المصدر نفسه ص(١٦).

(٤) الحديث المعلق : هو ما حذف أول سنده ، سواء أكان المحذوف واحداً أم أكثر على التوالي ، ولو إلى آخر السند (ابن حجر: شرح نخبة الفكر - نشر مؤسسة ومكتبة الخافقين / دمشق) ص ٤٠ .

والمرفوع : ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصة ، ومنه متصل الإسناد ، ومنقطعة .  
والموقوف : ما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم أو أفعالهم وهو كالرفوع منه متصل الإسناد ، ومنه منقطع الإسناد (مقدمة ابن الصلاح ص ٢٣).



شيخ شيخه فرواه عن روى عنه ؟ وهكذا إلى آخر الإسناد وذلك المتابعة . فإن لم يكن فينظر هل أتى بمعناه حديث آخر وهو الشاهد<sup>(١)</sup> .

فأما المعلقات المرفوعة فهي - في الصحيح - على قسمين :

أحدهما : ما يوجد في موضع آخر من صحيحه موصولاً ، وهذه تدخل ضمن إعادة البخاري وتكراره الحديث لفائدة - وقد سبق بيانها - .

وثانيهما : ما لا يوجد فيه إلا معلقاً ، وهذه على صورتين فإما أن يورده بصيغة الجزم نحو (قال ، وذكر ، وروى ) وإما أن يورده بصيغة التمرير نحو (يُروى ، ويُذكر) فالأولى يستفاد منها الصحة إلى من علق عنه ، لكن يبقى النظر فيمن أبرز من رجاله : فمنهم من يلتحق بشرطه ، ومنهم من لا يلتحق ، ولكل حالة غرض وحكمة<sup>(٢)</sup> ، وأما صيغة التمرير فلا يستفاد منها الصحة إلى من علق عنه ، لكن فيه ما هو صحيح ، وفيه ما ليس بصحيح ، ولكل أيضاً سبب وحكمة<sup>(٣)</sup> .

فمثال ما جزم به البخاري من المتعلقات قوله في هجرة الحبشة : وقالت عائشة : قال النبي ﷺ «أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين»<sup>(٤)</sup> .

ومثال ما أورد بصيغة التمرير ونصّ على ضعفه قوله في الصلاة : ويذكر

(١) انظر لتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١٥٣ ، ١٥٤ ، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث - القاسمي ص ١٢٩ .

(٢) انظر : تفصيل ذلك عند ابن حجر في هدي الساري ص (٢٣) .

(٣) انظر : تفصيل ذلك في المصدر السابق ص (١٨) .

(٤) في كتاب مناقب الأنصار ٢٤٤/٤ .





عن أبي هريرة رفعه لا يتطوع الإمام في مكانه ولم يصح<sup>(١)</sup>. ومنها ما لم ينص على ضعفه مثل «ويذكر عن عامر بن ربيعة قال: «رأيت النبي ﷺ يستاك وهو صائم ما لا أحصي أو أعد»<sup>(٢)</sup>.

**أما الموقوفات:** فإنه يجزم منها بما صح عنده ولو لم يكن على شرطه، ولا يجزم بما كان في إسناده ضعف أو انقطاع إلا حيث يكون منجبراً إما بمجيئه من وجه آخر، وإما بشهرته عن من قاله، وإنما يورد ما يورد من الموقوفات من فتاوى الصحابة والتابعين، ومن تفاسيرهم لكثير من الآيات على طريق الاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب في المسائل التي فيها الخلاف بين الأئمة<sup>(٣)</sup> ومثاله في الوضوء: باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبيل والدبر، وقال جابر بن عبد الله عنهما: إذا ضحك في الصلاة أعاد الصلاة لا الوضوء، وقال ابن عمر والحسن فيمن يحتجم: ليس عليه إلا غسل محاجمه<sup>(٤)</sup>.

والمتابعات في صحيح البخاري كثيرة، ومنها ما وصله البخاري في موضع آخر، ومنها ما وصله غيره، وفي حديث أنس - رضي الله عنه - قال: «سئل النبي ﷺ عن الكبائر قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور» تابعه غندر، وأبو عامر، وبهز، وعبد الصمد عن شعبة<sup>(٥)</sup>، فأما متابعة أبي عامر فوصلها أبو سعيد النقاش في كتاب الشهود، وابن منده في

(١) ٢٠٦/١، كتاب الأذان، باب مكث الإمام في مصلاه بعد السلام.

(٢) صحيح البخاري ٢٢٤/٢: كتاب الصوم، باب السواك الرطب واليابس للصائم.

(٣) ابن حجر: هدي الساري ص(١٩).

(٤) صحيح البخاري ٥١/١، ٥٢.

(٥) المصدر السابق ١٥١/٣، ١٥٢.



كتاب الإيمان<sup>(١)</sup>. وأما متابعة عبد الصمد وهو ابن عبد الوارث ، فوصلها المؤلف في الديات<sup>(٢)</sup> .

ويستوقفنا في الحديث عن منهج البخاري في الصحيح المصادر التي استقى وألف منها صحيحه ، وهل كانت مصادر شفوية تلقفها من أفواه الرواة ؟ أو أنه اعتمد على مصادر مدونة فأفاد منها ؟

والرأي الأول هو الاعتقاد السائد ، ولعل مما يسانده رحلات البخاري في الآفاق - كما مر - ولقياهم بجمع من العلماء ، وصفهم هو بقوله : « كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة ، وليس عندي حديث لا أذكر إسناده »<sup>(٣)</sup> . وكذا ما اشتهر به من نبوغ في العلم ، وقوة في الحافظة ، حتى أثر عنه قوله : « رب حديث سمعته بالبصرة كتبه بالشام ، ورب حديث سمعته بالشام كتبه بمصر »<sup>(٤)</sup> . هذا فضلاً عما هو معروف عن طبقة مشايخه الذين روى عنهم الصحيح<sup>(٥)</sup> . وجود البخاري صحيحه بالإسناد القوي حيث جعل من شرطه معاصرة الراوي لمن روى عنه ، وثبوت سماعه منه ، في حين اكتفى «مسلم» بالمعاصرة<sup>(٦)</sup> .

يضاف إلى ذلك كله أنه مكث في تأليفه ست عشرة سنة ، وخرجه من

(١) ابن حجر : فتح الباري ٢٦٢/٥ .

(٢) انظر : صحيح البخاري ٣٦/٨ : كتاب الديات ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ .

(٣) النووي : ما تمس إليه حاجة القاري (نشر دار الفكر ، تحقيق : علي حسن علي عبدالحميد) ص ٣٦ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ١١/٢ .

(٥) النووي : انظر ما تمس إليه حاجة القاري ص (٥٣) .

(٦) ابن كثير : اختصار علوم الحديث ص (٢٥) .



ستمائة ألف حديث<sup>(١)</sup> .

أما الرأي الآخر فيتجه إلى الرأي الآخر فيتجه إلى كون البخاري استهدف تأليف جامع صحيح مختصر مستخرج من مصنفات الجيلين السابقين من المحدثين، تلك التي تعذر على المهتمين الإحاطة بها والاستفادة منها، ويضيف (سزكين) - وهو صاحب هذا الرأي - : «ويبدو أن البخاري لم يفد من كتب الحديث فحسب ، بل إنه استخدم كثيراً من الكتب اللغوية والتاريخية والفقهية»<sup>(٢)</sup>.

ثم يشير إلى موطأ مالك - في الحديث - وكتابي أبي عبيدة والفراء - في اللغة - كمصادر للبخاري في الصحيح ، وبعضها قبس منه قسماً كبيراً<sup>(٣)</sup>.

وهذا الرأي يبدو غير ذي قيمة علمية للأسباب الآتية :

١ - منها : أن البخاري سمى كتابه «الصحيح المسند ... إلخ» ، وساق معظم رواياته بلفظ «حدثنا» ، فما فائدة الإسناد ، وقوله : حدثنا إذا كان ينقل عن مصادر مكتوبة؟!

٢ - بل إن لفظه «حدثنا» لها دلالتها المتميزة عند أهل الحديث ، فهي عندهم أرفع الأقسام لطرق نقل الحديث وتحمله ، ويقصد بها السماع من لفظ الشيخ ، ثم يتلو «حدثنا» «أخبرنا» ثم «أنبأنا» وهكذا<sup>(٤)</sup>. وقد يطلق بعضهم «حدثنا»

(١) النووي : ما تمس إليه حجة القاري ص(٤١).

(٢) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي (المجلد الأول ، الجزء الأول في علوم القرآن والحديث) ص٢٢١.

(٣) المرجع السابق ص٢٢١ - ٢٢٥ في الحاشية .

(٤) انظر : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص(٦٢) .



على «العرض» وهو أن يقرأ التلميذ على الشيخ وهو يسمع ويقر، كما هو ظاهر من مذهب البخاري وغيره<sup>(١)</sup>.

٣- ولا يليق بالبخاري في ورعه وأمانته أن يقول: «حدثنا»، أو «أخبرنا» ونحوها، ثم هو ينقل عن مصادر مكتوبة دون أن يشير إلى ذلك، وهو الذي اشتهر عنه شرط اللقى مع المعاصرة في الإسناد كما قدمنا !!

٤- وحتى وإن اتفق مع المصادر الحديثية قبله في الحديث الواحد أو في المجموعة من الأحاديث سنداً وامتاً فلا يعني ذلك أنه نقل عنها، بقدر ما يعني اتفاق هؤلاء المحدثين في الرواية أو النقل عن مصدر واحد، وهذا كثير في كتب الحديث وغيرها.

٥- فإن قيل باحتمال أن يكون البخاري نقل عن هذه المصادر بطريق «الوجادة»<sup>(٢)</sup> أو «الإجازة»<sup>(٣)</sup> أجب عن ذلك بقول القاضي عياض: «لا أعلم من يقتدى به أجاز النقل فيه ب (حدثنا، وأخبرنا)، ولا من يعده معداً المسند، والذي استمر عليه عمل الأشياخ قديماً وحديثاً في هذا قولهم: وجدت بخط فلان، وقرأت في كتاب فلان بخطه، إلا من يدللس...»<sup>(٤)</sup> وحيث لا يوجد عند

---

(١) انظر: صحيح البخاري ٢٢/١: كتاب العلم، باب القراءة والعرض على المحدث.  
(٢) الوجادة: هي أن يقف على أحاديث بخط راويها لا يرويها الواجد، فله أن يقول: وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كتابه بخطه: حدثنا فلان ويسوق الإسناد والمتن... وهو من باب المنقطع وفيه شوب اتصال... لانظر التقريب وشرحه: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ص ٢٨٢.  
(٣) الإجازة: إذن في الرواية لفظاً أو كتباً يفيد الإخبار الإجمالي عزمًا لانظر السخاوي: فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي ٥٧/٢.

(٤) انظر: كتابه، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع (تحقيق أحمد صقر،



البخاري شيء من هذا ، وأحاديثه المسندة بلفظ حدثنا ، وأخبرنا يتبين سقوط هذا الاحتمال .

٦ - وأخيراً فلعل هذا الرأي ينفرد به «سزكين» فلم أعتز على سابقة له عند الأقدمين ، ولم أقف على متابع لسزكين من المتأخرين ، هذا فضلاً على أن ما اعتمده لتعزيز رأيه لا تقوم به الحجة ، في نظري <sup>(١)</sup> .

وعلى كل حال فالذي يهمننا - في مصادر البخاري خاصة - مصادره في أحداث السيرة ، والمتأمل في أحداث السيرة عند البخاري يرى أنه اعتمد على جمع من الرواة ، أكثر عن بعضهم واعتمده ، وروى عن بعضهم الآخر مستشهداً به ، وبصيغة التعليق أو المتابعة ، وممن أكثر الرواية عنهم عروة بن الزبير <sup>(٢)</sup> ، وابن شهاب الزهري <sup>(٣)</sup> ، ونستطيع أن نجزم بأن هذين الروايين من أكثر من نقل عنهم البخاري في السيرة .

كما نقل البخاري مرويات أبي إسحاق السبيعي <sup>(٤)</sup> سواء في روايته عن البراء

---

نشر دار التراث بالقاهرة، المكتبة العتيقة بتونس) ص ١١٦ ، ١١٧ .

(١) انظر : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص(٦٢).

(٢) انظر على سبيل المثال (صحيح البخاري مع الفتح) ٢٢٤/٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٩٩ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٣٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٩ .

(٣) انظر على سبيل المثال : (صحيح البخاري مع الفتح) ٢١٩/٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٤ .

(٤) هو : عمرو بن عبد الله الهمداني ، ومن أئمة التابعين بالكوفة ، إلا أنه شاخ ونسي ولم يختلط ، وثقه أحمد وابن معين ، وقال أبو حاتم : ثقة يشبه الزهري في الكثرة ، وعن أبي داود الطيالسي قال رجل لشعبة : سمع أبو إسحاق من مجاهد ؟ قال : ما كان يصنع



ابن عازب وهي كثيرة<sup>(١)</sup> ، أو في روايته عن زيد بن أرقم<sup>(٢)</sup> ، وسليمان بن صرد<sup>(٣)</sup> وعمرو بن ميمون<sup>(٤)</sup> وهي قليلة .

وممن روى عنهم البخاري في السير عاصم بن عمر بن قتادة<sup>(٥)</sup> ، وموسى بن عقبة ، وقد روى عنه مسنداً<sup>(٦)</sup> ، ومعلقاً<sup>(٧)</sup> ، وخليفة بن خياط<sup>(٨)</sup> ، وسليمان التيمي<sup>(٩)</sup> .

أما ابن إسحاق فيعد من مصادر البخاري في السيرة ، قال ابن حجر: وقد

=

هو بمجاهد ، كان هو أحسن حديثاً من مجاهد ومن الحسن وابن سيرين ، وقال جرير عن مغيرة: ما أفسد حديث أهل الكوفة غير أبي إسحاق والأعمش ، وقال الذهبي: لا يسمع قول الأقران بعضهم في بعض ، وحديث أبي إسحاق محتج به في دواوين الإسلام ، ويقع لنا من عواليه ، توفي سنة ١٢٧ هـ ، وله ٩٥ سنة . (الجرح والتعديل ٢٤٢/٦ ، سير أعلام النبلاء ٣٩٩/٥ ، الميزان ٢٧٠/٣ ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٣٣٤/٢ ، تهذيب التهذيب ٦٣/٨) .

(١) انظر على سبيل المثال (صحيح البخاري مع الفتح) ٢٤٠/٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٩٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٩ ، ٣٦٤ ، ٣٩٨ ، ٤٤١ ، ٤٩٩ .

(٢) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٢٧٩/٧ .

(٣) المصدر السابق ٤٠٥/٧ .

(٤) المصدر نفسه ٢٨٢/٧ .

(٥) المصدر نفسه ٣٧٨/٧ .

(٦) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٣٢١/٧ ، ٣٢٩ .

(٧) المصدر السابق ٣٩٢/٧ ، ٤٢٨ .

(٨) المصدر نفسه ٤١٠/٧ .

(٩) المصدر نفسه ٢٩٣/٧ ، ٣٢١ .



استشهد به البخاري وأكثر عنه فيما يحكي في أيام النبي ﷺ وفي أحواله ، وفي التواريخ<sup>(١)</sup> . لكن يظهر أن البخاري اقتصر على الاستشهاد به في المتابعات<sup>(٢)</sup> ، والمعلقات<sup>(٣)</sup> .

ومجمل القول : إن أحداث السيرة في صحيح البخاري ليست قليلة ، - سواء أكانت عن طريق هؤلاء الرواة أم سواهم - ولعل البخاري قصد إلى ذلك حين أدخل في تسمية كتابه الإشارة إلى أيام النبي ﷺ كما مر في تسميته ، لكن هذه الكثرة لا ينتظمها كتاب جامع ، عدا كتاب المغازي الذي جمع فيه مغازي النبي ﷺ وبعوثه ، وسراياه ، وإن كان حديثه عن المغازي ليس قصراً على هذا الكتاب ، فربما وجدت حديثاً عن إحدى الغزوات في كتاب النكاح مثلاً أو في كتاب الصلاة ، أو في التفسير ، أو غيرها .

وهناك كتاب آخر أودع فيه البخاري معظم أحداث الفترة المكية ، وهو كتاب «مناقب الأنصار» . أما الكتاب الذي قد يشعر اسمه بتركيز أحداث السيرة - أكثر من غيره - وهو كتاب «الجهاد والسير» فهو أقل ذكراً لوقائع السيرة من سابقه .

وعلى العموم ، فلا يكاد كتاب في صحيح البخاري يخلو من ذكر حادثة من أحداث السيرة ، لكن هذه الكتب تختلف في حجم من يذكر منها ، فمنها ما هو أكثر نسبياً ، ككتاب بدء الوحي ، وفضائل أصحاب النبي ﷺ ، والمناقب ، والتفسير ، ومنها ما هو أقل من ذلك كبقية الكتب .

(١) تهذيب التهذيب ٤٦/٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال : صحيح البخاري ٢٤٠/٤ .

(٣) انظر (البخاري مع الفتح) ٢٧٩/٧ ، ٣٢٩ ، ٣٧٨ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٨ .



ويلحظ في منهج البخاري أنه ربما بَوَّبَ لحادثة من حوادث السيرة دون أن يذكر ما يدل على الحادثة<sup>(١)</sup> ، ليشعر أن أصل الحادثة ثابت عنده ، لكن ليس فيها حديث على شرطه ، وأحياناً يذكر طرفاً من حديث مشعراً أن هذا هو الذي ثبت عنده في الحادثة<sup>(٢)</sup> .

على أن أمر بحدث حادثة من أحداث السيرة في صحيح البخاري ، ومحاولة جمع أطرافها ، واستيفاء الحديث عنها ليس سهلاً ، ومرد ذلك أصلاً إلى منهج البخاري ، وطريقة ترتيبه ، وتبويبه - كما سبق - وهذه مسألة عرفها الأقدمون للبخاري ، وميزوا «مسلماً» عليه بها<sup>(٣)</sup> .

كما لحظ «ابن حجر» على البخاري في «فضائل الصحابة» أنه لم يهذب ترتيب من ذكره من أصحاب المناقب<sup>(٤)</sup> ، وقال عنه في موضع آخر : إن من عادة البخاري إثارة الخفي على الواضح ، ثم علل ذلك له بشحن الأذهان ، والبعث على مزيد الاستحضار<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر : حديثه عن تزويج عائشة في «مناقب الأنصار» ، فلم يذكر في الباب قصة زواجها ولا ما يشير صراحة إلى ذلك ، حتى قال ابن حجر : إن أحاديث الباب لا تصريح فيها بما في الترجمة ، لكن يؤخذ ذلك بطريق اللزوم . (الفتح ١٣٥/٧).

(٢) انظر : باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ في «المناقب» حيث اكتفى بإيراد ما يدل على أصل الحادثة (وهو ما ثبت عنده) دون تفصيلاتها (البخاري مع الفتح ١٩٢/٧). وكذا في باب إسلام سلمان الفارسي - رضي الله عنه - ، فلم يذكر فيه قصة إسلامه - كما في السير - واكتفى بالإشارة إلى ما ثبت عنده . (انظر : الفتح ٢٧٧/٧).

(٣) انظر : شرح النووي على مسلم ١٤/١ ، ١٥ .

(٤) الفتح ٩١/٧ .

(٥) المصدر السابق ٥٧٢/٨ .





ونظراً للالتزام بهذا المنهج فهو يختلف كثيراً عن أصحاب السير في عرض الحادثة بشكل متكامل في موطن واحد ، حيث يلزم في منهج البخاري البحث عن الحادثة في كل موطن ذكرها حتى يمكن رسم هيكلها العام<sup>(١)</sup> ، وربما ذكر في الحديث الواحد أكثر من حادثة ، فينتج عنه تشابك الأحداث ويحتاج إلى دقة في تمييز بعضها عن بعض<sup>(٢)</sup> .

لكننا مع هذا يهمننا أن نذكر للبخاري دقته في وضع أبوابه<sup>(٣)</sup> ، وإذا كنا

(١) انظر على سبيل المثال : حديثه عن بيعة العقبة الأولى ، فقد فرق الحديث عنها في نحو سبعة كتب (الإيمان، مناقب الأنصار، التفسير، الحدود، الديات، الأحكام، التوحيد).

(٢) انظر : على سبيل المثال حديثه عن هجرة الحبشة ضمن حديثه عن الهجرة إلى المدينة في حديث عائشة الطويل (في مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة). وانظر كذلك : دمجها في الحديث بين غزوة «الرجيع» و«بئر معونة» ، حتى قال الحافظ ابن حجر: يوهم سياق البخاري في هذه الترجمة بأنهما شيء واحد وليس كذلك (الفتح ٣٨٠/٧).

(٣) في مسألة تراجم البخاري - في أبوابه - خلاف : هل أخذها عن مشايخه ، وعن أبواب الكتب الجامعة السابقة ، أو كانت من تصرفه هو ؟ فقال بالأول «الكرماني» ، كما في الفتح (١١٦/٩) الإشارة إلى ذلك ، وبه قال فؤاد سزكين ، حيث قال : «فلا بد في رأينا من قبول ذلك إذا أردنا أن نفسر صعوبات أخرى مهمة في الكتاب على الرغم من كونها ثانوية» (تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ، الجزء الأول ص ٢٢٤ / الحاشية . وقال بالرأي الثاني ابن حجر ، ونص كلامه : «فلم أجد من قال : إن البخاري يتقيد في تراجم كتابه بما ترجم به مشايخه ، بل الذي صرح به الجمهور أن غالب تراجمه من تصرفه» (الفتح ١١٦/٩).

وقد تتبع العلماء ما في هذه التراجم من الفقه والدقة ، فذكروا أكثر من مغزى ومعنى. وقد سبق بيان ذلك ، ويهمننا أن نذكر هنا - من بينها - ما ذكره (الشيخ أبو الطيب



قد أشرنا إلى ذلك بشكل عام في الصحيح ، فلنذكر نموذجاً لهذه الدقة في السيرة النبوية :

فبعد «هجرة الحبشة» مباشرة وضع البخاري باباً في «موت النجاشي» وهو إنما مات بعد الهجرة، وأورد في هذا الباب ما يدل على إسلامه، وقد استشكل كونه لم يترجم بإسلامه وهذا موضعه، وترجم بموته ، والجواب - كما ذكره ابن حجر - أنه لما لم تثبت عنده القصة الواردة في صفة إسلامه ، وثبت عنده الحديث الدال على إسلامه ، وهو صريح في موته ، ترجم به ليستفاد من الصلاة عليه أنه كان قد أسلم<sup>(١)</sup> .

وربما كانت هذه الدقة المتناهية سبباً لإنكار أقوام رواية البخاري أحاديث هي موجودة في صحيحه ، لكنها في غير مظانها السابقة إلى الفهم<sup>(٢)</sup> .

ونشير في منهج البخاري لأحداث السيرة إلى إفادته من نقد المتون في تأريخ الحوادث، فقد يقدم زمن حادثة أو يؤخرها - خلاف المشهور من توقيتها ، - بناء على ما يراه في متنها من مرجحات للتقديم أو للتأخير . قال ابن حجر: «ثم

---

السيد صادق حسن خان القنوجي) فيما يخص السيرة حيث قال : ومنها أنه يذهب في كثير من التراجم إلى طريقة أهل السير في استبطايم خصوصيات الوقائع والأحوال من إشارات طرق الحديث ، وربما يتعجب العقبة من ذلك لعدم ممارسة هذا الفن، لكن أهل السير لهم اعتناء شديد بمعرفة تلك الخصوصيات . (الخطة في ذكر الصحح الستة ، نشر مكتبة إسلامي أكاديمي بالهند ص ١٩٨).

(١) الفتح ١٩١/٧ .

(٢) انظر : شرح النووي على مسلم ١٥/١ .



ساق المغازي على ترتيب ما صح عنده»<sup>(١)</sup>. وهذه نماذج تؤكد هذا المنهج:

ففي غزوة (الخندق) مال البخاري إلى قول «موسى بن عقبة» في كونها سنة أربع، وقوَاه بأول حديث ذكره في الغزوة ، وهو حديث «ابن عمر» حين عُرض على النبي ﷺ في غزوة «أحد» ، وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعُرض يوم «الخندق» وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه<sup>(٢)</sup>. قال ابن حجر: فعلى هذا يكون بينهما سنة واحدة، و«أحد» في الثالثة فتكون الخندق سنة أربع<sup>(٣)</sup>. وهذا خلاف المشهور عند أهل السير من كونها وقعت في السنة الخامسة .

وفي غزوة «ذات الرقاع» أشار البخاري إلى تأخر زمنها إلى ما بعد خيبر مستدلاً على ذلك بشهود أبي موسى الأشعري لها ، وأبو موسى إنما جاء من الحبشة بعد خيبر<sup>(٤)</sup>. بينما المشهور في تأريخها عند أرباب السير - كابن إسحاق - أنها كانت بعد «خيبر»<sup>(٥)</sup>.

وفي غزوة «بني المصطلق» (المريسيع) نقل البخاري قول «ابن إسحاق» في كونها ست على المشهور ، ونقل إلى جانبه قول «موسى بن عقبة» بأنها كانت

(١) هدي الساري ص(٤٧٢).

(٢) صحيح البخاري ٤٤/٥ ، ٤٥ ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب .

(٣) فتح الباري ٣٩٣/٧ .

(٤) صحيح البخاري ٥١/٥ : كتب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع ، وانظر : المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور أكرم العمري .

(٥) ومع هذا فالبخاري قدمها في التبويب على خيبر . وتوقف عند صنيعه هذا الحافظ ابن حجر ، فقال : ولا أدري هل تعمد ذلك تسليماً لأصحاب المغازي أنها كانت قبل خيبر ، أو أن ذلك من الرواة عنه ، أو لاحتمال تعددها (الفتح ٤١٧/٧).



سنة أربع<sup>(١)</sup>، ونقل قول الزهري بأن حديث الإفك كان في الغزوة نفسها، ثم نقل - في عرض الحادثة - موقف سعد بن معاذ في حديث الإفك<sup>(٢)</sup>، وهذا يشعر بتقديمها على الخندق<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) قال ابن حجر: وكأنه سبق قلم، أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع، والذي في مغازي «ابن عقبة» من عدة طرق أنها سنة خمس (الفتح ٤٣٠/٧).
- (٢) صحيح البخاري ٥٤/٥: كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق.
- (٣) لأن سعد بن معاذ رمي بسهم في الخندق، ومات من جراحته في بني قريظة، وقد سبق الحديث عن زمن الخندق. (وانظر: الفتح ٤٣٠/٧).



### ٣- الإمام مسلم ومنهجه في تدوين أحداث السيرة :

#### نسبه وحياته العلمية :

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النسب، النيسابوري الدار والموطن<sup>(١)</sup>.

قال ابن الصلاح : عربي صليبية<sup>(٢)</sup> ، وقال الذهبي : فلعله من موالي قشير<sup>(٣)</sup>. وفي مولده خلاف بين العلماء حتى قال ابن خلكان : «ولم أر أحداً من الحفاظ يضبط مولده ولا تقدير عمره، وأجمعوا أنه ولد بعد المائتين»<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن الصلاح : إن تاريخ مولده ، ومقدار عمره كثيراً ما تطلب الطلاب علمه ، فلا يجدونه ، وقد وجدناه ولله الحمد ، فذكر الحاكم أبو عبد الله بن البيع الحافظ في كتاب «المزكين لرواة الأخبار» أنه سمع أبا عبد الله بن الأخرم الحافظ يقول : توفي مسلم عشية يوم الأحد ، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين ، وهو ابن خمس وخمسين سنة وهذا يتضمن أن مولده كان في سنة ست ومائتين ، والله أعلم<sup>(٥)</sup>.

وهذا الرأي نقله ابن خلكان فقال : وعمره خمس وخمسون سنة ، هكذا

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ومقدمة النووي لشرح مسلم ١٠/١ .

(٢) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط ، لأبي عمرو بن

الصلاح ، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، نشر دار الغرب الإسلامي ص (٥٦) ،

ومعنى صليبية : خالص النسب.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/٥٥٨ .

(٤) وفيات الأعيان ٥/١٩٥ .

(٥) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط ص (٦٤) .



وجدته في بعض الكتب <sup>(١)</sup> ، وإليه ذهب النووي <sup>(٢)</sup> ، وابن الأثير الجزري <sup>(٣)</sup> ، ونقله رضا كحالة <sup>(٤)</sup> .

ونقل ابن كثير <sup>(٥)</sup> ، والذهبي <sup>(٦)</sup> ، وابن حجر <sup>(٧)</sup> أن ولادة مسلم كانت سنة أربع ومائتين ، ونقلها الزركلي ، ولم يذكر سواها <sup>(٨)</sup> .

أما ابن العماد الحنبلي فقد ذكر ما يقضي أنه ولد سنة مائتين وواحد ، حيث ذكر أن عمره حين وفاته ستون سنة <sup>(٩)</sup> .

نشأ الإمام «مسلم» وله ولوع بالعلم منذ الصغر ، فكان أول سماعه سنة ثمانى عشرة ومائتين من يحيى بن يحيى التميمي ، حج في سنة عشرين وهو أمرد ، فسمع من «القعنبي» بمكة ، فهو أكبر شيوخه <sup>(١٠)</sup> .

ورحل «مسلم» كغيره من العلماء في سبيل تحصيل العلم وجمعه إلى العراق ، والحجاز ، والشام ، ومصر . وسمع بخراسان ، والري ، فتوفر له عدد من

(١) وفيات الأعيان ١٩٥/٥ .

(٢) في شرحه لمسلم ١١/١ .

(٣) في مقدمته لجامع الأصول ١٨٧/١ .

(٤) معجم المؤلفين ٢٣٢/١٢ لكنه ذكر في الحاشية الرواية الأخرى ص ٢٠٤ .

(٥) البداية والنهاية ٤٠/١١ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٥٥٨/١٢ ، تذكرة الحفاظ ٥٨٨/٢ .

(٧) تهذيب التهذيب ١٢٧/١٠ .

(٨) الأعلام ١١٧/٨ .

(٩) شذرات الذهب ١٤٥/٢ - وذكر سزكين أن ولادته سنة (٢٠٢هـ) وقيل : سنة ٢٠٦هـ

(تاريخ التراث ص ٢٦٣) .

(١٠) سير أعلام النبلاء ٥٥٨/١٢ .



المشايخ الذين سمع منهم وروى عنهم ، أمثال : يحيى بن يحيى النيسابوري «بخراسان» ، ومحمد بن مهران (بالري) ، وأحمد بن حنبل (بالعراق) ، وسعيد بن منصور (بالحجاز) ، وعمرو بن سواد (بمصر) ، وغير هؤلاء خلق كثير<sup>(١)</sup> .

وقد أحصى الذهبي لمسلم مائتين وعشرين شيخاً ، وكلهم أخرج عنهم في الصحيح<sup>(٢)</sup> ، وهناك شيوخ غير هؤلاء لكنه لم يخرج عنهم في صحيحه - كعلي ابن الجعد ، وعلي بن المديني ، ومحمد بن يحيى الذهلي<sup>(٣)</sup> .

أما الذين روى عنه فجماعات من كبار أئمة عصره وحفاظه ، وفيهم من في درجته كأبي حاتم الرازي ، وموسى بن هارون ، وأحمد بن سلمة ، وأبي عيسى الترمذي ، وأبي بكر بن خزيمة ، ويحيى بن صاعد ، وأبي عوانة الإسفرائيني ، وآخرين<sup>(٤)</sup> .

كان لمسلم مكانته بين مشايخ عصره ، فقد كان أبو زرعة وأبو حاتم يقدمانه في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما<sup>(٥)</sup> .

وعن صلة مسلم بالبخاري قال الخطيب : «إنما قفى مسلم طريق البخاري

(١) تاريخ بغداد ١٠٠/١٣ ، وشرح النووي على مسلم ١٠٠/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٥٨/١٢ - ٥٦١ .

(٣) المصدر السابق ٥٦١/١٢ . وإذا كان مسلم لم يخرج للذهلي في صحيحه ، فقد أخرج له البخاري وروى عنه في نحو ثلاثين موضعاً من صحيحه في الصوم ، والطب ، والجنائز ، والعتق ، وغير ذلك ، ولم يصرح باسمه - كما يقول ابن خلكان - بل كان يقول : حدثنا محمد ولا يزيد ، وأحياناً يقول : محمد بن عبد الله ، فينسبه إلى جده وإلى جد أبيه. (وفيات الأعيان ١٩٥/٥).

(٤) شرح النووي على مسلم ١٠٠/١ .

(٥) تاريخ بغداد ١٠١/١٣ .



ونظر في علمه ، وحذا حذوه ، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه وأدام الاختلاف إليه»<sup>(١)</sup> ، ثم نقل قول الدارقطني : «لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء»<sup>(٢)</sup> .

وكان مسلم يناضل عن البخاري حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه<sup>(٣)</sup> ، لكن - ومع هذا - فقد أخذ العلماء على مسلم - رحمه الله - انحرافه عن البخاري حيث لم يسمه في صحيحه ، ولم يذكر له حديثاً ، بل زاد على ذلك ، فافتتح كتابه بالحط على من اشترط اللقي لمن روى عنه بصيغة «عن» وأدعى الإجماع في أن المعاصرة كافية ، ولا يتوقف في ذلك على العلم بالتقائهما ، وويخ من اشترط ذلك<sup>(٤)</sup> ، قال الذهبي معلقاً : وإنما يقول ذلك أبو عبد الله البخاري وشيخه علي بن المديني ، وهو الأصوب الأقوى ، وعلل الذهبي ذلك بحدة مسلم في خلقه<sup>(٥)</sup> وقبل الذهبي انتقد «ابن الصلاح» «مسلماً» فيما ذهب إليه وادعاه قائلاً : «والذي صار إليه مسلم هو المستكر ، وما أنكره قد قيل : إنه القول الذي عليه أئمة هذا العلم ، علي بن المديني ، والبخاري وغيرهما»<sup>(٦)</sup> .

(١) المصدر السابق ١٣/١٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ١٣/١٠٢ .

(٣) المصدر نفسه ١٣/١٠٢ .

(٤) انظر : كلام مسلم في مقدمة صحيحه ٢٩/١ ، ٣٠ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٢/٥٧٣ ، وقال ابن كثير : والظاهر أنه يريد علي بن المديني ، فإنه يشترط ذلك في أصل صحة الحديث ، وأما البخاري فإنه لا يشترطه في أصل الصحة ، ولكن التزم ذلك في كتابه الصحيح . (اختصار علوم الحديث ص ٥٢) .

(٦) انظر : كتابه : صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط ص ١٢٨ ، وانظر كذلك هدي الساري ص ١٢ .





عاش «مسلم» حياته شغوفاً بالعلم خادماً له ، حتى وافاه الأجل عشية يوم الأحد ، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين<sup>(١)</sup> .

وقد ذكر الخطيب بسنده في سبب وفاته الرواية التالية ، فقال : عقد لمسلم مجلس للمذاكرة ، فذكر له حديث لم يعرفه فانصرف إلى منزله ، وأوقد السراج ، وقال لمن في الدار : لا يدخلن أحد منكم هذا البيت ، فقبل له : أهديت لنا سلة فيها تمر ، فقال : قدموها إليّ . فقدموها إليه ، فكان يطلب الحديث ويأخذ ثمرة ثمرة يمضغها ، فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث . قال محمد بن عبد الله النيسابوري : زادني الثقة من أصحابنا أنه منها مات<sup>(٢)</sup> .

مات مسلم - عليه رحمة الله - وبقي من مصنفاته ما يحيي ذكره ، ولو لم يخلف إلا الصحيح لكان كافياً في الثناء عليه ، وبيان مبلغه من العلم ، فكيف وقد أضاف إليه غيره من مصنفات جليلة أمثال : المسند الكبير على الرجال ، والجامع الكبير على الأبواب ، وكتاب العلل ، وكتاب ذكر أوهام المحدثين ، والتمييز ، ومن ليس له إلا راو واحد ، وطبقات التابعين ، والمخضرمين ، والأقران ، وسؤالاته أحمد بن حنبل ، وكتاب عمرو بن شعيب ، ومشايخ الثوري ، ومشايخ شعبة ، وأولاد الصحابة ، وأفراد الشاميين ، والكنى والأسماء ، وغير ذلك<sup>(٣)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ١٣/١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) المصدر السابق ١٣/١٠٣ .

(٣) انظر : صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ص ٦٠ ، ٦١ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي

، ٥٧٩/١٢ ، ومعجم المؤلفين ١٢/٢٣٢ .



## صحيح مسلم ومنهجه في أحداث السيرة :

سبق لنا القول بأن صحيح مسلم يلي صحيح البخاري في الصحة والمنزلة بعد كتاب الله ، وهناك من يقدمه على صحيح البخاري ، حتى قال أبو علي الحسين بن علي النيسابوري : «ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج في علم الحديث»<sup>(١)</sup>.

قال الذهبي معلقاً على هذا القول : «لعل أبا علي ما وصل إليه صحيح البخاري»<sup>(٢)</sup>.

وقال النووي : «ومما ترجح به كتاب البخاري أن مسلماً - رحمه الله - كان مذهبه، بل نقل الإجماع في أول صحيحه ، أن الإسناد المعنعن له حكم الموصول بسمعت بمجرد كون المعنعن والمعنعن عنه كانا في عصر واحد، وإن لم يثبت اجتماعهما ، والبخاري لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ، وهذا المذهب يرجح كتاب البخاري ، وإن كنا لا نحكم على مسلم بعمله في صحيحه بهذا المذهب؛ لكونه يجمع طرقاً كثيرة يتعذر معها وجود هذا الحكم الذي جوزه والله أعلم»<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ بغداد ١٣/١٠١ ، جامع الأصول ١/١٨٨ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٩ . وقال ابن كثير : ذهبت المغاربة ، وأبو علي النيسابوري من المشاركة إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخاري ، فإن أرادوا تقديمه عليه في كونه ليس فيه شيء من التعليقات إلا القليل ، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها في موضع واحد ، ولا يقطعها كتقطيع البخاري في الأبواب ، فهذا القدر لا يوازي قوة أسانيد البخاري. إلخ كلامه .. (انظر : البداية والنهاية ١١/٣٨).

(٣) شرحه لمسلم ١/١٤ .



مكث «مسلم» في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة<sup>(١)</sup> وصنفه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة<sup>(٢)</sup>، وعرضه على أبي زرعة الرازي، فكل ما أشار إلى أن له علة تركه، وكل ما قال إنه صحيح وليس له علة أخرجه<sup>(٣)</sup>، وكان «مسلم» يقول: ما وضعت شيئاً في هذا المسند إلا بحجة، وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة<sup>(٤)</sup>.

ونقف بعد هذا عند بعض ما ذكره العلماء من خصائص ومميزات لصحيح مسلم، توحى بدقة مؤلفه وتحريه - وهذه تندرج تحت منهج مسلم في صحيحه.

منها: اعتناؤه التمييز بين «حدثنا» و«أخبرنا» وتقييد ذلك على مشايخه<sup>(٥)</sup>.

ومنها: اعتناؤه بضبط ألفاظ الأحاديث عند اختلاف الرواة فيها، فمن ذلك أن الحديث إذا كان عنده عن غير واحد وألفاظهم فيه مختلفة، مع اتفاقهم في المعنى قال فيه: أخبرنا فلان وفلان، واللفظ لفلان<sup>(٦)</sup>.

ومنها: تكراره فيما رواه عن صحيفة همام بن منبه السند التي بها رويت إلى

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥٦٦/١٢. ويبدو أن محقق الكتاب وهم فأشار في الحاشية إلى أنه وقع عند النووي (ست عشرة سنة)، والنووي إنما قصد البخاري لا مسلماً. (انظر: النووي على مسلم ١٤/١).

(٢) تاريخ بغداد ١٠١/١٣.

(٣) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط ص(٦٨).

(٤) المصدر السابق ص(٦٨)، تذكرة الحفاظ ٥٩٠/٢.

(٥) انظر: صيانة صحيح مسلم ١٠١ - ١٠٣ وقد سبق بيان ذلك أثناء الحديث عن منهج البخاري.

(٦) انظر على سبيل المثال في صحيح مسلم ١١٨٦/٣ الحديث رقم ١٥٥١، وهو كثير في صحيحه.



أبي هريرة ، وقوله في كل حديث منها : هذا ما حدثنا أبو هريرة ، فذكر أحاديث منها كذا وكذا ، قال العلماء : إنما يفعل ذلك المتحري الورع في الصحائف المشتملة على أحاديث بإسناد واحد ، وإن كانت المسألة خلافية بين العلماء ، فمنهم من يرى ترك هذا البيان ، ورواية كل حديث منها منفرداً موصولاً بالإسناد المذكور في أولها<sup>(١)</sup> .

ومنها : أمانته في النقل عن مشايخه في مثل قوله : حدثنا عبد الله بن سلمة حدثنا سليمان (يعني ابن بلال) عن يحيى (وهو ابن سعيد) فلم يستجز - رحمه الله - أن يقول سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، لكونه لم يقع في روايته منسوباً عن شيخه<sup>(٢)</sup> .

ومنها : احتياطه في تلخيص الطرق ، وتحول الأسانيد مع إيجاز العبارة ، وكمال حسنها ، وحسن ترتيبه ، وترصيفه الأحاديث على نسق يقتضيه تحقيقه ، وكمال معرفته بمواقع الخطاب ، ودقائق العلم ، وأصول القواعد ، وخفيات علم الأسانيد ، ومراتب الرواة وغير ذلك<sup>(٣)</sup> .

وقد أشار النووي إلى أن مسلماً في دقائق الأسانيد وصنعتها يفوق البخاري<sup>(٤)</sup> .

كما ذكر أن مما امتاز به مسلم في صحيحه أنه لا يكتب في صحيحه إلا ما رواه تابعيان ثقتان عن صحابييين ، وكذا في تبع التابعين ، وسائر الطبقات ،

---

(١) انظر في المسألة وتحرير الخلاف : صيانة صحيح مسلم ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، وشرح النووي ٢٢/١ .

(٢) شرح النووي ٢٣/١ .

(٣) المصدر السابق ٢٣/١ .

(٤) تهذيب الأسماء ٣٩٦/٢ .



إلى أن ينتهي إليه ، مراعيأ في ذلك ما لزم في الشهادة ، وليس هذا من شرط البخاري<sup>(١)</sup> .

وكذا جمعه المتون كلها بطرقها في موضع واحد ، ولا يفرقها في الأبواب ولا يقطعها في التراجم ، كما هو الحال في صحيح البخاري<sup>(٢)</sup> .

وعدم إكثاره - في صحيحه - من المعلقات ، فليس فيه سوى موضعين ، ومواضع أخرى نزره جداً - اثنا عشر موضعاً متابعات لا أصول - بخلاف البخاري<sup>(٣)</sup> .

ولهذه المزايا وغيرها حصل لمسلم - كما يقول ابن حجر - في كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله<sup>(٤)</sup> .

رتب «مسلم» كتابه على الأبواب ، لكنه لم يذكر فيه تراجم الأبواب ،

---

(١) الخطة في ذكر الصحاح الستة ص ٢٢٨ . نسب الذهبي هذه المقالة للحاكم ، وعلق عليها بأنها مجرد دعوى (سير أعلام النبلاء ٧٤/١٢) .

(٢) المرجع السابق ص (٢٣١) .

(٣) صيانة صحيح مسلم ص ٧٦ . وقد ذكر ابن الصلاح أن عدد ما وقع به الانقطاع في مسلم أربعة عشر موضعاً ، وذكر النووي أنها اثنا عشر موضعاً ، ثم ذكرها (شرحه على مسلم ١٧/١ ، ١٨) .

أما بالنسبة لمعلقات البخاري ، فهي - وإن كانت كثيرة - إلا أن العلماء اهتموا بها ، وألف ابن حجر كتاباً خاصاً بذلك سماه «تفليق التعليق على صحيح البخاري» وقد خرج الكتاب في طبعته الأولى ١٤٠٥هـ في خمس مجلدات ، نشره المكتب الإسلامي ، ودار عمار ، فليرجع إليه من شاء .

(٤) انظر : تهذيب التهذيب ١٠/١٢٧ .



لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك<sup>(١)</sup> ، وأشار في مقدمته إلى أنه قصد منه اختيار الصحيح ، معللاً ذلك بأن ضبط القليل وإتقانه أيسر على المرء من معالجة الكثير منه ، ولا سيما عند من لا تمييز عنده من العوام<sup>(٢)</sup> ، بل كان من دوافع مسلم لتأليف صحيحه - كما يقول في مقدمته - وجود مصنفات تحوي الأخبار المنكرة وبالأسانيد الضعاف المجهولة ، وقذفها بين العوام الذين لا يعرفون عيوبها<sup>(٣)</sup>.

كما ذكر مسلم - في مقدمته - أنه عمد إلى تقسيم أخبار الصحيح إلى ثلاثة أقسام وثلاث طبقات من الناس من غير تكرار إلا لسبب يقتضيه<sup>(٤)</sup> ، وهذه

---

(١) انظر : صيانة صحيح مسلم ص ١٠١ . وسأتي على مزيد من التوضيح للأبواب في صحيح مسلم . مقدمة مسلم في صحيحه ٤/١ .

(٢) المصدر السابق ٨/١ .

(٣) ذكر مسلم من هذه الأسباب كأن يكون التكرار فيه زيادة معنى ، أو إسناد يقع إلى جنب إسناده لعله تكون هناك.. إلخ كلامه . (انظر : المقدمة ٤/١).

(٤) مقدمة صحيح مسلم ٤/١ - ٧ . وقد اختلف العلماء في مراد مسلم بهذا التقسيم ، وإمكانية تطبيقه : فقال الحافظان أبو عبد الله الحاكم ، وصاحبه أبو بكر البيهقي - رحمهما الله - إن النية اخترمت مسلماً - رحمه الله - قبل إخراج القسم الثاني ، وأنه إنما ذكر القسم الأول . وتابعهما القاضي عياض - رحمه الله - فقال : وليس الأمر على ذلك لمن حقق نظره ، ولم يتقيد بالتقليد ... إلى أن يقول : وجدته ذكر في أبواب كتابه حديث الطبقتين الأوليين ، وأتى بأسانيد الثانية منهما على طريق الاتباع للأولى والاستشهاد ، أو حيث لم يجد في الباب الأول شيئاً ، وذكر أقواماً تكلم قوم فيهم ، وزكاهم آخرون ، وخرّج حديثهم ممن ضعف أو اتهم ببدعة ، وكذلك فعل البخاري ، فعندي أنه أتى بطبقاته الثلاثة في كتابه على ما ذكر ، وطرح الرابعة كما نص عليه ، فالحاكم (والقول لعياض) تأول أنه إنما أراد أنه إنما أراد أن يفرّد لكل طبقة كتاباً =



ويأتي بأحاديثها خاصة مفردة ، وليس ذلك مراده ، بل إنما أراد بما ظهر من تأليفه وبان من غرضه أن يجمع ذلك في الأبواب ، ويأتي بأحاديث الطبقتين ، فيبدأ بالأولى ، ثم يأتي بالثانية على طريق الاستشهاد والاتباع حتى استوفى جميع الأقسام الثلاثة ، ويحتمل (كما يقول عياض) أن يكون أراد بالطبقات الثلاث الحفاظ ، ثم الذين يلونهم ، والثالثة هي التي طرحها ... (ويتابع عياض قائلاً) : ولا يعترض على هذا بما قاله ابن سفيان - صاحب مسلم - : إن مسلماً أخرج ثلاثة كتب من المسندات : أحدها هذا الذي قرأه على الناس ، والثاني يدخل فيه عكرمة وابن إسحاق صاحب المغازي وأمثالهما ، والثالث يدخل فيه من الضعفاء ، فإنك إذا تأملت ما ذكر سفيان لم يطابق الغرض الذي أشار إليه الحاكم مما ذكره مسلم في صدر كتابه . (انتهى كلام القاضي ملخصاً وقد وافقه عليه النووي ، فقال : وهذا الذي اختاره ظاهر جداً والله أعلم . شرحه على مسلم ٢٣/١ ، ٢٤).

وقال ابن الصلاح : كلام مسلم محتمل لما قاله عياض ، ولما قاله غيره (صيانة صحيح مسلم ص ٩١).

وقال الذهبي : بل خرّج مسلم حديث الطبقة الأولى ، وحديث الطبقة الثانية إلا النزر القليل مما يستكره لأهل الطبقة الثانية ، ثم خرّج لأهل الطبقة الثالثة أحاديث ليست بالكثيرة في الشواهد والاعتبارات والمتابعات وقل أن خرج لهم في الأصول شيئاً ، ولو استوعبت أحاديث أهل هذه الطبقة في الصحيح لجاء الكتاب في حجم ما هو مرة أخرى ، ولتنزل كتابه بذلك الاستيعاب عن رتبة الصحة ، وهم كعطاء بن السائب ، وليث ، ويزيد بن أبي زياد ، وأبان بن صمعة ، ومحمد بن إسحاق ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، وطائفة أمثالهم ، فلم يخرج لهم إلا الحديث بعد الحديث إذا كان له أصل . (سير أعلام النبلاء ١٢/٥٧٥) .

وقد سبق «ابن الصلاح» - وهو يرد على من عاب مسلماً روايته في صحيحه عن جماعة من الضعفاء أو المتوسطين الواقعيين في الطبقة الثانية ، والذين ليسوا من شرط الصحيح - فأجاب بمثل ما أجاب به الذهبي ، وزاد عليه (فليرجع إليه لمن أراد المزيد في صيانة



الأقسام هي :

١ - ما رواه الحفاظ المتقنون .

٢ - ما رواه المستورون والمتوسطون في الحفظ والإتقان .

٣ - ما رواه الضعفاء والمتروكين .

فإذا فرغ من القسم الأول أتبعه بذكر القسم الثاني ، أما القسم الثالث ، فلا يعرج عليه ولا يشغل نفسه به كما قال .

### منهج الإمام مسلم في تدوين أحداث السيرة :

فإذا ما أتينا إلى الحديث عن منهج مسلم في تدوين أحداث السيرة أمكننا القول بأن هذه المميزات السابقة لصحيح مسلم تظهر في منهجه في كتابة السيرة - كجزء من صحيحه - فالحادثة فيه سهل تناولها ، وبالإمكان جمع طرقها في وقت أقل منه في صحيح البخاري .

وهذه الميزة وإن كانت ظاهرة في صحيح مسلم ، إلا أنها ليست مطردة في

---

صحيح مسلم ص ٩٤ - ٩٩).

وممن عاب «مسلماً» في روايته عن الضعفاء أبو زرعة الرازي ، وقد عرض عليه - كما يقول البرذعي - فرأى في الكتاب أمثال أسباط بن نصر و قطن بن نسير، فأنكر ذلك ، وقال : يطرق لأهل البدع علينا فيجدوا السبيل بأن يقولوا الحديث إذا احتج عليهم به ليس هذا في كتاب الصحيح ، وقد أجاب مسلم عن ذلك - حينما بلغه - بأنه لم يدخل من حديث هؤلاء وأمثالهم إلا ما قد رواه الثقات ، ولكن قد يقع من هؤلاء بإسناد عال ويقع عند غيرهم بنزول فيقتصر عليهم به .

( أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية ٢/ ٦٧٥ ، ٦٧٦ ) .





جميع أحداث السيرة فقد يجزئ مسلم - هو الآخر - الحادثة من أحداث السيرة في أكثر من كتاب ، حسبما يقتضيه كل كتاب من أجزاء الحادثة ، وهذا يؤكد - بشكل عام ، وكما سبقت الإشارة إليه - الفرق في المنهج بين كتب السير، والمدونات الحديثية في عرض أحداث السيرة - وكنموذج لهذا في صحيح مسلم، فقد وُزِعَ مسلم الحديث عن غزوة «تبوك» في أكثر من عشرة مواضع<sup>(١)</sup> يحتاج من يريد الكتابة عنها الاطلاع عليها كلها .

وعلى العموم فأحداث السيرة في مسلم ليست كحجمها في البخاري، بل أقل، ومع هذا فقد ينفرد مسلم بذكر أحداث لا توجد أصلاً في البخاري<sup>(٢)</sup>. وهناك ثلاثة كتب في صحيح مسلم تضم جزءاً كبيراً من أحداث السيرة، وهي: كتاب الجهاد والسير، وهو أعظم الكتب استيعاباً لأحداث السيرة، ففيه عن آداب الغزو ، وأحكام الغنائم والفيء ، والأسرى ، هذا فضلاً عن الحديث عن الغزوات، وكتابة النبي ﷺ إلى الملوك يدعوهم إلى الله ، ونحو ذلك .

ثم «كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم» ، حيث يتركز الحديث

---

(١) انظر: كتاب الطهارة ، باب المسح على الخفين ٢٢٩/١ ، وباب المسح على الناصية والعمامة ٢٣٠/١ ، وكتاب الصلاة ، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ٣٣٧/١ ، وفي باب سترة المصلي ٣٥٩/١ ، وكتاب صلاة المسافرين ، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر ٤٩٠/١ ، وكتابا لزكاة ٧٠٦/٢ ، والقسامة ١٣٠١/٢ ، واللقطة ١٣٥٤/٣ ، والإيمان ١٢٦٨/٣ - ١٢٧٠ ، وفضائل الصحابة ١٨٧١/٤ ، والتوبة ٢١٢٠/٤ - ٢١٢٨ ، والفضائل ١٧٨٥/٤ ، والزهد والرقائق ٢٢٨٥/٤ .

(٢) ومثال ذلك : الرواية الأخرى في شق الصدر (انظر الحديث عن شق الصدر في الفصل الأول) وإسلام عمرو بن عبسة وما في قصته من علائم الدعوة السرية في مكة. (انظر: سرية الدعوة وأوائل المؤمنين من الفصل الثالث) إلى غير ذلك.



فيه عن قصص إسلامهم ، ونماذج من جهادهم في سبيل الله ، وفوق ذلك الحديث عن أهل الشجرة وفضلهم ، وفضل من شهد بدماء ، والحديث عن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وإلى غير ذلك .

أما الكتاب الثالث فهو كتاب الفضائل ، وفي هذا الكتاب حديث عن نسب النبي ﷺ وأسمائه ، وبعض معجزاته ، وصفاته الخلقية والخلقية ، وبعثته ، وإقامته بمكة والمدينة ونحوها .

وهذا - كما قدمت - لا يعني حصر أحداث السيرة في هذه الكتب ، بل قد يندّ عن هذه الكتب أحداث بارزة في السيرة ، كما هو الحال في بيعة العقبة الأولى حيث ذكرها مسلم في كتاب الحدود - كما سبق - والعقبة الثانية في كتاب الإمارة ، والهجرة إلى المدينة في كتاب الزهد والرفائق .

وحيث يلاحظ المطلع في صحيح مسلم تفريق الحديث - أحياناً - في الحادثة الواحدة في الكتاب الواحد في أكثر من باب <sup>(١)</sup> فذلك أمر ليس مرجعه إلى مسلم حيث لم ييؤّب كتابه ، بل اكتفى بوضع الكتب ، وترجم جماعة أبوابه بتراجم قال عنها النووي : بعضها جيد ، وبعضها ليس بجيد ، إما لقصور في عبارة الترجمة وإما لركاكة لفظها ، وإما لغير ذلك ، إلى أن يقول النووي : وأنا - إن

---

(١) انظر على سبيل المثال حديثه عن غزوة الخندق ، فقد وضع لها بابين في كتاب الجهاد والسير: أحدهما باسم باب غزوة الأحزاب ، وبه ساق حديث حذيفة . في الشدة التي نزلت بهم في ليلة الأحزاب ١٤١٤/٣ .

والآخر باسم باب غزوة الأحزاب ، وهي الخندق بعد سبعة أبواب من سابقه ، وبه ساق خبر حضر الخندق وما كانوا يرتجزون به حين الحضر ومشاركة النبي ﷺ لهم ١٤٣٠/٣ - (١٤٣٢) .



شاء الله - أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها في مواطنها<sup>(١)</sup> .

فعلم من ذلك أن هذه التراجم الموجودة في شرح النووي على مسلم للأبواب هي من صنيعه هو ، لا من صنيع مسلم ، وهي نفسها الموجودة في النسخة التي حققها «محمد فؤاد عبدالباقي» والتي اعتمدت عليها .

ولهذا «فالمنذري» في مختصره لصحيح مسلم رتبته ترتيباً قال عنه: إنه «يسرع بالطالب إلى وجود مطلبه في مظنته»<sup>(٢)</sup> ، وعقد في مختصره هذا «كتباً» لم ترد في الأصل كعناوين في صحيح مسلم ، وإذا كان هذا في الكتب فلا غرابة أن تختلف عنده الأبواب عما هو موجود في صحيح مسلم ؛ لأنها - كما قدمنا - ليست من وضعه ، بل من وضع النووي<sup>(٣)</sup> .

ويعني من ذلك أحداث السيرة حيث نالها نصيبها من هذا الاختلاف في الترتيب عند المنذري<sup>(٤)</sup> .

أما مصادر «مسلم» في السيرة فهي ليست من الوضوح ، كما هو الحال عند البخاري ، وذلك لأن مسلماً لا يعتمد الملاحظات كثيراً ، ولا يذكر تراجم في كتبه تكشف عن مصادره - كما صنع البخاري في معلقاته عن ابن إسحاق ،

(١) شرح النووي على مسلم ٢١/١ ، وانظر: مقدمة الألباني على مختصر المنذري لمسلم ص (ز).

(٢) انظر: مقدمة المنذري لمختصره لصحيح مسلم .

(٣) أمثال: كتاب العدة ، والنفقات ، والوقف ، والضيافة ، والهجرة والمغازي ، وغيرها من الكتب. (انظر: مقدمة الألباني للمختصر ص(ز) .

(٤) ومن ذلك فصل «المنذري» الجهاد عن السير حيث أفرد لكل واحد منهما كتاباً مستقلاً ووضع كتاباً أسماه «الهجرة والمغازي» .



وموسى ابن عقبة - وإنما ساق أحداث السير كغيرها بالإسناد المتصل عن شيوخه.

وهو وإن أكثر من ذكر «الزهري»<sup>(١)</sup> ، أو «عورة بن الزبير»<sup>(٢)</sup> ، أو نقل عن «موسى بن عقبة»<sup>(٣)</sup> في السير والمغازي ، فإنما يذكرهم ضمن رجال السند الذي نقله عن شيوخه ، كما يذكرهم في كتاب آخر غير كتاب السير.

وكما كان البخاري منهجه في نقد المتون ، والاستتباط منها كما سلف ، فكذلك مسلم كانت عنده حاسة النقد في المتن وربما انتقد متناً ، واكتفى بالإشارة إليه ، ولم يذكره في صحيحه ، كما فعل في رواية «شريك بن عبد الله بن أبي نمر»<sup>(٤)</sup> في «حادثة الإسراء والمعراج»<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر : صحيح مسلم ١٣٢٣/٢ ، ١٣٦٨ ، ١٣٧٦ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٨ ، وغيرها كثير.

(٢) المصدر السابق ١٣١٥/٣ ، ١٣٨٩ وغيرها .

(٣) المصدر نفسه ٥٧٤/١ .

(٤) سيأتي التعريف به في الفصل الأول بمشيئة الله .

(٥) سيأتي تفصيل الحديث في ذلك في الفصل الأول (حادثة شق الصدر) .

## الفصل الأول:

محمد ﷺ بين الميلاد والنبوة





## الفصل الأول :

### محمد ﷺ بين الميلاد والنبوة

#### اسمه وفضل نسبه عليه الصلاة والسلام :

اتفق البخاري ومسلم عليهما رحمة الله في بابين عقداهما في صحيحيهما في «أسمائه ﷺ» على خمسة أسماء للنبي ﷺ : محمد ، وأحمد ، والمأحي (الذي يمحو الله بي الكفر) ، والحاشر (الذي يحشر الناس على قدمي، على عقبي) ، والعاقب (الذي ليس بعده نبي) <sup>(١)</sup> .

وفي مسلم : وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً <sup>(٢)</sup> .

ويروي لنا أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان يسمى لهم نفسه أسماء فيقول : أنا محمد ، وأحمد ، والمقضي <sup>(٣)</sup> ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة <sup>(٤)</sup> .

هذه عن أسمائه ، أما كنيته فهو : أبو القاسم <sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) البخاري ١٦٢/٤ : كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ، وفي كتاب التفسير ٦٢/٦ ، سورة الصف ، ومسلم ١٨٢٨/٤ : كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ﷺ .
- (٢) مسلم ١٨٢٨/٤ .
- (٣) قال في النهاية : المقضي هو المولي الذاهب ، يعني أنه آخر الأنبياء المتبع لهم ، فإذا قضى فلا نبي بعده (٩٤/٤) .
- (٤) مسلم ١٨٢٩/٤ .
- (٥) البخاري ١٦٣/٤ : كتاب المناقب ، باب وفاة النبي ﷺ ، ومسلم ١٦٨٢/٣ : كتاب الأدب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم .



وهذه الكنية تعني كما فسرها النبي ﷺ أنه بعث قاسماً يقسم بينهم<sup>(١)</sup>، وكان ﷺ يقول: «أنا قاسم أضع حيث أمرت»<sup>(٢)</sup>، ولهذا نهى ﷺ عن التكني بها، على حين أباح التسمية باسمه<sup>(٣)</sup>.

أما نسبه فهو - كما أخرجه البخاري - محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان<sup>(٤)</sup>. ووصل ابن إسحاق نسبه ﷺ إلى آدم عليه السلام، وفيه نظر<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري ٤٩/٤ : كتاب فرض الخمس ، باب قول الله تعالى : ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ حُسْمَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ، ومسلم ١٦٨٢/٣ : كتاب الأدب .

(٢) البخاري ٤٩/٤ .

(٣) البخاري ٤٩/٤ ، وفي كتاب المناقب ١٦٣/٤ ، باب كنية النبي ﷺ ، ومسلم ١٦٨٢/٣ : كتاب الأدب .

(٤) البخاري ٢٣٨/٤ : كتاب مناقب الأنصار ، باب مبعث النبي ﷺ .

(٥) انظر : السيرة لابن هشام ١/١ ، وقد نقله ابن هشام عن ابن إسحاق دون إسناد ، وهو محل اختلاف بين العلماء وأصحاب السير ، ومعظم يرى عدم ثبوته ، فقد روي - من طريق ابن عباس رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد ، ثم يمسك ، ويقول : «كذب النسأبون ، قال الله عز وجل : ﴿ وَقُرُونَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾» . وفي رواية : «كان إذا بلغ معد بن عدنان أمسك» . (انظر طبقات ابن سعد ٥٦/١) . قال السهيلي : والأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود (الروض ٦٦/١) . ويروي عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : إنما تنتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا ندري ما هو (المصباح المضيء لأبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة ، نشر عالم الكتب ، ط. الثانية ١٤٠٥هـ / ١٦/١) .





فهو ﷺ من مضر من ولد النضر بن كنانة <sup>(١)</sup> .

هذا من جهة أبيه . أما نسبه من جهة أمه ، فأخواله من بني زهرة <sup>(٢)</sup> .

وقال عروة : ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان (الطبقات ٥٨/١) ، وعن أبي الأسود قال: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة <sup>(٣)</sup> يقول : ما وجدنا في علم عالم ، ولا شعر شاعر أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان بثبت (المصدر السابق ٥٨/١) . وقد انتهى (ابن سعد) بعد سياقه عدة روايات في نسبه ﷺ إلى القول : «فالأمر عندنا على الانتهاء إلى معد بن عدنان ، ثم الإمساك عما وراء ذلك إلى إسماعيل بن إبراهيم» . (الطبقات ٥٨/١) .

وبمثل هذا وقف كثير من أرباب السير . فالسهيلي يقول : وما بعد عدنان من الأسماء مضطرب فيه (الروض ٦٦/١) ، وقبله ذكر (ابن حزم) نسبه ﷺ إلى عدنان ، ثم قال : هاهنا انتهى النسب الصحيح الذي لا شك فيه (جوامع السيرة ص ٢) ، وكذا (النووي) حيث قال: إلى هنا - يعني عدنان - إجماع الأمة ، وأما بعده إلى آدم فمختلف فيه أشد الاختلاف ، قال العلماء : ولا يصح فيه شيء يعتمد (تهذيب الأسماء واللغات / القسم الأول ص ٢١ ، أو السيرة النبوية للنووي - وهي مستخرجة من التهذيب ص ٨) . وقال الذهبي: - إلى عدنان - بإجماع الناس ، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وبين إسماعيل من الآباء ... (السيرة ص ١) .

أما البخاري فمع وقفته في الصحيح عند عدنان ، فقد وصله في التاريخ - عن ابن إسحاق - إلى آدم (التاريخ الكبير ٥/١ ، ٦) .

(❖) قال عنه الذهبي : وكان من أعلم قريش بأنسابها وأشعارها (السيرة ص ٢) .

(١) البخاري ١٥٣/٤ ، ١٥٤ : كتاب المناقب ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ... ﴾ .

(٢) المصدر نفسه ٢١٢/٤ : كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب سعد بن أبي وقاص... ، قال ابن حجر : لأن أمه آمنة منهم (الفتح ٨٢/٧) .



وفي فضل نسبه ﷺ يقول : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم »<sup>(١)</sup> .

ويقول أيضاً : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه »<sup>(٢)</sup> .

وعلو نسبه ﷺ وفضله لم يستطع أبو سفيان أن ينكره في فترة عدائه له ، وذلك حين سأله هرقل : كيف نسبه فيكم ؟ فأجاب أبو سفيان : هو فينا ذو نسب.. ثم علق هرقل بعد ذلك قائلاً : فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها<sup>(٣)</sup> .

### مولد النبي ﷺ ونشأته :

لا يكاد المطلع في الصحيحين يجد شيئاً عن السنة التي ولد فيها النبي ﷺ والذي نجده تحديد اليوم الذي ولد فيه بيوم «الاثنين» :

ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين والخميس؟ فقال: «ذاك يوم ولدت فيه ....» الحديث<sup>(٤)</sup> . ويوافقه في ذلك ابن إسحاق ، ويزيد : لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل<sup>(٥)</sup> .

كما تتفق رواية الصحيح مع ابن إسحاق في كون ولادته ﷺ بعد وفاة والده

(١) مسلم ١٧٨٢/٤ : كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ .

(٢) البخاري ١٦٦/٤ : كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ .

(٣) المصدر نفسه ٥/١ ، ٦ كتاب بدء الوحي ، وفي كتاب الجهاد والسير ٢/٤ .

(٤) ٨٢٠ ، ٨١٩/٢ : كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس .

(٥) انظر : السيرة لابن هشام ١٧١/١ ، وقد ذكره ابن إسحاق دون إسناد .



«عبدالله» ، حيث كان حملاً في بطن أمه حين توفي أبوه<sup>(١)</sup> .

نشأ النبي ﷺ يتيماً ، وبعد ولادته تولت «أم أيمن»<sup>(٢)</sup> حضانته ، حتى كبر ﷺ فأعتقها<sup>(٣)</sup> .

أما رُضَاعُه فقد كانت «تُؤَيَّبَةُ» - وهي مولاة لعمه أبي لهب - ممن أرضع النبي ﷺ ، ولهذا لما عرضت «أم حبيبة» عليه الزواج بأختها ونهى عن ذلك ، فقالت له: «إني سمعت أنك ترغب الزواج من درّة بنت أبي سلمة ، فرد عليها بقوله: «إنها لو لم تكن ربيبتني في حجري ما حلت لي ، إنها ابنة أخي من الرضاعة أرضعتني

(١) مسلم ١٣٩٢/٣ : كتاب الجهاد ، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر. (السيرة لابن هشام ١٧١/١ ، ١٩٦) . ومسألة موت أبي النبي ﷺ مما اختلف أصحاب السير في تحديد زمنها . فالذي رجحه الواقدي ، وكاتبه محمد بن سعد وفاة والده ، وأمّه حامل به ، ومال إليه ابن كثير . (السيرة النبوية لابن كثير ٢٠٦/١) ، وهو الذي يفهم من حديث ابن شهاب الزهري (المغازي ص ٣٩) .

أما ابن حزم ، فيرى أن موته قبل أن يكمل النبي ﷺ ثلاث سنين (جوامع السيرة ص ٥) ، ونقل الذهبي وفاة والده وللنبي ﷺ ثمانية وعشرون شهراً ، وقيل : أقل من ذلك ، وقيل : وهو حمل . (السيرة النبوية ص ٢٢) ، ثم روى عن «القرطبي» : كونه حملاً على الصحيح . أما السهيلي فيقول : ذكر أن أباه مات وهو حمل ، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد . (الروض الأنف ١٦٠/٢) .

(٢) هي : بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان ، كانت وصيفة لعبد الله بن عبدالمطلب (والد النبي ﷺ) ، وهي من الحبشة ، تزوجها زيد بن حارثة - بعد النبوة - فأنجبت له أسامة ، اختلف في موتها هل كان بعد موت النبي ﷺ ، أو بعد موت عمر . (الإصابة ١٣/١٧٧) .

(٣) مسلم ١٣٩٢/٣ : كتاب الجهاد والسير .



وأبا سلمة (ثوبية) <sup>(١)</sup> ، ولم يكن أبو سلمة هو الأخ الوحيد للنبي ﷺ من رضاع ثوبية ، فقد كان عمه «حمزة» كذلك ، إذ أرضعتها ثوبية ، ولهذا لما عرض علي بن أبي طالب على النبي ﷺ الزواج من ابنة حمزة أجابه : «أنها ابنة أخي من الرضاعة» <sup>(٢)</sup> .

وإذا كانت ثوبية هذه - وهي من مرضعات النبي ﷺ - لم يرد ذكرها عند ابن إسحاق بهذا الشأن ، فالأمر بعكس ذلك في شأن «حليمة السعدية» ، حيث اشتهرت بقصة رضاعها للنبي ﷺ في ديار بني سعد في رواية ابن إسحاق ، الأمر الذي لم تستوعبه رواية الصحيحين من بين ما أشارت إليه في أحداث السيرة.

وإذا كان ابن إسحاق قد انفرد عن الصحيحين بذكر قصة إرضاع حليمة للنبي ﷺ ، فقد فصل القول فيها ، وأتى على الحادثة من جوانبها ، من حين قدمت حليمة مكة مع نسوة من بني سعد يلتمس الرضعاء في سنة شهباء ، وشاء الله أن يكون محمد من نصيبها على غير رغبة منها ؛ لأنه كان يتيماً . لكنها خشيت أن ترجع من بين صواحبها ، وليس معها رضيع .. إلى أن قدر الله لها ولأهل بيتها من الخير والبركة ما قدر بسبب هذه النسمة المباركة (محمد) ، حتى وقع له ما وقع من أمر الملكين ، اللذين شقا صدره - كما سيأتي بيانه - كان ذلك سبباً في

---

(١) البخاري ١٢٥/٦ : كتاب النكاح ، باب ﴿أُمَّهَاتِكُمُ اللَّائِيَّ أَرْضَعْنَ عَنْكُمُ﴾ . ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ، وفي باب ﴿وَرَبَائِبِكُمُ اللَّائِيَّ فِي حُجُورِكُمْ...﴾ ١٢٧/٦ ، وفي باب ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ : ١٢٨/٦ ، وفي كتاب النفقات : باب المراضع من المواليات وغيرهن ١٩٥/٦ ، ومسلم ١٠٧٢/٢ : كتاب الرضاع ، باب تحريم الربيبة وأخت المرأة ، ١٧٠٣ ، من الباب نفسه .

(٢) البخاري ١٢٥/٦ : كتاب النكاح .



إرجاع حليلة محمداً ﷺ لأمه<sup>(١)</sup> .

هذه القصة ساقها ابن إسحاق بسنده ، فقال : وحدثني جهم مولى الحارث بن حاطب الجُمَحي ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، أو عن حدثه عنه قال : (ثم ذكر قصة حليلة بطولها).

وفي هذا السند مقال : فقد تعقب الذهبي أحد رجاله وهو (جهم) ، حيث نسبه للجهالة حيث قال: جهم بن أبي الجهم ، وله قصة حليلة السعدية ، لا يعرف<sup>(٢)</sup> ، هذا فضلاً عن كون عبد الله بن جعفر لم يصرح بالتحديث عن حليلة في هذه الرواية .

لكن القصة رواها أبو يعلى ، وابن حبان في صحيحه ، وصرح فيه بالتحديث بين عبد الله وحليمة ، كما رواها الطبراني ، ووثق الهيثمي رجال أبي يعلى والطبراني<sup>(٣)</sup> .

واستفاضة القصة وشهرتها جعل «ابن عبد البر» يشير إلى القصة بقوله : حليلة هي التي أرضعت النبي ﷺ حتى أكملت رضاعه ، ورأت له برهاناً وعلماً جليلاً ، تركنا ذكره لشهرته<sup>(٤)</sup> .

وقال ابن كثير : «وهذا الحديث قد روي من طرق آخر ، وهو من الأحاديث

(١) انظر تفصيل ذلك في : السير والمغازي لابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ٤٩ - بتصرف واختصار.

(٢) انظر : ميزان الاعتدال ٤٢٦/١ .

(٣) انظر : مجمع الزوائد ٢٢١/٨ .

(٤) انظر : الإصابة ٢٠٠/١٢ .



المشهوره المتداولة بين أهل السير والمغازي»<sup>(١)</sup> .

وإذا كان «أبو سلمة» و«حمزة» أخوين للنبي ﷺ من رضاع «ثوية» - كما سلف في رواية الصحيحين - ففي رواية ابن إسحاق : إخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة بنت الحارث ، وخذامة بنت الحارث - وهي الشيماء - وهم لحليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث ، أم رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> .

### رعيه للغنم :

تقيدنا روايات الصحيحين أن جزءاً من وقت النبي ﷺ قبل البعثة قضاءه في رعي الغنم في مكة ، إذ كان يرعاها لأهل مكة على قراريط<sup>(٣)</sup> .

وقد أفادته تلك خبرة ودراية حتى أن أصحابه حينما كانوا ب «مر الظهران»<sup>(٤)</sup> وهم يجنون «الكباث»<sup>(٥)</sup> أرشدهم إلى الأسود منه ، فقالوا : يا رسول الله ، كأنك رعيت الغنم؟ قال : «نعم ، وهل من نبي إلا وقد رعاها»<sup>(٦)</sup> .

(١) الاستيعاب (بهامش الإصابة) ٢٦١/١٢ .

(٢) انظر : السيرة لابن كثير ٢٢٨/١ . وانظر السير والمغازي لابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ٤٨ ، والسيرة لابن هشام ١٧٣/١ ، وقد ذكره ابن إسحاق دون إسناد .

(٣) البخاري ٤٨/٣ : كتاب الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط .

(٤) مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة المكرمة . (معجم البلد ١٠٤/٥) ، ويعرف الآن باسم : وادي فاطمة ) .

(٥) الكباث : هو النضيج من ثمر الأراك . (النهاية في غريب الحديث والأثر ١٣٩/٤) .

(٦) البخاري ١٣٠/٤ : كتاب الأنبياء ، باب «يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِ هُمْ» ، وفي كتاب الأطعمة ، باب : الكباث وهو ثمر الأراك ٢١٣/٦ ، ومسلم ١٦٢١/٣ : كتاب الأشربة ، باب فضيلة الأسود من الكباث .



وفي السيرة لابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ يقول : «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم» ، قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : «وأنا»<sup>(١)</sup> .

### حادثة شق الصدر :

يعرض للباحث في هذه الحادثة إشكالات عدة أهمها : متى وقعت حادثة شق الصدر للنبي ﷺ ؟ وهل كانت مرة أو أكثر؟ وهل كان شق الصدر حسيباً أو معنوياً؟

ولعل في محصلة الروايات التي سنذكرها ما يجيب عن هذه التساؤلات :

#### أولاً : شق صدره في بني سعد :

تتفق رواية الصحيح ، مع ابن إسحاق على شق صدره في ديار بني سعد ، ففي صحيح مسلم عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ، وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقه ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا : إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون<sup>(٢)</sup> ، أما البخاري فلم يذكر هذه الرواية في شق صدره في ديار بني سعد .

أما ابن إسحاق ، فيذكر شق صدره - وهو في ديار بني سعد - في روايتين :

(١) انظر : الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق ، تحقيق سهيل زكار ص ١٢٤ ، والسيرة لابن هشام ١/١٧٨ .

(٢) ١٤٧/١ : كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات . وهو من رواية حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن أنس ز ومعنى منتقع اللون : أي متغير اللون .



**الأولى منهما :** ضمن حديث حليلة الطويل عن رضاعه ﷺ حين تقول :  
«...فرجعنا به ، فوالله إنه - بعد مقدمنا بأشهر - مع أخيه لفي بهم لنا خلف  
بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لي ولأبيه: ذلك أخي القرشي قد أخذه رجلان  
عليهما ثياب بيض ، فأضجعا ، فشقا بطنه ، فهما يسوّطانه<sup>(١)</sup> ، قال : فخرجت  
أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً منتقماً وجهه ، قالت: فالترمته ، والترمه أبوه ، فقلنا  
له: ما لك يا بني؟ قال: «جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني ، وشقا  
بطني ، فالتمسنا شيئاً لا أدري ماهو» قالت : فرجعنا إلى خباتنا ، قالت: وقال لي  
أبوه: يا حليلة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقه بأهله قبل  
أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به  
يا ظئر ، وقد كنت حريصة عليه ، وعلى مكثه عندك؟ ... إلى آخر القصة<sup>(٢)</sup>.

هذه الرواية سبق لنا أقوال العلماء حولها<sup>(٣)</sup> بما يعني عن إعادتها هنا.

**أما الرواية الثانية :** لابن إسحاق ، فقد رواها من طريق آخر ، فقال: حدثني  
ثور بن يزيد<sup>(٤)</sup> عن بعض أهل العلم - ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان  
الكلاعي<sup>(٥)</sup> - أن نقرأ من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : يا رسول الله أخبرنا  
عن نفسك . قال : «نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخي عيسى ، ورأت أمي  
حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد

(١) قال أبو ذر الخشني : يقال : سطت اللبن والدم وغيرهما أسوطه ، إذا ضربت بعضه ببعض  
وحرركته.

(٢) انظر : السيرة لابن هشام ١٧٦/١ ، ١٧٧ .

(٣) عند الحديث عن رضاعه ﷺ .

(٤) الكلاعي ، ثقة ، توفى سنة ٥٠ هـ ، وقيل بعدها . (التهذيب ٢/٣٣).

(٥) ثقة ، توفى سنة ١٠٣ هـ أو بعدها . (المصدر السابق ٣/١١٨).





ابن بكر، فبينما أنا مع أخلي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً ، فأخذاني فشقا بطني ، واستخرجا قلبي ، فشقاه ، فاستخرجا منه علقة سوداء ، فطرحاها ، ثم غسلوا قلبي وبطني بذلك الثلج ، حتى أنقياه ، قال : ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته فوزني بهم ، فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته ، فوزني بهم ، فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزني بهم ، فوزنتهم ، فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها»<sup>(١)</sup> .

هذه الرواية يتبين من روايتها قوة إسنادها ، ولهذا قال ابن كثير عنها : وهذا إسناد جيد قوي<sup>(٢)</sup> .

وهكذا تلتقي رواية مسلم مع روايتي ابن إسحاق في ذكر هذه الحادثة ، وتحديدتها في ديار بني سعد ، أما توقيتها الزمني فتقف - دون تحديده - رواية مسلم ، والرواية الأخيرة لابن إسحاق ، بينما تحدده الرواية الأولى عند ابن إسحاق (رواية حليلة) بالسنة الثالثة من عمر النبي ﷺ ، حيث مضى في أول الرواية : أن حليلة قدمت به على أمه حين بلغ سنتين ، ولم تنزل بأمه حتى ردت معها ، وبعد مقدمه بأشهر - كما في الرواية - وقعت الحادثة .

وهذه الأشهر - أيضاً - حددها «القسطلاني» في «مواهبه» بشهرين أو ثلاثة<sup>(٣)</sup> ، وخالفه الشارح «الزرقاني» حيث رجح أن شق الصدر كان والنبي ﷺ في

(١) انظر : الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق : بتحقيق سهيل زكار ص ٥٠ ، والسيرة لابن هشام ١٧٧/١ ، ١٧٨ .

(٢) انظر : السيرة لابن كثير ٢٢٩/١ .

(٣) انظر : شرح الزرقاني على المواهب ١٤٩/١ .



### ثانياً : في مكة عند حادثة الإسراء :

وهذه تتفرد بذكرها رواية الصحيحين دون ابن إسحاق ، ولم ينفرد بروايتها «شريك»<sup>(٢)</sup> بل رواها - في الصحيحين - غيره ، وهذه محصلة رواية الصحيحين في الحادثة بأسانيدها :

أ - روى البخاري في «كتاب الصلاة» بسنده ، فقال : حدثنا يحيى بن بكير ، قال حدثنا الليث عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك ، قال :

(١) المصدر نفسه ١٥٠/١ ، واعتمد الزرقاني - في ذلك - على ما جزم به «الحافظ العراقي» في نظم السيرة ، حيث قال :

أقام في سعد بن بكر عندها      أربعة الأعوام تجني سعدها  
وحين شق صدره جبريل      خافت عليه حدثاً يزول

ومتابعة تلميذه الحافظ ابن حجر في سيرته ، والتي ذكر أنه التزم فيها الاقتصار على الأصح مما اختلف فيه ، وقد سبقهم إلى تحديد ذلك - في السنة الرابعة - الواقدي ، وكاتبه «ابن سعد» (انظر : الطبقات ١/١١٢) ، وهناك من يجعل هذا في السنة الخامسة للنبي ﷺ أو بعدها ، كما هو مروى عن ابن عباس وابن عبد البر ، والأموي. (انظر : شرح الزرقاني على المواهب ١/١٥٠).

(٢) هو شريك بن عبد الله بن أبي نمر المدني (أبو عبد الله) تابعي صدوق (روى حديث الإسراء والمعراج ، فجاء فيه بأشياء لم يتابع عليها ، وأنكرت عليه ، ولهذا تكلم فيه من تكلم من العلماء) ، قال ابن معين والنسائي : ليس به بأس ، وقال مرة : ليس بالقوي ، ووهاه ابن حزم لأجل حديثه في الإسراء ، ووثقه أبو داود ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث ، وقال ابن عدي : إذا روى عنه ثقة فإنه ثقة ، وقال الساجي : كان يرى القدر ، مات قبل الأربعين ومائة. (انظر الميزان ٢/٢٦٩ ، وسير أعلام النبلاء ٦/١٥٩ ، والتهذيب ٤/٢٣٧).



كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : «فرج سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، ففرج صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ، فأفرغه في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا...» (١) .

وفي كتاب «الحج» قال البخاري : وقال عبدان ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا يونس ، عن الزهري ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : كان أبو ذر يحدث عن رسول الله ﷺ ثم ساق الحديث السابق بنحوه (٢) .

وفي كتاب «الأنبياء» قال البخاري : حدثنا أحمد بن صالح قال : حدثنا عنبسة حدثنا يونس عن ابن شهاب قال : قال أنس : كان أبو ذر - رضي الله عنه - يحدث أن رسول الله ﷺ قال : ... وساق الحديث بنحو ما سبق (٣) .

كما أخرج الحديث - بلفظه السابق - مسلم في صحيحه ، فقال : وحدثني حرملة بن يحيى التجيبي ، أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال .... (٤) .

هذه الروايات تجتمع على عرض وتأكيد حادثة شق صدره ﷺ في مكة - زمن الإسراء والمعراج - وفي حال اليقظة ، دون أدنى لبس أو غموض .

ب - وروى البخاري في كتاب «بدء الخلق» بسنده ، فقال : حدثنا هُدْبَةُ بن خالد ، حدثنا همام عن قتادة ، وقال لي خليفة ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا

(١) البخاري ٩١/١ : باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء .

(٢) البخاري ١٦٧/٢ : باب ما جاء في زمزم .

(٣) ١٠٦/٤ : باب ذكر إدريس عليه السلام .

(٤) ١٤٨/١ : كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات .



سعيد وهشام قالوا : حدثنا قتادة ، حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة - رضي الله عنهما - قال : قال النبي ﷺ : «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ، وذكر يعني رجلا بين الرجلين ، فأتيت بطست من ذهب مليء حكمة وإيماناً ، فشق من النحر إلى مرق البطن ، ثم غسل البطن بماء زمزم ، ثم ملئ حكمة وإيماناً ، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق ، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا .... » (١) .

وكذا رواه مسلم في «الإيمان» حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك (لعله قال) عن مالك بن صعصعة (رجل من قومه) ثم ساق الحديث ، مع اختلاف يسير في لفظه عن سابقه (٢) .

وفي «المناقب» من صحيح البخاري ذكره البخاري بسنده السابق في «بدء الخلق» وقال في أوله : عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة - رضي الله عنهما - أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال : «بينما أنا في الحطيم ، وربما قال في الحجر ، مضطعاً ، إذ أتاني آت ، فقد ، قال : وسمعتة يقول : فشق ما بين هذه وهذه» فقلت للجارود (٣) - وهو إلى جنبي - ما يعني به؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته ، وسمعتة يقول : من قصته إلى شعرته ، فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً ، فغسل قلبي ، ثم حشي ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل .... » (٤) .

(١) ٧٧/٤ : باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم .

(٢) ١٤٩/١ ، ١٥٠ ، وبنفس هذا السند ساقها مسلم مرة أخرى مختصرة ١٥١/١ .

(٣) لعله صاحب أنس ، وسيأتي مزيد تعريف به عند الحديث عن الإسراء بمشيئة الله .

(٤) ٢٤٨/٤ : باب المعراج .



وهذه الروايات - هي الأخرى - تجمع على ذكر هذه الحادثة في مكة زمن الإسراء والمعراج ، وفي حال اليقظة - أيضاً - فإن أشكل فيها قوله : «بين النائم واليقظان» قيل : إن ذلك محمول على ابتداء الحال ، ثم لما خرج به إلى باب المسجد فأركبه البراق استمرّ في يقظته ، حكاه ابن حجر ، ونقل عن الشيخ أبي محمد بن أبي جمرة<sup>(١)</sup> قوله : «لو قال ﷺ : إن كان يقظان لأخبر بالحق؛ لأن قلبه في النوم واليقظة سواء ، وعينه - أيضاً - لم يكن النوم تمكن منها ، لكنه ﷺ تحرى الصدق في الإخبار بالواقع»<sup>(٢)</sup> .

قلت : ولعل مما يؤكد هذا الفهم قوله في الرواية الأخرى للبخاري : (مضطجعا) دون قوله : «بين النائم واليقظان» .

ج - ونأتي - بعد هذا - إلى رواية «شريك» ، وقد اتفق على روايتها - ضمن الحديث عن قصة الإسراء والمعراج ، الشيخان لكن «مسلماً» اختصرها وعلّق عليها ، بينما سرد «البخاري» القصة بطولها دون أن يعلق عليها .

والرواية في البخاري ، وسندها هكذا : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثني سليمان عن شريك بن عبد الله أنه قال : سمعت ابن مالك يقول : ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة : إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة ، فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى

(١) هو عبد الله بن أبي جمرة (أبو محمد) محدث ، مقرئ ، من آثاره : مختصر الجامع الصحيح للبخاري ، وشرح بهجة النفوس في سفرين ، توفي سنة ٦٩٩ هـ (انظر : معجم المؤلفين ٤٠/٦) .

(٢) انظر : الفتح ٢٠٤/٧ .



فيما يرى قلبه، وتنام عينه ، ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه ، حتى احتملوه ، فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة ، حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده ، حتى أنقى جوفه ، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشواً إيماناً وحكمة ، فحشا به صدره ولغاديده - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا ....<sup>(١)</sup>

أما «مسلم» فقد جاءت روايته هكذا : حدثنا هارون بن سعيد الأيلي ، حدثنا ابن وهب قال : أخبرني سليمان وهو ابن بلال ، قال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال : سمعت أنس بن مالك يحدث عن ليلة أسري برسول الله من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني<sup>(٢)</sup> ، وقدم فيه شيئاً ، وأخر ، وزاد ، ونقص...<sup>(٣)</sup>

وعلى هذا نستطيع القول بأن رواية «شريك» تضاف إلى ما قبلها من روايات تؤكد شق صدره ﷺ عند حادثة الإسراء والمعراج - بمشيئة الله - وهذا لا يمنع من الوقوف عند بعضها مما له علاقة بالحادثة التي نحن بصددنا اعتمد بعض العلماء على ما جاء في هذه الرواية من مغالطات في إنكار شق الصدر في تلك الفترة ، وأن الحادثة لم تتعدد بعد وقوعها في ديار بني سعد ، وتلك نماذج من

(١) ٢٠٢/٨ : كتاب التوحيد ، باب ما جاء في قوله عز وجل : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾

وأخرجها في المناقب (مختصرة) ١٦٨/٤ : باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه.

(٢) أحد رواة حادثة الإسراء والمعراج كما سيأتي .

(٣) مسلم ١٤٨/١ : كتاب الإيمان (سبق) .



أقوالهم وتتبع من خالفهم.

قال الحافظ العراقي - رحمه الله - : قد أنكر وقوع الشق ليلة الإسراء «ابن حزم» و«عياض» وادعى أن ذلك تخليط من شريك ، وليس كذلك ، فقد ثبت في الصحيحين من غير طريق شريك <sup>(١)</sup> .

قلت : وقد سبق بيان هذه الروايات ، بل لقد تعمدت ذكرها بأسانيدھا وطرقها ليظهر للمتأمل ما فيها من متابعات <sup>(٢)</sup> .

كما تعقب القاضي عياض في دعواه «السهيلي» فقال : إن شق الصدر وقع مرتين <sup>(٣)</sup> ، وقال «القرطبي» في المفهم : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء : لأن رواته ثقات مشاهير <sup>(٤)</sup> .

وممن قال بوقوع شق الصدر مرتين : ابن كثير <sup>(٥)</sup> ، والذهبي <sup>(٦)</sup> ، وابن حجر <sup>(٧)</sup> ، بل هناك روايات تفيد شق صدره - غير ما ذكر - فقد روي عن عائشة

(١) انظر : شرح الشفا لملا علي القاري ٤١٤/١ ، وشرح الزرقاني على المواهب ٢٣/٦ .

(٢) في كتب المصطلح تعرف «المتابعة» بمشاركة الراوي غيره في رواية الحديث (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان ص/١٤١).

وانظر : الحديث عنها وأمثلتها في كل من مقدمة ابن الصلاح ص٢٨ ، ومقدمة صحيح مسلم ٣٣/١ ، من شرح النووي ، والباعث الحثيث ص٥٩).

(٣) الروض الأنف ١٧٣/٢ .

(٤) انظر : الفتح ٢٠٥/٧ .

(٥) السيرة النبوية ٢٣١/١ .

(٦) السيرة ص٢٢ .

(٧) الفتح ٤٦٠/١ ، ٢٠٤/٧ ، ٤٨١/١٣ .



رضي الله عنها شق صدره عند نزول الوحي عليه في غار حراء <sup>(١)</sup> .

كما نقل عن أبي هريرة رضي الله عنه شق صدره ﷺ وهو ابن عشر سنين <sup>(٢)</sup> .

وإذا كنا قد انتهينا إلى إثبات وقوع شق الصدر مرتين - كما في الصحيحين - إحداهما في بادية بني سعد قبل البعثة ، والأخرى في مكة بعد البعثة عند وقوع حادثة الإسراء والمعراج فضلاً عما أشار إليه غيرهما من الحالات ، فكذلك تنتهي إلى أن هذا الشق كان حسياً ، وهذا ما تؤكد روايات الصحيحين السابقة ، فقد جاء في بعضها : «شق من النحر إلى مرق البطن» <sup>(٣)</sup> ، وفي بعضها : «إلى أسفل بطنه» <sup>(٤)</sup> ، وجاء في إحداهما : «شق جبريل ما بين نحره إلى لبتة» <sup>(٥)</sup> .

وفوق ذلك كله فأنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول : «وقد كنت أرى

(١) انظر : دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٦٩ ، ونقل ابن حجر ، أن «الطيالسي»

و«الحارث» قد روايا ذلك في مسنديهما ، ولم يعلق عليهما (الفتح ٤٦٠/١).

(٢) روى ذلك عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على مسند أبيه ، وقال الهيثمي : رجاله

ثقات ، وثقهم ابن حبان (مجمع الزوائد ٢٢٣/٨ ، وانظر : محمد رسول الله ، لمحمد

صادق عرجون ١٤٧/١ ، وإن كان يظهر عليه (عرجون) عدم الميل إلى التعدد ص ١٤٧ .

كما ذكرهما أبو نعيم ، وقال : إنه تفرد به معاذ بن محمد ، كما تفرد بذكر السن ،

ثم أشار إلى المروي عن حليلة في بني سعد (دلائل النبوة ص ٧١) ، وقد ذكر هذه الحادثة

والتي قبلها «الصالحي» في سيرته (سبل الهدى والرشاد ٨٢/٢ - ٨٦) ، وابن حجر في

الفتح ٤٦٠/١ .

(٣) البخاري ٧٧/٤ ، ومسلم ١٥١/١ (سبقت) .

(٤) مسلم ١٥٠/١ .

(٥) البخاري ٢٠٣/٨ .





أثر ذلك المخيط ، في صدره»<sup>(١)</sup> .

وما أجمل ما انتهى إليه ابن حجر في ذلك حين قال : «وجميع ما ورد من شق الصدر ، واستخراج القلب ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة ، فلا يستحيل شيء من ذلك»<sup>(٢)</sup> .

### قصة بحيرى :

ومما يستوقف الباحث - في هذه الفترة من نشأة النبي ﷺ - رحلته بصحبة عمه أبي طالب إلى الشام ، وقصته مع «بحيرى»<sup>(٣)</sup> ، وهذه قد انفرد بذكرها «ابن إسحاق» دون الصحيحين ، وجاء فيها : أن أبا طالب حين أراد الذهاب للشام تاجراً مع ركب من قریش ، تعلقه محمد ﷺ فرق له عمه ، وصحبه معه ، فلما نزل الركب «بصرى» من أرض الشام ، كان يوجد بها راهب يقال له «بحيرى» وكان إليه علم أهل النصرانية ، فرغب إلى الركب أن يصنع لهم طعاماً ، وأن يجتمعوا كلهم عليه ، فلما اجتمعوا ، وأحضروا محمداً جعل يلحظه لحظاً شديداً ، ويتعرف إلى صفاته التي يجدها عنده ، ثم جعل يسأل النبي ﷺ ويجيبه ، حتى وافق ما يجده من صفته ، ثم قال لعمه : ارجع بابن أخيك ، واحذر عليه

(١) مسلم ١٤٧/١ .

(٢) الفتح ٢٠٥/٧ .

(٣) قال السهيلي : وقع في سير الزهري أن بحيرى كان حبراً من يهود تيماء ، وفي المسعودي : أنه كان من عبد القيس ، واسمه : سرجس ، وفي المعارف لابن قتيبة قال : سمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : بحيرى ، وراب بن البراء الشنّي ، والثالث المنتظر ، فكان الثالث رسول الله ﷺ . (الروض الأنف ٢٢٠/٢) .



يهود ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم .

ثم إن نقرأ من أهل الكتاب - غير بحيرى - رأوا فيه ما رآه بحيرى ، فأرادوه ، فردهم عنه بحيرى ، فخرج به عمه سريعاً ، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام <sup>(١)</sup> .

هذه الرواية أوردها ابن إسحاق دون إسناد ، لكن رواها الترمذي بسنده إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - فذكر نحواً من القصة السابقة ، وزاد في آخرها : «وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وزوّده الراهب من الكعك والزيت» ، ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه <sup>(٢)</sup> .

وقد توقف العلماء عند هذه الرواية بين مثبت لها ومنكر ، فالترمذي - كما سبق - حسنها ، والحاكم صححها ، وقال : إنها على شرط الشيخين <sup>(٣)</sup> ، وقال البيهقي : «فأما القصة فهي عند أهل المغازي مشهورة» <sup>(٤)</sup> ، وذكرها السهيلي دون أن يعلق عليها ، وذكر أن سنة ﷺ تسع سنين أو اثنتا عشرة سنة <sup>(٥)</sup> ، وكذا النووي ، وحدد فيها سن النبي ﷺ باثنتي عشرة سنة <sup>(٦)</sup> .

وذكر «ابن سيد الناس» : أن سند الترمذي ليس فيه إلا من خرج له في

(١) انظر : الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق ، تحقيق سهيل زكار ص ٧٣ ، والسيرة لابن هشام ١٩٤/١ - ١٩٧ «بتصرف» .

(٢) سنن الترمذي ٢٥٠/٥ .

(٣) انظر : المستدرک ٦١٦/٢ .

(٤) دلائل النبوة ٢٦/٢ .

(٥) الروض الأنف ٢٢٠/٢ .

(٦) السيرة النبوية للنووي ص ٢٢ .



الصحيح<sup>(١)</sup>، وقال الحافظ «ابن حجر»: الحديث رجاله ثقات<sup>(٢)</sup>.

كما صحح الرواية من المُحدِّثين: الألباني<sup>(٣)</sup>، ومحمد صادق عرجون<sup>(٤)</sup>،  
والأرناؤوط<sup>(٥)</sup>.

أما الذين أنكروها فأبرزهم الذهبي حيث قال في السيرة - بعد سياقه  
لرواية الترمذي - : وهو حديث منكر جداً ، وأين كان أبو بكر؟ وأين كان  
بلال في هذا الوقت؟ ... إلى آخر تفنيده للقصة<sup>(٦)</sup>. وقال في الميزان في ترجمة عبد  
الرحمن بن غزوان (قراد) - وهو أحد رواة حديث الترمذي - «قلت: أنكر ماله  
حديثه عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبي موسى ،  
في سفر النبي ﷺ ، وهو مراهق ، مع أبي طالب إلى الشام ، وقصة بحيرى ، ومما  
يدل على أنه باطل قوله :ورده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وبلال لم  
يكن خلق بعد ، وأبو بكر كان صبياً»<sup>(٧)</sup>.

وقال في تلخيص المستدرک - بعدما ذكر قول الحاكم - : «قلت : أظنه  
موضوعاً فبعضه باطل»<sup>(٨)</sup>. كما أنكرها - من المُحدِّثين - عبد الرحمن

(١) عيون الأثر ٤٣/١ .

(٢) الإصابة (عن شرح الزرقاني على المواهب ١٩٦/١) .

(٣) تعليقه على فقه السيرة للغزالي ص ٦٨ .

(٤) محمد رسول الله ١٦٩/١ ، ١٧١ .

(٥) عبد القادر ، وشعيب ، وانظر : حاشية زاد المعاد ٧٦/١ ، وحاشية جامع الأصول  
٢٦١/١١ .

(٦) السيرة للذهبي ص ٢٨ .

(٧) ميزان الاعتدال ٥٨١/٢ .

(٨) تلخيص المستدرک ٦١٥/٢ .



الوكيل»<sup>(١)</sup> .

والذي يبدو أن إمكانية الجمع بين الرأيين واردة ، لا سيما إذا كان الإنكار منصباً على زيادة الترمذي في ذكر أبي بكر وبلال ، فضعف هذه الزيادة لم يتوقف عنده الذهبي وحده ، وإنما وقف عنده طائفة ممن أشار إلى قوة إسنادها: فالحافظ ابن حجر استتكر هذه الزيادة ، وقال : وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة ، فتحمل على أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر ، وهما من أحد رواته<sup>(٢)</sup> .

وقبله قال ابن القيم : ووقع في كتاب الترمذي وغيره أنه بعث معه بلالاً ، وهو من الغلط الواضح ، فإن بلالاً إذ ذاك لعله لم يكن موجوداً ، وإن كان فلم يكن مع عمه ، ولا مع أبي بكر<sup>(٣)</sup> .

وقال «ابن سيد الناس» : إن في متن حديث الترمذي نكارة ، وهي إرسال أبي بكر مع النبي ﷺ بلالاً ...<sup>(٤)</sup> ، وقال : الجزري : وذكر أبي بكر فيه وبلال غير محفوظ<sup>(٥)</sup> .

هذا كله فضلاً عن أن رواية ابن إسحاق - التي سبق ذكرها - لم تذكر هذه الزيادة المنكرة .

أما إعلال «ابن كثير» للقصة بإرسال أبي موسى الأشعري لها - حيث لم

(١) انظر : تعليقه على الروض الأنف للسهيلي ٢/٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) الإصابة (عن شرح الزرقاني للمواهب ١/١٩٦) .

(٣) زاد المعاد ١/٧٦ ، ٧٧ .

(٤) عيون الأثر ١/٤٣ .

(٥) انظر : فقه السيرة للغزالي (حاشيته) ص ٦٨ .



يقدم إلى المدينة إلا في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة - فمع محاولة ابن كثير الإجابة عن ذلك <sup>(١)</sup> ، فهناك رواية أخرى ذكرها «رزين» <sup>(٢)</sup> رواها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن أبيه (أبي طالب) ، وقال ابن الأثير الجزري : وليس بينها وبين رواية الترمذي - عن أبي موسى - كبير اختلاف <sup>(٣)</sup> ، ولعل بها يزول الإرسال المذكور . ويترجح تحسين الترمذي لها ، ويتقوى تصحيح الحاكم للقصة.

### البيئة التي نشأ فيها :

أما عن البيئة التي نشأ فيها عليه الصلاة والسلام فهي بيئة جاهلية ، حتى إن البخاري عقد في صحيحه «باب قصة زمزم وجهل العرب» ، وفيه ساق الأثر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : إذا سرك أن تعلم جهل العرب ، فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وعقد باباً آخر في «أيام الجاهلية» ذكر فيه بعضاً من ملامح هذه الجاهلية:

(١) انظر : السيرة لابن كثير ٢٤٨/١ .

(٢) هو أبو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدي السرقسطي الأندلسي ، جاور بمكة زمناً ، وتوفي بها سنة ٥٢٥هـ ، وله كتاب «التجريد للصالح الستة» ، وبه جمع بين كتب البخاري ومسلم ، والموطأ ، وجامع الترمذي وسنن أبي داود ، وسنن النسائي - رحمهم الله - ورتب كتابه على الأبواب دون المسانيد ، وقد أفاد منه «ابن الأثير الجزري» في كتابه «جامع الأصول» ونقل عنه . (مقدمة جامع الأصل ٤٨/١) .

(٣) جامع الأصول ٢٥٩/١١ ، ٢٦١ .

(٤) ١٦٠/٤ ، ١٦١ كتاب المناقب .



فقريش في جاهليتها كانت تصوم عاشوراء ، وكان النبي ﷺ يصومه ، فلما قدم المدينة صامه ، وأمر بصيامه <sup>(١)</sup> .

والمرأة القرشية (من أحمس) التي دخل عليها أبو بكر ، فرآها لا تتكلم ، فقال: مالها؟ قالوا : حجّت مصمّة ، قال لها: تكلمي فإن هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت ... إلى أن قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية ... ؟ <sup>(٢)</sup>

وغلام أبي بكر يؤكد الكهانة في الجاهلية ، ويقول لأبي بكر : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية <sup>(٣)</sup> ، وأهل الجاهلية كانوا يتبايعون لحوم الجزور إلى حبل الحبله <sup>(٤)</sup> .

وأول قسامة كانت في الجاهلية في بني هاشم <sup>(٥)</sup> .

ومن خصال الجاهلية : الطعن في الأنساب ، والنياحة ، ونسي ابن عباس (الراوي) الثالثة ، وقيل : إنها الاستسقاء بالأنواء <sup>(٦)</sup> .

يضاف إلى ذلك جاهليتهم في أمور النكاح ، وقد كان النكاح عندهم -

---

(١) البخاري ٢٣٤/٤ : كتاب مناقب الأنصار ، ومسلم ٧٩٢/٢ : كتاب الصيام ، باب صوم يوم عاشوراء .

(٢) البخاري ٢٣٤/٤ ، ٢٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ٢٣٦/٤ .

(٤) المصدر نفسه ٢٣٦/٤ . وحبل الحبله : «أن تنتج الناقة ما في بطنها ، ثم تحمل التي نتجت» كما جاء موضحاً في الحديث نفسه .

(٥) البخاري ٢٣٦/٤ .

(٦) البخاري ٢٣٦/٤ .



كما تقول عائشة رضي الله عنها - على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته ، أو ابنته ، فيصدقها ، ثم ينكحها ، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمئتها : أرسلني إلى فلان، فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً ، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب - وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد - فكان هذا يسمى نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ، ووضعت ، ومرّت ليال بعد أن تضع حملها ، أرسلت إليهم ، فلم يستطع أحد منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو ابنك يا فلان ، تسمي من أحبّت باسمه ، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، والنكاح الرابع أن يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها ، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ، ووضعت حملها جمعوا لها ، ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون ، فالتاط به ، ودعي ابنه ، لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم <sup>(١)</sup> .

إلى غير ذلك من صور هذه الجاهلية وملاحمها ، والنصوص المؤكدة لها ، حتى إن زيد بن عمرو بن نفيل <sup>(٢)</sup> أبى أن يأكل من السفرة التي قدمت للنبي ﷺ ،

(١) المصدر نفسه ١٣٢/٦ ، ١٣٣ ، كتاب النكاح ، باب من قال : لا نكاح إلا بولي .  
(٢) قرشي عدوي ، ابن عم عمر بن الخطاب ، رحل إلى الشام باحثاً عن عبادات أهلها ، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية ، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم ، تألب عليه جمع من قريش ، فأخرجوه من مكة فانصرف إلى حراء ، توفي قبل البعثة بخمس سنين .  
(الأعلام ١٠٠/٣).



وقال: إني لست آكلاً مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله لها وكان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء ، وأثبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكاراً لذلك وإعظاماً<sup>(١)</sup> .

وزيد هذا كان ينفي أن يكون أحد من قريش على دين إبراهيم ، ويقول: يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري<sup>(٢)</sup> .

وهذه الجاهلية التي كانت تعيشها قريش فيها من الشقاء والشدة والبلاء ما

---

(١) البخاري ٢٣٢/٤ ، ٢٣٣ : كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل. نقل ابن حجر تعليق بعض العلماء على هذا الحديث ، فقال: قال ابن بطال: كانت السفارة لقريش قدموها للنبي ﷺ ، فأبى أن يأكل منها . قال ابن حجر : وما قاله محتمل ، لكن لا أدري من أين له الجزم بذلك.. وقال الخطابي : كان النبي ﷺ لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام ، ويأكل ما عدا ذلك، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه؛ لأن الشرع لم يكن نزل بعد ، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة . قلت (ابن حجر) وهذا الجواب أولى مما ارتكبه ابن بطال. (الفتح ١٤٣/٧).

قال السهيلي : فإن قيل : كيف وفق الله زيداً إلى ترك أكل ما ذبح على النصب، وما لم يذكر اسم الله عليه، ورسول الله ﷺ كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له؟ فالجواب من وجهين : أحدهما : ليس في الحديث ما يدل على أنه ﷺ أكل منها ... ، والثاني: أن زيداً إنما فعل ذلك رأي رآه لا بشرع متقدم، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة ، لا بتحريم ما ذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام .. (وهذا الجواب الثاني أنكره على السهيلي المحقق عبدالرحمن الوكيل ، حيث قال: جوابه الثاني غير مقبول... إلخ) . (الروض الأنف ٣٦١/٢).

(٢) البخاري ٢٣٣/٤ .





يفصح عنه المغيرة بقوله أمام عامل كسرى (وقد كان في البعث الذي بعثه عمر) وقد سألهم : ما أنتم ؟ فأجابوه :

نحن أناس من العرب ، كنا في شقاء شديد ، وبلاء شديد ، نمصُّ الجلد والنوى من الجوع ، ونعبد الشجر والحجر ....<sup>(١)</sup>

وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه يسأل النبي ﷺ ، ويقول : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟<sup>(٢)</sup>  
وبلغ من شدة الجاهلية أن الآباء كانوا يدفنون البنات ، وهن أحياء ، حتى أثر على زيد بن عمرو أنه كان يحيي المؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤنتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها<sup>(٣)</sup> .

وهذه البيئة الجاهلية عمت ببلواها أبوي النبي ﷺ ، حيث ماتا على الكفر. يقول الرسول ﷺ عن أبيه وقد جاءه رجل يسأله : أين أبي ؟ قال : « في النار » ، فلما قفى دعاه ، فقال : «إني أبي وأباك في النار»<sup>(٤)</sup> .

أما أمه ، فيقول ﷺ : «أستأذنت ربي أن أستغفر لأمي ، فلم يأذن لي ، وأستأذنته في أن أزور قبرها ، فأذن لي ، فزوروا القبور ، فإنها تذكرك الموت»<sup>(٥)</sup> .

(١) المصدر نفسه ٦٣/٤ : كتاب الجزية والموادعة ، (الباب الأول) .

(٢) المصدر نفسه ٩٣/٨ : كتاب الفتن .

(٣) المصدر نفسه ٢٣٣/٤ .

(٤) مسلم ١٩١ : كتاب الإيمان ، بيان أن من مات على الكفر فهو في النار .

(٥) المصدر نفسه ٦٧١/٢ : كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه .



وإذا كانت هذه محصلة روايات الصحيحين في بيان بعض ملامح البيئة التي نشأ فيها النبي ﷺ ، فإننا نجد عند ابن إسحاق موافقة لبعض ما ذكر منها ، وبيان لملامح أخرى .

فقد أورد ابن إسحاق مسألة الفخر بالأحساب والظعن بالأنساب<sup>(١)</sup> .

وجاء على ذكر قصة زيد بن عمرو بن نفيل وكراهيته لعادات الجاهلية في الذبائح للأصنام<sup>(٢)</sup> ، وهي مقاربة لما جاء في الصحيح .

كما ذكر ابن إسحاق - من عوائد الجاهلية - أن المشركين كانوا يقولون بـ«جمع» : أشرق ثبير كيما نغير ، وكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس<sup>(٣)</sup> .

وذكر من عاداتهم في الذبائح أنهم كانوا إذا ذبحوا لطخوا بالدماء وجه الكعبة وشرحوا اللحوم فوضعوها على الحجارة ، وقالوا : لا يحل لنا أن نأكل شيئاً جعلناه لله عز وجل حتى تأكله السباع والطيور<sup>(٤)</sup> .

ومن عوائدهم : أنهم جعلوا «للحمس» وهم أهل الحرم مزايا خصوا بها أنفسهم دون سائر الناس فتركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها ، وقالوا : نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظمن غيرها ، ثم زادوا على ذلك فابتدعوا أموراً لم تكن حيث قالوا : لا ينبغي للحمس أن يأقظوا الأقط ، ولا يسلموا السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتاً من شعر ، ولا يستظلوا إلا في بيوت

(١) انظر : الجزء المطبوع (تحقيق سهيل زكار) ص ٩٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١١٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٨ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٠٠ .



الأدم ما داموا حراماً ، ثم رفعوا في ذلك فقالوا : لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل في الحرم إذا جاءوا حجاجاً أو عماراً ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس ، فإن لم يجدوا شيئاً منها طافوا بالبيت عراة<sup>(١)</sup> .

### مخالفته لبعض عادات أهل الجاهلية :

وإذا كان النبي ﷺ عاش في هذه البيئة ، فهل كان لها تأثير عليه؟ الحق أن الله تعالى حماه من لوثات هذه الجاهلية ، ومساوئها .

قال ابن إسحاق : فشب رسول الله ﷺ والله تعالى يكلؤه ، ويحفظه ، ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد من كرامته ورسالته<sup>(٢)</sup> .

وفي الصحيحين نشير إلى حادثتين تؤكدان ذلك :

الأولى : في بناء الكعبة ، حين شارك قومه في بنائها ، وكان هو وعمه «العباس» ينقلان الحجارة ، ففعل فخراً إلى الأرض ، وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم أفاق ، فقال : إزاري ، فشد عليه إزاره<sup>(٣)</sup> .

ويتفق «ابن إسحاق» مع «الشيخين» في ذكر هذه الحادثة ، لكنه يختلف عنهما في تحديد زمانها ومكانها ، إذ جاءت روايته عنها هكذا :

(١) المصدر نفسه ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) انظر : الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ٧٨ . والسيرة لابن هشام ١٩٧/١ ، ذكرها ابن إسحاق دون إسناد .

(٣) البخاري ١٥٥/٢ : كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنائها ... ، وفي كتاب مناقب الأنصار ، باب بنیان الكعبة ٢٣٤/٤ ، ومسلم ٢٦٨/١ : كتاب الحيض ، باب الاعتناء بحفظ العورة .



«وكان رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره، وأمر جاهليته أنه قال : «لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كنا قد تعرى ، وأخذ إزاره ، فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل معهم كذلك ، وأدبر ، إذ لكمي لاكم - ما أراه - لكمة وجيعة ، ثم قال : شد عليك إزارك ، قال : فأخذته ، وشدته عليّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليّ من بين أصحابي»<sup>(١)</sup> .

وقد نبه «السهيلي» لهذا الفرق ، وتعقب ابن إسحاق في روايته تلك ، مشيراً إلى أن هذه القصة إنما وردت - في الحديث الصحيح - في حين بنیان الكعبة ... ثم قال: وحديث ابن إسحاق إن صح أنه كان ذلك في صغره، إذ كان يلعب مع الغلمان، فمحملة على هذا الأمر كان مرتين : مرة في حال صغره، ومرة في أول اكتهاله عند بنیان الكعبة<sup>(٢)</sup> .

أما ابن كثير فقال : إنها شبيهة بما في الصحيح ، فإن لم تكنها فهي متقدمة عليها كالتوطئة لها<sup>(٣)</sup> .

على أن ابن إسحاق ذكر بناء قريش للكعبة ، ومشاركة النبي ﷺ معهم - وعمره خمس وثلاثون سنة - حينما ارتضوه حكماً بينهم في وضع «الحجر الأسود» لكنه لم يذكر أنه تعرى حين ذاك<sup>(٤)</sup> .

(١) السيرة لابن هشام ١٩٧/١ . وقد ساقها ابن إسحاق دون إسناد ، واكتفى بالقول : «فيما ذكر لي» .

(٢) الروض الأنف ٢٢٨/٢ .

(٣) السيرة ٢٥١/١ .

(٤) السيرة لابن هشام ٢٠٩/١ - ٢١٤ ، وقد ذكره ابن إسحاق دون إسناد .



هذه الروايات تشير إلى خلق من أخلاق أهل الجاهلية ، ألا وهو التعري ، وهذا الخلق تتفق عليه رواية الصحيح وابن إسحاق ، حيث ذكروا أنهم كانوا يطوفون حول البيت عراة ، عدا الحمس (والحمس قريش وما ولدت) وهم الذين كانوا يحتسبون على الناس بالثياب يطوفون بها ، فمن لم تعطه الحمس طاف بالبيت عرياناً<sup>(١)</sup> .

ومع هذا فقد اصطفى الله محمداً ﷺ من بينهم حينما خرّ مغشياً عليه ثم أفاق ، وشدّ عليه إزاره .

كما جاء في إحدى روايات الصحيحين أنه ﷺ ما رُؤي بعد ذلك اليوم عرياناً<sup>(٢)</sup> .

أما أهل الجاهلية فقد استمر هذا الخلق فيهم إلى أن أذن في الناس في حجة أبي بكر بالناس - قبل حجة الوداع - ألا ، لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان<sup>(٣)</sup> .

أما الحادثة الثانية التي خالف محمد ﷺ فيها قومه ، فهي الوقوف بعرفة ، إذ كانت قريش تفيض من جمع (مزدلفة) على حين كان يفيض جماعة الناس من

(١) البخاري ١٧٥/٢ : كتاب الحج ، باب الوقوف بعرفة ، وابن إسحاق السيرة لابن هشام ٢١٩/١ ، وهو أيضاً دون إسناد .

(٢) البخاري ٩٦/١ : كتاب الصلاة ، باب كراهة التعري في الصلاة ، ومسلم ٢٦٨/١ : كتاب الحيض (سابق) . قال ابن حجر معلقاً : وفي الحديث أنه ﷺ كان مصوناً عما يستتبع قبل البعثة وبعدها ، (الفتح ٤٧٥/١) .

(٣) البخاري ١٦٤/٢ : كتاب الحج ، باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك .



عرفات<sup>(١)</sup> .

ويذكر ابن إسحاق سبب موقفهم هذا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم ، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ، ولا نعظم غيرها كما نعظمها ، نحن الحمس ، والحمس أهل الحرم<sup>(٢)</sup> .

ولهذا تعجب «جبير بن مطعم»<sup>(٣)</sup> حينما أضل بعيراً ، فذهب يطلبه - يوم عرفة - فرأى النبي ﷺ واقفاً بعرفة ، وقال : هذا والله من الحمس فما شأنه هاهنا؟<sup>(٤)</sup> .

(١) البخاري ١٧٥/٢ (سبق) ، ومسلم ٨٩٤/٢ : كتاب الحج ، باب في الوقوف وقوله تعالى : ﴿ تُمْ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ .

(٢) انظر : الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ٩٧ : ١٠١ ، والسيرة لابن هشام ٢١٦/١ .

(٣) هو : جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي ، كان من أكابر قريش ، وعلماء النسب ، وقدم على النبي ﷺ في فداء أسارى بدر فسمعه يقرأ «الطور» قال : فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي ، وقال له النبي ﷺ : «لو كان أبوك حياً ، وكلمني فيهم لو هبتهم له ؛ لأنه كان له معه موقف» . أسلم بين الحديبية والفتح ، وقيل غير ذلك ، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين . (الإصابة ٦٥/٢) .

(٤) البخاري ١٧٥/٢ ، ومسلم ٨٩٤/٢ (سبق) ، وابن إسحاق الجزء المطبوع من سيرته تحقيق سهيل زكار ص ٩٨ . وانظر السيرة لابن هشام ٢٢١/١ . باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة... ، وفي كتاب التفسير ١٦٨/٥ باب ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ... ﴾ ، ومسلم ١٢٩٤/٣ : كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام .



## صفاته الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة :

### أولاً : صفاته الخَلْقِيَّة :

كان النبي ﷺ من أحسن الناس وجهاً ، حتى قال أبو هريرة -رضي الله عنه - : لم أر بعده مثله <sup>(١)</sup> .

وحيثما سئل «البراء» - رضي الله عنه - : أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال : لا ، بل مثل القمر <sup>(٢)</sup> . وفي رواية : بل كان مثل الشمس والقمر ، وكان مستديراً <sup>(٣)</sup> . وورد أنه كان ﷺ مليح الوجه <sup>(٤)</sup> .

أما فمه وعيناه فقد كان ضليع الفم ، أشكل العين ، والمعنى ( كما فسره أحد رواة الحديث ) عظيم الفم ، وطويل شقّ العين <sup>(٥)</sup> .

أما شعره فقد وصف بأنه ليس بالجعد القلط ، ولا بالسَّبَط <sup>(٦)</sup> ، بل كان رَجَلاً <sup>(٧)</sup> .

(١) البخاري ٥٨/٧ : كتاب اللباس ، باب الجعد ، ومسلم ٨١٩/٤ : كتاب الفضائل باب في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهاً .

(٢) البخاري ١٦٥/٤ : كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ .

(٣) مسلم ١٨٢٣/٤ : كتاب الفضائل ، باب شبيهه ﷺ .

(٤) المصدر نفسه ١٨٢٠/٤ ، كتاب الفضائل ، باب كان النبي ﷺ أبيض مليح الوجه .

(٥) المصدر نفسه ١٨٢٠/٤ : كتاب الفضائل ، باب صفة فم النبي ﷺ وعينه وعقبه .

(٦) البخاري ٥٧/٧ ، ٥٨ (سابق) ، ومسلم ١٨٢٤/٤ : الفضائل ، باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه .

(٧) البخاري ٥٨/٧ ، ومسلم ١٨١٩/٤ ، ومعنى (رَجَل) أي لم يكن شديد الجعودة ولا السبوطه بل بينهما (النهاية ٢٠٣/٢) .



وأنه كان له جمّة عظيمة تصل إلى شحمة أذنيه<sup>(١)</sup> ، وأحياناً تضرب منكبيه<sup>(٢)</sup> ، وأحياناً ثالثة تكون بين أذنيه وعاتقه<sup>(٣)</sup> ، كما كان ﷺ كثير شعر اللحية<sup>(٤)</sup> .

وإذا كان البياض في شعره قد شمل العنقفة<sup>(٥)</sup> ، والصدغين ، وفي الرأس نبذ<sup>(٦)</sup> فلم يكن ذلك البياض كله يبلغ عشرين شعرة<sup>(٧)</sup> .  
أما الحمرة في بعض شعره فكانت من آثار الطيب<sup>(٨)</sup> .

ونستكمل بقية صفاته الخلقية فنجد ﷺ من ناحية اللون يوصف بالبياض<sup>(٩)</sup> ، ولكنه لم يكن بالأبيض الأمهق<sup>(١٠)</sup> ، ولا بالأدم<sup>(١١)</sup> ، وإنما كان

---

(١) البخاري ١٦٥/٤ ، ومسلم ١٨١٨/٤ ، و(الجمّة) من شعر الرأس : ما سقط على المنكبين (النهاية ٣٠٠/١).

(٢) البخاري ٥٨/٧ (سبق) ، ومسلم ١٨١٨/٤ (سبق) .

(٣) البخاري ١٦٥/٤ ، ٥٨/٧ ، ومسلم ١٨١٩/٤ ، لعل ذلك هو الجامع بين اختلاف الروايات ، وأنه كان يختلف طولاً وقصراً حسب أحواله ﷺ ، فإذا قصرها كانت إلى أنصاف أذنيه ، وإذا غفل عنها بلغت المنكبين (انظر : النووي ٩١/١٥).

(٤) مسلم ١٨٢٣/٤ ، باب شيبه ﷺ .

(٥) العنقفة : (هي ما تحت الشفة السفلى ، كما جاءت مفسرة في البخاري ١٦٤/٤) .

(٦) مسلم ١٨٢٢/٤ : الفضائل .

(٧) البخاري ١٦٥/٤ .

(٨) المصدر نفسه ١٦٤/٤ .

(٩) المصدر نفسه ١٦٤/٤ ، ومسلم ١٨٢٠/٤ .

(١٠) البخاري ١٦٤/٤ ، ٥٧/٧ ، ومسلم ١٨٢٤/٤ .

(١١) البخاري ١٦٤/٤ ، ٥٧/٧ ، ومسلم ١٨٢٤/٤ ، والأدمة في الناس : السمرة الشديدة.





أزهر اللون<sup>(١)</sup> .

أما هيئته فلم يكن ﷺ بالطويل البائن ولا بالقصير<sup>(٢)</sup> ، بل كان مربعاً<sup>(٣)</sup> ،  
وكان مقصداً<sup>(٤)</sup> .

وكان ﷺ بعيد ما بين المنكبين<sup>(٥)</sup> .

أما يده ورجلاه فقد وصف عليه الصلاة والسلام بأنه كان ضخماً اليدين  
والقدمين<sup>(٦)</sup> ، وأنه بسط الكفين<sup>(٧)</sup> ، وكان ليّن الكف ، حتى قال أنس: ما  
مسست خزة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ<sup>(٨)</sup> ، وكان منهوس  
العقبين<sup>(٩)</sup> .

أما ظهره فكان به خاتم النبوة ، كأنه بيضة حمام<sup>(١٠)</sup> ، أو هو مثل زرّ

---

(١) البخاري ١٦٤/٤ . قال ابن الأثير: الأزهر: الأبيض المستير ، والزهر والزهرة: البياض  
النير وهو أحسن الألوان . (النهاية ٣٢١/٢) .

(٢) البخاري ١٦٤/٤ ، ١٦٥ ، ٥٧/٧ ، ومسلم ١٨١٨/٤ ، ١٨٢٤ .

(٣) البخاري ١٦٤/٤ ، ١٦٥ ، ٤٨/٧ ، ومسلم ١٨١٨/٤ .

(٤) مسلم ١٨٢٠/٤ . قال في النهاية: «كان أبيض مقصداً»: هو الذي ليس بطويل ولا  
قصير ، ولا جسيم ، كأن خلقه نحى به القصد من الأمور ، والمعتدل الذي لا يميل إلى  
أحد طرفي التفريط والإفراط . (النهاية في غريب الحديث والأثر ٦٧/٤) .

(٥) البخاري ١٦٥/٤ ، ومسلم ١٨١٨/٤ .

(٦) البخاري ٥٨/٧ .

(٧) المصدر نفسه ٥٨/٧ .

(٨) المصدر نفسه ٢٤٤/٢ ، كتاب الصوم ، باب ما يذكر من صوم النبي ﷺ وإفطاره .

(٩) مسلم ١٨٢٠/٤ . وقد فسر أحد رواة الحديث (منهوس العقبين) فقال: قليل لحم العقب .

(١٠) المصدر نفسه ١٨٢٣/٤ .



الحجلة<sup>(١)</sup> وكان ذلك بين كتفيه<sup>(٢)</sup> ، أو هو على وجه الدقة عند ناغض كتفه اليسرى<sup>(٣)</sup> .

### ثانياً : صفاته الخلقية :

وإذا كان ﷺ من أحسن الناس خلقاً - كما سبق - فهو أيضاً أحسن الناس خلقاً ، كما يروي لنا خادمه أنس بن مالك - رضي الله عنه -<sup>(٤)</sup> ، وهو الذي كان يقول : « خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أف قط ، ولا قال لي لشيء : لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟ »<sup>(٥)</sup> .

وفي رواية : « والله ما قال لي لشيء صنعته : لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا؟ »<sup>(٦)</sup> .

---

(١) المصدر نفسه ١٨٢٣/٤ . زر الحجلة : واحد الأزرار التي تشد بها الكلل والستور على ما يكون في حجلة العروس ، والحجلة : القبجة . (النهاية ٣٠٠/٢) وهو بيت كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس .

(٢) البخاري ١٦٦٣/٤ ، ومسلم ١٨٢٣/٤ .

(٣) مسلم ١٢٢٤/٤ . قال الجمهور : الناغض : أعلى الكتف .

(٤) البخاري ١١٩/٧ : كتاب الأدب ، باب الكنية للصبى ، وقبل أن يولد للرجل ، ومسلم ١٦٩٢/٣ : كتاب الأدب ، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته . وفي كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ١٨٠٥/٤ .

(٥) مسلم ١٨٠٤/٤ . كتاب الفضائل .. هذه الرواية (عشر سنين) متفق عليها وهي المشهورة .

(٦) مسلم ١٨٠٤/١ . وفي رواية (تسع سنين) ، ومسلم ١٨٠٥/٤ ، وعلق عليها النووي بقوله : ففي رواية التسع لم يحسب الكسر (أي في مدة خدمة أنس بالمدينة) بل اعتبر السنين الكوامل ، وفي رواية العشر حسبها سنة كاملة ، وكلاهما صحيح (شرح مسلم ٧١/١٥) .



وعند البخاري : « خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف ولا لم صنعت ، ولا ألا صنعت؟ » (١) .

وهذه الخدمة والملازمة من أنس للنبي ﷺ لم تكن في الحضر وحده ، أو في السفر وحده ، وإنما كانت - كما يقول أنس - في الحضر والسفر (٢) .

ولم يكن هذا الخلق الحسن قصراً على خدمه ، وإنما كان هذا ديدنه مع كل من كان يأتي إليه ، ويتعامل معه ، فكان مثلاً للصبر ، والحلم والرفق ، وتعليم الجاهل ، وهذه نماذج منها :

عن أنس قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي ، فجبذ بردائه جبذة شديدة ، قال أنس : فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ ، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد ، مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء!! (٣)

وجاء أعرابي - ورسول الله ﷺ وأصحابه في المسجد (فقام يبول في المسجد ، فزجره الصحابة (مه مه ) فنهاهم عن ذلك ، وقال : « لا تزرموه ، دعوه » . فتركوه حتى بال ، ثم دعاه النبي ﷺ ، فقال له : إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا

(١) ٨٢/٧ ، ٨٣ : كتاب الأدب ، باب حسن الخلق والسخاء .

(٢) البخاري ١٩٥/٣ : كتاب الوصايا ، باب استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صالحاً ... ، وفي كتاب الديات ٤٦/٨ : باب من استعان عبداً أو صبيماً ، ومسلم ١٨٠٤/٤ : الفضائل .

(٣) البخاري ٦٠/٤ : كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم من الخمس ونحوه ، وفي كتاب اللباس ٤٠/٧ ، باب البرود والحبرة والشملة ، وفي كتاب الأدب ٩٤/٧ : باب التيسم والضحك ، ومسلم ٧٣١/٢ : كتاب الزكاة ، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة .



البول، ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن...» ثم دعا بدلو من ماء فشنته عليه <sup>(١)</sup> .

وجاء في إحدى روايات البخاري في آخرها : «... فإنما بعثتم ميسيرين ولم تبعثوا معسرين» <sup>(٢)</sup> .

وعن أنس قال : أرسلني يوماً لحاجة ، فقلت: والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس! أذهبت حيث أمرتك؟» قال : قلت : نعم أنا أذهب يا رسول الله <sup>(٣)</sup> .

وهذا الصبر والرفق يزينه التواضع في خلقه ، والمزاح - أحياناً - مع أصحابه، فالأمة من إماء المدينة كانت تأخذ بيد النبي ﷺ ، فتتطلق به حيث شاءت <sup>(٤)</sup> ، والقاصد إليه في بيته لا يجد على بابه بوابين <sup>(٥)</sup> .

أما مزاحه ﷺ ، فكان تسرية لأصحابه عند همومهم أحياناً ، ومداعبة

---

(١) مسلم ٢٣٧/١ : كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد .

(٢) البخاري ٦١/١ ، ٦٢ : كتاب الوضوء ، باب صب الماء على البول في المسجد ، وباب ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد ، وباب يهريق الماء على البول .

(٣) مسلم ١٨٠٥/٤ : كتاب الفضائل (سبق) .

(٤) البخاري ٩٠/٧ : كتاب الأدب ، باب الكبير .

(٥) البخاري ١٠٨/٨ : كتاب الأحكام ، باب ما ذكر أن النبي ﷺ لم يكن له بواب ، ومسلم ٦٣٨/٢ : كتاب الجنائز ، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى .



لأطفالهم أحياناً أخرى ، إلى غير ذلك من مقاصده الحميدة في هذا المزاج ، ونذكر كمثال على ذلك موقفه مع علي - رضي الله عنه - حينما غاضب زوجته فاطمة - رضي الله عنها - فاضطجع إلى الجدار إلى المسجد فتبعه النبي ﷺ فإذا هو مضطجع ، وقد امتلأ ظهره تراباً ، فجعل النبي ﷺ يمسح التراب عن ظهره ، ويقول : «اجلس يا أبا تراب»<sup>(١)</sup> .

ويقول أنس رضي الله عنه : إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ صغير لي إذا رآه : «يا أبا عمير : ما فعل التغير!»<sup>(٢)</sup> .

وإلى جانب صفاته في الرفق ، والتواضع ، والمزاج ، فهو موصوف بالشجاعة في السلم والحرب ، وشجاعته ﷺ في الحرب معروفة ، أما في السلم فنذكر منها قصة الفزع الذي أصاب أهل المدينة ذات ليلة ، فخرجوا نحو الصوت فإذا رسول الله ﷺ قد سبقهم إليه ، وتلقاهم راجعاً ، وهو على فرس لأبي طلحة عري ، في عنقه السيف ، وهو يهدئ ثائرتهم ويقول : «لم تراعوا لم تراعوا ما رأينا من شيء ، وإنه لبحر (لفرس يبطأ)»<sup>(٣)</sup> .

وكان من خلقه عليه الصلاة والسلام حسن التعامل ، وحسن القضاء : فقد

(١) البخاري ١١٩/٧ : كتاب الأدب ، باب التكني بأبي تراب ، وإن كانت له كنية أخرى.

(٢) البخاري ١٠٢/٧ : كتاب الأدب ، باب الانبساط إلى الناس ، وباب الكنية للصبى ،

وقبل أن يولد للرجل ١١٩/٧ ، ومسلم ١٦٩٢/٣ : كتاب الأدب (سبق) . والتغير : تصغير نفر ، وهو طائر صغير كالعصفور . (جامع الأصول ٢٥٨/١١).

(٣) البخاري ٢٢٨/٣ : كتاب الجهاد والسير ، باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق ، وفي باب

السرعة والركض في الفزع ١٠/٤ ، وفي باب : إذا فزعوا بالليل ٢٧/٤ ، ٦٠ ، وفي كتاب الأدب ٨٢/٧ (سبق) ، ١٢٢ باب في المعارض مندوحة عن الكذب ، ومسلم

١٨٠٢/٤ ، ١٨٠٣ : كتاب الفضائل باب في شجاعة النبي عليه السلام وتقدمه للحرب.



استقرض من رجل سنًا من الإبل ، فجاءه يتقاضاه ، فقال : « أعطوه » ، فطلبوا سنّه ، فلم يجدوا له إلا سنًا فوقها ، فقال : « أعطوه » ، حتى قال الرجل : أوفيتني أوفى الله بك ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : « إن خياركم أحسنكم قضاء »<sup>(١)</sup> .

وفي رواية : إن ذلك الرجل أغلظ للنبي ﷺ القول ، فهمّ به أصحابه ، فقال لهم « إن لصحاب الحق مقالاً » ، ثم قال لهم : « اشتروا له سنًا ، فأعطوه إياه ، فقالوا : إنا لا نجد إلا سنًا هو خير من سنّه ، قال : « فاشتروه فأعطوه إياه » ، فإن من خيركم أحسنكم قضاء »<sup>(٢)</sup> .

ومن صفاته : الجود ، والكرم ، فهو أجود الناس<sup>(٣)</sup> ، وما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط ، فقال لا<sup>(٤)</sup> ، ولهذا غضب الصحابة رضوان الله عليهم من ذلك الرجل الذي طلب من النبي ﷺ أن يكسوه البردة التي أهدتها إليه امرأة ، وكانت قد نسجتها بيدها ، وكان عليه السلام محتاجاً إليها ، ومع ذلك طواها وأرسل بها إليه ، فقال له الصحابة : ما أحسنت ، سألتها إياه ، وقد علمت أنه لا يرد

---

(١) البخاري ٦١/٢ : كتاب الوكالة ، باب وكالة الشاهد والغائب جائزة ، وباب الوكالة في قضاء الديون ٦١/٣ ، ٦٢ ، وكتاب الاستقراض ٨٣/٢ ، وباب استقراض الإبل ، وباب هل يعطي أكبر من سنه ، وباب حسن القضاء ، وفي كتاب الهبة ١٢٨/٢ ، باب الهبة المقبوضة وغير المقبوضة ، ومسلم ١٢٢٥/٣ : كتاب المساقاة ، باب من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه .

(٢) البخاري ٨٥/٢ : كتاب الوكالة ، باب لصاحب الحق مقال . وفي كتاب الهبة ١٢٨/٢ ، باب الهبة المقبوضة ... ، ومسلم ١٢٢٥/٣ .

(٣) البخاري ٤/١ : كتاب الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، وفي كتاب الجهاد والسير ٢٧/٤ (سابق) ، وفي كتاب الأدب ٨٢/٧ (سابق) ، ومسلم ١٨٠٢/٤ (سابق).

(٤) البخاري ٨٢/٧ (سابق) ، ومسلم ١٨٠٥/٤ (سابق).



سائلاً<sup>(١)</sup>.

وهذا الجود والكرم منه ﷺ كان سبباً في دخول أقوام في دين الله ، ومن ذلك: قصته مع الرجل الذي جاء يسأله ، فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، فقال: يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر<sup>(٢)</sup>.

ولهذا قال أنس : إن الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها !!<sup>(٣)</sup>

بل لقد كان هذا الجود منه ﷺ مثار عجب ، وسبب مودة ، حتى لأعدائه ، يقول صفوان بن أمية بعد أن أعطاه النبي ﷺ مائة من النعم ، ثم مائة من غنائم حنين: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني ، وإنه لأبغض الناس إليّ ، فما برح يعطيني ، حتى إنه لأحب الناس إليّ !!<sup>(٤)</sup>.

ولفطر جوده عليه الصلاة والسلام ، ومعرفة الناس به علقته الأعراب - منصرفه من حنين - يسألونه حتى اضطره إلى سمرة فخطفت رداءه ، فوقف وقال: «أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاء نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ، ولا كذوباً ولا جباناً»<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري ١٤/٣ : كتاب البيوع ، باب ذكر النساج ، وفي كتاب اللباس ٤٠/٧ (سبق) ، وفي كتاب الأدب ٨٢/٧ (سبق) وفي كتاب المناقب ١٦٥/٤ : باب صفة النبي ﷺ ، وفي كتاب الجنائز ٧٨/٢ : باب من استعد للكفن في زمن النبي ﷺ .

(٢) مسلم ١٨٠٦/٤ : كتاب الفضائل (سبق) .

(٣) المصدر نفسه ١٨٠٦/٤ .

(٤) المصدر نفسه ١٨٠٦/٤ .

(٥) البخاري ٦٠/٤ : كتاب فرض الخمس (سبق) .



وقال عمر - رضي الله عنه - : قسم ، رسول الله ﷺ قسماً فقلت : والله يا رسول الله لغير هؤلاء كان أحق به منهم ، قال : « إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش أو ييخلوني ، فلست بياخل » <sup>(١)</sup> ولم يقتصر ذلك الجود على المؤلفه قلوبهم ، ومن يطمع في إسلامهم - بل شمل جوده وكرمه صحابته المؤمنين ، فعبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - كان مع النبي ﷺ في سفر ، وكان على بكر صعب لأبيه (عمر) ، وكان هذا البكر يغلب عبدالله ، فيتقدم أمام القوم ، فيزجره عمر ، ويرده ، ثم يتقدم فيزجره عمر ، ويرده ، فقال النبي ﷺ ، لعمر : «بغنيه» ، فقال : هو لك يا رسول الله ، قال : بغنيه ، فباعه من رسول الله ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام «هو لك يا عبدالله بن عمر ، تصنع به ما شئت» !! <sup>(٢)</sup>

وجابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - يكون مع النبي ﷺ في غزاة ، ومعه جمل ثقال قد أعيا به ، وخلفه في أخريات القوم ، حتى زجره النبي ﷺ فأسرع به فطلب منه يبعه عليه ، فقال : هو لك يا رسول الله ، قاله «بغنيه» فاشتراه منه ، وقال «لك ظهره إلى المدينة» فلما قدم المدينة أوصى بلالاً أن يقضيه ، ويزيد له عن ثمنه .. ثم رده عليه ، جملة والثلث !! <sup>(٣)</sup> .

(١) مسلم ٧٢٠/٢ : كتاب الزكاة (سبق)

(٢) البخاري ١٩/٣ : كتاب البيوع ، باب إذا اشترى شيئاً فوهب من ساعته قبل أن يتفرقا ... ، وفي كتاب الهبة ١٤٠/٣ : باب إذا وهب بغيراً لرجل وهو راكبه فهو جائز .

(٣) البخاري ١٥/٣ : كتاب البيوع ، باب شراء الدواب والحمير .. ، وفي كتاب الوكالة ٦٣/٣ : باب إذا وكل رجل أن يعطي شيئاً ولم يبين .. ، وفي كتاب الاستقراض ٨٧/٣ : باب الشفاعة في وضع الدين ، وفي كتاب الشروط ١٧٤/٣ : باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة ، إلى مكان مسمى جاز ، وفي كتاب الجهاد والسير ٢١٨/٣ : باب من ضرب دابة =





وفوق ما تقدم من كريم خلقه عليه الصلاة والسلام ، فلم يكن بفظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح <sup>(١)</sup> ولم يكن ﷺ سباباً ، ولا فحاشاً ، ولا لعاناً <sup>(٢)</sup> ، وهو القائل لعائشة رضي الله عنها - : « يا عائشة ، متي عهدتني فحاشاً » <sup>(٣)</sup> .

وهو الموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأمينين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ..» <sup>(٤)</sup> .

وكان الصدق في الحديث خلقاً من أخلاقه عليه الصلاة والسلام ، عرفه بذلك العدو والصديق ، فأمية بن خلف حينما قال له سعد بن معاذ : سمعت محمداً يزعم أنه قاتلك ، قال إياي ؟ قال : نعم ، قال : والله ما يكذب محمد

=

غيره في الغزو ، وفي باب استئذان الرجل الإمام لقوله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ ١٠/٤ ، ومسلم ٤٩٦/١ : كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدمه ، وفي كتاب الرضاع ١٠٨٨/٢ ، ١٠٨٩ : باب استحباب نكاح البكر .

(١) البخاري ٢١/٣ : كتاب البيوع ، باب كراهة السخب في السوق ، وفي كتاب التفسير ٤٤/٦ ، ٤٥ : باب ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (الفتح آية ٨/)

(٢) البخاري ٨١/٧ ، ٨٢ : كتاب الأدب ، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، وفي باب ما ينهى من السباب والعن ٨٤/٧ .

(٣) المصدر نفسه ٨١/٧ (سابق) .

(٤) البخاري ٢١/٣ (سابق) ، ٤٤/٦ ، ٤٥ (سابق أيضاً)



إذا حدث .. ، وكذا زوجة أمية لما أعملها بالخبر قالت : فوالله ما يكذب محمد !!<sup>(١)</sup>.

وأبو سفيان لما سأله هرقل: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ أجابة قائلاً: لا ، وعندها رد هرقل ، لم يكن ليذر الكذب على الناس ، ويكذب على الله<sup>(٢)</sup> .

ومشركوا قريش كانوا يعرفون هذا الخلق للنبي ﷺ فحينما صعد الصفا ، واجتمع إليه الملائم من بطون قال لهم : «أرأيتم لو أخبرتكم خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي» ؟ قالوا : ما جربنا عليك إلا صدقاً<sup>(٣)</sup> وفي رواية ، قالوا : ما جربنا عليك كذباً<sup>(٤)</sup> .

ولم يكن من خلقه ﷺ الغدر والخيانة ، بل كان من خلقه الأمانة والوفاء بالعهد .. وهذه أيضاً اعترف بها أبو سفيان للنبي ﷺ أمام هرقل<sup>(٥)</sup> والتزام النبي ﷺ بهذا الخلق جعله يرد أبا بصير ، وأبا جندل عام الحديبية - مع كرهه والمسلمين

(١) البخاري ٤٨٥/٤ كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام .

(٢) البخاري ٥/١ ، ٦ كتاب بدء الوحي ، في كتاب الجهاد والسير ٢/٤ : باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة .. ، وفي كتاب التفسير ١٦٨/٥ : باب ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ ، ومسلم ١٣٩٤/٣ : كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعه إلى الإسلام

(٣) البخاري ١٧/٦ : كتاب التفسير باب ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .

(٤) البخاري ٩٤/٦ : كتاب التفسير (تفسيرتبت يدا) ، ومسلم ١٩٤/١ كتاب الإيمان ، باب ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

(٥) البخاري ٥ / ١ ، ٦ ، (سبق) ، ٣/٤ ، ١٦٨/٥ (سبقت) ، ومسلم ١٣٩٤/٣ (سبق) .



لذلك - لأنه عاهد قريشاً على رد من يأتي إليه منهم<sup>(١)</sup> .

هذه نماذج من صفات الرسول ﷺ الخلقية ، وهي ليست حصراً لها بقدر ما هي إشارات إلى نوعيتها .. وصدق الله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وهذا الذي ذكره الشيخان في صفته عليه الصلاة والسلام - الخلقية والخلقية - له ما يقاربه في السيرة - كما ذكر ابن هشام<sup>(٣)</sup> - حيث قال : وكان صفة رسول الله ﷺ فيما ذكر عن مولى غفرة ، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال : لم يكن بالطويل الممغط<sup>(٤)</sup> ، ولا القصير المتردد ، كان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القلط ، ولا السبط ، كان جعداً رجلاً ، ولم يكن بالمطهم<sup>(٥)</sup> ، ولا المكثم<sup>(٦)</sup> ، وكا أبيض مشرباً ، أدعج العينين<sup>(٧)</sup> ، أهدب الأشفار<sup>(٨)</sup> ،

(١) البخاري ١٦٨/٣ : كتاب الصلح ، باب الصلح مع المشركين ، وفي كتاب الشروط ١٧٢/٣ : باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة وباب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابه الشروط ١٨٢/٣ ، ١٨٣ ، وفي كتاب المغازي ٦٨/٥ : باب غزوة الحديبية .

(٢) سورة القلم ، آية ٤/ .

(٣) لم ينسب ذلك ابن هشام إلى ابن إسحاق .

(٤) الممغط : بالمعجمة - هو الممتد ، وقال أبو ذر - بالمهملة - هو المضطرب الخلق .

(٥) المطهم : العظيم الجسد ( انظر السيرة النبوية لابن هشام ٨/٢ ) .

(٦) المكثم : هو المستدير الوجه في صغر . (المصدر السابق ٨/٢) .

(٧) أي أودهما . المصدر السابق ٨/٢ )

(٨) أي طويلهما ، والأشفار : جمع شفر وهو حرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر ( المصدر

السابق ٨/٢ )



جليل المشاش<sup>(١)</sup> والكتد<sup>(٢)</sup> ، دقيق المسرية<sup>(٣)</sup> أجرد<sup>(٤)</sup> شثن<sup>(٥)</sup> الكفين والقدمين ، إذا مشي تلع<sup>(٦)</sup> ، كأنما يمشي في صيب<sup>(٧)</sup> ، وإذا التفت التفت معاً ، بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو خاتم النبيين - أجود الناس كفاً ، وأجراً الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ<sup>(٨)</sup> .

### زواجه بخديجة وبقية أزواجه في مكة :

وسأكتفي - من أزواجه ﷺ - بذكر من تم العقد عليها في الفترة المكية ، التزاماً بالإطار الزمني لموضوع الرسالة .

(١) المشاش : عظام رؤوس المفاصل . (المصدر السابق ٨/٢)

(٢) الكتد : ما بين الكتفين . (المصدر السابق ٨/٢)

(٣) المسرية : الشعر الذي يمتد من الصدر إلى السرة ( المصدر السابق ٨/٢ )

(٤) الأجرد : القليل شعر الجسم ( المصدر السابق ٨/٢ )

(٥) أي غليظ . (المصدر السابق ٨/٢)

(٦) تلع : أي لم يثبت قدميه ( المصدر السابق ٨/٢ )

(٧) في صيب : أي في موضع منحدر . (المصدر السابق ٨/٢)

(٨) انظر : السيرة لابن هشام ٧/٢ - ٩ ، وفي السند ضعف ، لأن فيه عمر بن عبد الله المدني

( مولى غفرة) فقد ضعف ، وقيل : كان كثير الإرسال . ( انظر : تقريب الهذيب ٥٩/٢ ،

والتهذيب ٤٧١/٧ ) وفوق ذلك ففي سنده انقطاع ، فقد أخرجه الترمذي في المناقب

٢٦٠/٥ وقال : هذا حديث ليس إسناده بمتصل .

وانظر كذلك مختصر الشمائل المحمدية للترمذي ، وضعف محققه (الألباني) سنده ص(١٦)



## ١- زواجه بخديجة رضي الله عنها :

قال البخاري في صحيحه : «باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها» ، ثم ساق في الباب عدة أحاديث تؤخذ دلالتها بطريق اللزوم على زواجه بخديجة ، كما ذكر ذلك ابن حجر عليه رحمة الله <sup>(١)</sup> .

ومنها قول عائشة - رضي الله عنها - ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة .. <sup>(٢)</sup> وقولها : ... وتزوجني بعدها بثلاث سنين <sup>(٣)</sup> .

وقول النبي ﷺ عن خديجة : «إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد» <sup>(٤)</sup> وخديجة - رضي الله عنها - هي أولى زوجاته ﷺ ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت <sup>(٥)</sup> ، وكان النبي ﷺ يكثر ذكراها ، ويظهر حبها ، حتى قال يوماً لعائشة رضي الله عنها وقد أغضبته - بسبب خديجة - : «إني قد رزقت حبها» <sup>(٦)</sup> .

وكان يتأثر لذكراها ، وينبسط لمن يذكره بها ، وقد دخلت عليه يوماً أختها «هالة بنت خويلد» فتذكر بها استئذان خديجة ، فارتاع (أو ارتاح) <sup>(٧)</sup>

(١) فتح الباري ١٣٥/٧ .

(٢) البخاري ٢٣٠/٤ ، ٢٢١ : كتاب مناقب الأنصار وفي كتاب النكاح ١٥٨/٦ : باب غيرة النساء ووجدهن ، ومسلم ١٨٨٨/٤ ، ١٨٨٩ : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل خديجة .

(٣) البخاري ٢٣١/٤ .. ، ومسلم ١٨٨٨/٤ .

(٤) البخاري ٢٣١/٤ .

(٥) مسلم ١٨٨٩/٤ .

(٦) المصدر نفسه ١٨٨٨/٤ .

(٧) هذه رواية مسلم ، والأولى لفظ البخاري ولا تعارض بينهما ( انظر الفتح ١٤٠/٧ )



لذلك، حتى غارت منه عائشة ، وقالت : «وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر أبدلك الله خيراً منها»<sup>(١)</sup> .

ويبلغ في ثائه عليها فيقول : «خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد»<sup>(٢)</sup> وأشار وكيع إلى السماء والأرض<sup>(٣)</sup> .

وما باله لا يثني عليها وقد أوحى الله إليه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب<sup>(٤)</sup> ، وجبريل -عليه السلام- يطلب من النبي ﷺ أن يقرأ عليها السلام من ربها ومنه<sup>(٥)</sup> .

وخديجة -رضي الله عنها- هي التي قوت قلب النبي ﷺ حينما نزل عليه الوحي، فقد جاء إليها ، وفؤاده يرجف، ويقول لقد خشيت علي نفسي، فقالت: كلا والله ما يخزيك الله أبداً ... ، ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل<sup>(٦)</sup> .

(١) البخاري ٢٣١/٤ ، ومسلم ١٨٨٩/٤ . ورواية البخاري جاءت بصفة التعليق هكذا ( وقال إسماعيل بن خليل ) ، لكنه في رواية مسلم موصولاً هكذا ( حدثنا سويد بن سعيد .. إلخ ) ، كما وصله الإسماعيلي وأبو عوانة في صحيحه . ، وأبو نعيم في المستخرج ( انظر الفتح ١٤٠/٧ ، وتعليق التعليق ٨١/٤ )

(٢) البخاري ٢٣٠/٤ ومسلم ١٨٨٦/٤ .

(٣) مسلم ١٨٨٧/٤ .

(٤) البخاري ٢٣١/٤ ، ١٥٨/٦ ومسلم ١٨٨٧/٤ ، ١٨٨٨ .

(٥) البخاري ٢٣١/٤ ، ومسلم ١٨٨٧/٤

(٦) البخاري ٣/١ : بدء الوحي ، وفي كتاب الأنبياء ١٢٤/٤ : باب ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ وفي كتاب التفسير ٨٨/٦ : (سورة اقرأ) ، وفي كتاب التعبير ٦٧/٨ : باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي ، ومسلم ١٤١/١ : كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ



ويذكر «ابن إسحاق» في سبب زواج النبي ﷺ بها قصة سفره بتجارة لها إلى الشام مع غلامها ميسرة ، فيقول : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، وتستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوماً تجاراً فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، حتى قدم الشام ، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى مسيرة فقال له : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له مسيرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، قال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي .

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشتري ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة -فيما يزعمون- إذا كانت الهاجرة ، واشتد الحر يرى ملكيين يظلانه من الشمس وهو يسير علي بغيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به ، بأضعاف أو قريباً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعمما كان يرى من إظلال الملكين إياه ، وكانت امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له -فيما يزعمون- : «يا ابن عم ، إنني قد رغبت فيك لقرابتك ، وستطك<sup>(١)</sup> في قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ، وأكثرهن مالاً ، كل قومها كان حريصاً

(١) أي : من أوسطهم حسباً ونسباً (النهاية ٢/٣٦٦)



على ذلك منها لو يقدر عليه، وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب .. وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص ابن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر ..

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة ابن عبدالمطلب حتى دخل على «خويلد بن أسد فخطبها إليه ، فتزوجها»<sup>(١)</sup> .

هذه الرواية ساقها ابن إسحاق دون إسناد، وقال في ثانيا القصة - فيما زعموا - وذكر في نهايتها أن الذي زوجها أبوها "خويلد" وهو موضع خلاف بين العلماء.

أما من ناحية السند، فقد أخرج القصة "الواقدي" مسندة إلى أم سعد بنت سعد بن الربيع، عن نفيسة بنت منبه<sup>(٢)</sup> - مع بعض الاختلاف عن سياق ابن إسحاق - لكن قال الذهبي: وهو حديث منكر<sup>(٣)</sup>.

وذكر القصة ابن حجر في سبب زواج النبي ﷺ بخديجة، ولم ينكرها<sup>(٤)</sup>، وقبله ابن الأثير في أسد الغابة<sup>(٥)</sup>. أما ابن عبد البر ذكر القصة في بداية حديثه عن

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ٢٠٣/١ هكذا في رواية البكائي ، أما في رواية يونس بن بكير ، فالذي زوجها عمها أسد بن أسد . أنظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ٨٢ .

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ١٠٥/١ .

(٣) السيرة ص / ٣١ .

(٤) الإصابة ٢١٣/١٢ .

(٥) ٨٠/٧ .





سيرة الرسول ﷺ<sup>(١)</sup>. ولكنه أغفل ذكرها في ترجمته لخديجة - مع طولها نسبياً - فلم يشر إليها<sup>(٢)</sup>.

أما الباحثون المحدثون: فمنهم من قال باتفاق جمهور الرواة عليها<sup>(٣)</sup>، ومنهم من اعتبرها إفكاً صراحاً وافية خبيثة<sup>(٤)</sup>.

أما كون "خويلد" هو الذي زوج خديجة، فهو موضع خلاف بين أهل السير - كما قدمت - وابن إسحاق، وإن كان ذكر في الرواية السابقة "خويلد" فقد ذكر في أواخر السيرة قولاً آخر يفيد تزويج أخيها "عمرو بن خويلد" لها<sup>(٥)</sup>.

والقول بأن أبها "خويلداً" هو الذي زوجها رواية الزهري<sup>(٦)</sup>، وذكره البيهقي<sup>(٧)</sup>.

وخالفه الواقدي، وقال: المحفوظ من أهل العلم أن أبها خويلد بن أسد مات

(١) الاستيعاب ١ / ٦٨.

(٢) المصدر نفسه ١٢ / ٢٦٩ - ٢٨٩.

(٣) محمد صادق عرجون في كتابه: محمد رسول الله ١ / ٢٠١.

(٤) عبدالرحمن الوكيل في تعليقه على الروض الأنف ٢ / ٢٢٦، ٢٣٧.

(٥) السيرة لابن هشام ٤ / ٣٢١.

(٦) انظر المغازي النبوية (للزهري) ص/٢٤، وقد روي عن ابن عباس كما رواه أحمد والطبراني، وقال الهيثمي رجالها رجال الصحيح، (مجمع الزوائد ٩ / ٢٢٠)، وعمار بن ياسر، كما رواه الطبراني والبخاري، لكن قال الهيثمي: فيه عمرو بن أبي بكر المؤملي، وهو متروك (المجمع ٩ / ٢٢١).

(٧) دلائل النبوة، ونقل عن الموصللي: أن المجتمع عليه أن عمها "عمرو" هو الذي زوجها ٢ / ٧٣، ٧٢، وسماء ابن كثير "المؤملي" السيرة ١ / ٢٦٧. فإن كانا واحداً فالموصللي متروك كما في الميزان ٣ / ١٨٤.



قبل الفجار، وأن عمها "عمرو بن أسد هو الذي زوجها"<sup>(١)</sup>، ووافقه على ذلك السهيلي، وعزاه - أيضاً - إلى المبرد وطائفة، وقال: وهو الصحيح<sup>(٢)</sup>.  
كما وافقه ابن سيد الناس<sup>(٣)</sup>، وابن عبد البر<sup>(٤)</sup>، وقال "الشامي" ذكره أكثر علماء السير<sup>(٥)</sup>.

## ٢ - سودة بنت زمعة رضي الله عنها:

روى ابن إسحاق - من طريق يونس بن بكير - أن النبي ﷺ تزوجها بعد خديجة، ولم يصب منها ولداً<sup>(٦)</sup>، وهي التي تقول عنها عائشة رضي الله عنها: ما رأيت من امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها<sup>(٧)</sup> من سودة بنت زمعة، وذكرت شيئاً من حديثها<sup>(٨)</sup>...

وهي التي وهبت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة، وذلك حينما كبرت، فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين: يومها ويوم سودة<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر: طبقات ابن سعد ١ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢) الروض الأنف ٢ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، وحكاة عن جبير بن مطعم، وابن عباس، وعائشة.

(٣) عيون الأثر ١ / ٥٠ .

(٤) الاستيعاب ١٢ / ٢٧١ .

(٥) انظر: شرح الزرقاني ١ / ٢٠٣ .

(٦) السير والمغازي لابن إسحاق (تحقيق الدكتور سهيل زكار) ص ٢٥٤. وذكر ابن سعد -

بسند مرسل ، من رجاله ثقات - أن النبي ﷺ بنى بها في مكة . (انظر: الطبقات ٨ / ٥٧ ،

والإصابة لابن حجر ١٢ / ٢١٦ ، ٢٢٣).

(٧) في النهاية : مسلاخ الحية جلدها ، والسلخ بالكسر : الجلد (٢ / ٣٨٩).

(٨) مسلم (مختصر المنذري لصحيح مسلم ص ٢١٨) ولم أجده في أصل مسلم.

(٩) البخاري : كتاب النكاح ٦ / ١٧٧ : باب كثرة النساء ، وباب المرأة تهب يومها من



ونفهم من رواية الصحيحين أنها كانت امرأة - مع كبر سنها فيما بعد - كبيرة الجسم حتى إنها لتعرف وتميز بين النساء إذا مشت، حتى قال عمر ذات يوم - وقد خرجت سودة ليلاً - إنك واللّه يا سودة ما تخفين علينا<sup>(١)</sup>.  
وتصفها بعض الروايات بأنها كانت ثقيلة بطيئة الحركة، ولهذا استأذنت النبي ﷺ ليلة جمع (مزدلفة) في الدفع قبل حطمة الناس فأذن لها<sup>(٢)</sup>.

### ٣- زواجه بعائشة رضي الله عنها :

سبق القول أن زواجه ﷺ بعائشة كان بعد وفاة خديجة بثلاث سنين<sup>(٣)</sup>.  
والذي يظهر من غالبية الروايات أن عقده عليها كان بمكة وعمرها ست سنين، أما الدخول بها فكان بالمدينة وهي بنت تسع سنين<sup>(٤)</sup>، وفي إحدى روايات مسلم أنه تزوجها وهي بنت سبع سنين<sup>(٥)</sup>.

مزوجها لضرتها، وكيف يقسم ذلك ٦ / ١٥٤، ومسلم (مختصر المنذري) ص ٢١٨.

(١) البخاري ٦ / ١٥٩: كتاب النكاح، باب خروج النساء لحوائجهن.

(٢) البخاري ٢ / ١٧٨: كتاب الحج، باب من قدم ضعفة أهل بليل...

(٣) البخاري ٤ / ٢٣١ (سبق)، ومسلم (٤ / ١٨٨٨) (سبق).

(٤) البخاري ٤ / ٢٥١: كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدمها المدينة

وبنائها بها. وفي كتاب النكاح ٦ / ١٣٩: باب من بنى بامرأة وهي بنت تسع، وفي باب

إنكاح الرجل ولده الصغار... ومسلم ٢ / ١٠٢٨، ١٠٣٩: كتاب النكاح، باب تزويج الأب

البكر الصغيرة. وباب تزويج الأب ابنته من الإمام ٦ / ١٣٤، ذكر ابن حزم أنه بنى بها في

شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر (جوامع السيرة/٣٣)، وذكر ابن إسحاق أن البناء بعائشة

كان وهي بنت تسع سنين أو عشرة (السيرة ٤ / ٢٢١، ٢٢٢).

(٥) ٢ / ١٠٣٩ (سبق).



وهذا يوافق ما ذكره ابن إسحاق<sup>(١)</sup> - كما يشير مسلم - إلى أن الزواج والبنى بعائشة كانا في شوال<sup>(٢)</sup>.

ومما يؤكد صغر سنها حين الزواج لعبها بالبنات عند رسول الله، ومجيء صواب لها ينقمن من رسول الله، فيرسلهن إليها<sup>(٣)</sup>.

وقد خطبها النبي ﷺ من أبي بكر، فقال أبو بكر: إنما أنا أخوك! فقال له النبي ﷺ: "أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال"<sup>(٤)</sup>.

أما عن كيفية دخوله ﷺ بها: فتحدثنا عائشة وتقول: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحرب بن خزرج، فوعكت، فمترق شعري فوفى جميمه، فأتتني أمي أم رومان، وإني لفي أرجوحة، ومعني صواحب لي، فصرخت بي، فأتيتها لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفنتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأنني فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين<sup>(٥)</sup>.

(١) السيرة لابن هشام ٤ / ٢٢١. وانظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ٢٥٥.

(٢) مسلم ٢ / ١٠٣٩ (سبق).

(٣) مسلم ٤ / ١٨٩٠: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة.

(٤) البخاري ٦ / ١٢٠: النكاح، باب تزويج الصغار من الكبار.

(٥) البخاري ٤ / ٢٥١ (سبق)، ٦ / ١٤٠: كتاب النكاح، باب البناء بالنهار بغير مركب ولا نيران، ومسلم ٢ / ١٠٢٨.



وزواج النبي ﷺ بعائشة كان بعد رؤيا رآها في المنام تكررت مرتين كما في البخاري<sup>(١)</sup>، أو ثلاث ليال كما في مسلم<sup>(٢)</sup>.

وعن هذه الرؤيا يقول ﷺ: "رأيتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير، فقال لي: هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي، فقلت إن يك هذا من عند الله<sup>(٣)</sup> يمضه"<sup>(٤)</sup>.

وعائشة رضي الله عنها هي الوحيدة من بين أزواجه ﷺ التي تزوجها وهي بكر، ولهذا كانت تظهر هذا الفضل، وتقول لنبي ﷺ: يا رسول الله، رأيت لو نزلت وادياً وفيه شجر قد أكل منها، ووجدت شجرة لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: "في التي لم يرتع منها" تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج

(١) ١١٩ / ٦ : كتاب النكاح، باب نكاح الأبكار، وفي كتاب التعبير ٨ / ٧٥ : باب كشف المرأة في المنام، وباب ثياب الحرير في المنام ٨ / ٧٦، وفي كتاب مناقب الأنصار ٤ / ٢٥٢ : باب تزويج النبي ﷺ عائشة.

(٢) ٤ / ١٨٩٠ : كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها .

(٣) قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون ذلك قبل البعثة، فلا إشكال فيه، وإن كان بعدها ففيه ثلاثة احتمالات: أحدها: التردد هل هي زوجته في الدنيا والآخرة أو في الآخرة فقط؟ ثانيها: أنه لفظ شك لا يراد به ظاهره، وهو أبلغ في التحقيق، ويسمى في البلاغة مزج الشك باليقين، وثالثها: وجه التردد هل هي رؤيا وحي على ظاهرها وحقيقتها؟ أو هي رؤيا وحي لها تعبير؟ وكلا الأمرين جائز في حق الأنبياء، قال ابن حجر: والأخير هو المعتمد، وبه جزم السهيلي عن ابن العربي... (الفتح ٩ / ١٨٢، وشرح النووي على مسلم ١٥ / ٢٠٢).

(٤) البخاري ٦ / ١١٩، ٦ / ١٣١، كتاب النكاح، باب النظر إلى المرأة قبل التزويج ٨ / ٧٥، ٧٦ (سبقاً)، ومسلم ٤ / ١٨٩٠ (سبق).



بكرًا غيرها<sup>(١)</sup>.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لعائشة: لم ينكح النبي ﷺ بكرًا غيرك<sup>(٢)</sup>.

مكثت عائشة رضي الله عنها مع النبي تسع سنين<sup>(٣)</sup>، ومات عنها النبي ﷺ وهي بنت ثمانى عشرة<sup>(٤)</sup>.

وفي فضلها قال عليه السلام: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"<sup>(٥)</sup>، وأخبرها النبي ﷺ: أن جبريل يقرئها السلام<sup>(٦)</sup>، بل لقد اختصت من بين سائر زوجات النبي ﷺ بنزول الوحي عليه وهو في لحافها، أخبر عن ذلك المصطفى ﷺ وهو يقول لأم سلمة: "يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها"<sup>(٧)</sup>.

ومحبة النبي ﷺ لعائشة لم تكن تخفى على المسلمين، حتى لقد كانوا يتحرون بهداياهم اليوم الذي يكون فيه النبي ﷺ عند عائشة<sup>(٨)</sup>.

وعائشة رضي الله عنها هي التي قبض النبي ﷺ بين سحرها ونحرها كما

(١) البخاري ٦ / ١١٩.

(٢) البخاري ٦ / ١١٩.

(٣) البخاري ٦ / ١٣٤، ١٣٩: كتاب النكاح.

(٤) مسلم / ١٠٣٩ (سبق).

(٥) البخاري ٤ / ٢٢٠، ومسلم ٤ / ١٨٨٧، ١٨٩٥.

(٦) البخاري ٤ / ٢٢٠، ومسلم ٤ / ١٨٩٥، ١٨٩٦.

(٧) البخاري ٤ / ٢٢١.

(٨) البخاري ٤ / ٢٢١، ومسلم ٤ / ١٨٩١.



كانت تقول<sup>(١)</sup>.

#### ٤- أم حبيبة<sup>(٢)</sup> بنت أبي سفيان رضي الله عنها:

وقد جاء ذكرها في الصحيحين من بين أزواج النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>، وهي التي عرضت على النبي ﷺ الزواج بأختها "عزة بنت أبي سفيان" فعجب النبي ﷺ لذلك، وقال: أوتحبين ذلك؟ قالت: نعم.

ثم تعلق ذلك، وتقول: لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في الخير أختي، فرد عليها، إن ذلك لا يحل لي<sup>(٤)</sup>.

ذكر ابن إسحاق أن الذي زوج أم حبيبة للنبي ﷺ هو "خالد بن سعيد بن العاص" وهما في أرض الحبشة، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وهو الذي خطبها على رسول الله ﷺ. هذا في رواية البكائي عن ابن

---

(١) انظر: مثلاً البخاري ١٠٦ / ٢: كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفي كتاب الخمس ٤٥ / ٤: باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ، وفي كتاب النكاح ١٥٥ / ٦: باب إذا استأذن الرجل نساءه، ومسلم ١٨٩٣ / ٤ كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة.

(٢) واسمها "رملة"، وقيل "هند"، ورملة أصح. انظر: السيرة لابن هشام ٢٢٣ / ٤، وجوامع السيرة لابن حزم، ص ٣٥، والإصابة (١٢ / ٢٦٠).

(٣) انظراً: مثلاً البخاري ١٩٥ / ٦: كتاب النفقات، باب المراضع من المواليات وغيرهن، ومسلم ١١٢٣ / ٢: كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة.

(٤) البخاري ١٢٥ / ٦، ١٢٧، ١٢٨: في كتاب النكاح، ص ١٩٥ كتاب النفقات (وقد سبقت)، ومسلم (وهو الذي حدد اسم أخت أم حبيبة "عزة") ١٠٧٢ / ٢، ١٠٧٣: كتاب الرضاع (سبق).



إسحاق<sup>(١)</sup>، أما في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق فالذي زوجها عمرو بن أمية الضمري<sup>(٢)</sup> وهذا من اختلاف الرواية عنه باختلاف الرواة.

وإذا كانا نجد في الصحيحين اسم "أم حبيبة" من بين من هاجر إلى الحبشة<sup>(٣)</sup>، فإننا نجد أيضاً رواية انفرد بإخراجها الإمام مسلم - عليه رحمة الله - ووقف عندها بعض العلماء مشيرين إلى مخالفتها لما ذكره ابن إسحاق بل لأرباب السير والعلم بالخبر، والرواية عن أبي زميل قال: حدثني ابن عباس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان، ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: يا نبي الله، ثلاث أعطينهن، قال: نعم، قال: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجكها، قال: نعم... الحديث<sup>(٤)</sup>.

(١) السيرة النبوية ٢٢٢/٤ وذكر ابن حزم أنها سيقت له من بلاد الحبشة وتزوجها بعد الحديبية (جوامع السيرة ص ٣٥). وقال ابن حجر: الإجماع على أن النبي ﷺ إنما تزوج أم حبيبة وهي بالحبشة. (الإصابة ١٢/٢٦٢).

(٢) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ٢٥٩.

(٣) البخاري ١١٠/١: كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، وفي كتاب الجنائز ٩٣/٢ باب بناء المساجد على القبر، وكتاب مناقب الأنصار ٤/٤٢٥: باب هجرة الحبشة، ومسلم ١/٣٧٥، ٣٧٦: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور...

(٤) مسلم ٤/١٩٤٥: كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه. ووجه الإشكال في هذه الرواية هو اتفاقهم على زواج النبي ﷺ بها قبل إسلام أبي سفيان، حتى أنكر ابن حزم هذا الحديث في إحدى الروايات عنه فقال: "وهذا حديث موضوع لاشك في وضعه، والآفة فيه من عكرمة بن عمار... إلخ كلامه" انظر: (موارد الإمام ابن حزم، خرجها وعلق عليها أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، الطبعة الأولى السفر الثاني ص ٧).

=





ولم ينفرد ابن حزم بهذا وحده ، كما جزم بذلك الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر في كتابه "مكانة الصحيحين ص/ ٣٩٢" ، وإنما وافقه على ذلك الذهبي حيث قال: "... وفي صحيح مسلم قد ساق له - يعني عكرمة بن عمار - راوي الحديث - أصلاً منكرًا..." ثم ذكر حديث أبي سفيان (ميزان الاعتدال ٩٣/٢).

وعلى كل حال فقد أنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح - رحمه الله - على ابن حزم دعواه، وبالع في الشناعة عليه، واعتبر هذا من جسارة ابن حزم، وتخطئة الأئمة الكبار... وأجاب عن الحديث باحتمالين: أحدهما: احتمال قصد أبي سفيان تجديد العقد بعد إسلامه تطيباً لقلبه...، والآخر: أنه ظن أن إسلام الأب في مثل هذا يقتضي تجديد العقد...، وهذان الاحتمالان لم يرض بهما النووي حينما قال: وليس في الحديث أن النبي ﷺ جدد العقد، ولا قال لأبي سفيان: إنه يحتاج إلى تجديده... (شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ٦٣ ، ٦٤).

وقد كثرت توجيهات العلماء لإشكال هذا الحديث ، حتى قالت طائفة ، منهم البيهقي والمنذري: يحتمل أن تكون هذه المسألة من أبي سفيان وقعت في بعض خرجاته إلى المدينة ، وهو كافر حين سمع نهي زوج أم حبيبة بالحبشة... وقد أشار ابن القيم - رحمه الله - إلى التعسف والتكلف في هذا القول ... (زاد المعاد ١١٠/١ ، ١١١).

وابن سيد الناس حينما قال: إن هذا الحديث مخالف لما اتفق عليه أرباب السير والعلم بالخبر عطف على إجابة المنذري عن الحديث ، فقال: إنها تتساوك هزلًا!! (عيون الأثر ٢٠٧/٢). وإن كان الوجه الذي ذكره عنه يختلف عن الوجه الذي سبقت إشارة ابن القيم إليه.

وأشار ابن الأثير إلى أن هذا الحديث من أوهام مسلم !! (أسد الغابة ١١٦/٧). وتعقبه ابن حجر قائلًا: وفي جزمه بكونه وهماً نظراً... ثم أشار إلى بعض تأويلات العلماء للحديث.. (الإصابة ١٢ / ٢٦٢).

أما ابن القيم ، فقد اختلف حكمه على الحديث: فهو مرة يحكم بالوهم في الحديث ، كما في جلاء الأفهام ص ١٢٨ ، ومرة أخرى يحاول الإجابة عن هذا الحديث وما اعترض



به عليه ، ويؤوله بما يتناسب مع مكانة الصحيح... كما في زاد المعاد ١ / ١١٠ - ١١٢ .  
وقال الزرقاني - رحمه الله - بعد سوقه لتوجيهات العلماء حول الحديث : "وقد ظهر لي  
الجواب بأن المعنى يديم التزويج ، ولا يطلق كما فعل غيرها ، ولا ينافيه قوله عندي ، لأن  
الإضافة لأدنى ملابس ، ولا بأس به ، فإنه قريب" (شرح على المواهب اللدنية ٣ / ٢٤٤ ،  
٢٤٥).

أما ابن كثير فقد تعرض كغيره لحديث أبي سفيان ، وساق بعض الأوجه المحتملة  
للحديث ، ثم انتهى إلى القول "وهذه كلها ضعيفة والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه  
ابنته الأخرى" عمرة" لما رأى في ذلك من الشرف له ، واستعان بأختها أم حبيبة كما في  
الصحيحين ، وإنما وهم الراوي في تسميته أم حبيبة.. (السيرة النبوية ٢ / ٢٧٧).  
أقول : وهذا الرأي الأخير هو الذي تميل إليه النفس ، ولكن يمكن أن يضاف إليه رفع  
الوهم الذي أشار إليه ابن كثير ، بأن عزة (وليس عمرة كما ذكر ابن كثير) ورد أنها  
كانت تكنى هي الأخرى بأم حبيبة (انظر : زاد المعاد ١ / ١١٢ ، وشرح المواهب ٣ / ٢٤٤)  
وبهذا يزول وهم الراوي.

أما استشكال "ابن القيم" عليه بقوله ﷺ ولي أبا سفيان إمرة جيش ، فقاتل  
الكفار (قائداً) ... إلى أن يقول : والذي تحقق في حياة النبي ﷺ من المطالب الثلاثة التي  
طلبها أبو سفيان إنما هو جعل معاوية ، رضي الله عنه ، كاتباً للوحي فقط . اهـ (مكانة  
الصحيحين ص ٤٠٦ ، ٤٠٧).

ومن الباحثين المحدثين الذين تكلموا في الحديث الشيخ "الألباني" ، وقد جنح إلى ضعف  
الحديث مشيراً إلى أن راوية عن أبي زميل (عكرمة بن عمار) لا يستحق التكلف في  
تأويل حديثه للإبقاء عليه . (تعليقه على مختصر المنذري لصحيح مسلم ص ٤٥٧).

ولا زلت أقول : إن الحكم على ضعف حديث في الصحيحين - أو أحدهما - ينبغي أن لا  
يتوجه إليه ما زلنا نجد وجهاً للتأويل والتوجيه السليم ، وأضيف هنا بأن من اعتمد في  
تضعيفه أو استشكاله لهذا الحديث على حادثة مرور أبي سفيان - في فترة الهدنة - على  
النبي ﷺ بالمدينة وهو بعد لم يسلم ، وأنه مر بابنته "أم حبيبة" وهي عند النبي ﷺ ، فرغب



## استراق الجن للسمع قبل النبوة:

من الأمور المعروفة قبل بعثة النبي ﷺ والتي كان لها تعلق - فيما بعد - بنبوته عليه الصلاة والسلام : استراق الجن للسمع ، وتفيدنا روايات الصحيحين عن حقيقة هذا الاستراق ، وكيفيته ، ومتى منعوا من استراق السمع.

تحدث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فتقول : سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان ، فقال لهم رسول الله ﷺ : "ليسوا بشيء" ، قالوا : يا رسول الله ، فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً ، فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني ، فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة ، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة"<sup>(١)</sup>.

وتكشف لنا روايات آخر من من ، وكيف كان يسترق الشياطين السمع؟ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب<sup>(٢)</sup> - فتذكر الأمر قضي في السماء ، فتسترق

الجلوس عندها ، فنزعت من تحته فراش النبي ﷺ ، وقالت له : إنك مشرك نجس... إلخ. أقول: إن ذلك - لو صح - لا يعارض حديث مسلم المذكور لأن عرض أبي سفيان يتوجه إلى "عزة" لا إلى "رملة" زوج النبي ﷺ ، لكن هذا الخبر لم يكن مسلماً ، فقد ساقه ابن إسحاق دون إسناد (٣٢٣/٤) ، وأشار الألباني إلى ضعفه (تعليقه على فقه السيرة للغزالي ص ٤٠٥).

- (١) البخاري ٧ / ٢٨ : كتاب الطب ، باب الكهانة ، وفي كتاب الأدب ٧ / ١٢٢ : باب قول الرجل للشيء ليس بشيء وهو ينوي أنه ليس بحق.
- (٢) وفي الرواية الأخرى قال: الملائكة تتحدث في العنان ، والعنان الغمام - بالأمر يكون في الأرض. البخاري ٤ / ٩٤ ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده.



الشياطين السمع، فسمعته فتوحيه إلى الكهان...<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام "مسلم" في صحيحه ، و"ابن إسحاق" في السيرة بنسديهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصاري أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم، فاستنار، فقال لهم رسول الله: "ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: "فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السموات بعضاً، حتى يبلغ أهل هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه، فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون<sup>(٢)</sup>.

أما عن كيفيتهم وهيئتهم حال استراق السمع، فكتشفه رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - يبلغ به النبي ﷺ قال: "إذا قضى الأمر في السماء..." إلى قوله: فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق الآخر.. ووصف سفيان (هو ابن عيينة أحد رواة الحديث) بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها

(١) البخاري ٧٩ / ٤: كتاب الخلق ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم.

(٢) مسلم ١٧٥٠ / ٤ ، ١٧٥١: كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة، وإتيان الكهان، وابن إسحاق بنحو هذه الرواية وبالسند نفسه: انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ١١٢، والسيرة لابن هشام ١ / ٢٢٤ ، ٢٢٥.



إلى صاحبه، فيحرقه، وربما لم يدركه، حتى يرمى بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها في الأرض<sup>(١)</sup>.

واستمر الجن في استراقهم للسمع إلى أن بعث النبي ﷺ وما علم الجن بيعته إلا بعد أن حيل بينهم وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ ... الحديث<sup>(٢)</sup>.

### إسلام الجن:

ونستكمل الحديث عن الجن بمجيئهم إلى النبي ﷺ، وإعلان إيمانهم: ففي الحديث الماضي علمنا كيف فزعوا حين حيل بينهم وبين خبر السماء، وأنهم اتفقوا على أن يضربوا مشارق الأرض ومغاريها، ليعلموا أي شيء حال بينهم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة،

(١) البخاري ٥ / ٢٢١: كتاب التفسير (سورة الحجر)، وفي سورة سبأ: باب ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ ٦ / ٢٨، وفي سورة ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ﴾ ٦ / ٧٣.

(٢) البخاري ١ / ١٨٧: كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، ومسلم ١ / ٣٣١: كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن وسأتي على تكلمة الحديث في موضعه. وفي السيرة لابن إسحاق: فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ، وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد، انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ١١١، والسيرة لابن هشام ١ / ٢٢٢، ذكر ابن إسحاق دون إسناد).



عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، وقال: «يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجياً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً»، فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾، وإنما أوحى إليه قول الجن<sup>(١)</sup>.

والذي يظهر من روايات الصحيحين أن الجن جاءوا إلى النبي ﷺ واستمعوا إليه أكثر من مرة، علم بهم في بعضها - وهي المتأخرة - ولم يعلم بهم في بعضها الآخر - وهي المتقدمة في أول البعثة، وبهذا نوفق بين روايتي ابن عباس وابن مسعود التاليتين:

- ١ - رواية ابن عباس: قال ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن، وما رأيهم. انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء... إلى آخر الرواية<sup>(٢)</sup>.
- ٢ - رواية ابن مسعود: عن عامر الشعبي قال سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة أنا سألت ابن مسعود

---

(١) البخاري ١٨٧/١، ١٨٨: في كتاب الأذان، وفي كتاب التفسير ٧٣/٦: (سورة قل أوحى إلي)، والعبارة في آخر الرواية (وإنما أوحى إليه قول الجن) من قول ابن عباس، وكان يقول ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن، ولا رأيهم - كما سيأتي - ولكن البخاري اختصر هذه العبارة في حديثه، وكأنه تعمد ذلك، لأن ابن مسعود أثبت قراءته على الجن، فقدمه على نفي ابن عباس: انظر: (الفتح ٦٧٠/٨) وسيأتي مزيد تفصيل ذلك.

(٢) مسلم ١/٢٣١: كتاب الصلاة، والرواية نفسها أخرجها البخاري عن ابن عباس أيضاً، ولكن دون قوله: (ما قرأ على الجن وما رأيهم) كما سبق أن بينته في الصفحة السابقة.



فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكننا كنا مع رسول الله ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا يا رسول الله فقدناك، فطلناك، فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم، فقال رسول الله ﷺ: "فلا تستجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم"<sup>(١)</sup>.

قال الشعبي: وكانوا من جن الجزيرة<sup>(٢)</sup>.

ومما يشهد لرواية ابن مسعود، وأن النبي ﷺ علم بالجن، رواية أبي هريرة رضي الله عنه وقد تبع النبي ﷺ ذات يوم، فقال له: ابغني أحجاراً أستفض بها، ولا تأتني بعظم، ولا بروثه، فأنتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعت إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت معه، فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: "هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين - ونعم الجن - فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعماً"<sup>(٣)</sup>.

وكذا قول "مسروق" حينما سأل: من أذان النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا

(١) مسلم ١ / ٣٣٢: كتاب الصلاة.

(٢) المصدر نفسه ١ / ٢٢٢ هم جن نصيبين، قال ابن حجر: ونصيبين بلدة مشهورة بالجزيرة بين الشام والعراق (الفتح ٧ / ١٧٢).

(٣) البخاري ٤ / ٢٤٠: كتاب مناقب الأنصار: باب ذكر الجن.



القرآن؟ قال: حدثني ابن مسعود أنه آذنته بهم شجرة<sup>(١)</sup>.

وخلاصة القول - والذي يظهر لي والعلم عند الله - أن الجن قدموا على النبي ﷺ أول البعثة، حينما حيل بينهم وبين خبر السماء، وطافوا في الأرض يبحثون عن سبب ذلك، وفي هذه المرة - وعلى حسب رواية ابن عباس عند مسلم - أن النبي ﷺ لم يقرأ على الجن، ولم يرههم، ولكنهم - كما في الرواية - رجعوا إلى قومهم مؤمنين، ثم قدموا عليه بعد أن اشتهر الإسلام وانتشر، وعلم بهم، وسألوه فأجابهم، وربما كان لقاءه بهم على هذه الشاكلة - أعني علمه بهم وتعليمهم - أكثر من مرة، وهذا من أحسن وجوه الجمع بين الروايات<sup>(٢)</sup>.

وبالمقارنة مع ابن إسحاق نجده لا يذكر لقاء الجن بالنبي ﷺ في أول البعثة، وإنما يذكر استماع الجن للنبي ﷺ في أول البعثة، وإنما يذكر استماع الجن للنبي ﷺ منصرفه من الطائف وهو بنخلة، وهم سبعة نفر من جن نصيبين...<sup>(٣)</sup> وهذه إحدى زيادات الصحيحين على ابن إسحاق.

(١) البخاري ٤ / ٢٤٠: كتاب المناقب الأنصار، ومسلم ١ / ٣٣٣ كتاب الصلاة.

(٢) هذا الجمع قال به البيهقي في دلائل النبوة ٢ / ٢٢٧، والنووي في شرحه لصحيح مسلم ٤ / ١٦٧، واحتمله ابن كثير في التفسير ٧ / ١٧٩، وابن حجر في الفتح ٧ / ١٧٢، ٨ / ٦٧٠.

(٣) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ١١٤، وسيرة ابن هشام ٢ / ٣١، قال ابن كثير (معلقاً): وهذا صحيح، ولكن قوله - يعني ابن إسحاق - إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر، لأن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيمان، كما دل عليه حديث ابن عباس، وخروجه - عليه السلام - إلى الطائف كان بعد موت عمه، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين، كما قرره ابن إسحاق وغيره (تفسير ابن كثير ٧ / ٢٧٣) وأقول: إن الجمع الذي أشرت إليه يحل هذا الإشكال.





وفوق ما تقدم من ذكر إسلام الجن أشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام: "إن بالمدينة نضراً من الجن قد أسلموا ، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر ، فليؤذنه ثلاثاً ، فإن بدا له بعد فليقتله إنه شيطان"<sup>(١)</sup>.

وأشير أيضاً إلى قول ابن مسعود رضي الله عنه: نزلت في نضر من العرب كانوا يعبدون نضراً من الجن ، فأسلم الجنيون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون ، فنزلت ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويبقى خبر عمر مع الجن ، وتلك أرجئها إلى الحديث عن إسلام عمر بحول الله.

(١) مسلم ٤ / ١٧٥٧ : كتاب السلام ، باب قتل الحيات وغيرها.

(٢) المصدر نفسه ٤ / ٢٣٢١ : كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ .



## **الفصل الثاني :**

### **البعثة وبعض الأحداث في مكة**





## الفصل الثاني :

### البعثة وبعض الأحداث في مكة

#### إرهاصات النبوة:

اتصف النبي ﷺ قبل بعثته بصفات، وخصه الله بأشياء تشير إلى اصطفائه، وأنه كان يعد لأمر عظيم، وهذه الصفات وتلك الخصائص تشكل في مجموعها إرهاصات وبشائر لنبوته عليه الصلاة والسلام.

ونحيل هنا إلى ما سبقت الإشارة إليه منها، ونزيد عليها ما لم نأت عليه من قبل بمزيد من الشرح والبيان.

تولى النبي ﷺ رعي الغنم لأهل مكة، وقال: "وهل من نبي إلا وقد رعاها"<sup>(١)</sup>، وكان قومه "القرشيون" يقفون بمزدلفة، ومنها يفيضون، على حين كانت جماعة الناس تفيض من عرفات، أما هو فوقف، وأفاض من حيث يقف الناس بعرفات، وخالف بذلك مألوف قومه، ولفت أنظار الناس إليه كما سبق<sup>(٢)</sup>.

وفي أيام طفولته شق صدره، واستخرج حظ الشيطان منه<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري ٤ / ١٣٠ ، ٦ / ٢١٣ (سبقت) ، ومسلم ٣ / ١٦٢١ (سبقت أيضاً) وابن إسحاق بلفظ " ما من نبي... "السيرة لابن هشام ١ / ١٧٨ .

(٢) البخاري ٢ / ١٧٥ ، ومسلم ٢ / ٨٩٤ (سبقت) ، والسيرة لابن هشام ١ / ٢٢١ .

(٣) انظر: حادثة شق الصدر في الفصل الأول. وقد سبقت الإشارة إلى شق صدره وهو في ديار بني سعد، ونسوق هنا - بالتفصيل - رواية أبي هريرة في شق صدره وهو ابن عشر سنين حيث سأل النبي ﷺ، وقال: ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالساً، وقال "لقد سألت أبا هريرة، إنني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذا برجل يقول



وعند بناء الكعبة خر النبي ﷺ مغشياً عليه، حينما جعل إزاره على رقبتة لتقيه الحجارة - كما أرشده إلى ذلك عمه العباس - ثم أفاق وهو يقول: إزاري إزاري، فشد عيه إزاره، وما رؤي بعد ذلك اليوم عرياناً<sup>(١)</sup>.

ورمي الشياطين بالشهب، والحيلولة بينهم وبين خبر السماء، لفت أنظار الجن ومن سواهم من الكهان إلى أن هناك أمراً قد حدث<sup>(٢)</sup>، ولهذا ضربوا

---

لرجل: أهو هو؟ قال: نعم، فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدتها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إلي يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأخذهما مسا، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه بلا قصر ولا هصر، فقال أحدهما لصاحبه، اقلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري، ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغل والحسد، فأخرج شيئاً كههيئة العلقة، ثم نبذها فطرحها فقال له: أدخل الرحمة والرأفة، فإذا مثل الذي أخرج شبيهه الفضة، ثم هز إبهام رجلي اليمنى، فقال: اغد وأسلم، فرجعت بها، أغدو بها رأفة على الصغير ورحم على الكبير. قال الهيثمي: رواه عبد الله (بن أحمد)، ورجاله ثقات وثقهم ابن حبان (مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٢).

(١) انظر: (مخالفته لبعض عادات أهل الجاهلية) من الفصل الأول.

(٢) قال ابن إسحاق: أول العرب فزع للرمي بالنجوم - حين رمي بها - هذا الحي من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج، وكان أدهى العرب وأنكرها، فقالوا له: يا عمرو، ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم؟ قال: بلى، فانظروا، فإن كانت معالم النجوم التي يهتدي بها في البر والبحر، ويعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء، لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يرمى بها فهو والله على الدنيا وهلاك هذا الخلق، وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو؟ انظر: (الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل



مشارك الأرض ومغاربيها بحثاً وراء السبب...<sup>(١)</sup>.

وقصة "عمر" مع الكاهن الذي أخبره عن حديث الجن وإخبارهم عن شأن النبي ﷺ قبل بعثته تعد من إرهاصات النبوة<sup>(٢)</sup>.

ومن إرهاصات النبوة معرفة أحبار اليهود، ورهبان النصارى، وكهان العرب بخبر مبعثه قبل أن يبعث، لما تقارب من زمانه.

قال ابن إسحاق: أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه، وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف من النجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره، لا تلقي العرب لذلك فيه بالأ، حتى بعثه الله

---

زكار ص ١١٣، وسيرة ابن هشام ١ / ٢٢٤).

وهذه الرواية رواها ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريف الثقفي (ت ١٢٨هـ) وهو ثقة، قاله ابن معين، وأبو حاتم، والنسائي، والدارقطني، وابن حبان، وقال عنه ابن سعد: كان ثقة له أحاديث كثيرة ورواية وعلم بالسيره وغير ذلك. (تهذيب التهذيب ١١ / ٣٩٢).

وقال الذهبي: روى حديث "يعقوب بنحوه" حصين" عن "الشعبي" لكن قال: فأتوا عبد ياليل بن عمرو الثقفي، وكان قد عمى، وقد جاء غير حديث بأسانيد واهية أن غير واحد من الكهان أخبره رثيه من الجن بأسجاع ورجز فيها ذكر مبعث النبي ﷺ وسمع من هواتف الجان من ذلك أشياء (السيرة ص ٦٦).

(١) انظر: (استراق الجن للسمع قبل النبوة) في الفصل الأول.

(٢) سنأتي على تفصيل الحادثة في إسلام عمر بمشيئة الله.



تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانت يذكرون فعرفوها...<sup>(١)</sup>

وساق ابن إسحاق بسنده إلى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهدها ، لما كانا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شرك ، أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقاتلكم معه قتل عاد وإرم... إلخ الرواية<sup>(٢)</sup>.

"وهرقل" حين جاءه الخبر برسالة النبي ﷺ قال: وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه... إلى آخر كلامه<sup>(٣)</sup>.

وكان من أسباب إسلام أوائل الأنصار (النفر الستة) ما كانوا يسمعون من يهود المدينة عن بعثة النبي ﷺ ، فلما عرض عليهم الإسلام قال بعضهم لبعض: يا قوم: تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٢٢١/١ وهو دون إسناد ، كما سبق.

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ٢٣١/١ ويبدو قوة إسناد هذه الرواية فابن إسحاق صرح بالتحديث ، وعاصم بن عمر: ثقة عالم بالمغازي (كما في التقريب ٢٨٥/١).

(٣) البخاري ٦ / ١ بدء الوحي ٤/٤: كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام النبوة ، ١٦٩ / ٥: كتاب التفسير ، باب ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ... ﴾ ، ومسلم ٣ / ١٣٩٥: كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

(٤) انظر: السيرة لابن هشام ٢٧/٢ ، وسيأتي الحديث عن الرواية مفصلاً في مقدمات الهجرة.





كما سبق لنا الحديث عن قصته مع بحيري الراهب بما يغني عن إعادته هنا ، وهي أيضاً واحدة من إرهاصات النبوة<sup>(١)</sup>.

ومن إرهاصات نبوته ﷺ : تسليم الحجر والشجر عليه قبل نبوته ، يقول ﷺ :  
"إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن"<sup>(٢)</sup>.

وكذا الرؤيا الصادقة (أو الصالحة) في النوم ، فكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وهي أول ما بدئ به من الوحي<sup>(٣)</sup> ، وإن كانت تلك ليست خاصة بالنبى ﷺ<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: في الفصل الأول "نشأته ﷺ".

(٢) مسلم ٤ / ١٧٨٢ : كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، وابن إسحاق - كما في السيرة لابن هشام ١ / ٢٥٢ / زاد : فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . وقد رواه ابن إسحاق عن عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي - وكان واعية - عن بعض أهل العلم.

(٣) البخاري ٢ / ١ بدء الوحي ، وفي التفسير ٦ / ٨٧ (اقرأ) ، وفي التعبير ٨ / ٦٧ أول ما بدئ به من الوحي ، ومسلم / ١٣٩ : كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي.

(٤) فقد جاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال : " لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا : وما المبشرات؟ قال : الرؤيا الصالحة " ٨ / ٦٩ : كتاب التعبير ، باب المبشرات ، وفي رواية : «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» ٨ / ٦٩ باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.



## العزلة والتحنث :

ثبت في الصحيحين أنه كان ﷺ قبل البعثة يعتزل قومه ويتحنث، فقد حبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء، فيتحنث فيه – والتحنث: التعب<sup>(١)</sup> – الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود بمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء<sup>(٢)</sup>.

وجاء في بعض روايات الصحيحين: جاورت بحراء شهراً<sup>(٣)</sup>. وذكر ابن إسحاق

(١) هكذا جاءت مفسرة في روايات الصحيحين، وهي من تفسير وإدراجة الزهري كما جزم به الطيبي، والتحنث: إلقاء الحنث وهو الإثم، كما قيل: يتأثم ويتحرج ونحوها. (انظر: الفتح ٢٢/١). أو هي بمعنى التحنف. قال ابن هشام: تقول العرب: التحنث والتحنف، يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء (السيرة ٢٥٤/١).

(٢) البخاري ٣/١: بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وفي كتاب التفسير ٨٨/٦ (سورة اقرأ) وفي كتاب التعبير، باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي ٦٧/٨، ومسلم ١/١٤٠: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٣) وقفت على ذلك صريحاً عند مسلم ١/١٤٤: كتاب الإيمان...، أما البخاري ٦/٧٤: التفسير (سورة المدثر) فالذي وقفت عليه ذكره للمجاورة في المواطن نفسها التي يذكرها مسلم دون أن أقف على التحديد بشهر، وإن كان ابن حجر ذكرها في الفتح في شرحه واستشكلها بقوله: والمشكل من رواية يحيى بن أبي كثير - أحد رواة حديث البخاري - قوله: جاورت بحراء شهراً.. ويزيل الإشكال أحد أمرين: إما أن يكون سقط على يحيى بن أبي كثير وشيخه من القصة مجيء جبريل بحراء باقراً باسم ربك وسائر ما ذكرته عائشة، وإما أن يكون جاور ﷺ بحراء شهراً آخر، فقد تقدم أن في مرسل عبيد بن عمير عند البيهقي أنه كان يجاور في كل سنة شهراً وهو رمضان. فكان ذلك في مدة فترة الوحي (وهذا التحديد بمدة فترة الوحي هو الذي يفهم من سياق الرواية) الفتح ٦٧٨/٨.



أن ذلك في شهر رمضان<sup>(١)</sup>.

وهذا التحث تقف رواية الصحيحين دون أن يتبين لنا كنهه، وماذا يجري فيه<sup>(٢)</sup>. ويذكر ابن إسحاق أن ذلك مما تحث به قريش في الجاهلية<sup>(٣)</sup>، كما يذكر أن النبي ﷺ كان يطعم فيه من جاءه من المساكين<sup>(٤)</sup>.

### نزول الوحي:

تفيد رواية الصحيحين أن أول ما بدئ به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة أو الصادقة - كما في بعض الروايات - في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه... حتى فجأته الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: "ما أنا بقارئ" قال: "فأخذني فغطني حتى بلغ من الجهد"، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: "ما أنا بقارئ"، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني،

(١) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ١٢١، وسيرة ابن هشام ٢٥٣ / ١، ٢٥٤.

(٢) بل إن بعض الباحثين يعمم، فيقول محقق الروض الأنف عبدالرحمن الوكيل ليس هناك نص صريح أو صحيح يبين لنا يكف كان يتحنث، ثم يقول: وأذكر هنا بقول الله سبحانه عما كان عليه محمد قبل البعثة: ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ وقوله: ﴿ وَجَدَكَ ضَلَّالًا فَهَدَى ﴾ فهي إذا كانت عزلة عن مجتمع جاهلي عربدت فيه الخطيئة. والمفهوم من كلام ابن هشام أن هذا التحث أمر كانت تأتيه قريش في جاهليتها. ا هـ (حاشية الروض الأنف للسهيلي ٢/٣٩٠).

(٣) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ١٢١ والسيرة لابن هشام ٢٥٣ / ١.

(٤) الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ١٢١ المصدر نفسه ٢٥٤ / ١.



فقال: اقرأ فقلت: "ما أنا بقارئ" فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بواديه<sup>(١)</sup>، حتى دخل على خديجة، فقال "زملوني زملوني"، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: "أي خديجة مالي؟" وأخبرها الخبر قال: لقد خشيت على نفسي" قالت له خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق في الحديث وتحمل الكل<sup>(٢)</sup>، وتكسب المعدوم<sup>(٣)</sup>، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أحنت به ورقة بن نوفل... كما سيأتي بيانه<sup>(٤)</sup>.

بهذه الشدة كان نزول الوحي على النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، ولهذا قال ابن عباس رضي

(١) سورة اقرأ الآيات من ١ - ٥، وفي هذا تأكيد على كونها أول ما نزل من القرآن كما سيأتي.

(٢) هذه اللفظة تتفق عليها رواية الصحيحين. وفي بدء الوحي - في البخاري - "يرجف فؤاده".

(٣) الكل: أصله الثقل.

(٤) أي تعطي غيرك المال المعدوم تبرعاً، أو تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق.

(٥) البخاري ١ / ٢: بدء الوحي، وفي كتاب التفسير (سورة اقرأ) ٦ / ٨٧، وفي التعبير ٨ / ٦٧:

باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي، ومسلم ١ / ١٣٩، وما بعدها: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي.

(٦) قال الخطابي: وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه، فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة، ولذلك كان يعتربه مثل حال المحموم، وتأخذه الرخصاء أي: البهر



اللَّهُ عنهما: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة<sup>(١)</sup>. وتقول عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً<sup>(٢)</sup>. وكان إذا نزل عليه جبريل بالوحي يحرك به لسانه وشفتيه، فيشد عليه، ويعرف منه ذلك، حتى أنزل الله عليه قوله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتريد وجهه<sup>(٤)</sup>.

ويبلغ من شدة الوحي على النبي ﷺ أن يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: «...فأنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي...»<sup>(٥)</sup>.

والعرق (عن السيرة لابن كثير ١ / ٣٩٣).

ويقول السهيلي: وكان في ذلك إظهار للشدة والجد في الأمر، وأن يأخذ الكتاب بقوة، ويترك الأناة، فإنه أمر ليس بالهويني (الروض الأنف ٢ / ٤٠٠).

(١) مسلم ١ / ٣٣٠: كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة.

(٢) البخاري ١ / ٣ (سبق)، ومسلم ٤ / ١٨١٦: كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، بلفظ: "إن كان لينزل على رسول الله ﷺ في الليلة الباردة ثم تفيض جبهته عرقاً".

(٣) البخاري ٦ / ٧٦ كتاب التفسير (سورة القيامة)، ومسلم ١ / ٣٣٠ كتاب الصلاة (سبق).

(٤) مسلم ٤ / ١٨١٧: كتاب الفضائل (سبق).

(٥) البخاري ٥ / ١٨٢: كتاب التفسير (سورة النساء) باب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله.



## أنواع الوحي :

وإذا كان الوحي شديداً - كما سبق ذكره - فإن معرفة أنواعه توضح أشده، وقد سأل الحارث بن هشام<sup>(١)</sup> - رضي الله عنه - رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده لي - فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»<sup>(٢)</sup>.

وهاتان الحالتان كلتاهما عن طريق الملك كما توضحه الرواية الأخرى والسائل نفسه يقول: كيف يأتيك الوحي؟ قال: "كل ذلك يأتي الملك أحياناً رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول"<sup>(٣)</sup>.

وأشير هنا إلى ضرب من ضروب الاختلاف بين مدلول روايات الصحيحين وابن إسحاق في ابتداء الوحي هل كان في اليقظة، أو والنبي ﷺ في المنام؟ فروايات الصحيحين - كما أسلفت - تظهر مجيء الملك في حال اليقظة،

(١) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي أخو أبي جهل، وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، كان شريفاً مذكوراً، شهد بدرًا وأحداً مع المشركين وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه، خرج في زمن عمر بأهله وماله من مكة إلى الشام. اختلف في وفاته فقيل: مات في طاعون عمواس، وقيل: استشهد يوم اليرموك. (الإصابة ١٨١/٢).

(٢) البخاري ٢/١، ٣: بدء الوحي (سبق)، ومسلم ٤/١٨١٦، ١٨١٧: كتاب الفضائل (سبق).

(٣) البخاري ٤/٨٠: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، قد تعرض ابن حجر - عليه رحمة الله - لأنواع الوحي، وأوجه الجمع بينها وبين تحديد هذين النوعين الواردين في هذه الأحاديث، فليرجع إليه للفائدة (فتح الباري ١/١٩).



أو والنبي ﷺ في المنام؟

أما ابن إسحاق فيقول في روايته: "حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برسائله ورحم العباد بها، جاءه عليه السلام بأمر الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: "فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ... إلى آخر الرواية"<sup>(١)</sup>.

والرواية واضح فيها أن ذلك كان في حال المنام، لكن الرواية جاءت مرسلة، وبعض العلماء حاول التوفيق بينها وبين رواية الصحيحين<sup>(٢)</sup>.

(١) السيرة لابن هشام ٢٥٤ / ١.

(٢) سند الرواية: قال ابن إسحاق: وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد، كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام؟ قال: فقال عبيد... إلخ. انظر (سيرة ابن هشام ٢٥٢/١).

فالإرسال واضح من عبيد بن عمير، فهو وإن كان ثقة، إلا أنه من التابعين (انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٧ / ٧١).

وقد تعرض العلماء لرواية ابن إسحاق هذه، محاولين التوفيق بينها وبين رواية الصحيحين، فقال السهيلي: "وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة وتوطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به... إلى أن يقول: وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ وكل به إسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين، ويأتيه الكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه ﷺ في أحوال مختلفة، فمنها النوم كما في حديث ابن إسحاق، وكما قالت عائشة أيضاً أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة...." (الروض الأنف ٢/٣٩٢، ٣٩٣).

قلت: أما ما ذكره السهيلي من احتمال مجيء الملك في النوم قبل اليقظة تمهيداً وتوطئة،

=

فقد قال به غيره، وقد جاء مصرحاً بهذا في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة (انظر: السيرة لابن كثير ١ / ٢٨٧)، وقال ابن سيد الناس: "وفي حديث عبيد بن عمير في خبر نزول جبريل عليه السلام قال رسول الله ﷺ: "فجاءني وأنا نائم" فهذه حالة، وحديث عائشة وغيرها أنه كان في اليقظة فهذه حالة ثانية، ولا تعارض لجواز الجمع بينهما ووقوعهما معاً ويكون الإتيان في النوم توطئة للإتيان في اليقظة". (عيون الأثر ١ / ٨٩) كما نقل ذلك ابن كثير حيث قال: وقول عائشة أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة يقوي ما ذكره ابن إسحاق عن عبيد بن عمير، وإن كان ذلك كالتوطئة للإتيان في اليقظة". (عيون الأثر ١ / ٨٩) كما نقل ذلك ابن كثير حيث قال: وقول عائشة أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة يقوي ما ذكره ابن إسحاق عن عبيد بن عمير، وإن كان ذلك كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة (السيرة ١ / ٢٨٧).

وقال ابن حجر: وإن ثبت من مرسل عبيد بن عمير أنه أوحى إليه بذلك في المنام أولاً قبل اليقظة أمكن أن يكون مجيء الملك في اليقظة عقب ما تقدم في المنام.. (الفتح ١ / ٢٣). على أن هناك من يرى عدم إمكانية الجمع بين حديث عائشة وحديث عمير بن عبيد. يقول عبدالرحمن الوكيل: رواية المنام من مراسيل عبيد بن عمير وهي مخالفة لرواية الصحيحين المسندة المرفوعة، والجمع بين الروايتين بأن هذا كان مرتين الأولى في المنام، والأخرى في اليقظة تأويل فاسد، فلو أن هذا حدث ما حدث له كل ذلك الذي أصابه من شدة الوحي في المرة الأخرى (حاشية الروض الأنف ٢ / ٤٠١).

أما استدلال السهيلي بحديث الشعبي في قرن إسرافيل بالنبي ﷺ ثلاث سنين فقد أنكره الواقدي قائلاً: "ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبي ﷺ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون: لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الوحي إلى أن قبض ﷺ (انظر: الطبقات لابن سعد ١ / ١٩١). ونقل الطبري هذا القول عن الواقدي وذكر إنكار عبدالله بن أبي بكر بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة (وهما من أهل السير)





## فترة الوحي وأول ما نزل من القرآن:

جاء في رواية عائشة السابقة وفترة الوحي فترة، زاد الزهري<sup>(١)</sup> «حتى حزن

لذلك (تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٦).

كما نقل الصالحي في سيرته إنكار الواقدي ثم قال: وهو المعتمد (سبل الهدى والرشاد ٢ / ٣١٠) وكان "ابن حجر" لم يرضه رد الواقدي فقال: ولا يخفى ما فيه، فإن المثبت مقدم على النافي إلا أن صحب النافي دليل نفيه فيقدم، والله أعلم (الفتح ١ / ٢٧) لكن مما ينبغي أن يعلم أن ابن حجر لم يجزم بمرسل الشعبي بل قال: (إن ثبت). وهذا المرسل للشعبي - كما قال الزرقاني - وإن صح إسناده إلى الشعبي فهو مرسل أو معضل، وقد عارضه ما هو أصح منه (شرح المواهب ١ / ٢٣١).

والذي أصح منه اعتمد عليه "الصالحي" في رده لحديث الشعبي حيث قال: ورد ما يوهي أثر الشعبي وهو ما رواه مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: بينا النبي ﷺ جالس وعنده جبريل إذا سمع نقيضاً من السماء من فوق فرجع جبريل بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط، قال: فأتي النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين أوتيتهما.. إلخ الحديث.

قال جماعة من العلماء: إن هذا الملك إسرافيل (سبل الهدى والرشاد ٢ / ٣١٠).

فإن اعترض على ذلك بالقول: ومن أين لجماعة من العلماء بالقول بأن المقصود بالملك في الحديث إسرافيل؟ (اعترض بذلك صادق عرجون في كتابه محمد رسول الله ١ / ٤٨٢، وهو يرى صحة أثر الشعبي ويرد على من خالفه) أجيب عن ذلك بحديث آخر رواه الطبري والبيهقي - بسند حسن - وفيه التصريح بإسرافيل، ورواه ابن حبان أيضاً في صحيحه وزاد: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة. (انظر تفصيل ذلك في سبل الهدى والرشاد ٢ / ٣١٠).

(١) ضعف بعض العلماء هذه الزيادة، فقال ابن حجر: القائل فيما بلغنا هو الزهري، ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصة وهو من بلاغات



النبي ﷺ - فيما بلغنا - حزنا غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدي له جبريل ، فقال يا محمد : إنك رسول الله حقاً ، فيسلكك لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذورة جبل تبدي له جبريل فقال له مثل ذلك<sup>(١)</sup>.

هذه الفترة - كما نفهم من الرواية الآتية - تبدو متقدمة في أول البعثة ،

=

الزهري وليس موصولاً ، وقال : هذا من زيادة معمر على رواية عقيل ويونس ، ثم قال : وصنيع المؤلف يوهم أنه داخل في رواية عقيل ، وقد جرى على ذلك الحميدي في "جمعة" ... ، ثم نقل قول الكرمانى في كون الظاهر له أن ذلك من بلاغات الزهري ، ويحتمل أن يكون بلغة بالإسناد المذكور ، وكذا ما وقع عند ابن مردويه في التفسير في كون الزهري أدرجها ، قال ابن حجر : والأول - كأنه يشير إلى كونها غير متصلة - هو المعتمد ... (الفتح ٣٥٩/١ ، ٣٦٠).

وقال الألباني - في رده على البوطي - هذه الزيادة لها علتان : الأولى : تفرد معمر بها دون يونس وعقيل فهي شاذة ، الأخرى : أنها مرسلة مفصلة ثم قال : واعلم ان هذه الزيادة لم تأت من طريق موصولة يحتج بها - كما بينته في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ٤٨٥٨ وأشارت إلى ذلك في التعليق على "مختصرى لصحيح البخارى" ٥/١ ، وأخيراً قال : وإذا عرفت عدم ثبوت هذه الزيادة قلنا الحق أن نقول : إنها زيادة منكورة من حيث المعنى ، لأنه لا يليق بالنبي ﷺ المعصوم أن يحاول قتل نفسه بالتردي من الجبل مهما كان الدافع له على ذلك وهو القائل : "من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً" أخرجه الشيخان وغيرهما ... (دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص ٤١).

(١) البخاري ٦٨ / ٨ : كتاب التعبير (سبق).



حيث جاء في الرواية : ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفترة الوحي<sup>(١)</sup>. وسياقها بعد نزول «اقرأ» تقوي ذلك، كما يبدو من زيادة الزهري - إن صحت - أن أمد هذه الفترة ليس بالتصير، وقد جاء فيها: فإذا طال عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك<sup>(٢)</sup>.

وانقضت الفترة، وعاد الوحي إلى النبي ﷺ مرة أخرى، ويحدثنا رسول الله ﷺ عن فترة الوحي فيقول: "فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، ففرقت منه، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني، فذرهم، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَتَبَارَكَ فَطَهَّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾"<sup>(٣)</sup>.

هذه الرواية صريحة في كون "سورة المدثر" هي أول ما نزل من القرآن بعد

(١) المصدر نفسه ١ / ٤: بدء الوحي. والملاحظ أن هذه الرواية أو غيرها من روايات البخاري ومسلم لا تذكر زيادة الزهري والمذكورة في الرواية السابقة في كتاب التعبير.

(٢) وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين، قال ابن حجر: وبه جزم ابن إسحاق (الفتح ١/٢٧). وقال السهيلي: وذكر ابن إسحاق فترة الوحي عند رسول الله ﷺ، ولم يذكر مقدار مدة الفترة (وكذا ابن سيد الناس ١/٩٠). وقد جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة (الروض الأنف ٢/٤٢٣). وقال ابن كثير: وقد قال بعضهم: كانت مدة الفترة قريباً من سنتين، أو سنتين ونصفاً، ثم قال: والظاهر - والله أعلم - أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل، كما قال الشعبي وغيره (انظر: السيرة ١/٤١٤) والفصول في اختصار سيرة الرسول للمؤلف نفسه ص/ ٨٤، (٨٥).

أما ابن سعد فقال في روايته عن ابن عباس: إنها كانت أياماً (الطبقات ١/١٩٦).

(٣) البخاري ١ / ٤: في بدء الخلق ٤ / ٨٤، وفي التفسير ٦ / ٧٥، ٨٩، وفي الأدب ٧ / ١٢٢، ومسلم ١ / ١٤٣: الإيمان.



فترة الوحي ودلالات الرواية على هذا كثيرة: فالرسول ﷺ يحدث عن «فترة الوحي» لا عن أول نزول القرآن، بل يصرح في الرواية عن مجيء الملك - السابقة<sup>(١)</sup>.

أما حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - حين سأله أبو سلمة: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، فقلت - أبو سلمة - أو ﴿اقْرَأْ﴾؟ فقال: أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فتوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أر أحداً، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء (يعني جبريل عليه السلام) فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة فقلت: دثروني دثروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَتَبَارَكَ فَطَهَّرْ (٤)﴾<sup>(٢)</sup>.

فهذه الرواية تحمل على أن ذلك بعد فترة الوحي<sup>(٣)</sup>.

(١) وللمزيد انظر تعليق "ابن حجر" في حديث عائشة رضي الله عنها... إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار" (الفتح ٩ / ٤٠).

(٢) البخاري ٦ / ٧٤، ٧٥: كتاب التفسير (سورة المدثر)، ومسلم ١ / ١٤٤: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي.

(٣) وهذا هو المشهور وهو المنقول عن جمهور العلماء، فعروة بن الزبير - مثلاً - يذكر نزول ﴿اقْرَأْ﴾، ثم يقول: ويزعم ناس أن ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أول سورة أنزلت عليه والله أعلم (مغازي عروة.. ص ١٠١، وذكر ابن شهاب الزهري نزول المدثر بعد فترة الوحي في مغازيه (ص ٤٤، ٤٥). ونقل ابن جرير الطبري أن أول ما نزل من القرآن بعد ﴿اقْرَأْ﴾ ﴿ن وَالْقَلَمِ



وَمَا يَسْطُرُونَ» ، و «يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ» (تاريخ الطبري ٢ / ٢٩٩)، وقال النووي: قوله: "إن أول ما نزل قوله تعالى «يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ» ضعيف باطل، والصواب: أن أول ما نزل على الإطلاق «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» ... وأول ما نزل بعد فترة الوحي «يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ» ... (شرحه على صحيح مسلم ٢٠٧/٢، ٢٠٨، ونسب ابن سيد الناس إلى عائشة وعبيد بن عمير، ومحمد بن عباد بن جعفر، والحسن البصري، وعكرمة، ومجاهد، والزهري القول بأن (اقرأ) هي أول ما نزل من القرآن (عيون الأثر ٨٨/١)، ويقول ابن تيمية: إن أول ما نزل (اقرأ) عند جماهير العلماء... وهي أمر بالقراءة، وبها صار نبياً، وقوله «فَمَنْ قَانِزِبْ» أمر بالإنذار، وبها صار رسولاً منذراً ، إلى أن يقول: وبكل حال فالزهري عنده حديث عروة عن عائشة، وحديث أبي سلمة عن جابر وهو أوسع علماً وأحفظ من يحيى ابن أبي كثير راوي حديث جابر لو اختلفا ، لكن يحيى ذكر أنه سأل أبا سلمة عن الأولى، فأخبر جابر بعلمه، ولم يكن علم ما نزل قبل ذلك، وعائشة أثبتت وبينت.. (الفتاوى ١٦ / ٢٥٤ - ٢٥٩) "بتصرف"، أما الذهبي فقد أورد رواية جابر ثم قال بعدها: وهو نص في أن «يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ» نزلت بعد فترة الوحي الأولى وهو «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» فكان الوحي الأول للنبوّة والثاني للرسالة (السيرة ص٦٩)، ويقول ابن كثير: إن المدثر أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي لا مطلقاً... (السيرة ٤١٢/١) ويقول ابن حجر: والمشكل من رواية يحيى بن أبي كثير (هي رواية جابر) قوله: جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي... إلى قوله: فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء - يعني جبريل - فأتيت خديجة فقلت: دثروني . ويزيل الإشكال أحد أمرين: إما أن يكون سقط على يحيى وشيخه من القصة مجيء جبريل بحراء ب «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» وسائر ما ذكرته عائشة، وإما أن يكون جاور بحراء شهراً آخر، وذلك في مدة فترة الوحي ... (الفتح ٨ / ٦٧٨).

وذكر السيوطي في الإتيان عدة أجوبة لرفع إشكال حديث جابر. واستحسن فيها وجهين أحدهما: أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة ، فبين أن سورة "المدثر" نزلت كما لها قبل نزول تمام السورة "اقرأ" والآخر : أن جابراً استخرج باجتهاده وليس هو من



ونعود إلى ابن إسحاق فنجده يذكر نزول (اقرأ) <sup>(١)</sup> أولاً لكنه حين يتحدث عن فترة الوحي يذكر أن أول ما نزل بعدها سورة (الضحى) <sup>(٢)</sup> مخالفاً بذلك لروايات الصحيحين، صحيح أن الشيخين (البخاري ومسلماً) تحدثا عن فترة أخرى للوحي نزل على إثرها (والضحى) لكن هذه الفترة - كما يبدو - فترة أخرى غير الفترة الأولى التي نزل على إثرها (المدثر).

والروايات فيها جاءت على هذا النحو: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة <sup>(٣)</sup> فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ <sup>(٤)</sup>.

وفي رواية: أبطأ (أو احتبس) جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون: قد

=

روايته، فيتقدم عليه ما روته عائشة (الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي ٣٢٢/١).

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٥٤ ، ٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه ١ / ٢٦٠. قال ابن كثير معلقاً على رأي ابن إسحاق. وهو قول بعيد يردده ما تقدم من رواية صاحبي الصحيح من أن أول القرآن نزولاً بعد فترة الوحي ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ ، ولكن نزلت سورة "الضحى" بعد فترة أخرى كانت ليالي سيرة (السيرة لابن كثير ١ / ٤١٣ ، ٤١٤).

(٣) هي: أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب . (انظر: الفتح ٨ / ٧١٠).

(٤) البخاري ٦ / ٨٦: (التفسير) سورة الضحى، وفي التهجد ٢ / ٤٣، وفي فضائل القرآن ٩٧/٦، ومسلم ٣ / ١٤٢٢ في الجهاد والسير.



ودع محمد ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾<sup>(١)</sup>.

والم تأمل - في سيرة ابن هشام - يجد ابن إسحاق يذكر فترة أخرى للوحي نزل على إثرها سورة الكهف، وذلك بعد أن مكث النبي ﷺ خمسة عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل، وكان ذلك حينما أعلم أحبار اليهود نضراً من كفار قريش بأسئلة يسألون فيها النبي ﷺ، فإن أخبر عنها فهو نبي، وإلا فهو متقول - كما يقولون - فجاءوا إلى النبي ﷺ فسألوه عن أصحاب الكهف، والرجل الطواف، والروح، فوعدهم بالإجابة غداً - ولم يستثن - فمكث تلك الفترة لا يأتيه شيء حتى أرجف به أهل مكة، وشق عليه ذلك، وحزن له... حتى جاءه جبريل بسورة أصحاب الكهف<sup>(٢)</sup>.

### زمن البعثة ومدة إقامته بمكة والمدينة:

اتفق البخاري ومسلم على أنه - ﷺ بعث لأربعين سنة<sup>(٣)</sup>، وكذا الأمر عند

(١) مسلم ٣ / ١٤٢١: كتاب الجهاد والسير.

(٢) ابن هشام ١ / ٣٢١، ٣٢٢، ذكره ابن إسحاق بلاغاً عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في السيرة، ونقله عنه الطبري في تفسيره ١٥ / ١٢٧، ١٢٨، وأسنده عنه، فقال: عن ابن إسحاق قال: حدثني شيخ من أهل مصر؟ قد علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة، عن ابن عباس، ثم ذكره. قلت: الإسناد متوقف على معرفة من يكون هذا الشيخ لاسيما وابن إسحاق متهم بالتدليس.

(٣) البخاري ٤ / ٢٣٨: كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي ﷺ، وفي باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٤ / ٢٥٢، وفي كتاب المناقب ٤ / ١٦٤، ١٦٥: باب صفة النبي ﷺ، وفي كتاب اللباس ٧ / ٥٧: باب الجعد، ومسلم ٤ / ١٨٢٤: كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه، وفي باب: كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة ٤ / ١٨٢٧.



ابن إسحاق<sup>(١)</sup>. وعنده أن ذلك كان في شهر رمضان<sup>(٢)</sup>، ويزيد مسلم أن ذلك كان يوم الاثنين<sup>(٣)</sup>.

ولكن الخلاف وارد في مدة إقامته بمكة، فالمشهور إقامته بمكة - منذ بعثته إلى هجرته - ثلاثة عشر عاماً وهو مروى في الصحيحين عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. وذكره ابن إسحاق<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه أقام بمكة خمس عشرة سنة<sup>(٦)</sup>.

ورواية ثالثة عن ابن عباس، وعائشة، وأنس بن مالك (رضي الله عنهم) أنه أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن. كما في الصحيحين<sup>(٧)</sup>، وذكرها يونس بن بكير بسنده عن سعيد بن المسيب<sup>(٨)</sup>.

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٥١ ، ٢٥٢. انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ١٣٠ ، ١٣٤.

(٢) المصدر نفسه ١ / ٢٥٤ ، ٢٥٨. قال ابن كثير: وهو المشهور كما نص عليه عبيد بن عمير وابن إسحاق (السيرة ١ / ٣٩٢).

(٣) ٢ / ٨١٩ ، ٨٢٠: كتاب الصيام (سبق). قال ابن كثير. وهذا مما لا خلاف فيه بينهم (السيرة ١ / ٣٩٢).

(٤) البخاري ٤ / ٢٣٨ (سبق) ، ٤ / ٢٥٣ (سبق أيضاً) ، ومسلم ٤ / ١٨٢٥ ، ١٨٢٦ (سبق).

(٥) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ١٣٤.

(٦) مسلم ٤ / ١٨٢٧ (سبق).

(٧) البخاري ٤ / ١٦٤ ، ١٦٥ ، (سبق)، وفي كتاب المغازي ٥ / ١٤٤ ، باب وفاة النبي ﷺ ، وفي فضائل القرآن ٦ / ٩٦ ، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل ، ٧ / ٥٧ في اللباس (وقد سبق) ، ومسلم ٤ / ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ في الفضائل (وقد سبق).

(٨) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ١٣٤.





تلك هي جملة الروايات المختلفة في تحديد فترة إقامته بمكة، وقد تعرض لها العلماء بالشرح والبيان، فحاول بعضهم الجمع بينها بأوجه محتملة<sup>(١)</sup>، ومال

(١) منهم الحاكم حيث استدرک علی الصحیحین حدیث علی "إن الله عز وجل عمر نبيه ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة" قال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرک، ثم قال الحاكم: وقد اتفقت الروايات على هذه مع الروايات التي أخرجها عن ابن عباس رضي الله عنهما، فأما خبر أنس ومعاوية - وإن صححت أسانيدهما - في عشر سنين، فليس عليهما القول والعمل (المستدرک ٢/٢).

أما السهيلي فقد جنح إلى الترجيح بين الأقوال، حيث قال - وهو يتحدث عن فترة الوحي: وقد جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها - فترة الوحي - كانت سنتين ونصف سنة، فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك، إن مكثه بمكة كان عشر سنين، وقول ابن عباس: ثلاث عشرة سنة، وكان قد ابتدئ بالرؤيا الصادقة ستة أشهر، فمن عد مدة الفترة وأضاف إليها الأشهر الستة كانت كما قال ابن عباس، ومن عدّها من حين حمي الوحي وتتابع كما في حديث جابر - كانت عشر سنين، ثم يقول: ووجه آخر في الجمع بين القولين أيضا، وهو أن الشعبي قال: وكل إسرافيل بنبوة محمد ﷺ ثلاث سنين، ثم جاءه بالقرآن جبريل...، وإذا صح - هذا الحديث - فهو أيضاً وجه في الجمع بين الحديثين (الروض الأنف ٢ / ٤٣٣، ٤٣٤) وهذا الوجه - الأخير - ذكره قبله الطبري في تاريخه (٢٨٧/٢).

أقول: والوجه الأخير في الجمع اعترض عليه ابن حجر قائلاً: هذا الذي اعتمده السهيلي من الاحتجاج بمرسل الشعبي لا يثبت، وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة المذكورة كانت أياماً (انظر الفتح ١ / ٢٧، ٨ / ١٥١)، كما اعترض عليه مغطاي حيث قال: يخدش فيه - كلام السهيلي - ما في تفسير ابن عباس لها كانت أربعين يوماً، وفي تفسير ابن الجوزي ومعاني الزجاج خمسة وعشرين، وفي تفسير مقاتل ثلاثة أيام، ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه لا ما ذكره السهيلي وجنح لصحته. (انظر: شرح المواهب ١ / ٢٣٦).

=



بعضهم إلى كون بعضها أصح وأشهر من بعض<sup>(١)</sup>.

أما إقامته بالمدينة فالروايات السابقة لا تختلف في تحديدها بعشر سنوات<sup>(٢)</sup>.

---

وبهذا يترجح لنا ما ذكره الحاكم وغيره في كون مدة الإقامة بمكة ثلاث عشرة سنة وهو المشهور.

(١) وممن قال بذلك الحافظ ابن حجر - عليه رحمة الله - حيث قال عن حديث ابن عباس: فمكث بمكة ثلاثة عشرة سنة: وهذا أصح ما رواه مسلم عن طريق عمار بن أبي عمار عن ابن عباس أن النبي ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة (انظر: الفتح ٧ / ١٦٤ ، ٢٣٠) ، وقال في موضع آخر: إن إقامته بمكة ثلاث عشرة هو قول الجمهور، وهو المشهور، ومن روى عنه ما يخالف ذلك جاء عنه المشهور وهم ابن عباس وعائشة وأنس، ثم نقل الرأي المشهور عن معاوية، وبه جزم ابن المسيب، والشعبي، ومجاهد، وقال أحمد: هو الثابت عندنا. (انظر: الفتح ٨ / ١٥١).

(٢) قال ابن سيد الناس: وهو المتفق عليه بين أهل النقل (عيون الأثر ١ / ٨٩).



## إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأثره

كيف أسلم؟ (سبب إسلام عمر) :

ساق البخاري في "باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه" القصة التالية:  
"عن ابن عمر قال: ما سمعت عمر لشيء قط يقول: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن. بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال عمر: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم على الرجل، فدعي له، فقال له ذلك، فقال: ما رأيت كالיום استقبل به رجل مسلم، قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني، قال: كنت كاهنهم، قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع، فقالت: ألم تر الجن وإبلاسه، ويأسها من بعد إنكاسها، ولحوقها بالقلاص وإحلاسها! قال عمر: صدق، بينما أنا عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول لا إله إلا أنت، فوثب القوم، قلت: لا أربح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول لا إله إلا الله، فقمتم فما نشبنا أن قيل: هذا نبي"<sup>(١)</sup>. وأورد "ابن إسحاق" القصة مع اختلاف يسير في لفظها<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث:

"لمح المصنف (البخاري) بإيراد هذه القصة في باب إسلام عمر بما جاء عن

(١) ٢٤٣ / ٤ : كتاب مناقب الأنصاري.

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ١ / ٢٢٧ - ٢٣٠ وسندها قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم،

عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان أنه حدث أن عمر بن الخطاب...



عائشة وطلحة عن عمر من أن هذه القصة كانت سبب إسلامه ، ثم ساق رواية عند أبي نعيم تؤكد ما ذهب إليه<sup>(١)</sup>.

وفي سبب إسلام عمر يلمح البخاري إلى قصته مع أخته فاطمة ، وختته "سعيد بن زيد" ويورد القصة مختصرة هكذا: "حدثني محمد بن المثني ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا قيس قال: سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم: لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم...."<sup>(٢)</sup>.

والقصة أخرجها ابن إسحاق بآتم من هذا وأطول ، وهي حديث الرواة من أهل المدينة ، كما يقول ابن إسحاق<sup>(٣)</sup>. وخلاصة هذه الرواية: أن عمر خرج يوماً

(١) فتح الباري ٧ / ١٨١ ، روى أبو نعيم في الدلائل أن أبا جهل جعل لمن يقتل محمداً مائة ناقة ، فقال عمر: يا أبا الحكم الضمان صحيح؟ قال: نعم ، قال: فتقلدت سيفي أريده ، فممرت على عجل وهم يريدون أن يذبحوه ، فقلت: أنظر إليهم ، فإذا صائح يصيح من جوف العجل: يا آل ذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح ، بلسان فصيح ، قال عمر: فقلت في نفسي: إن هذا الأمر ما يراد به إلا أنا فدخلت على أختي فإذا عندها سعيد بن زيد... فذكر القصة في سبب إسلامها بطولها.

(٢) ٤ / ٢٤٢: كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام عمر ، وفي باب إسلام سعيد بن زيد ٤ / ٢٤٢ ، وفي كتاب الإكراه ٨ / ٥٦: باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٣٦٨. والرواية أخرج نحوها "ابن سعد" في الطبقات ٣ / ٢٦٧ عن إسحاق الأزرق ، عن القاسم بن عثمان البصري ، عن أنس ، لكن القاسم ضعيف ، فقد ذكره العقيلي في الضعفاء الكبير ٣ / ٤٨٠ وقال : عن أنس لا يتابع على حديثه ، حدث عنه إسحاق الأزرق أحاديث لا يتابع منها على شيء اهـ . وقال الذهبي في ترجمته: حدث عن إسحاق الأزرق بمتن محفوظ ، وبقصة إسلام عمر ، وهي منكرة جداً (ميزان الاعتدال ٣ / ٢٧٥) . كما أخرجها "أحمد" بنفس سياق ابن إسحاق في الفضائل ، وقال محققه: سندها منقطع (فضائل الصحابة ١ / ٢٧٩) . وذكر القصة "ابن عبد البر" في



متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء، فيهم عمه حمزة، وأبو بكر، وعلي - ممن لم يخرج إلى الحبشة - فلقبه نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر... أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم!! قال: وأي أهل بيتي؟ قال: خنتك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة، فقد أسلما وتابعا محمداً، فعليك بهما، فرجع عمر عامداً إلى أخته وختته و عندهما خباب بن الأرت - معه صحيفة فيها "طه" يقرئها إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وغيبت فاطمة الصحيفة، فلما دخل عمر قال: ما هذه الهينة التي سمعت؟ قال له: ما سمعت شيئاً، قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بختته "سعيد بن زيد فقامت إليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها، فضربها فشحها، فلما فعل ذلك قالت له أخته: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى، قولاً لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون أنفاً، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، فقالوا: إنك نجس وهذه لا يمسه إلا المطهرون، فقام واغتسل، ثم أعطته الصحيفة، وفيها "طه"، فقرأها... فأعجبه، وقال: ما أحسن هذا الكلام!

=

الاستيعاب وعلق عليها بقوله: وخبرها - يعني فاطمة - في إسلام عمر خبر عجيب (الاستيعاب بهامش الإصابة ١٣ / ١١١).

ونقل قوله "ابن حجر" ثم قال: وأخرج القصة ابن أبي شيبة في تاريخه، وأبو نعيم من طريقه، ومن طريقة إسحاق بن عبد الله بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس... ولم يعلق عليها (الإصابة ١٣ / ٨٠).



فاستبشر لذلك خياب، ورجا إسلامه، وأخبره بدعوة الرسول له... وطلب منهم أن يدلوه على مكان محمد، فأشاروا عليه به، فذهب إليه، وطرق الباب، فقال رجل من الصحابة للنبي ﷺ: هذا عمر متوشحاً سيفه، فقال حمزة: إئذن له، فإن جاء يريد خيراً بذنائه له، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه، وأذن النبي له بالدخول، ثم نهض إليه، فأخذ بمجمع رداءه وجبذه جبذة شديدة، وقال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة»، فقال عمر: جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، فكبر رسول الله تكبيرة عرف الصحابة أن عمر قد أسلم»<sup>(١)</sup>.

ولم يكتف - ابن إسحاق - بذكر هذه الرواية في سبب إسلام عمر، بل ذكر رواية أخرى، وفيها: «أن عمر خرج ذات ليلة يريد بعض ندمائه، فلم يجدهم فذهب إلى الكعبة ليطوف حولها، فوافق رسول الله ﷺ قائماً يصلي، فقال في نفسه: لو دنوت منه وسمعت ما يقول، فلما سمع القرآن رق له قلبه، فلما انصرف رسول الله ﷺ تبعه، فعرف صوته وظن أن سيؤذيه، وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟ قال: جئت لأؤمن بالله ورسوله، فحمد الله رسول الله ﷺ، ثم قال: «قد هداك الله يا عمر» ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات...»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: السيرة لابن هشام ١ / ٣٦٤ - ٣٦٨.

(٢) السيرة لابن هشام ١ / ٣٦٨. وسندها: قال ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن أبي نجيح المكي، عن أصحابه عطاء ومجاهد، أو عن من روى ذلك، وقد روى الطبراني - في الأوسط - قريباً من هذه الرواية: وقال الهيثمي عنها: رجالها ثقات إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر. (مجمع الزوائد ٩ / ٦٢)، وفوق علة الانقطاع فهناك علة أخرى وهي تدليس



وبعد سوق ابن إسحاق لهذه الروايات قال: والله أعلم أي ذلك كان<sup>(١)</sup>.

وإذا كان البخاري يشير إلى أنه في الوقت الذي أسلم فيه عمر كان ابنه «عبدالله» غلاماً فوق ظهر بيته ينظر إلى الناس، وهم مجتمعون حول أبيه حين أسلم<sup>(٢)</sup>، فإن ابن إسحاق يذكر أن إسلامه كان بعد خروج من خرج من أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة وذلك في قصة وقوفه على أم عبدالله بنت أبي حثمة وهم يترحلون إلى أرض الحبشة، وقد وجدت منه رقة<sup>(٣)</sup>.

«أبي نجيح» فالسند ضعيف (انظر: فضائل الصحابة ١ / ٢٨٢ في الحاشية).

(١) ابن هشام ١ / ٣٧٠.

(٢) ٤ / ٢٤٢ (سبقت). وقد أخرج «أبو نعيم» في الحلية ١ / ٣٩، ٤٠، نحو هذه القصة مختصراً من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي الزبير (محمد بن مسلم بن تدرس) وهو مع حفظه وجلالة قدره، حيث اعتمده مسلم، وروى له البخاري متابعة، إلا أنه يدلّس، ولهذا كان «ابن حزم» يرد من حديثه ما يقول فيه (عن جابر) ونحوه، فإذا قال سمعت: وأخبرنا احتج به (ميزان الاعتدال ٤ / ٢٧) قلت: وحيث إنه في هذه الرواية عن جابر فالإسناد ضعيف.

(٣) ابن هشام ١ / ٣٦٥. وإسنادها حسن وانظر: فضائل الصحابة لأحمد ١ / ٢٧٩. وفي رواية أخرى عند ابن إسحاق أن ابن عمر قال: غدوت أتبع أثر أبي حين أسلم وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت (ابن هشام ١ / ٣٧٠) وعلق ابن كثير على هذه الرواية - وهي قوية الإسناد - كما سأذكره في موضعه - علق ابن كثير بقوله: ... وهو يدل على تأخر إسلام عمر: لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة - وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة - وقد كان مميزاً يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم (السيرة ٢ / ٣٩)، أما ابن حجر فقد ذكر رواية تفيد أن ابن عمر كان عمره حين أسلم أبوه خمس سنين، قال:



## أثر إسلام عمر:

لم يكن إسلام عمر حدثاً عادياً ، ولم يكن أثره كإسلام غيره من المسلمين ، ومن خلال روايات البخاري ندرك حجم هذا الحدث ، ففي رواية ، أن الناس اجتمعوا عند دار عمر حين أسلم ، وقالوا : صبأ عمر<sup>(١)</sup> ، وفي رواية أخرى : أن الوادي قد سال بالناس وهم يريدون عمر بعدما أسلم<sup>(٢)</sup> .

بل ونظراً لتفاقم الأمر وشدته خشى عمر على نفسه منهم ، وبقي في بيته خائفاً ، حتى جاءه العاص بن وائل السهمي - وهو مشرك ، ولكن كان بينهم حلف في الجاهلية - فقال له : ما بالك ؟ قال عمر : زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت ! قال العاص بن وائل : لا سبيل إليك ، يقول عمر : فلما قالها أمنت ، وخرج «العاص» فلقى الناس قد سال بهم الوادي ، فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ ، قال : لا سبيل إليه ، فكر الناس<sup>(٣)</sup> .

وفي رواية : فجاء رجل عليه قباء من ديباج فقال : قد صبأ عمر فما ذاك ؟ ، فأنا له جار ، قال - ابن عمر - فرأيت الناس تصدعوا عنه ، فقلت : من هذا

---

وإذا كان كذلك خرج منه أن إسلام عمر كان بعد المبعث بست سنين أو بسبع ، لأن ابن عمر كان يوم أحد ابن أربع عشرة سنة ، وذلك بعد المبعث بست عشرة سنة ، فيكون مولده بعد المبعث بستين (الفتح ٧ / ١٧٨) .

(١) البخاري ٤ / ٢٤٢ : كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام عمر .

(٢) المصدر نفسه ٤ / ٢٤٢ .

(٣) المصدر نفسه ٤ / ٢٤٢ .





الرجل؟ قال: العاص بن وائل<sup>(١)</sup>.

والذي يظهر - من هذه الروايات - أن عمر رضي الله عنه تحمل ما تحمل من الشدة، ومن الخوف على نفسه في سبيل إظهار عزة الإسلام والمسلمين<sup>(٢)</sup>، ويؤكد هذا أيضاً رواية ساقها لنا ابن إسحاق بإسناد جيد، تفيد رغبة عمر حين أسلم في إعلان إسلامه على ملاء قريش، وتحمله العنت في سبيل ذلك. والرواية بإسنادها كما يلي:

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن ابن عمر قال: لما أسلم أبي عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ قال: قيل له: جميل بن معمر الجمحي<sup>(٣)</sup> فغدا عليه - يقول ابن عمر - وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنني قد أسلمت، ودخلت في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر،

(١) المصدر نفسه ٤ / ٢٤٢.

(٢) ساق الهيثمي القصة مختصرة، ثم قال: رواه البزار والطبراني باختصار، ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس (مجمع الزوائد ٩ / ٦٥) قلت: لكن ابن إسحاق هنا صرح با لتحديث كما بينت في سند الرواية وتصريحه بذلك يرفع التدليس عنه، ولهذا قال ابن كثير عن هذه الرواية: وهذا إسناد جيد قوي. «السيرة ٢ / ٣٩».

(٣) قال السهيلي: جميل هذا هو الذي كان يقال له: ذو القلبين، وفيه نزلت في أحد الأقوال «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» الأحزاب آية / ٤، (الروض الأنف ٣ / ٢٨٠)، ووافق السهيلي على ذلك صاحب نسب قريش، فقال: إنه كان يقال له ذو القلبين لعقله، وإنه شهد مع النبي ﷺ حيناً فقتل زهير بن الأغر الهذلي ... ص ٣٩٥ / ٣٩٥.

وفي الاشتقاق لابن دريد أن ذا القلبين، وهب بن عمير، وكانوا يقولون: له قلبان لحفظه، أما «جميل» فقال عنه: كان من أنم قريش لا يكتم شيئاً (ص / ١٣٠).



واتبعت أبي ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول باب الكعبة - ألا أن عمر بن الخطاب قد صبأ ، قال: ويقول عمر من خلفه: كذب ولكني قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم ، قال: وأعيأ عمر ، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول:

افعلوا ما بدالكم ، فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم أو لتركتموها لنا ، قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم ، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر ، فقال: فمه؟ رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل ، قال: فوالله لكأنكما كانوا ثوباً كشط عنه ، فقلت لأبي - بعد أن هاجر إلى المدينة - : يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك أي بني ، العاص بن وائل السهمي<sup>(١)</sup>.

والمهم أنه كان لإسلام عمر أثر واضح على المسلمين ، وهذا الأثر يحكيه لنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فيقول: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر<sup>(٢)</sup>.

وعند ابن إسحاق عن ابن مسعود أيضاً : ما كنا نقدر على أن نصلي عند

(١) انظر: الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق بتحقيق سهيل زكار ص / ١٨٤ ، ١٨٥ ، سيرة ابن هشام ١ / ٣٧٠ ، ٣٧١.

(٢) البخاري ٤ / ١٩٩ : كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، وفي كتاب مناقب الأنصار ٤ / ٢٤٢ : باب إسلام عمر.



الكعبة حتى أسلم عمر<sup>(١)</sup>.

---

(١) سير ابن هشام ١ / ٣٦٤. وقد ساقها ابن إسحاق دون إسناد، واكتفى بالقول: قال ابن إسحاق: فلما قدم عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة على قريش... إلخ، ففي السند انقطاع، لكن معنى الرواية صحيح كما سبق في رواية البخاري من قول ابن مسعود نفسه. (وانظر: فضائل الصحابة لأحمد (وتعليق المحقق) ١ / ٢٧٨).



## تقاسم المشركين ( حصار الشعب ) :

ذكر البخاري - رحمه الله - في كتاب مناقب الأنصار: «باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ» وبه ساق حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ - حين أراد حنيناً - <sup>(١)</sup> «منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بن كنانة <sup>(٢)</sup> حيث تقاسموا على الكفر» <sup>(٣)</sup>.

(١) هكذا وردت في هذه الرواية «حين أراد حنيناً»، وورد في غيرها «حين أن أراد قدوم مكة» (البخاري ١٥٨ / ٢: كتاب الحج ، باب نزول النبي ﷺ بمكة)، وفي رواية: قال النبي ﷺ من الغد يوم النحر وهو بمنى ، (المصدر نفسه ١٥٨ / ٢)، ومسلم ٩٥٢ / ٢: كتاب الحج) وكأنها إشارة إلى أن مقالته تلك في حجة الوداع، بل ورد ما يؤكد هذا في رواية ثالثة عن أسامة بن زيد قال: قلت يا رسول الله: أين تنزل غداً؟ في حجته... (البخاري ٤ / ٢٢: كتاب الجهاد والسير، باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرض فهي لهم). قال ابن حجر: قوله: حين أراد حنيناً لا يعارض قوله - في الرواية الأخرى - : حين أراد قدوم مكة، لأنه يحمل على أنه قال ذلك حين أراد دخول مكة في غزوة الفتح، وفي ذلك القدوم غزا حنيناً، قال: لكن ورد أنه قال ذلك يوم النحر وهو بمنى، وهذا ظاهر في أنه قاله في حجة الوداع، فيحمل قوله: «حين أراد قدوم مكة» أي صادراً من منى إليها في طواف الوداع، ويحتمل التعدد. (انظر: فتح الباري ١٩٣ / ٧ ، ١٥ / ٨) والذي يظهر لي - والله أعلم - أن النبي ﷺ قال ذلك في حجة الوداع، ولعل مما يقوي ذلك أن الإمام مسلماً ذكر هذا القول تحت باب «استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به» وأن الصحابة اختلفوا في هذا النزول هل هو سنة في الحج - اقتداء بالنبي ﷺ - أم أنه اتفاق وغير مقصود (النووي ٥٩ / ٩).

(٢) الخيف: ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل (النهاية ٩٣ / ٢) ، قال النووي: والمحصب، والأبطح، والبطحاء، وخيف بني كنانة اسم لشيء واحد (شرح مسلم ٥٩ / ٩).

(٣) ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، وانظر أيضاً كتاب الحج ١٥٨ / ٢ ، والمغازي ٩٢ / ٥ ، والتوحيد ١٩٤ / ٨ ،

=



بهذا الاختصار جاءت إشارة البخاري إلى حادثة «حصار الشعب» وتبعه الإمام مسلم رحمه الله<sup>(١)</sup> وكأنها دلالة إلى ثبوت أصل الحادثة عندهما دون تفصيلاتها<sup>(٢)</sup>.

على أنه قد ورد في بعض الروايات زيادة تفصيل لتلك الحادثة، ونص الزيادة - كما ورد - : «وذلك أن قريشاً وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «... ولا يؤووهم»<sup>(٤)</sup>، لكن يرى بعض العلماء أن ذلك من إدراج الزهري، لا من أصل رواية الصحيحين<sup>(٥)</sup>.

ومسلم ٢ / ٩٥٢ : كتاب الحج .

(١) ٢ / ٩٥٢ : كتاب الحج ، باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به.

(٢) ولهذا قال ابن حجر: «ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة لأن فيه دلالة على أصل القصة، لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقوله في الحديث: «تقاسموا على الكفر» (الفتح ٧ / ١٩٢).

(٣) البخاري ٢ / ١٥٨ : كتاب الحج ، باب نزول النبي ﷺ مكة ، وفي الجهاد والسير ٤ / ٣٢ ، باب إذا أسلم قوم في دار حرب. ومسلم ٢ / ٩٥٢ : كتاب الحج.

(٤) البخاري ٤ / ٣٢ (سبق).

(٥) ذكر الخطيب أن هذا مدرج في رواية الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة، وإنما هو عند الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة . (انظر: فتح الباري ٦ / ١٧٦).

ويقول ابن حجر : ويختلج في خاطري أن جميع ما بعد قوله يعني المحصب إلى آخر الحديث من قول الزهري أدرج في الخبر، فقد رواه شعيب كما في هذا الباب (نزول النبي



وإذا كانت هذه الحادثة قد وردت بهذا الاختصار - في رواية الصحيحين - فالأمر يختلف عند ابن إسحاق، حيث فصل القول فيها، فجاء على ذكر سبب الحصار، وكتابة الصحيفة، ومن كتبها، ومدة الحصار، وأخيراً نقض الصحيفة، ومن شارك في نقضها...».

وفيما يتعلق بأسباب الحصار وكتابة الصحيفة قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبدالمطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وأتمروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا على ذلك كتبوا في صحيفة، ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي<sup>(١)</sup>،

---

مكة) وإبراهيم بن سعد كما في السيرة، ويونس كما في التوحيد كلهم عن ابن شهاب مقتصرين على الموصول منه، إلى قوله: على الكفر، ومن ثم لم يذكر مسلم شيئاً من ذلك. (الفتح ٣ / ٤٥٣). قلت: قد ذكر مسلم في إحدى رواياته هذه الزيادة - كما أسلفت - والله أعلم إن كانت مدرجة أو موصولة.

(١) قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث (السيرة ١ / ٣٧٢)، ويقول السهيلي: وللنساب من قريش في كاتب الصحيفة قولان: أن كاتب الصحيفة بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار، والقول الثاني: أنه منصور بن عبد شريحيل بن هاشم من بني عبدالدار أيضاً، وهو خلاف قول ابن إسحاق، ولم يذكر الزبير في كاتب الصحيفة غير



فدعا عليه رسول الله ﷺ فمثل بعض أصابعه<sup>(١)</sup>.

أما مدة الحصار فقال ابن إسحاق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً...<sup>(٢)</sup>. وعن نقض الصحيفة يقول: ... ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة... نفر من قريش، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحرث... ثم ذكر كيف تعاقد هؤلاء الخمسة على نقضها وهم: زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأبو البخثري بن هشام، وزمعة بن الأسود وهشام<sup>(٣)</sup>.

هذين القولين، والزييريون أعلم بأنساب قومهم (الروض الأنف ٣ / ٣٥٤) وجمع «البرهان». وتبعه «الشامي» باحتمال أن يكون كتب بها نسخ (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١ / ٢٧٨).

(١) السيرة لابن هشام ١ / ٣٧١ ، ٣٧٢ وقد ذكره ابن إسحاق دون إسناد ، وذكر «الواقدي» القصة (طبقات ابن سعد ١ / ٢٠٨) بأكثر من إسناد لكن معظمها لم يتصل سنده ، بل هو مرسل ، ما عدا واحداً منها اتصل سنده إلى ابن عباس. لكن في سنده (أبو بكر بن عبد الله ابن سبرة) وقد رمي بالوضع (الميزان ٤ / ٥٠٣ ، والتهذيب ١٢ / ٢٧) هذا فضلاً عن رواية الواقدي لها. وقد تكلم فيه. (انظر: تقريب التهذيب ٢ / ١٩٤).

(٢) السيرة لابن هشام ١ / ٣٧٥. وفي مغازي عروة: فلبثت بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين (مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير ص / ١١٤). وبه جزم موسى بن عقبة (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١ / ٢٧٩) ، وذكره ابن سعد في رواية ، وفي أخرى أنهم مكثوا سنتين (الطبقات ١ / ٢٠٩ ، ٢١٠).

(٣) السيرة لابن هشام ١ / ٣٩٧.



## وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة :

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خويلد، وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة - وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها - وبهلك عمه أبي طالب وكان له عضداً، وحرزاً في أمره ومنعه، وناصرأ على قومه، وذلك قبل مهاجرته إلى المدينة بثلاث سنين<sup>(١)</sup>.

تلك أمور تؤكد رواية الصحيحين، فعن خديجة يروي لنا البخاري أنها توفيت قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين<sup>(٢)</sup>.

وعائشة رضي الله عنها تقول: هلكت خديجة قبل أن يتزوجني بثلاث سنين<sup>(٣)</sup>. ومن المعلوم أنه ﷺ عقد على عائشة بمكة وهي بنت ست، وبنى بها وهي بنت تسع سنين في المدينة وأنها مكثت عنده تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثماني عشرة، كما سبق<sup>(٤)</sup>.

ومحصلة ذلك تأكيد وفاة خديجة - رضي الله عنها - قبل الهجرة بثلاث سنين.

أما أبو طالب، وما كان له من دور في حماية النبي ﷺ من أذى قريش، فذلك أمر تؤكد روايات الصحيحين أيضاً، فقد جاء في بعضها أنه كان يحوط

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) ٤ / ٢٥٢ : كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة.

(٣) البخاري ٧ / ٧٦ : كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان، ومسلم ٤ / ١٨٨٨ : كتاب

فضائل الصحابة : باب فضائل خديجة.

(٤) في الفصل الأول (زواجه بعائشة).





النبي ﷺ ويغضب له<sup>(١)</sup>، وفي الأخرى: أنه كان يحوطه وينصره<sup>(٢)</sup>.

وأمام هذه الحماية والنصرة تساءل العباس رضي الله عنه، وسأل النبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فوالله كان يحوطك، ويغضب لك؟ فأجابه النبي ﷺ: هو في ضحضاح<sup>(٣)</sup> من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية: أن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ قال: نعم: وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية ثالثة: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي في دماغه<sup>(٦)</sup>.

وهذه كلها تأكيدات على ما كان من أبي طالب تجاه النبي ﷺ، ولكنها من جانب آخر تأكيد أيضاً على أن أبا طالب مات كافراً، والروايات بهذا - فوق ما تقدم - وردت صريحة:

فمن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول

(١) البخاري ٤ / ٢٤٧: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، وفي كتاب الأدب ٧ / ١٢١: باب كنية المشترك، ومسلم ١ / ١٩٥: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه.

(٢) مسلم ١ / ١٩٥.

(٣) الضحضاح في الأصل: ما رق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار النهاية في غريب الحديث ٣ / ٧٥).

والمقصود هنا خفيف النار - وليس فيها خفيف - أجازنا الله منها والمسلمين.

(٤) البخاري ٤ / ٢٤٧ (سبق) ٧ / ١٢١ (سبق أيضاً)، ومسلم ١ / ١٩٥.

(٥) مسلم ١ / ١٩٥.

(٦) المصدر نفسه ١ / ١٩٥.



اللَّهُ ﷻ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷻ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، ويعودان بتلك المقالة: حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷻ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾<sup>(١)</sup>.

فالرواية هنا واضحة في موت أبي طالب على الكفر فهو يأبى أن يقول كلمة التوحيد، وآخر كلمة يقولها: هو على ملة عبدالمطلب، والله تعالى يعده من المشركين، ويعتبره من أصحاب الجحيم، بل لقد نزل على النبي ﷺ في أبي طالب قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل

(١) البخاري ٢ / ٩٨: كتاب الجنائز: باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، وفي كتاب التفسير ٥ / ٢٠٨: باب قوله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ وفي تفسير سورة القصص ٦ / ١٨، وفي كتاب الإيمان والنذور ٧ / ٢٢٩: باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم، ومسلم ١ / ٥٤: كتاب الإيمان: باب الدليل على صحة إسلام من حضر الموت ما لم يشرع في النزع.

(٢) البخاري ٦ / ١٨، ٨ / ١٩٠: كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، ومسلم ١ / ٥٤، ٥٥.



بنعلين يغلي منهما دماغه»<sup>(١)</sup>.

وقاتل الله أصحاب السوء ، هم يجرمون في حق من يصاحبون ، وبقدر ما كان لأهل السوء من أثر في الختام لأبي طالب ، كان للعادات والتقاليد دورها في ميتة أبي طالب على الشرك وهو القائل للنبي ﷺ : لولا أن تعيرني قريش ، يقولون : إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك (يعني لا إله إلا الله)<sup>(٢)</sup>.

إزاء هذه الروايات في الصحيحين في موت أبي طالب على الشرك ، نجد الأمر عند ابن إسحاق : بخلاف ذلك ، فقد ساق الرواية التالية :

قال ابن إسحاق : فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس - في قصة طويلة - جاء فيها أن النبي ﷺ جعل يقول لعمه : قل : لا إله إلا الله أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة ، فلما رأى حرصه قال : يا ابن أخي ، والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش أنني إنما قتلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها . ثم قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفثيه ، قال : فأصغى إليه بأذنه ، قال : فقال : يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها ، فقال رسول الله ﷺ : «لم أسمع»<sup>(٣)</sup>.

هذه الرواية مع مخالفتها لما في الصحيحين ففي سندها مقال ، وللعلماء حولها كلام<sup>(٤)</sup>.

(١) مسلم ١ / ١٩٦ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ٥٥ .

(٣) انظر : السيرة لابن هشام ٢ / ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) في سند الرواية (...عن بعض أهله) وهذه جهالة في أحد الرواة ، ولهذا قال ابن سيد الناس

=



في هذه الرواية وأمثالها: وهي روايات لا معول عليها، (عيون الأثر ١ / ١٣١)، وقال الذهبي: قلت: هذا لا يصح، ويقول: إسناده ضعيف، لأن فيه مجهولاً (السيرة ص ١٤٩، ١٥١).

ويقول ابن كثير: وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلماً بقول العباس في هذا الحديث: والجواب عن هذا من وجوه: أحدها: أن في السند مبهماً لا يعرف حاله وهو قوله: «عن بعض أهله» وهذا إبهام في الاسم والحال، ومثله يتوقف فيه لو انفرد... إلى أن يقول: ثم قد عارضه - سياق ابن إسحاق - ما هو أصح منه (وذكر رواية الصحيحين). وانظر: السيرة لابن كثير ٢ / ١٢٥، ١٢٦).

قلت: وإشارة ابن كثير إلى تعلق الشيعة بمثل هذه الرواية، ذكرها قبله الذهبي فقال: ... ولكن الرافضة قوم بهت؟ (السيرة ص ١٥١) وقبلهما ذكر السهيلي أنه وجد في بعض كتب المسعودي - هو شيعي - اختلافاً في عبدالمطلب، وأنه قد قيل فيه: مات مسلماً لما رأى من الدلائل على نبوة محمد ﷺ .. (الروض الأنف ٤ / ٢٩)، وفوق هذا فقد استنكر العلماء من هذه الرواية وما ورد في متنها، فالعباس في تلك الفترة لم يكن قد أسلم (أو على الأقل لم يكن قد أشهر إسلامه) ولو أدى هذه الشهادة بعدما أسلم لكانت مقبولة، ولم يرد بقوله لم أسمع، وهذا فضلاً عن أنه بعدما أسلم سأل النبي ﷺ: هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فلو كان عنده علم من إسلام أخيه أبي طالب لما سأل، ولما سكت عند قوله ﷺ هو في ضحضاح من نار، ولقال: إني سمعته يقول: لا إله إلا الله (انظر: الروض الأنف للسهيلي ٤ / ٢٧).

وأخيراً يقول ابن كثير: وعندني أن الخبر بذلك لم يصح لضعف إسناده، وتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الفرغرة حين لا ينفع نفساً إيمانها (السيرة لابن كثير ٢ / ١٢٨، ١٢٩) لكن ورد عند ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير ما يتفق مع رواية الصحيحين في موت أبي طالب على ملة عبدالمطلب ص ٢٦٦ - ٢٧٠.



## من معجزات النبي ﷺ في مكة

### أولاً : القرآن الكريم :

المعجزة أمر خارق للعادة، يجريها الله تعالى على أنبيائه ورسله ليعلم المنكرون لهم صدقهم وتأييد الله لهم، وإذا كان الأنبياء والرسل السابقون لبعثة النبي ﷺ، قد أمدهم الله بأنواع من المعجزات آمن على مثلها البشر، فإن أعظم معجزة للنبي ﷺ القرآن الكريم، وهو الذي تحدى الله به كفار قريش والعرب من حولهم، بل شمل التحدي الإنس والجن أجمعين ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وإعجاز القرآن الكريم ورد ذكره في روايات الصحيحين على لسان النبي ﷺ حين قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وليس المراد بذلك نفي ما سواه من المعجزات النبوية الأخرى<sup>(٣)</sup>، والتي من

أبرزها ما يلي:

(١) الإسراء / الآية (٨٨).

(٢) صحيح البخاري ٦ / ٩٧: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٨ / ١٢٨ باب قول النبي ﷺ بعثت بجوامع الكلم. وصحيح مسلم ١ / ١٣٤: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.

(٣) انظر: الصحيح المسند من دلائل النبوة: لمقبل بن هادي الوادعي (الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ).



## ثانياً: الإسراء والمعراج :

يتفق البخاري وابن إسحاق على تأخير حادثة الإسراء والمعراج إلى أن فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها<sup>(١)</sup>، أي في أواخر العهد المكي، ولكنهما يختلفان في تقدم الحادثة على موت أبي طالب أو تأخرها، فابن إسحاق يضعها قبل موت أبي طالب<sup>(٢)</sup>، بينما يجعلها البخاري بعده<sup>(٣)</sup>.

كما يختلفان في أحداث أخرى في سياق قصة الإسراء والمعراج، بل إن الخلاف واقع بين روايات الصحيحين نفسها، وسنأتي على بيان مناحي هذا الاختلاف، وتحريره، وكلام العلماء حوله بمشيئة الله.

وسنبداً الحديث عن الإسراء والمعراج برواية أنس بن مالك رضي الله عنه - بطرقها المختلفة - فهي مع كونها أطول روايات الإسراء والمعراج، قد وردت بأكثر من طريق، وبين هذه الطرق اختلاف سنوضحه في حينه.

### رواية أنس بطرقها:

#### ١- طريق قتادة:

حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٢/٢، وانظر: السيرة لابن كثير ٢/١٠٧.

(٢) ابن هشام ٢/٢.

(٣) البخاري ٤/ ٢٤٧ - ٢٤٩: كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، وعجب ابن

كثير لصنيع البخاري هذا حيث أخرج الإسراء على موت أبي طالب (السيرة ٢/١٠٧).



أسري به، قال: «بينما أنا في الحطيم»<sup>(١)</sup> - ربما قال في الحجر -<sup>(٢)</sup> مضجعاً إذ أتاني أت فقد - قال وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه - فقلت للجارود<sup>(٣)</sup>، وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حشي، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح، فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحباً به. فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، فإذا فيها آدم، فقال هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح، والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما فسلمت، فردا، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا

(١) الحطيم: هو ما بين الركن والباب، وقيل: هو الحجر المخرج منها سمي به لأن البيت رفع وترك هو محطوماً ... (النهاية في غريب الحديث ٤٠٣/١).

(٢) وفي مسلم - من طريق قتادة نفسه - «وبينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذا سمعت قائلاً يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأنتيت، فانطلق بي فأنتيت بطست من ذهب... (١٥٠/١): كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ).

(٣) قال ابن حجر: لم أر من نسبه من الرواة، ولعله ابن أبي سبرة البصري صاحب أنس، فقد أخرج له أبو داود من روايته عن أنس حديثاً غير هذا (الفتح ٢٠٤/٧).



يوسف ، قال: هذا يوسف ، فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بي حتى السماء الرابعة ، فاستفتح ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال محمد ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت إلى إدريس ، قال: هذا إدريس ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا هارون ، قال: هذا هارون ، فسلم عليه ، فرد ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت ، فإذا موسى ، قال: هذا موسى ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ، ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل: قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم ، مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، لما خلصت ، فإذا إبراهيم ، قال: هذا أبوك ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، قال: مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح ، ثم رفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال: هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ، ثم رفع لي البيت المعمور<sup>(١)</sup> ، ثم أتيت بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل ،

(١) وفي مسلم - من طريق قتادة أيضاً - زيادة «فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت





فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمتك، ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جريت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت، فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت، فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت، فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت، فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت، فقال مثله، فرجعت، فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جريت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت ناداني مناد: أمضيت فريضتي وخففت عن عباد<sup>(١)</sup>.

## ٢- طريق ثابت البناني:

جاء في صحيح مسلم: حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا

المعمور يدخله كل يلوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»  
١٥٠/١ (سبق).

(١) البخاري ٢٤٨/٤ - ٢٥٠: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، وفي كتاب بدء الخلق ٧٧/٤ باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، وفي كتاب الأنبياء (مختصراً) ١٣٧/٤ باب قول الله تعالى ﴿ذُكِّرْ رَحْمَةً رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا﴾، وفي كتاب التفسير (مختصراً أيضاً) ٦/٩٢ سورة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثُرَ﴾ وفي مسلم ١٥٠/١: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.



ثابت البناني، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما، فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، إذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب، ودعا لي بخير، قال عز وجل ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾<sup>(١)</sup> ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون ﷺ، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة،

(١) سورة مريم آية / ٥٧ .



فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى عليه السلام، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: يا ربي خفف على أمتي، فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك، فأسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام، حتى قال: يا محمد: إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرأ، ومن هم بسيئة، فلم يعملها، لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك، فأسأله التخفيف، فقال رسول الله عليه السلام: فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه<sup>(١)</sup>.

(١) مسلم ١/ ١٤٥ كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله عليه السلام إلى السموات، كما أشار



## ٢- طريق ابن شهاب الزهري:

وقد اتفق عليها الشيخان، وساقاها في أكثر من مكان، وبأكثر من إسناد<sup>(١)</sup>، وكلها تنتهي إلى ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك، قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فخرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريل، قال هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال خازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال الأول، ففتح، قال أنس: فذكر أنه وجد في السموات آدم،

إليها مسلم في كتاب الفضائل ٤ / ١٨٤٥: باب من فضائل موسى ﷺ.

(١) في البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أنس (١/٩١): كتاب الصلاة: باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء) وفي كتاب الأنبياء ٤/١٠٦: حدثنا أحمد بن صالح قال: حدثنا عنبة، حدثنا يونس، عن ابن شهاب قال: قال أنس...، وفي مسلم ١/١٤٨: حدثني حرملة بن يحيى التجيبي، أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك.



وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم، صلوات اللهم عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة<sup>(١)</sup>، قال أنس: فلما مر جبريل بالنبي ﷺ بإدريس، قال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررت إبراهيم، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم ﷺ، قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي ﷺ: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام، قال ابن حزم وأنس بن مالك: قال النبي ﷺ: ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت، فوضع شطرها فرجعت إليه فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي، ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبال اللؤلؤ وإذا ترابها المسك<sup>(٢)</sup>.

(١) هذا خلاف الروايتين قبلها، وسنأتي على بيان ذلك.

(٢) البخاري ١/ ٩١ - ٩٣ ، ١٠٦/ ٤ ، ومسلم ١/ ١٤٨ (وقد سبقت).



#### ٤- طريق شريك بن عبدالله بن أبي نمر:

وهذه أيضاً أخرجها البخاري بطولها، واختصرها مسلم وتكلم فيها<sup>(١)</sup>.  
والرواية بسندها عن سليمان بن بلال، عن شريك بن عبدالله، أنه قال:  
سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام، فقال  
أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذو خيرهم، فكانت  
تلك الليلة، فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه، وتنام عينه، ولا ينام  
قلبه، وكذلك الأنبياء تمام أعينهم، ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه  
، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره، إلى لبتة،  
حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتى  
بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشواً إيماناً وحكمة، فحشا به صدره  
ولغاديدته يعني عروق حلقه، ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً  
من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال:  
معي محمد، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فيستبشر  
به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض، حتى يعلمهم،  
فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك، فسلم عليه، فسلم عليه،  
ورد عليه آدم، فقال: مرحباً وأهلاً يا بني، نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء  
الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذان النيل  
والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من  
لؤلؤ وزبرجد، فضرب بيده، فإذا هو مسك، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا

(١) سنأتي بمشيئة الله - على كلام مسلم حول طريق شريك هذا، حين الحديث عن

محصل الروايات.



الكوثر الذي خبأ لك ربك، ثم عرج إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى: من هذا؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قالوا مرحباً به وأهلاً، ثم عرج به إلى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم، فأوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله، فقال موسى: ربي لم أظن أن يرفع علي أحد، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى، فقال: يا محمد: ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع، فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيريه في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم، إن شئت، فعلا به إلى الجبار، فقال - وهو مكانه - يا رب خفف عنا، فإن أمتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يرده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال يا محمد: والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا، فتركوه، فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: يارب إن أمتي ضعفاء أجسادهم قلوبهم وأسماعهم وأبدانهم، فخفف عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك.



قال: إنه لا يبديل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك، فتركوه، فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً، قال رسول الله ﷺ: «يا موسى قد والله استحيت من ربي مما اختلفت إليه» قال: فاهبط بسم الله، قال: واستيقظ وهو في المسجد الحرام<sup>(١)</sup>.

تلك أبرز روايات الإسراء والمعراج في الصحيحين<sup>(٢)</sup>، وبعد هذا العرض لها نقف للموازنة بينها، واستخراج دلالاتها، ونشير إلى ما يتفق أو يختلف مع روايات ابن إسحاق، ومن محصل الروايات السابقة نقف على الأمور الآتية:

### أولاً: من أين كان الإسراء؟

يتضح من طريقي «قتادة» و«شريك» أن ذلك كان من البيت الحرام، سواء أكان من الحجر، أم الحطيم، وهذا موافق لرواية الحسن المرسله عند ابن إسحاق<sup>(٣)</sup>. أما طريق الزهري ففيه أن ذلك كان من بيت أم هانئ<sup>(٤)</sup> وفي إسناده

(١) البخاري ٨ / ٢٠٣ - ٢٠٥: كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله عز وجل ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ وفي المناقب (مختصراً) ٤ / ١٦٨: باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، ومسلم ١ / ١٤٨: كتاب الإيمان (وقد سبق).

(٢) هناك روايات غيرها لكنها في الغالب لا تزيد عليها، وسنأتي على ما فيها في مواضعها.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٣ / ٢.

(٤) المصدر السابق ٩ / ٢.





مقال<sup>(١)</sup>.

ويرى ابن حجر إمكانية الجمع بين هذه الروايات وغيرها في تحديد المكان<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - هل كان في اليقظة أوفي المنام؟

جاء في طريق قتادة مجيء الملك إليه وهو «مضطجع» وفي بعضها «بين النائم واليقظان».

أما طريق شريك فهي مصرحة بنومه «وهو نائم» وفي آخرها: «واستيقظ وهو في المسجد الحرام» قال بعض العلماء: وهذا معدود في غلطات شريك<sup>(٣)</sup>، ووجه

---

(١) قال ابن كثير: فيه محمد بن السائب الكلبى متروك بمرة ساقط (تفسير ابن كثير ٥ / ٢٩)، ثم تابع ابن كثير: لكن رواه أبو يعلى في مسنده عن محمد بن إسماعيل الأنصاري، عن ضمرة بن ربيعة... والأنصاري هو: الوسواسي، قال الذهبي وهو حديث غريب تفرد به الوسواسي وهو ضعيف (السيرة / ١٥٧) وانظر: تضعيف الهيثمي في الجمع ٧٦ / ١.

(٢) يقول ابن حجر: والجمع بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هانئ. . ففرج سقف بيته - وأضاف البيت إليه لكونه يسكنه - فنزل منه الملك، فأخرجه من البيت المسجد فكان به مضطجعاً وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق، وهو يؤيد هذا الجمع. أ.هـ (فتح الباري ٧ / ٢٠٤).

(٣) منهم الحافظ عبدالحق في كتابه (الجمع بين الصحيحين) والخطابي. وانظر: النووي في شرحه لصحيح مسلم ٢ / ٢١٠، وابن حجر في الفتح ١٣ / ٤٨٠، وابن كثير في السيرة ٢ / ١٠٤، وابن القيم في زاد المعاد ٣ / ٤٢.



بعضهم ذلك بتأويلات أخرى<sup>(١)</sup>.

وإذا كان «البناني» و«الزهري» لم يشيرا في طريقيهما إلى شيء من ذلك، فالظاهر من روايتهما أن ذلك في اليقظة، وبروحه وجسده، فركوبه البراق، وصلاته في المسجد الأقصى، ومروره بالأنبياء، وشربه اللبن.. إلى غير ذلك كلها تؤكد كونه في اليقظة لا في المنام، أما الرواية عن ابن عباس فقد جاءت صريحة في كونه في اليقظة، وذلك في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup> قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به إلى البيت المقدس<sup>(٣)</sup>.

وبالرجوع إلى ابن إسحاق - في هذا الشأن - لا نجده ينتهي إلى شيء، فهو

---

(١) ارتضى السهيلي - جمعاً بين الروايات - وقوع الإسراء مرتين إحداهما في النوم توطئة تيسيراً، والأخرى في اليقظة، وعزاه أيضاً إلى شيخه أبي بكر ابن العربي، ورآه في شرح المهلب للبخاري (انظر الروض الأنف ٤١٧/٣، ٤١٨).

وتعقب ابن القيم هذا الرأي بقوله: وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك وقوله: ثم استيقظت، وبين سائر الروايات... إلى أن يقول: وكل هذا خبط وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى، فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع، والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة عبد البعثة (زاد المعاد ٤٢/٣).

(٢) سورة الإسراء آية / ٦٠.

(٣) البخاري ٥ / ٢٢٧: كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾، وفي كتاب القدر ٢١٤/٧: الباب نفسه.



يروى عن عائشة قولها: «ما فقد جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه»<sup>(١)</sup> وعن معاوية قوله: «كانت رؤيا من الله تعالى صادقة»<sup>(٢)</sup> مع ما أعل به سند هذين الخبرين<sup>(٣)</sup>، ثم يقول في الأخير: والله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعابن فيه من أمر الله، ثم يقول: على أية حال كان نائماً أو يقظان كل ذلك حق وصدق<sup>(٤)</sup>.  
قلت: والذي عليه السلف وجمهور العلماء والمحققين أن الإسراء كان يقظة بروحه وجسده، مرة واحدة، وأدلتهم مبسوطة في كتبهم<sup>(٥)</sup>.

(١) سيرة ابن هشام ٥ / ٢.

(٢) المصدر نفسه ٦ / ٢.

(٣) يقول الكوثري في مقالاته: وأما ما يروى عن عائشة رضي الله عنها من قولها «ما فقد جسد...» فغير ثابت عنها البتة، لأنه من رواية ابن إسحاق بلفظ: «حدثني بعض آل أبي بكر» فمن هو هذا؟ وأين ابن إسحاق المتوفى في منتصف القرن الثاني من إدراك زمن عائشة؟، وأما ما يروى عن معاوية... فغير ثابت أيضاً للانقطاع بين شيخ ابن إسحاق «يعقوب بن عتبة» وبين «معاوية»، لأنه توفي سنة ١٢٨ هـ، وأين هذا التاريخ من وفاة معاوية؟ فلا يصح التعويل على مثل تلك الأخبار المنقطعة في ادعاء أن الأسرار روحاني فقط، أو في حالة النوم فقط (عن حاشية السيرة للذهبي ص / ١٦٦).

(٤) سيرة ابن هشام ٦ / ٢.

(٥) انظر: تفسير الإمام الطبري ١٥ / ١٣، ١٤، وجوامع السيرة لابن حزم ص / ٦٨، وجوامع المحلى لابن حزم (ضمن كتاب الذخيرة من المصنفات الصغيرة) (جمعها وحققها أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، السفر الأول الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ) ص / ٨١، وكلام النووي في شرحه لمسلم ٢ / ٢٠٩، وابن القيم في زاد المعاد ١ / ٩٩، ٣ / ٣٤، وله في موطن آخر تعليق على ما نسب إلى عائشة ومعاوية رضي الله عنهما حيث يقول: ينبغي أن يعلم الفرق بين أن يقال: كان الإسراء مناماً، وبين أن يقال: كان بروحه دون جسده، وبينهما



فرق عظيم، وعائشة ومعاوية لم يقولا: كانا مناماً ، وإنما قالوا: أسرى بوجه ولم يفقد جسده وفرق بين الأمرين.. إلخ كلامه (زاد المعاد ٣ / ٤٠) انظر إلى ابن كثير في التفسير ٥٠/٥ ، والسيرة ٢ / ١٠٤. وقد ذكر الطبري من أدلة كون الإسراء والمعراج في اليقظة ما يلي:

- ١- لو كان بروحه دون جسده لم تكن رؤيته لآيات ربه دليلاً على نبوته، ولا حجة على رسالته.
- ٢- ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدافعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكرأ عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟
- ٣- والله تعالى أخبر في كتابه أنه أسرى بعبيده ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائز لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره.
- ٤- أن الله أسرى به على دابة يقال له البراق، ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذا كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام. (تفسير الطبري ١٧ / ١٣ ، ١٤).

ويضيف ابن كثير من الأدلة:

- ١- قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً.
- ٢- وفوق تكذيب قريش ارتداد جماعة ممن كان أسلم، ولو كان الأمر رؤياً لما حصل شيء من ذلك.
- ٣- ويستدل بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ وقول ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ.
- ٤- وكذلك قوله تعالى ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ والبصر من آلات الذات لا الروح. (تفسير ابن كثير ٥ / ٤٠ ، ٤١).



### ٣- هل كان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة؟

هذا هو المشهور، وهو الواضح من طريق (البناني)، ومن رواية عبد الله بن مسعود حيث جاء فيها، لما أسري برسول الله ﷺ، انتهى به إلى سدره المنتهى<sup>(١)</sup>. وكذا رواية أبي هريرة من طريق الزهري حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسرى بي لقيت موسى»<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أن الوصول إلى سدره المنتهى وللقيا بالأنبياء كانا في المعراج، ومع ذلك جاء ذكرهما في الإسراء، مما يدل على اتحاد الأمرين<sup>(٣)</sup>.

أما بقية الطرق الثلاثة (قتادة، والزهري (برواية أنس)، وشريك) فكونها لم تجيء على ذكر أحداث الإسراء كالمرور ببيت المقدس مثلاً فلا يعني ذلك انفصاله عن المعراج، وإنما يحمل ذلك على عدة أمور:

فعل بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به، أو ينسأه، أو يذكر ما هو الأهم عنده، أو يبسط تارة فيسوقه كله، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده<sup>(٤)</sup>.

(١) مسلم ١ / ١٥٧ : كتاب الإيمان، باب في ذكر سدره المنتهى.

(٢) البخاري ٤ / ١٢٥ : كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ، وفي باب ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ ٤ / ١٤٠.

(٣) وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عنه، إذا ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل. (انظر: فتح الباري ٧ / ١٩٧).

(٤) ابن كثير: السيرة ٢ / ١١١، وابن حجر: الفتح ٧ / ١٩٧.



ومما يؤكد هذا أن معظم هذه الطرق تبدأ بالحديث عن الإسراء ، ثم تدخل في تفاصيل ما حدث في المعراج.

وأما من تعلق بتقسيم البخاري وإيراده حديث الإسراء في ترجمة ، والمعراج في ترجمة أخرى ، وفهم من ذلك أن ليلة الإسراء غير ليلة المعراج<sup>(١)</sup> ، فلا متعلق له ، ذلك لأن كلام البخاري في أول الصلاة ظاهر في اتحادهما ، وذلك أنه ترجم «باب كيف فرضت الصلاة ليلة الإسراء» ومعلوم أن الصلاة إنما فرضت في المعراج ، وإنما أفرد كل منهما بترجمة منفردة ، لأن كلاً منهما يشتمل على قصة مفردة ، وإن كانا وقعا معاً. حكاه ابن حجر<sup>(٢)</sup>.

بل إنه في ترجمته للمعراج جاء في مقدمة الرواية: أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به ، ثم ساق قصة المعراج ، مما يؤكد اتحادهما عنده.

#### ٤- فرضية الصلاة في الإسراء:

وهو أمر تتفق عليه روايات الصحيحين - كما سبق - وابن إسحاق<sup>(٣)</sup> ، ومع هذا فإن ابن إسحاق يختلف عن الشيخين في ذكره لتقدم فرضية الصلاة قبل حادثة الإسراء والمعراج ، ففي حديثه عن بدء الوحي ، وأول من آمن قال: وابتداء ما فرض الله سبحانه على النبي ﷺ الصلاة وأوقاتها. ثم ساق بعده عدداً من الآثار ، منها مجيء جبريل إليه - وهو في أعلى مكة - وتعليمه كيفية الطهور ، وكيفية

(١) أمثال ابن دحية (انظر: الفتح ٧ / ١٩٦).

(٢) فتح الباري ٧ / ١٩٦.

(٣) انظر: السيرة لابن هشام ٢ / ١٤ .



الصلاة، ثم مجيئه إلى خديجة وتعليمها ذلك وصلاته بها<sup>(١)</sup>، لكن الخبر أورده مقطوعاً هكذا: «وحدثني بعض العلم...» فلا تقوم به الحجة<sup>(٢)</sup>. كما أورد حديث ابن عباس في مجيء جبريل إليه أيضاً وتعليمه الصلاة<sup>(٣)</sup> وهذا أيضاً أنكره علي السهيلي، منبهاً إلى أن هذا ليس موضعه، لأن أهل الصحيحين متفقون على أن هذه القصة كانت في الغد من ليلة الإسراء<sup>(٤)</sup>.

### رواية شريك<sup>(٥)</sup> وكلام العلماء فيها:

ونستكمل الحديث عن محصل روايات الإسراء بالحديث عن رواية شريك، فقد انفرد في روايته بأمور لم تذكر في الروايات الأخرى، ولذا أنكرت عليه، وعدها بعضهم من أوهامه، فالإمام مسلم - عليه رحمة الله - اختصر روايته وعلق عليها بقوله: «وقدم فيه شيئاً، وآخر، وزاد، ونقص»<sup>(٦)</sup>.

ويقول ابن القيسراني (ت ٥٠٧هـ): أنكر على شريك وسليمان بن بلال حديث أخرجاه في الصحيحين وهو حديث الإسراء<sup>(٧)</sup>.

ويقول الحافظ عبدالحق (المعروف بابن الخراط) (ت ٥٨٢هـ) عن حديث

(١) السيرة لابن هشام ١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٢) انظر: السهيلي، الروض الأنف ٣ / ١٣ .

(٣) ابن هشام ١ / ٢٦٣ .

(٤) الروض الأنف ٣ / ١٥ .

(٥) سبقت ترجمته في الفصل الأول عند الحديث عن شق الصدر.

(٦) صحيح مسلم ١ / ١٤٨ .

(٧) الجمع بين رجال الصحيحين ١ / ٢١٣ ، ٢١٤ (دار الكتب العلمية، بيروت ط. الثانية).



شريك: زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة<sup>(١)</sup>.

وممن أنكر رواية شريك: الخطابي ، وابن حزم ، والقاضي عياض<sup>(٢)</sup> ،  
والنووي<sup>(٣)</sup> ، وابن القيم<sup>(٤)</sup> ، وابن كثير<sup>(٥)</sup> ، والذهبي<sup>(٦)</sup> ، على أن ابن حجر أمكنه  
توجيه بعض ما أنكر من رواية شريك ، فرفع الإشكال ، وأسقط (كما يقول)  
تشنيع من شنع على شريك أمثال الخطابي ، وابن حزم كما سيأتي إيضاحه.

### ما أنكر من رواية شريك:

١ - قوله : (قبل أن يوحى إليه) وهذا على ظاهره أمر مرفوض أن يكون  
الإسراء قبل بعثته ﷺ وفي الرواية نفسها ما ينقضه ، فالصلاة لم تكن قبل بعثته  
- وهي واردة في الرواية - وأظهر من ذلك أن الرواية مصرح فيها ببعثته ، فهو في  
كل سماء يمر فيها يسأله أهل السماء.. وقد بعث إليه؟ فيجيب جبريل: نعم ، ولهذا  
قال ابن حجر: إنه يتعين ما ذكرته من التأويل ، وتأويله:

أن رواية شريك تفيد مجيء الملائكة إليه أكثر من مرة ، إحداها قبل  
النبوة ، وهي التي قال عنها: «قبل أن يوحى إليه» والأخرى بعد ذلك ، وهي التي قال

(١) انظر: شرح النووي لمسلم ٢ / ٢١٠.

(٢) انظر: فتح الباري ١٣ / ٤٨٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢ / ٢٠٩.

(٤) زاد المعاد ٣ / ٤٢.

(٥) السيرة ٢ / ١٠٠ ، ١٠٤.

(٦) سير أعلام النبلاء ٦ / ١٦٠ ، وميزان الاعتدال.





عنها: «فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى» ولم يعين المدة التي بين المجيئين، فيحمل على أن المجيء الثاني، كان بعد أن أوحى إليه، وحينئذ وقع الإسراء<sup>(١)</sup>.

٢- قوله: «ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى».

وهذه أيضاً زيادة تفرد بها «شريك» واستتكرها العلماء بل شنعوها، حتى قال الخطابي: ليس في صحيح البخاري حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل، بل أشار إلى أكثر من هذا حينما اعتبر هذه الرواية حكاية يحكيها أنس (وهو راوي الحديث) من تلقاء نفسه، ولم يعزها للنبي ﷺ، وتعقبه ابن حجر في هذا، وأخيراً أشار إلى أن هذا الحديث عن أنس قد روي من غير طريق شريك، فلم تذكر فيه هذه الألفاظ الشنيعة وذلك - كما يقول الخطابي - مما يقوي الظن أنها صادرة من جهة شريك<sup>(٢)</sup>. كما تكلم على هذه العبارة السهيلي<sup>(٣)</sup>، وابن كثير<sup>(٤)</sup> والذهبي<sup>(٥)</sup>.

(١) الفتح ١٣ / ٤٨٠، ٤٨١، ونقل ابن حجر إجابة بعض العلماء وأن المقصود بالقبليّة هنا التخصيص أي قبل أن يوحى إليه في شأن الإسراء (الفتح ١٣ / ٤٨٥).

(٢) الفتح ١٣ / ٤٨٣.

(٣) قال السهيلي: وهذا - مع صحة نقله - لا يكاد أحد من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهرة، أو للغفلة عن موضعه، ولا استحالة فيه، لأن حديث الإسراء إن كان رؤياً رآها بقلبه، وعينه نائمة - كما في حديث أنس - فلا إشكال... إلخ كلامه (الروض الأنف ٣ / ٤٤٦).

(٤) ويقول ابن كثير: فأما قول شريك: ثم دنا الجبار... فقد يكون من فهم الراوي، فأقحمه في الحديث، والله أعلم (السيرة ٢ / ١٠٠).

(٥) قال: وهذا من غرائب الصحيح (الميزان ٢ / ٢٧٠).



وبرجوعنا إلى روايات الصحيحين نجد أن المقصود بالذي كان قاب قوسين أو أدنى هو جبريل عليه السلام ، نجد أيضا أن رؤية النبي ﷺ متجهة إليه إلا إلى الله تعالى ، وإليك البيان:

قال الشيباني : سألت زر بن حبيش عن قول الله عز وجل ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ قال: أخبرني ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح<sup>(١)</sup>.

وكذا قال ابن مسعود في قوله ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة في قوله ﴿ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ قال: رأى جبريل<sup>(٣)</sup>.

وعائشة حينما سئلت: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قالت: سبحان الله! لقد قف شعري<sup>(٤)</sup>. قال مسروق لها: فأين قوله ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ؟ قالت: إنما ذلك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجال، وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسد أفق السماء<sup>(٥)</sup>. وكانت تقول: ثلاث من تكلم بواحدة منهن، فقد أعظم على الله الفرية، قال مسروق: وكنت متكئا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، انظريني ولا تعجليني ،

(١) مسلم ١ / ١٥٨ : كتاب الإيمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى.

(٢) المصدر نفسه ١ / ١٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ١ / ١٥٨ : كتاب الإيمان ، باب معنى قوله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾

وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟

(٤) مسلم ١ / ١٦٠ .

(٥) المصدر نفسه ١ / ١٦٠ ، ١٦١ .



ألم يقل الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال: إنما هو جبريل، ولم أره على صورته التي خلق غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ، ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض . فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

وأبو ذر - رضي الله عنه - سأل رسول الله ﷺ : هل رأيت ريك؟ قال: نور أنى أراه؟<sup>(٢)</sup> وفي رواية: رأيت نوراً<sup>(٣)</sup>.

### ٣- أماكن الأنبياء في السماء:

ورد في رواية شريك أن آدم في السماء الدنيا - وهذا أمر تتفق عليه جميع الطرق الأربعة - ولكن الخلاف فيمن بعده، وعند شريك أن إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله ﷻ، ويتفق الزهري مع شريك في كون إبراهيم في السماء السادسة. وهذا كله خلاف المشهور، وقد اتفق قتادة والبناني (في طريقيهما) على ترتيب أماكن الأنبياء على النحو التالي: في السماء الثانية:

(١) المصدر نفسه ١ / ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه ١ / ١٦١: كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: نور أنى أراه، وفي قوله: رأيت نوراً.

(٣) المصدر نفسه ١ / ١٦١



عيسى ويحيى، وفي الثالثة: يوسف، وفي الرابعة: إدريس، وفي الخامسة: هارون،  
وفي السادسة: موسى، وفي السماء السابعة: إبراهيم عليه السلام.

والضبط واضح في هاتين الروایتين (طريق قتادة، والبناني) لاسيما وقد اتفقا  
على ذلك ووافقهما عليه ابن إسحاق في إحدى رواياته<sup>(١)</sup>.

والأمر ليس كذلك في طريقي (شريك والزهري) فعدم الضبط واضح في  
ألفاظ الروایتين، فعند شريك (فأوعيت منهم... ) ويقول أيضاً (وآخر في الخامسة  
لم أحفظ اسمه)؟

أما الزهري فقد صرح بذلك حيث قال أنس: «.. ولم يثبت كيف منازلهم...».

٤- وشق الصدر في زمن الإسراء أمر لا ينفرد به شريك في طريقه عن أنس،  
بل يتفق معه قتادة، والزهري (وقد سبق القول في ذلك مفصلاً عند الحديث عن  
شق الصدر).

٥- ويتفق شريك والزهري على إغفال ذكر اللبن والخمر اللذين عرضا  
على النبي ﷺ في مسراه، ويختلف قتادة عن البناني في تحديد مكان العرض  
عليه، وهل كان ذلك بمسجد إيلياء بالقدس - قبل المعراج - كما في طريق  
البناني، وكما في رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة<sup>(٢)</sup>، ورواية الحسن

---

(١) ابن هشام ٢ / ٣. وهو من حديث أبي سعيد الخدري - وهو حديث طويل - وعلى الرغم  
من موافقته لما في الصحيحين في أماكن الأنبياء إلا أن الرواية بشكل عام ضعفها بعض  
العلماء حتى قال ابن كثير: هو من غرائب الأحاديث وفي إسناده ضعف (السيرة ٢ / ٩٨)  
، وقبله أعل الذهبى سنده، وتكلم في بعض رجاله (السيرة / ١٨١).

(٢) البخاري ٥ / ٢٢٤: كتاب التفسير، باب قوله ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ، وفي  
كتاب الأشربة ٦ / ٢٤٠: في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ الآية، ومسلم ٣ / ١٥٩٢:  
كتاب الأشربة، باب جواز شرب اللبن.



المرسلة عند ابن إسحاق<sup>(١)</sup>؟ أم بعد أن عرج به كما في طريق قتادة<sup>(٢)</sup>؟ وعلى كل حال فاحتمال الجمع بين الأمرين وارد<sup>(٣)</sup>.

إلى غير ذلك مما خالف به شريك غيره من الرواة ، وقد أحصاها العلماء ، وأجابوا عنها<sup>(٤)</sup>.

### قريش والإسراء:

لم يكن متوقفاً تصديق قريش لحادثة الإسراء والمعراج ، وهي التي أنكرت نبوة النبي ﷺ بأكملها ، بل كذبوه.

وتكذيب قريش للإسراء والمعراج أمر اتفقت عليه روايات الصحيحين<sup>(٥)</sup> ،

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢ / ٤ .

(٢) وهو الذي مال إليه ابن كثير في سبيل الموازنة بين ما ذكره ابن إسحاق وبين طريق قتادة ، حيث قال: وهكذا تخيره من الآنية اللبن والخمر والماء هل كانت ببيت المقدس كما تقدم (يشير إلى رواية ابن إسحاق) أو في السماء كما ثبت في الصحيح ؟ (السيرة ٩٩ / ٢).

(٣) قال ابن حجر: ويجمع بين هذا الاختلاف إما بحمل «ثم» على غير بابها من الترتيب ، وإنما هي بمعنى الواو هنا ، وإما بوقوع عرض الآنية مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس ، وسببه ما وقع من العطش ، ومرة عند وصوله إلى سدره المنتهى ورؤية الأنهار الأربعة. (الفتح ٧ / ٢١٦).

(٤) عدها ابن القيم ثمانية أغلاط لشريك (زاد المعاد ١ / ١٠٠) وذكر ابن حجر أن ابن القيم عدها عشرة ، وأوصلها ابن حجر إلى اثني عشر وهماً ، وأجاب عن بعضها . (الفتح ١٣ / ٤٨٠ - ٤٨٦).

(٥) البخاري ٤ / ٢٤٧: كتاب المناقب (سبق) ، وفي كتاب التفسير ٥ / ٢٢٤ (سبق) ، ومسلم ١٥٦ / ١: كتاب الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال.



وابن إسحاق<sup>(١)</sup>، وكان له أثره على النبي ﷺ، حتى لقد كرب كربة ما كربها قط، وهو القائل:

«لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط...»<sup>(٢)</sup>.

وتتجلى عناية الله بعبده - وهو في تلك الحال - فيرفع الله له بيت المقدس، ويجليه له، فطلق يخبرهم عن آياته وهو ينظر إليه، فلا يسألونه عن شيء إلا نبأهم به<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: انشقاق القمر:

وتلك معجزة أخرى من معجزات النبوة، جعلها الله آية على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق، وقد رواها عدة من الصحابة سمى لنا «الشيخان» بعضهم<sup>(٤)</sup>، وهذا فضلاً عن ورودها في كتاب الله ﴿اقتربت الساعة وأنشق القمر﴾<sup>(٥)</sup>.

وانشقاق القمر كان على زمان النبي ﷺ كما اتفق عليه الشيخان<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٤/٢. وإن كان هناك فرق هل السائل قريش كما في رواية

الصحيح أو أبو بكر كما في ابن إسحاق. (انظر: سيرة ابن كثير ٢/١٠٣).

(٢) مسلم ١/ ١٥٧: كتاب الإيمان (وقد سبق).

(٣) البخاري ٤/ ٢٤٧، ٥/ ٢٢٤ (سبقت)، ومسلم ١/ ١٥٦، ١٥٧.

(٤) أمثال عبدالله بن عباس، وابن مسعود، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

(٥) سورة القمر الآية الأولى.

(٦) البخاري ٤/ ١٨٦: كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ فأراهم



وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم<sup>(١)</sup>، بل جاء تحديدها بالفترة المكية حيث انشق بمكة<sup>(٢)</sup> ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ بمنى<sup>(٣)</sup>.

ووقوع تلك المعجزة بعد أن سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر<sup>(٤)</sup>، وقد رأوه منشقاً فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، حتى رأوا حراء بينهما<sup>(٥)</sup>، كل ذلك يؤكد انشقاق القمر في مكة.

وبعهد ظهور هذه المعجزة طلب النبي ﷺ من الصحابة أن يشهدوا بما رأوا حيث قال لهم «اشهدوا وأشهدوا»<sup>(٦)</sup>، وفي إحدى الروايات قال رسول الله ﷺ:

---

انشقاق القمر، وفي كتاب مناقب الأنصار ٤ / ٢٤٤ باب انشقاق القمر، ومسلم ٤ / ٢١٥٨، ٢١٥٩: كتاب القيامة والجنة والنار باب انشقاق القمر.

(١) البخاري ٦ / ١٦ كتاب التفسير (سورة الفرقان) باب «فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا» وفي سورة الدخان ٦ / ٣٩: باب «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ»، وباب «ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ» ٦ / ٤١، ومسلم ٤ / ٢١٥٧: كتاب صفة القيامة، باب الدخان. ومعنى مضين: أي وقعن، وعد منها ما هو سيكون من العذاب المستمر - وهو اللزام - لتحقيق وقوعه.

(٢) البخاري ٤ / ٢٤٣.

(٣) المصدر نفسه ٤ / ٢٤٣، ومسلم ٤ / ٢١٥٨.

(٤) البخاري ٤ / ١٨٦، ٢٤٣، ومسلم ٤ / ٢١٥٩.

(٥) البخاري ٦ / ٥٢: كتاب التفسير (سورة القمر) وفي مناقب الأنصار ٤ / ٢٤٣، ومسلم ٤ / ٢١٥٨.

(٦) البخاري ٦ / ٥٢ (سبق)، وفي المناقب، ٤ / ١٨٦، ومناقب الأنصار ٤ / ٢٤٣، ومسلم



«اللهم اشهد»<sup>(١)</sup>.

والمشهور أن انشقاق القمر حصل مرة واحدة، أما ما ورد في إحدى روايات مسلم: «...فأراهم انشقاق القمر مرتين»<sup>(٢)</sup> فقد أجاب عنها العلماء<sup>(٣)</sup>.

أما ابن إسحاق فلم أقف له على ذكر لحادثة انشقاق القمر، وهذه تضاف إلى الأحداث التي انفرد بها صاحبها الصحيحين عن ابن إسحاق في أحداث السيرة.

٢١٥٨/٤

(١) مسلم ٢١٥٩ / ٤ ، ومع هذا فقد أنكر انشقاق القمر بعض المبتدعة والفلاسفة ورد العلماء عليهم. انظر مثلاً: (النووي شرح ١٧ / ١٤٣ ، والفتح ٧ / ١٨٥).

(٢) ٢١٥٩ / ٤

(٣) قال الحافظ ابن كثير: فيه نظر، والظاهر أنه أراد فرقتين، والله أعلم. (السيرة ١٢١/٢) ، وتكلم ابن القيم على هذه الرواية فقال: المرات يراد بها الأفعال تارة ، والأعيان أخرى، والأول أكثر، ومن الثاني: «انشق القمر مرتين» وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة. (انظر: فتح الباري ٧ / ١٨٣).

أما الحافظ ابن حجر ، فقد قال: اتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ «فرقتين» ، قال البيهقي: قد حفظ ثلاثة من أصحاب قتادة عنه «مرتين» قلت (ابن حجر) لكن اختلف عن كل منهم في هذه اللفظة ولم يختلف على شعبة وهو أحفظهم ، ولم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بلفظ «مرتين».. إلى أن يقول: ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ﷺ ، ولم يتعرض لذلك أحد من شراح الصحيحين. (الفتح ٧ / ١٨٣).





### رابعاً: إخباره ﷺ عن جمع من الشهداء وهو على جبل حراء:

أخرج مسلم بسنده في فضائل طلحة والزبير عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ كان على «حراء» هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيداً»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى: كان رسول الله ﷺ على «جبل حراء» فتحرك، فقال: «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم<sup>(٢)</sup>. وهكذا تحدد الرواية الثانية جبل حراء، وتزيد في الذين كانوا عليه مع النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص.

قال النووي: وفي هذا الحديث معجزات للنبي ﷺ منها إخباره أن هؤلاء شهداء وماتوا كلهم غير النبي ﷺ وأبي بكر شهداء، فإن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير - رضي الله عنهم - قتلوا ظلماً شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قتل ظلماً فهو شهيد... إلى أن يقول: وأما ذكر سعد بن أبي وقاص في الرواية الثانية، فقال القاضي: إنما سمي شهيداً، لأنه مشهود له بالجنة<sup>(٣)</sup>.

(١) ٤ / ١٨٨٠: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة بن الزبير رضي الله عنهما.

(٢) المصدر السابق ٤ / ١٨٨٠.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ١٥ / ١٩٠.



هذه الحادثة خلاف الحادثة المشهورة التي رواها «البخاري» ، وفيها أن النبي ﷺ صعد أحداً ، وأبو بكر، وعمر ، وعثمان، فرجف بهم، فقال: اثبت أحد ، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان»<sup>(١)</sup>.

وقد توقف «ابن حجر» عند هذا الحديث ، مشيراً إلى رواية «مسلم» السابقة ، والمصرحة «بحراء» فقال: «وأحد» أصح ، ويتابع قائلاً: ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد القصة ، لكنه ما لبث أن رجع عن ذلك ، ورجح تعدد القصة مدلاً على ذلك بما رواه أحمد - بسند صحيح - عن بريدة بلفظ «حراء»<sup>(٢)</sup> ، فقوى ذلك احتمال تعدد القصة ، فذكر أنه كان على حراء ومعه المذكورون هنا - يقصد في رواية أحد عند البخاري - وزاد معهم غيرهم<sup>(٣)</sup>.

وممن ذكر هذه الحادثة - في حراء - أبو داود<sup>(٤)</sup> والترمذي<sup>(٥)</sup> وأبو نعيم<sup>(٦)</sup> ، والبيهقي<sup>(٧)</sup> ، كما ذكرها ياقوت الحموي ، فقال - وهو يعرف بحراء - حراء

---

(١) صحيح البخاري ١٩٧ / ٤ : كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب لو كنت متخذاً خليلاً ، وفي مناقب عمر ٢٠٠ / ٤ ، وفي مناقب عثمان ٢٠٤ / ٤ .

(٢) فتح الباري ٣٨ / ٧ .

(٣) فتح الباري ٣٨ / ٧ .

(٤) انظر: مختصر سنن أبي داود للمنذري ٢٨ / ٧ .

(٥) انظر : سنن الترمذي ٣١٥ / ٥ ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، وقد روي من غير وجه عن سعيد بن زيد . وانظر : جامع الأصول ٥٥٩ / ٨ ، ٥٦٠ . وقد أشار المحقق إلى صحة الحديث .

(٦) دلائل النبوة ص (٥٤) .

(٧) في دلائل النبوة ٣٥١ / ٦ .



بالكسر والتخفيف والمد : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال وهو معروف ، وكان النبي ﷺ قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل... إلى أن يقول: ذكروا أن النبي ﷺ ارتقى ذروته ومعه نفر من أصحابه فتحرك ، فقال رسول الله ﷺ: «اسكن يا حراء ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»<sup>(١)</sup>. وهذا كله يؤكد تعدد القصة.

تلك أبرز معجزات النبوة في مكة ، ولا شك أن هناك معجزات أخرى غيرها - لاسيما في الفترة المدنية - حتى إن البخاري وضع في كتاب المناقب باباً في علامات النبوة في الإسلام<sup>(٢)</sup> ومثله الإمام مسلم ، فقد بوب في الفصائل باباً في معجزات النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) معجم البلدان ٢ / ٢٢٣ .

(٢) ١٦٨ / ٤ - ١٨٦ .

(٣) ١٧٨٢ - ١٧٨٦ .



## الفصل الثاني

## **الفصل الثالث :**

### **أساليب الدعوة في مكة**



الفصل الثالث



## الفصل الثالث :

### أساليب الدعوة في مكة

مكث النبي ﷺ بمكة مدة لم تحدها روايات الصحيحين، وحددها ابن إسحاق بثلاث سنين<sup>(١)</sup>، وهو مستخف بدعوته، ومن يؤمن به يطلب إليه التكتم وعدم الإعلان، وقصة إسلام عمرو بن عبسة توضح لنا معالم تلك الفترة، وتؤكد السرية في الدعوة في تلك المرحلة، يقول عمرو بن عبسة: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخف، جراء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي» فقلت: ما نبي؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء»، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حر وعبد» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به. فقلت له: إني متبعك، قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١ / ٢٧٤، وقد ذكره ابن إسحاق بلاغاً ولم يسنده، وأسند مثله الواقدي كما رواه ابن سعد في طبقاته ١ / ١٩٩، لكنه مروى عن (جارية بن أبي عمران) وهو مجهول (انظر: ميزان الاعتدال ١ / ٢٨٥) وحددها الزهري بأربع سنين أو خمس، وهذا منه اعتماداً على أن مدة مكوث النبي ﷺ بمكة خمس عشرة سنة (المغازي للزهري / ٧٤).

وذكر البلاذري أنها كانت أربع سنين (أنساب الأشراف ١ / ١١٦).



ظهرت فأنتني...»<sup>(١)</sup>.

وكذا الأمر في قصة إسلام أبي ذر - رضي الله عنه - ففيها دلالات على السرية، فموقف علي - رضي الله عنه - مع أبي ذر يؤكد هذا، وقد مر به فقال له: كأن الرجل غريب؟ قال أبو ذر: نعم، قال علي: فانطلق إلى المنزل، قال أبو ذر: فانطلقت معه لا يسألني عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث، فعاد علي علياً مثل ذلك، فأقام معه، ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت (وفي الرواية الأخرى: قال أبو ذر: قلت له: إن كتبت علي أخبرتك، قال: فإني أفعل... ففعل فأخبره. قال علي: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء (وفي الرواية الأخرى: قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وامض أنت) فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل علي النبي ﷺ ودخل معه.

وهكذا وصل أبو ذر إلى النبي ﷺ في غاية من التكتم والحذر، وقبل ذلك مكث بصحبة علي ثلاث أيام لا يكلم أحد منهما صاحبه في شيء.. ولم تكن المفاتيح بالحديث إلا بعد العهد والميثاق.

وإذا كان هذا في بداية القصة فنهايتها أيضاً تؤكد الأمر وتجليه، فأبو ذر يعلن إسلامه من حين وصوله إلى النبي ﷺ، ثم يقول له عليه الصلاة والسلام: «ارجع إلى قومك، فأخبرهم حتى يأتيتك أمري» (وفي الرواية الأخرى: فقال لي: «يا

(١) مسلم ١ / ٥٩٦: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة.





أبا ذر، اكنتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك ، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل»<sup>(١)</sup>.

وفي ظل تلك الظروف في سرية الدعوة كان المؤمنون يكتمون إيمانهم. ومن نماذج هؤلاء : المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - وهو الذي قال له النبي ﷺ: «إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته»<sup>(٢)</sup> فكذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكة قبل»<sup>(٣)</sup>.

وربما لم يعلم بإسلام بعض. ولهذا قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام<sup>(٤)</sup>. ويقول: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام<sup>(٥)</sup> فهل حقاً لم يسبق سعداً إلى الإسلام بعد النبي ﷺ إلا رجل واحد، أو رجلان؟ وبهذا يصبح ثلث الإسلام. وهل

---

(١) البخاري ٤ / ٢٤١: كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر رضي الله عنه، وفي كتاب المناقب ٤ / ١٥٨: باب قصة زمزم (وهي الرواية الأخرى المشار إليها)، وانظر طرفها في كتاب الأدب ٧ / ٨١: باب حسن الخلق، ومسلم ٤ / ١٩٢٣: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) هذا الأمر وقع للمقداد حينما بعثه النبي ﷺ في سرية، فلما أتوهم وجدوهم تفرقوا وفيهم رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، فأهوى إليه المقداد فقتله. الحديث. (انظر: الفتح ١٢ / ١٩٠، وتغليق التعليق ٥ / ٢٤٢).

(٣) البخاري ٨ / ٣٥: كتاب الديات في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ وهذا الخبر علقه البخاري، ولكنه وصله غيره (انظر: الفتح ١٢ / ١٩٠، وتغليق التعليق ٥ / ٢٤٢).

(٤) البخاري ٤ / ٢١٢: كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب سعد بن أبي وقاص.

(٥) المصدر نفسه ٤ / ٢١٢، وفي كتاب مناقب الأنصار ٤ / ٢٤٠: باب إسلام سعد رضي الله عنه.



حقاً أيضاً أنه لم يسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلم فيه؟ أم أنه رضي الله عنه أخبر حسب علمه؟<sup>(١)</sup> على حين يقول عمار - رضي الله عنه - : رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر<sup>(٢)</sup>.

ويذكر ابن إسحاق نصاً في سرية الدعوة، فيقول: «فجعل رسول الله ﷺ - يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله»<sup>(٣)</sup>.

وهناك نص آخر لابن إسحاق، لم يذكره ابن هشام، لأنه ليس من رواية

(١) هذا ما ذكره ابن كثير في السيرة ١ / ٤٤٣ ويضيف قوله: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، مشكل ، إذ يقتضي أنه لم يسبقه أحد بالإسلام ، وقد علم أن الصديق وعلياً ، وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حكى الإجماع على تقديم إسلام هؤلاء غير واحد منهم ابن الأثير، ونص أبو حنيفة رحمه الله على أن كلاً من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه (السيرة ١ / ٤٤٣).

ويعلق ابن كثير على حديث عمرو بن عبسة وقوله: «لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام» بقوله: فلعله أخبر بحسب علمه، فإن المؤمنين كانوا إذا ذاك يستترون بإسلام لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم، دع الأجانب ، دع أهل البادية من الأعراب، والله أعلم. (المصدر السابق ١ / ٤٤٣).

ويقول ابن حجر: قال ذلك بحسب اطلاعه ، والسبب فيه أن من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه. ثم قال: وحديث سعد يعارض حديث عمار، والجمع بينهما ما أشرت إليه (الفتح ٧ / ٨٤).

(٢) البخاري ٤ / ١٩٢: كتاب فضائل أصحاب النبي، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» ، وفي كتاب مناقب الأنصار ٤ / ٢٤٠ ، باب إسلام أبي بكر الصديق.

(٣) السيرة لابن هشام ١ / ٢٦٢.



البكائي عن ابن إسحاق، وإنما من رواية يونس بن بكير عنه، وهو تأكيد للسرية أيضاً من خلال الحوار بين رسول الله ﷺ وبين علي في بداية إسلامه، فقد عرض النبي عليه الإسلام ودعاه إلى التوحيد، فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقابض أمراً حتى أحدث به أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «يا علي إذا لم تسلم فاكتم»<sup>(١)</sup>.

وباختصار فإن السرية معلم من معالم تلك الفترة، يضاف إليها جراءة قومه عليه مع استخفائه بدعوته، وتهكمهم به حتى وصفوه بالصابئي، والشاعر، والكاهن، والساحر<sup>(٢)</sup>. بل زادوا على ذلك حين شنقوا له وتجهموا<sup>(٣)</sup>، ولهذا كان يطلب ممن يؤمن به في تلك المرحلة أن يكتم إيمانه أو يلحق بقومه - كما صنع مع عمرو بن عبسة - ومن يعلن إسلامه منهم تتاله قريش بالضرب والأذى كما فعلوا بأبي ذر حين أسلم، كما سيأتي في قصة إسلامه.

---

(١) السيرة والمغازي لابن إسحاق (تحقيق سهيل زكار) وهي إحدى القطع من سيرة ابن إسحاق برواية يونس بن بكير ص ١٢٧ ذكره ابن إسحاق دون إسناد.

(٢) مسلم ٤ / ١٩٢٠.

(٣) مسلم ٤ / ١٩٢٣. شنقوا له: أي أبغضوه. وتجهموا له: قابلوه بوجوه غليظة كريهة. (النووي ٣٢/١٦).



## أوائل المؤمنين

### خديجة بنت خويلد رضي الله عنها :

سبق القول عن إيمان خديجة وموقفها من النبي ﷺ حين جاء إليها يرجف فؤاده على إثر نزول الوحي وتصديقها له في أول وهلة<sup>(١)</sup>. قال الحافظ معلقاً: ومما اختصت به خديجة سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن إسحاق: وآمنت به خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله، وآزرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه وتصدقته، وتهون عليه أمر الناس، رضي الله عنها<sup>(٣)</sup>.

كما ذكر ابن إسحاق صلاة خديجة مع النبي ﷺ على إثر فرض الصلاة عليه وتعليم جبريل له كيفية الطهور والصلاة ووقتها، وذلك بأعلى مكة قبل فرضها في الإسراء<sup>(٤)</sup>، لكن الخبر في سنده مقال<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: ص (١٥٠) من الفصل الأول.

(٢) الفتح ١٣٧/٧.

(٣) ابن هشام / ٢٥٩.

(٤) المصدر نفسه ١ / ٢٦٣.

(٥) قال السهيلي: «هذا الحديث مقطوع في السيرة، ومثله لا يكون أصلاً في الأحكام الشرعية، ولكنه قد روي مسنداً إلى زيد بن حارثة - يرفعه - غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله ابن لهيعة وقد ضعف...» (الروض الأنف ٣ / ١٢).



## أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما :

ويأتيان في مقدمة من آمن من الذكور.

ففي رواية البخاري السابقة عن عمار رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد، وامرأتان، وأبو بكر» دلالة على أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقاً، لكن ذلك مخصوص بمن أظهر إسلامه<sup>(١)</sup>. ولعل هذا يتفق مع ما ذكره ابن إسحاق من كون أبي بكر أول من أظهر إسلامه، حيث قال: فلما أسلم أبو بكر، رضي الله عنه، أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله<sup>(٢)</sup>... ذلك لأن ابن إسحاق ذكر أن أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ وصلى معه، وصدق بما جاءه من الله تعالى «علي بن أبي طالب رضي الله عنه»<sup>(٣)</sup> لكن ابن إسحاق نفسه ذكر استخفاء علي بإيمانه وصلاته من أبيه ومن جميع أعمامه وسائر قومه<sup>(٤)</sup>.

وبهذا الوجه تجمع بين اختلاف الأقوال في أول من آمن بالنبي ﷺ بعد خديجة<sup>(٥)</sup>، على أن هناك توجيهاً آخر يقضي بكون علي رضي الله عنه، أول من آمن من الصبيان، وأبو بكر أول من آمن من الرجال الأحرار<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: ابن حجر في الفتح ٧ / ٢٤.

(٢) ابن هشام ١ / ٢٦٨.

(٣) المصدر نفسه ١ / ٢٦٤.

(٤) المصدر نفسه ١ / ٢٦٥. ذكره ابن إسحاق دون إسناد.

(٥) وانظر بالإضافة إلى ما سبق : كتاب «فضائل الصحابة» للإمام أحمد، تحقيق وصي الله

بن محمد عباس ١ / ٢٢٦ رقم (٢٦٨).

(٦) انظر: السيرة لابن كثير ١ / ٤٣٢، وقال الذهبي معلقاً على حديث عمار السابق



لقد كان لإيمان أبي بكر رضي الله عنه ميزة كان النبي ﷺ يذكرها له، فيقول: «إني قلت: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت»<sup>(١)</sup>.

وهذه الميزة في عدم التردد في قبول الإسلام ذكرها ابن إسحاق أيضاً لأبي بكر، فقال: قال رسول الله ﷺ: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة»<sup>(٢)</sup> ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ماعكم<sup>(٣)</sup> عنه حين ذكرته له وما تردد فيه<sup>(٤)</sup>.

وهذه الرواية لابن إسحاق هي التي دونها ابن هشام في سيرته من رواية البكائي، وهي التي تتفق مع رواية الصحيح - كما مر - ولكن هناك رواية أخرى تنسب إلى ابن إسحاق أيضاً، لكنها من رواية يونس بن بكير، وهي مخالفة للرواية قبلها، إذ جاء فيها: قال يونس عن ابن إسحاق: ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله ﷺ فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آبائنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى، إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته، وأدعوك إلى الله بالحق. فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا

(ص/ ١٢٨): ولم يذكر علياً؛ لأنه كان صغيراً ابن عشر سنين. (السيرة ص / ٧٩).

(١) البخاري ٥ / ١٩٧: كتاب التفسير.

(٢) قال صاحب النهاية: الكبوة: الوقفة كوقفه العاثر، أو الوقفة عند الشيء يكرهه الإنسان، ومنه كبا الزند إذا لم يخرج ناراً. (النهاية في غريب الحديث ٤ / ١٤٦).

(٣) ما عكم: أي ما تحبس وما انتظر ولا عدل ... (المصدر السابق ٣ / ٢٨٥).

(٤) السيرة لابن هشام ١ / ٢٦٨. ذكره ابن إسحاق بلاغاً.



بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والموالاته على طاعته» ، وقرأ عليه القرآن فلم يقر فلم ينكر ، فأسلم وكفر بالأصنام... ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق<sup>(١)</sup> .

وهذه الرواية أنكر العلماء فيها قول ابن إسحاق: فلم يقر ولم ينكر<sup>(٢)</sup> ، وهي مع مخالفتها لرواية الصحيح ، مخالفة أيضاً للرواية الأخرى لابن إسحاق كما أوضحت ، مما يفيد اختلاف الروايات عن ابن إسحاق باختلاف الرواة عنه ، وهو أمر نلمسه في هذه الرواية ، وفي غيرها<sup>(٣)</sup> .

وفوق تلك الميزة لإسلام أبي بكر في عدم التردد ، فقد كان إسلامه فتحاً وسبباً لإسلام غيره ، ففي بيته كان له أثر ، وهذه ابنته عائشة رضي الله عنها تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين<sup>(٤)</sup> . وجملة من مشاهير الصحابة أسلموا على يديه كما سيأتي.

(١) انظر: السير والمغازي لابن إسحاق ص ١٣٩ تحقيق : سهيل زكار. وقد جاء فيه: فلم يفر ، والتصويب من ابن كثير ١ / ٤٢٢ ، مع أنه قد ذكر بعدها رواية أخرى توافق ما نقله ابن هشام من عدم تردد أبي بكر ، وهي مسندة وليست كسابقتها ص / ١٢٩ .

(٢) انظر: ابن كثير في السيرة ١ / ٤٢٣ حيث قال : هذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله: «فلم يقر ولم ينكر» منكر ، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن صحبته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق ، فكيف يكذب على الله ؟

(٣) سبق لنا أنموذج آخر في إسلام علي ، حيث جاءت رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق على ذكر السرية التي طلبها منه ﷺ ، على حين أغفلها زياد البكائي عنه .

(٤) البخاري ٢ / ٥٨ : كتاب الكفالة ، باب: جوار أبي بكر عهد النبي ﷺ وعقده .



ولقد أفاد أبو بكر رضي الله عنه من جملة تلك المزايا التي كان يعرفها فيه قومه في الدعوة إلى الله ، وهذه المزايا ذكرها له ابن إسحاق فقال: كان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسب قریش لقریش، وأعلم قریش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن عفان ... إلخ<sup>(١)</sup>.

### إسلام الأعبد (الخمسة) والمرأتين:

مر آنفاً قول عمار: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد، وامرأتان... قال بعض شراح الحديث: أما الأعبد، فهم: بلال، وزيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وأبو فكيهة<sup>(٢)</sup> مولى صفوان بن أمية بن خلف، وأما الخامس، فيحتمل أن يفسر بشقران<sup>(٣)</sup>، وقيل: عمار بن ياسر - وهو محتمل - وأما المرأتان: فخديجة، والأخرى أم أيمن، أو سمية<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن هشام ١ / ٢٦٨. ذكره ابن إسحاق دون إسناد.

(٢) اسمه يسار، وقيل: أفلح بن يسار الجهمي، مولى بني عبدالدار، وقيل: مولى صفوان، أسلم حين أسلم بلال، وكان يعذب ويستهزئ به المشركون، هاجر إلى الحبشة، مات قبل بدر (الاستيعاب «في حاشية الإصابة» ١٢ / ٨٧، وأسد الغابة ٥ / ٥١٨، ٦ / ٢٤٨، والإصابة ١١ / ٢٩٨).

(٣) مولى رسول الله ﷺ، اشتهر بهذا اللقب. قيل: اسمه صالح، وكان عبداً حبشياً لعبد الرحمن ابن عوف، فأهداه للنبي ﷺ، وقيل: بل اشتراه فأعتقه بعد بدر، وشهد خيبر، حضر غسل النبي ﷺ بعد موته (أسد الغابة ٢ / ٥٢٧).

(٤) ابن حجر: الفتح ٧ / ٢٤.





أما «بلال» فقد سبق لنا في قصة إسلام عمرو بن عبسة إجابة النبي ﷺ له حين سأله : من معك على هذا الدين؟ قال: «حر وعبد» ويعني بالعبد بلالاً<sup>(١)</sup>. قال النووي: قوله (في الحديث) : ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ، دليل على فضلهما ، وقد يحتج به من قال: إنهما أول من أسلم<sup>(٢)</sup>. والغريب من ابن إسحاق أنه لم يذكر بلالاً في عداد من ذكرهم من أوائل المسلمين ، وإن كان قد ذكره بين من ناله الأذى من المشركين<sup>(٣)</sup> ، لكن روايات المتقدمين تكاد تجمع على قدم إسلام بلال<sup>(٤)</sup>. وتتفق رواية الصحيح مع ابن إسحاق في كون بلال كان رقيقاً ، ثم اشتراه أبو بكر وأعتقه<sup>(٥)</sup>.

أما زيد بن حارثة ، فيعده ابن إسحاق أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب<sup>(٦)</sup> ، وإن كان حديث ابن إسحاق بإسلام زيد مرسل<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر القصة في أول هذا الفصل.

(٢) شرح مسلم ٦ / ١١٥.

(٣) ابن هشام ١ / ٣٣٩.

(٤) انظر مثلاً فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ١ / ١٨٢ ، ٢٣١ (بأسانيد صحيحة) وابن سعد ٣ / ٢٣٢ ، والحاكم وصححه ٢ / ٢٨٤ ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية ١ / ١٤٩ ، وابن عبد البر في الاستيعاب ٣ / ٤٨ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١ / ٣٤٧.

(٥) البخاري ٤ / ٢١٧ فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب بلال بن رباح ، وانظر: ابن هشام ١ / ٣٤٠.

(٦) ابن هشام ١ / ٢٦٥.

(٧) انظر: حاشية الروض الأنف ٢ / ١٦. لكن روي بسند صحيح إلى الزهري أنه قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة (المغازي لابن شهاب الزهري ص ٤٦ ، وفضائل الصحابة لأحمد ٢ / ٨٣٦. قال محققه: إسناده صحيح إلى الزهري) ، والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني ٥ / ٣٢٥.



كما ذكر عامر بن فهيرة في عداد المسلمين الأوائل<sup>(١)</sup>.

أما أبو فكيهة فقد ذكره ابن إسحاق ضمن من كان النبي ﷺ يجلس إليهم من المستضعفين من أصحابه<sup>(٢)</sup> ولم أعثر على ذكر إسلامه في أوائل من أسلم<sup>(٣)</sup> فقد ذكر ابنته «فكيهة بنت يسار» في عداد هؤلاء<sup>(٤)</sup>.

وكذلك ذكر ابن إسحاق «عمار بن ياسر» في عداد الأوائل من المسلمين<sup>(٥)</sup>.

### إسلام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

وهو من أوائل من أسلم، وقد مر<sup>(٦)</sup> قوله: لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام، وقوله: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام.

ويؤكد ذلك ابن إسحاق، وهو يضعه من بين النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام، ومن بين من آمن بدعاء أبي بكر حين أسلم وأخذ يدعو غيره إلى الإسلام<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن هشام ٢٧٢/١، والمغازي لابن إسحاق (رواية يونس بن بكير) ص ١٤٤، تحقيق سهيل زكار.

(٢) ابن هشام ٤٢٠ / ١.

(٣) وقد عز ابن حجر إلى ابن إسحاق القول بأنه أسلم حين أسلم بلال (الفتح ٧ / ٢٤).

(٤) ابن هشام ٢٧١ / ١.

(٥) المصدر نفسه ٢٧٤ / ١.

(٦) انظر أوائل هذا الفصل (الدعوة السرية ص / ٢٢١).

(٧) ابن هشام ٢٦٨ / ١، ٢٦٩.



على أن إسلام سعد لم يكن بالأمر الهين، بل أثار إسلامه أقرب الناس إليه وهي أمه، وأنزل بشأنه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، فقد حلفت أم سعد<sup>(١)</sup> أن لا تكلمه، ولا تأكل، ولا تشرب حتى يكفر بدينه، وقالت له: زعمت أن الله وصالك بوالديك، وأنا أمك، وأنا أمرك بهذا، ومكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، حتى قام إليها ابن لها يقال له «عمارة» فسقاها فجعلت تدعو على «سعد» فأنزل الله عز وجل هذه الآية<sup>(٢)</sup> ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ وفيها ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٣)</sup>.

### إسلام أبي ذر رضي الله عنه :

وقد ورد في إسلامه أكثر من رواية في الصحيحين، كما أورد ابن إسحاق

(١) واسمها: حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف (الطبقات لابن سعد ٩٧/١/٢، والمستدرک للحاکم ٤٩٥ / ٢، وفي الإصابة: وهي بنت عم أبي سفيان، لكنه سماها «حمزة» وهو خطأ (الإصابة ٤ / ١٦٠)، وانظر: سير أعلام النبلاء ١ / ٩٦.

(٢) هذه الآية وردت في العنكبوت آية / ٨ ونصها: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وفي لقمان الآيتان / ١٤، ١٥ ونصهما: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا...﴾ وفي ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَجَعَتْهُ كُرْهًا﴾ ولعل مسلماً أراد هذه الآيات كلها أو معظمها، مما يدعم هذا أن المفسرين عند كل هذه الآيات يذكرون قصة سعد مع أمه انظر: (تفسير ابن كثير ٦ / ٢٧٥، ٣٤٠، ٧ / ٢٦٣.

(٣) مسلم ٤ / ١٨٧٧: فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص.



رواية ثالثة تختلف عن رواية الصحيحين، وسأسوق هذه الروايات ليظهر الفرق بينها، وأولى هذه الروايات الرواية المشهور، والمتفق عليها بين الشيخين، التي سبق عرض معظمها حين تحدثنا عن «سرية الدعوة»، وخلاصتها أن أبا ذر لم يشفه كلام أخيه عن النبي ﷺ، فتجهز وخرج بنفسه إلى مكة، ومكث بها مدة - يشرب من زمزم - ولا يسأل أحداً، حتى التقى بعلي ودله على النبي ﷺ - بخفية وحذر - فأسلم، وطلب منه النبي ﷺ، كتم ذلك والرجوع إلى بلده حتى يظهر أمره، فقال: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم: فجاء إلى المسجد وقريش فيه، فقال: يا معشر قريش: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فقاموا فضربوه حتى أوجعوه، فأدركه العباس، فأكب عليه ثم أقبل عليهم، فقال: ويلكم تقتلون رجلاً من غفار ومتجركم وممركم على غفار، فأقلعوا عنه، فلما أصبح من الغد رجع إليهم، فقال مثل ما قال بالأمس، فصنعوا به مثل ما صنعوا به من قبل، حتى أكب عليه العباس<sup>(١)</sup>.

والرواية الأخرى انفرد بها «مسلم» عن عبد الله بن الصامت<sup>(٢)</sup> قال: قال أبو ذر: خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام - فخرجت أنا وأخي «أنيس» و«أمناء» فنزلنا على خال لنا، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا، فحسدنا

(١) البخاري ٤ / ١٥٨، ٢٤١ (سبق)، ومسلم ٤ / ١٩٢٣ (سبق أيضاً).

(٢) هو: عبد الله بن الصامت الغفاري الليثي، ابن أخي أبي ذر، بصري، ثقة، ذكر البخاري وفاته بين السبعين والثمانين، وعده خليفة فيمن مات سنة ٧٢ للهجرة. (انظر: خليفة بن خياط (تحقيق د. أكرم العمري) ص / ٢٦٨، والتهذيب ٥ / ٢٦٤).



قومه فقالوا: إنك إذا خرجت من أهلك خالف إليهم «أنيس» فجاء خالنا فنتنا<sup>(١)</sup> علينا الذي قيل له، أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد، فقرينا صرمتنا<sup>(٢)</sup> فاحتملنا عليها، وتغطى خالنا ثوبه، فجعل يبكي، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها<sup>(٣)</sup> فأتيا الكاهن فخير أنيساً، فأتانا بصرمتنا ومثلها معها، قال أبو ذر: وقد صليت يا بن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين<sup>(٤)</sup>. قلت لمن؟ قال: لله، قلت: فأين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني ربي، أصلي عشاء حتى إذا كان من الليل ألقيت كأني خفاء<sup>(٥)</sup> حتى تعلقوني الشمس، فقال: أنيس: إن لي حاجة بمكة فاكفني، فانطلق أنيس حتى أتى مكة، فراث<sup>(٦)</sup> علي ثم جاء فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر - وكان أنيس أحد الشعراء - قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرأء<sup>(٧)</sup> الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون، قال: قلت: فافكني حتى أذهب فأنظر، قال: فأتيت مكة فتضعفت رجلاً منهم فقلت: أين هذا الذي

(١) (نثا) الحديث ينثوه نثواً: إذا أظهره . (جامع الأصول ٩ / ٥٦).

(٢) الصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين (المصدر نفسه ٩ / ٥٦).

(٣) المنافرة: المفاخرة والمحاكمة ، والمعنى أنه راهن والرهن صرمة هذا وصرمة ذاك، فأيهما كان أفضل أخذ الصرمتين...ففاض بها أنيس.

(٤) وفي الرواية الأخرى - المختصرة - صليت سنتين قبل مبعث النبي ﷺ (مسلم ٤ / ١٩٢٣ فضائل الصحابة).

(٥) الخفاء: بالخاء المعجمة وكسرهما : كساء يطرح على السقاء . (جامع الأصول ٩ / ٥٦).

(٦) راث فلان علينا: أبطأ . (المصدر نفسه ٩ / ٥٧).

(٧) أقرأء الشعر: طرائقه وأنواعه . (المصدر نفسه ٩ / ٥٧).



تدعونه الصابئ؟ فأشار إلي فقال: الصابئ<sup>(١)</sup>، فمال علي أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً علي، قال: فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر<sup>(٢)</sup> قال: فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء وشربت من مائها، ولقد لبثت يابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع. قال: فبينما أهل مكة في ليلة قمراء إضحيان<sup>(٣)</sup> إذا ضرب على أسمختهم فما يطوف بالبيت أحد، وامرأتان منهم تدعوان «إسافاً» و«نائلة» قال: فأتتا علي، فقلت: هن مثل الخشبة غير أنني لا أكني، فانطلقتا تولولان وتقولان: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا، قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان، قال: «مالكما؟» قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها، قال: «ما قال لكما؟» قالتا: إنه قال كلمة تملأ الفم، وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه، ثم صلى فلما قضى صلاته قال (أبو زر): فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام. قال فقلت: السلام عليك يا رسول الله ﷺ. فقال: «وعليك ورحمة الله»، ثم قال: «من أنت؟» قال: قلت: من غفار. قال: فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته، فقلت في نفسي: كره أن انتميت إلى غفار، فذهبت آخذ بيده فقدعني<sup>(٤)</sup> صاحبه، وكان أعلم به مني، ثم رفع رأسه ثم قال: «متى كنت هاهنا؟» قال: قلت: قد كنت هاهنا منذ ثلاثين بين يوم وليلة<sup>(٥)</sup>، قال: «فمن كان يطعمك؟» قال: قلت: ما

(١) منصوب على الإغراء: أي انظروا وخذوا هذا الصابئ.

(٢) يعني من كثرة الدماء.

(٣) أي: مضيئة منورة.

(٤) أي كفني.

(٥) وفي الرواية الأخرى: «منذ كم أنت هاهنا؟» قلت: منذ خمس عشرة (مسلم ٤ / ١٩٢٢:

فضائل الصحابة).



كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع ، قال: «إنها مباركة، إنها طعام طعم»، فقال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة، فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف - وكان أول طعام أكلته بها - ثم غبرت ما غبرت، ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد وجهت لي أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك؟ عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم»، فأتيت أنيساً فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت أني قد أسلمت وصدقت. قال: ما بي رغبة عن دينك، فأني قد أسلمت وصدقت، فأتينا أمنا، فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فأني قد أسلمت وصدقت فاحتملنا<sup>(١)</sup> حتى أتينا قومنا غفاراً فأسلم نصفهم وكان يؤمهم إيماء بن رخصة الغفاري<sup>(٢)</sup> وكان سيدهم، وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي، وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله، إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله»<sup>(٣)</sup>.

(١) يعني: حملنا أنفسنا ومتاعنا على إبلنا وسرنا.

(٢) هو إيماء بن رخصة بن حزمة بن خفاف الغفاري، قديم الإسلام، يقال له ولابنه «خفاف» ولأبيه «رخصة» صحبة (أسد الغابة ٢ / ١٢٨). ولهذا وقع الخلاف هنا هل المقصود «إيماء» كما في هذه الرواية أو «خفاف». (انظر: الذهبي في السيرة ص / ١٠٠، والإصابة ١ / ١٤٨).

(٣) مسلم ٤ / ١٩١٩ - ١٩٢٢: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه.



هذه هي رواية مسلم، وهي - كما نرى - تختلف في سياقها عن الرواية الأولى المتفق عليها، فبالإضافة إلى كون سياقها أطول من سابقتها، فبين الروایتين اختلاف في الدلالة، حتى قال ابن حجر عن رواية مسلم هذه: وفيها مغايرة كثيرة لسباق ابن عباس (يعني المتفق عليها) <sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة الاختلاف بين الروایتين: أن رواية ابن عباس تفيد وصول أبي ذر للنبي ﷺ عن طريق علي، فهو الذي دله بعد أن أضافه ثلاث ليال، بينما تفيد رواية «ابن الصامت» لقياً أبي ذر للنبي ﷺ أول ما لقيه ليلاً وهو يطوف بالكعبة ومعه أبو بكر، وهو الذي استضافه وأطعمه من زبيب الطائف، وفي رواية ابن الصامت أن مكوث أبي ذر بمكة ثلاثين ليلة قبل لقياه بالنبي ﷺ ومدة مكوثه قبل أن يلقي النبي ﷺ ثلاث ليال، وفي رواية ابن عباس ذكر لموقف العباس معه حين أعلن إسلامه في قريش، بينما في رواية ابن الصامت ليس لها ذكر، إلى غير ذلك من مناحي الاختلاف مما أدى إلى اختلاف العلماء في إمكانية الجمع بين الروایتين أو عدمه.

قال القرطبي: في التوفيق بين الروایتين تكلف شديد <sup>(٢)</sup> ووافقه على ذلك «الأبي» حيث قال: «وقد ظهر بين طريق ابن عباس وطريق ابن الصامت فيما رواه من حديث أبي ذر اختلاف يبعد بينهما فيه» <sup>(٣)</sup>، لكنه - رحمه الله - أبعد النجعة

(١) فتح الباري ٧ / ١٧٤، وقال في الإصابة: وبينهما اختلاف ظاهر ١١ / ١١٩.

(٢) المصدر السابق ٧ / ١٧٥.

(٣) الأبي: شرح مسلم (إكمال إكمال المعلم) ٦ / ٣٠٦.

«والأبي» وإن كان قد نبه بعد الجمع بين الروایتين، فقد أشار إلى احتمال جمع بينهما،





حين قال: ولم أر من الشارحين من نبه على هذا التعارض!!<sup>(١)</sup> وقد سبق لنا تقديم قول القرطبي، وكذا نبه إليه ابن حجر حيث خالف رأي القرطبي، وقال: إن الجمع بين الروایتين ممكن... وساق توجيهاته للجمع بين الروایتين عند مواضع الخلاف<sup>(٢)</sup>.

وهناك رأي لأحد المعاصرين مفاده: إمكانية الجمع بين الروایتين على اعتبار أن إحداهما تكمل الأخرى، ولكل واحدة منهما زمن، فرواية البخاري تأتي في التسلسل الزمني بعد رواية مسلم، إذ هي شرح للكلمة الواردة في رواية مسلم «فغربت ما غربت»، ونحن لا نجد في رواية مسلم أنه أسلم رغم أنه لقي رسول الله ﷺ وأبا بكر حتى قوله: فغربت ما غربت<sup>(٣)</sup>.

---

وإن كان قد استبعده في الأخير ونص كلامه كما يلي: «... وكل من السندين صحيح، فالله أعلم أي المتين كان، ويحتمل أنا أبا ذر أتى النبي ﷺ حول الكعبة فأسلم ولم يعلم علي إذ ذاك، ثم إن أبا ذر بقي مستتراً حباله إلى أن استتبعه علي، ثم أدخله على النبي ﷺ فجدد إسلامه، فظن الراوي أن ذلك أول إسلامه، وفي هذا الاحتمال بعد... (المصدر السابق ٦ / ٢٠٦).

(١) المصدر نفسه ٦ / ٣٠٦.

(٢) الفتح ٧ / ١٧٤.

(٣) منير الغضبان: أبو ذر الغفاري الزاهد المجاهد، دار العربية للطباعة والنشر، ط. الأولى، ص ٣٩.



## متى أسلم أبوذر:

وفي زمن إسلام أبي ذر تقف رواية الصحيحين عند القول: «لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه...» كما سبق في الروايات ، كما لا نجد شيئاً عند ابن إسحاق في إسلام أبي ذر، لكننا نجد تحديداً في الروايات الأخرى.

فالحاكم - فيما استدركه على الصحيحين - أخرج عن أبي ذر قوله: «لقد رأيتني ربح الإسلام ، لم يسلم قبلي إلا النبي ﷺ ، وأبو بكر، وبلال» ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي على ذلك<sup>(١)</sup>، وقبله روي لنا يونس بن بكير - في مغازي ابن إسحاق - لكن من طريق ليس فيه ابن إسحاق، فقال: أول الرجال إسلاماً علي بن أبي طالب، ثم الرهط الثلاثة: أبو ذر، وبريدة، وابن عم لأبي ذر<sup>(٢)</sup>، لكن هذه الرواية جاءت مرسلة<sup>(٣)</sup>. يضاف إلى ذلك أن معظم الذين ترجموا لأبي ذر يذكرون سابقة إسلامه<sup>(٤)</sup>.

(١) المستدرک للحاکم وبذیلہ تلخیص الذہبی ٣ / ٣٤٢. كما أخرج هذه الرواية الطبراني عن جبیر بن نفیر، وقال الہیثمی: رواه الطبرانی بإسنادین وأحدهما متصل الإسناد ورجاله ثقات. (مجمع الزوائد ٩ / ٢٢٧).

(٢) السير والمغازي لابن إسحاق - رواية يونس بن بكير - تحقيق سهيل زكار ص ١٢٨ ، أو سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب «المبتدأ والمبعث والمغازي» تحقيق محمد حميد الله ص/١١٩.

(٣) سند الرواية هكذا: نا يونس، عن يوسف بن جهيب، عن عبدالله بن بريدة، قال: أول الرجال إسلاماً... إلخ، فإذا كان عبدالله بن بريدة ولد في خلافة عمر - رضي الله عنه - والقصة التي يروها وقعت في أوائل البعثة اتضح الإرسال فيها.

(٤) انظر: الاستيعاب (حاشية الإصابة ٢ / ١٧٠، وأسد الغابة ٦ / ١٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٤٦، والإصابة ١١ / ١١٩).



## إسلام ضماد الأزدي<sup>(١)</sup> :

روى مسلم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن ضماداً قدم مكة ، وكان من أزد شنوءة ، وكان يرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون ، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي ، قال: فلقية ، فقال: يا محمد إني أرقى من هذه الرياح<sup>(٢)</sup> ، وإن الله يشفي على يدي من شاء ، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد» . قال فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء ، فاعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر<sup>(٣)</sup> قال فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام ، قال فبايعه ، فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومك» قال: وعلى قومي ، قال: فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه ، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة ، فقال: ردها ، فإن هؤلاء

(١) هو ضماد بن ثعلبة الأزدي (وهو غير ضماد بن ثعلبة السعدي) ذكر ابن عبد البر وغيره أنه كان صديقاً للنبي ﷺ في الجاهلية ، وكان رجلاً يتطبب ويرقي ، ويطلب العلم ، أسلم أول الإسلام . (الاستيعاب - الملحق بالإصابة ٢٠٤ / ٥ ، وأسد الغابة ٥٦ / ٣ ، والإصابة ١٩٢ / ٥).

(٢) المراد بالريح هنا: الجنون : (النووي ١٥٧ / ٦).

(٣) قال النووي: ضبطانه بوجهين أشهرهما ناعوس بالنون والعين هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا. والثاني: قاموس بالقاف والميم ، وهذا هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم. قال بعضهم: وهو الصواب ، والمعنى: قعره. (شرحه لمسلم ١٥٧ / ٦).



قوم ضماد<sup>(١)</sup>. ولم أجد له ذكراً عند ابن إسحاق.

### إسلام سعيد بن زيد<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه :

ذلك عنوان وضعه البخاري في صحيحه ، وساق فيه الحديث عن قيس بن أبي حازم<sup>(٣)</sup> قال : سمعت سعيد بن زيد بن نفيل في مسجد الكوفة يقول : والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر<sup>(٤)</sup> ... وفي موضع آخر عن قيس نفسه قال : سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم : لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم...<sup>(٥)</sup>.

وإذا جاز لنا أن نفهم من سياق البخاري قدم إسلام سعيد ، وزوجته - فاطمة بنت الخطاب - (أخت عمر) ، وأنهما تعرضا لفتنة عمر قبل أن يسلم ، فابن إسحاق يؤكد لنا هذه الأسبقية له ولزوجته حيث يضعها في أوائل من أسلموا بعد

(١) ٥٩٣ / ٢ : كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(٢) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزيز العدوي... أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم ، شهد أحداً والمشاهد بعدها ، ولم يكن بالمدينة زمان بدر ، مات سنة خمسين أو بعدها... (الإصابة ٤ / ١٨٨).

(٣) قيس بن أبي حازم ، واسمه حصين بن عوف ، ويقال : عوف بن عبدالحارث ، ويقال عبد عوف ابن الحارث بن عوف - البجلي الأحمسي ، أبو عبد الله ، أدرك الجاهلية ، ورحل إلى النبي ﷺ ليبياعه فقبض وهو في الطريق ، قال الذهبي : أجمعوا على الاحتجاج به ، ومن تكلم فيه فقد آذى نفسه . مات سنة ٩٨ هـ (الميزان ٣ / ٢٩٢ ، والتهذيب ٨ / ٢٨٦ ) قيل : إنه أجود التابعين إسناداً ، لأبيه صحبة ، أما هو فقد نقل بعض ما يشير إلى رؤيته للنبي ﷺ ، لكن قال العلماء : إنها لا تصح . (انظر : الإصابة ٨ / ٢٢٧ ، ٢٢٨).

(٤) ٢٤٢ / ٤ : مناقب الأنصار.

(٥) المصدر نفسه ٤ / ٢٤٣.



النفر الثمانية<sup>(١)</sup> الذين سبقوا الناس بالإسلام<sup>(٢)</sup>.

### السابقون إلى الإسلام في رواية ابن إسحاق:

وهذه جملة من ذكرهم ابن إسحاق ممن تقدم إسلامهم.

فبعد ذكره لإسلام خديجة ، وعلي - رضي الله عنهما - قال: ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل - مولى رسول الله ﷺ - وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب. ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، فأسلم بدعائه: عثمان بن عفان، والزيبر بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة ابن عبيدالله.

قال ابن إسحاق: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام، فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله، ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح، وأبو سلمة عبدالله بن عبدالأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأخوه قدامة وعبدالله ابنا مظعون بن حبيب، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر - وهي يومئذ صغيرة - وخباب بن الأرت، وعمير ابن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود، ومسعود بن القاري - وهو مسعود بن ربيعة ابن عمرو - وسليط بن عمرو بن عبدشمس بن عبد ود، وأخوه حاطب بن عمرو،

(١) وهم كما ذكرهم ابن إسحاق، علي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وأبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، والزيبر بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله.

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ٢٦٩/١، وبرواية ابن بكير انظر: سيرة ابن إسحاق، تحقيق محمد حميد الله ص/ ١٢٤، وبتحقيق سهيل زكار ص ١٤٣.



وعياش بن أبي ربيعة، وامراته أسماء بنت أبي سلامة، وخنيس بن حذافة بن قيس، وعبدالله بن جحش بن رئاب، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبي طالب، وامراته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث بن معمر، وامراته فاطمة وأخوه حطاب بن الحارث، وامراته فكيهة بنت يسار، ومعمر بن الحارث بن معمر بن حبيب، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهري بن عبد عوف، وامراته رملة بنت أبي عوف، والنحام واسمه نعيم بن عبدالله بن أسيد، وعامر بن فهيرة - مولى أبي بكر الصديق - وخالد بن سعيد بن العاص، وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد، وحاطب بن عمرو بن عبدشمس، وأبو حذيفة بن عتبة، وواقد بن عبدالله بن عبد مناف، وخالد، وعامر، وعاقل، وإياس بنو البكير بن عبدالميل، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان<sup>(١)</sup>.

### الجهربالدعوة:

وردت في الصحيحين روايات عن ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة<sup>(٢)</sup>،

(١) السيرة لابن هشام ١ / ٢٦٨ - ٢٧٠، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق دون إسناد.

(٢) هؤلاء الأعلام أشهر من أن يعرفوا، ولكن الملاحظة التي تستوقفنا هنا أن كلاً من ابن عباس وأبي هريرة - وكذا عائشة - لم يدركا هذه الحادثة الواقعة في صدر الإسلام، ومن أدركها منهم لم يكن بإمكانه رواية أحداثها المشاهدة إما لصغر سنه - كما بن عباس وعائشة - وإما التأخر إسلامه كأبي هريرة، ولهذا اعتبر العلماء روايتهم لها من مرسل الصحابة، وممن جزم بذلك الإسماعيلي (الفتح ٨ / ٥٠٢) لكن ابن حجر يرى احتمال وقوع الحادثة مرتين - مشيراً إلى بعض ما يؤيده - وإن كان يقول: ولكن الأصل عدم تكرار النزول. (الفتح ٦ / ٥٥٢، ٨ / ٥٠٢).



وقبيصة بن المخارق<sup>(١)</sup>، وزهير بن عمرو<sup>(٢)</sup> - رضي الله عنهم أجمعين - ، وكلها تفيد جهر النبي ﷺ بدعوته وإنذاره عشيرته الأقربين.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٣)</sup> صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم! ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية أخرى لابن عباس أيضاً: أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء ، فصعد إلى الجبل فنادى «يا صباحاه» ، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتم إن

(١) قبيصة بن المخارق بن عبد الله بن شداد الهلالي ، يكنى أبا بشر، له صحبة، سكن البصرة، قال ابن خزيمة: لا أدري ألقبيصة البجلي صحبة أم لا ؟ وتعقبه ابن حجر. (التاريخ الكبير للبخاري ٧ / ١٧٣ ، وأسد الغابة ٤ / ٣٨٣ ، والإصابة ٨ / ١٣٢).

(٢) زهير بن عمرو الهلالي، نزيل البصرة، قال البغوي: لا أعلم إلا حديث الإنذار، ونقل ابن السكن أن البخاري لم يصححه لأنه لم يذكر السماع. (أسد الغابة ٢ / ٢٦٦ ، والإصابة ٤ / ٢٣)، وذكر البخار له هذا الحديث في التاريخ الكبير ٣ / ٤٢٤.

(٣) الشعراء آية / ٢١٤.

(٤) البخاري ٦ / ١٦: كتاب التفسير - سورة الشعراء - والرواية وردت في مواطن أخرى سأنبه عليها عند ذكرها.



حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد...» وذكر نحوه<sup>(١)</sup>.

وفي رواية الثالثة - لابن عباس - لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

ورهبك منهم المخلصين<sup>(٢)</sup> خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: «يا صباحاه»، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «أرايتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذباً<sup>(٣)</sup>.

وتختلف رواية أبي هريرة اختلافاً يسيراً في عرضها عن رواية ابن عباس، وقد جاء فيها: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً،

(١) البخاري ٩٥/٦: كتاب التفسير ، سورة تبت يدا أبي لهب وتب، وفي الكتاب نفسه تفسير سورة سبأ ، باب ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ٢٩ / ٦ لكن بدون ذكر البطحاء.

(٢) قال الإمام النووي: ظاهر هذه العبارة أن قوله: «ورهبك منهم المخلصين» كان قرآناً أنزل ثم نسخت تلاوته، ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري. شرح مسلم ٢ / ٨٢، ٨٣، ولا يخفى ما في ذلك الجزم بعدم ذكر البخاري لها من الخطأ ، وانظر: ابن حجر في الفتح ٨ / ٥٠٢، وقد قيل في هذه الزيادة: إنها تفسير لقوله: عشيرتك، أو قراءة شاذة قرأها ابن عباس ثم نسخت تلاوتها. (حاشية البخاري ٦ / ٩٤).

(٣) البخاري ٩٤ / ٦: كتاب التفسير ، سورة تبت ، ومسلم ١ / ١٩٤: كتاب الإيمان باب قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ .





يا بني عبدمناف<sup>(١)</sup>، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية<sup>(٢)</sup> عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية - له - عند مسلم: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا ، فعم وخص ، فقال: «يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدشمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدمناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدالمطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلها»<sup>(٤)</sup>.

أما رواية عائشة فهي مختصرة، وقد انفرد بإخراجها الإمام مسلم - عليه رحمة الله - ونصها: قالت: «لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله

(١) وقع عند مسلم: يا بني عبدالمطلب بذلك يا بني عبدمناف ١ / ١٩٣ (سبق) .

(٢) وفي رواية: يا أم الزبير بن العوام بدل: صفية: البخاري ٤ / ١٦١ .

(٣) البخاري ٣ / ١٩٠: كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، وفي التفسير ٦ / ١٧ «سورة الشعراء».

(٤) مسلم ١ / ٩٢: كتاب الإيمان، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ومعنى سأبلها ببلها أي سأصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً، وقد استعير البلبل لمعنى الوصل (النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ١٥٣).



ﷺ على الصفا، فقال: «يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبدالمطلب، يا بني عبدالمطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم»<sup>(١)</sup>.

كما انفرد مسلم بإخراج رواية قبيصة بن المخارق، وزهير بن عمرو، وقد اختلفت ألفاظها عن الروايات قبلها، وفيها قالوا: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ انطلق نبي الله ﷺ إلى رضمة من جبل، فعلا أعلاها حجراً، ثم نادى: «يا عبد مناف، إني نذير، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يرباً»<sup>(٢)</sup> أهله، فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف: «يا صباحاه»<sup>(٣)</sup>.

هذه محصلة روايات الصحيحين عن الجهر بالدعوة وإنذار النبي ﷺ لعشيرته الأقربين.

وهي كما نرى - وإن اختلفت في بعض ألفاظها - فدلالاتها واحدة، فالنبي ﷺ عندما نزل عليه الأمر بإعلان الدعوة صعد الصفا، وجعل يهتف بقومه وعشيرته حتى اجتمعوا إليه فأعلمهم دعوته، وخوفهم من مخالفته.

ولنا أن نميز - من خلال النصوص السابقة - طبيعة الدعوة في هذه المرحلة، فهي ليست دعوة سرية كما كان الأمر من قبل، وهي أيضاً ليست قصراً على أفراد معينين - كما كان قبل - بل هي دعوة للقبائل، يؤكد لنا ذلك - فوق ما تقدم - الإمام البخاري في رواية ساقها عن ابن عباس - رضي الله عنهما -

(١) المصدر نفسه ١ / ١٩٢.

(٢) أي يحفظهم ويتطلع لهم . (النووي على مسلم ٣ / ٨٢).

(٣) ١ / ١٩٢، ١٩٣.



قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جعل النبي ﷺ يدعوهم قبائل قبائل<sup>(١)</sup>.

وحين نعود إلى ابن إسحق نجده يذكر رواية تختلف في سياقها، وفي دلالتها عن رواية الصحيحين السابقة، والرواية من طريق يونس بن بكير وسندها كما يلي:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني من سمع عبد الله بن الحارث ابن نوفل واستكتمني اسمه، عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) **وَإخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** قال رسول الله ﷺ: «عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره، فصمت عليها، فجاءني جبريل، فقال: يا محمد، إنك إن لم تفعل ما أمرك ربك تعالى عذبك ربك»، قال علي: فدعاني رسول الله ﷺ فقال: «يا علي، إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره، فصمت عن ذلك حتى جاءني جبريل، فقال: يا محمد، إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك، فاصنع لنا يا علي رجل شاه على صاع من طعام، وأعد لنا عس<sup>(٢)</sup> لبن، ثم اجمع بني عبدالمطلب ففعلت، فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلاً أم ينقصون، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب الكافر الخبيث، فقدمت إليهم تلك الجفنة، فأخذ

(١) البخاري ٤ / ١٦١: كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آباءه في الإسلام والجاهلية. وهذه الرواية قد تبدو معلقة، لكن قال ابن حجر: هو موصول وليس بمعلق، وقد وصله الإسماعيلي والطبراني عن قبيصة (انظر: الفتح ٦ / ٥٥٢، وتعليق التعليق ٤ / ٤٧).

(٢) العس: القدح الكبير، وجمعه عساس وأعساس. (النهاية ٣ / ٢٣٦).



منها رسول الله ﷺ حذية<sup>(١)</sup> فشقها بأسنانه، ثم رمى بها في نواحيها، ثم قال: «كلوا باسم الله»، فأكل قالوم حتى نهلوا عنه، فما رئي إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، ثم قال رسول الله ﷺ: «استقهم يا علي»، فجئت بذلك القعب فشربوا حتى نهلوا جميعاً، وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لهد<sup>(٢)</sup> ما سحركم صاحبكم! فتفرقوا، ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ: «يا علي، عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب، فإن هذا الرجل قد بررني إلى ما قد سمعت قبل أن أكلم القوم»، ففعلت، ثم جمعهم له، فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتى نهلوا عنه، ثم سقيتهم فشربوا من ذلك القعب حتى نهلوا عنه، وايم الله إن الرجل منهم ليأكل مثلها، ويشرب مثله، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبدالمطلب، والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة»<sup>(٣)</sup>.

هذه هي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق، كما رواها عن ابن إسحاق

(١) الحذية: هي القطعة، وهي بالكسر ما قطع من اللحم طولاً. (المصدر نفسه ١ / ٢٥٧).

(٢) لهد: كلمة يتعجب بها، يقال: لهد الرجل: أي ما أجده، ويقال: إنه لهد الرجل أي لنعم الرجل. (النهاية ٥ / ٢٥٠).

(٣) انظر: سيرة ابن إسحاق، تحقيق وتعليق محمد حميد الله ص / ١٢٦، ١٢٧، والسير والمغازي لابن إسحاق بتحقيق سهيل زكار ص / ١٤٥.



أيضاً سلمة بن الفضل<sup>(١)</sup> بنحو الرواية السابقة إلا أنه زاد في آخرها بعد قوله: «إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا» قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت - يعني علياً - وإني لأحدثهم سنأ وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً، أنا يا نبي الله أكون وزيرك، فأخذ برقبتي، ثم قال: «إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا»، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قدر أمرك أن تسمع لابنك وتطيع<sup>(٢)</sup>.

وعلى العموم، فإن الوقفة المتأملة عند إسناد هذه الرواية تكفي عن التعرض لما جاء فيها مخالفاً لرواية الصحيحين قبلها، وإذا كان أهل الجرح والتعديل يضعفون حديث ابن إسحاق، إذا عنعن - خشية التديليس - فكيف الحال إذا أبهم في الإسناد قائلاً: حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل، واستكتمني اسمه، والجهالة في الإسناد عيب قادح في السند؛ لكن الأمر - في هذه الرواية - لا يقف عند هذا الحد، فالمهم في سيرة ابن إسحاق جاء التصريح به في رواية أخرى، ساقها لنا الطبري في تفسيره، وتاريخه، بهذا الإسناد:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن

(١) هو أحد رواة السيرة عن ابن إسحاق، مختلف في توثيقه أو تجريحه، فالبخاري قال: عنده مناكير، وقال النسائي: ضعيف، وعن ابن معين: ليس به بأس وكان يتشيع، وقال أبو حاتم، محله الصدق، في حديثه إنكار يكتب حديثه ولا يحتاج به، وعن جرير: ليس من لدن بغداد إلى خراسان أثبت في ابن إسحاق من سلمة. (الجرح والتعديل ١٦٨ / ٢، والتهذيب ١٥٣ / ٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٧٤ / ١٩، ٧٥، وتاريخ الطبري ٣١٩ / ٢، ٣٢٠.



عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، عن عبد الله بن عباس ، عن علي بن أبي طالب قال.. وساق نحو الرواية السابقة<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتضح أن الذي أبهمه ابن إسحاق في سيرته هو عبد الغفار بن القاسم ، حتى قال أحمد بن عبد الجبار العطاردي<sup>(٢)</sup> : بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث<sup>(٣)</sup> ، فمن يكون عبد الغفار هذا؟

قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث ، ويقال: كان من رؤوس التشيع<sup>(٤)</sup> ، ويقول ابن عدي: كان غالباً في التشيع<sup>(٥)</sup> ، وقال أحمد بن حنبل: كان أبو عبيدة إذا حدثنا عن أبي مريم يضح الناس يقولون: لا نريده<sup>(٦)</sup> . وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار لا يجوز الاحتجاج به<sup>(٧)</sup> ، كما ترك الاحتجاج به النسائي<sup>(٨)</sup> . وقال أبو داود: وأنا أشهد أنا أبا مريم كذاب ، لأنني قد لقيته وسمعت منه ، واسمه

(١) انظر: المصدرين السابقين .

(٢) قال عنه ابن حجر: أحمد بن عبد الجبار بن محمد العطاردي ، أبو عمرو الكوفي ، ضعيف وسماعه للسيرة صحيح ، من العاشرة: مات سنة اثنتين وسبعين . (التقريب ١٩/١) .

(٣) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ١٨٠ ، وانظر كذلك: السيرة للذهبي ص / ٨٢ ، ٨٣ .

(٤) ميزان الاعتدال ٢ / ٦٤٠ .

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال ٥ / ١٩٦٥ .

(٦) الميزان ٢ / ٦٤٠ .

(٧) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين (دار الوعي حلب) ٢ / ١٤٣ .

(٨) الميزان ٢ / ٦٤٠ .



عبد الغفار القاسم<sup>(١)</sup>. ومع ذلك كله فقد نقل أنه كان يشرب حتى يبول في ثيابه<sup>(٢)</sup>.

فهل بعد هذا كله يمكننا قبول روايته؟! بل ولعلنا نفهم بذلك السر الذي جعل ابن إسحاق - غفر الله له - يقول: «واستكتمني اسمه»!!

ولهذا أنكر الذهبي مثل هذه الأخبار<sup>(٣)</sup>، أما ابن كثير فمع تضعيفه لرواية

(١) الضعفاء للعقيلي ١٠١ / ٣.

(٢) المصدر نفسه ١٠١ / ٣.

(٣) ميزان الاعتدال ٤٥ / ٢. وهذا الذي أنكره الذهبي رواية في مسند الإمام أحمد وهي قريبة من رواية ابن إسحاق، وقد رواها بأكثر من طريق، وكل طريق منها لا يخلو من ضعف في الإسناد، أما الطريق الأول: فعن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن شريك... ويحيى - هذا - قال عنه الذهبي: شيعي بغيض، قال زياد بن أيوب: سمعت يحيى الحماني يقول: كان معاوية على غير ملة الإسلام؟! قال زياد: كذب عدو الله (الميزان ٣٩٢ / ٤) والغريب أن أحمد شاكر حسن هذا الإسناد (المسند ١٦٥ / ٢ ط. دار المعارف). وقد عقبه وصي الله بن محمد عباس (محقق فضائل الصحابة للإمام أحمد) فقال: وفي تحسينه نظر: (فضائل الصحابة ٦٥١ / ٢).

أما الطريق الثاني: فعن المنهال بن عمر، عن عياد بن عبد الله الأسدي عن علي (المسند ١٦٥ / ٢) قال البخاري عن عياد: سمع منه المنهال بن عمر وفيه نظر، وقال ابن المديني: ضعيف الحديث (الميزان ٣٦٨ / ٢). وقال ابن الجوزي: ضرب ابن حنبل على حديثه عن علي أنا الصديق الأكبر، وقال ابن حزم: هو مجهول. (تهذيب التهذيب ٩٨ / ٥).

أما الطريق الثالث: فعن أبي صادق بن ربيعة بن ناجذ عن علي. قال الذهبي: ربيعة بن ناجذ عن علي، لا يكاد يعرف، وعنه أبو صادق بخبر منكر فيه: علي أخي وواري (الميزان ٤٥ / ٢)، ومع هذا كله فقد صحح هذا الإسناد وصي الله.. (فضائل الصحابة لأحمد ٧١٢ / ٢)، وأظن أن في تصحيحه نظر!!



عبد الغفار بن القاسم، فقد ذكر رواية أخرى رواها أبو حاتم في تفسيره عن علي بنحو الرواية السابقة، إلا أنه ذكر فيها: «أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي»، كما أشار إلى رواية أخرى عن أحمد - بنحو ما تقدم - واعتبر هذه وتلك شواهد أو كالشاهد لما تقدم<sup>(١)</sup>، وفي ذلك نظر.

### قريش بعد الجهر بالدعوة:

قال ابن إسحاق: فلما بدأ رسول الله ﷺ قومه بالإسلام، وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعدوانه، وحذب على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب، ومنعه، وقام دونه<sup>(٢)</sup>.

وقد سبق من روايات الصحيحين ما يوافق رواية ابن إسحاق في حماية عمه له، ومنعه<sup>(٣)</sup>، لكن ابن إسحاق هنا يفصل الأمر، ويذكر عدة روايات جرت فيها مفاوضات بين قريش وأبي طالب بشأن النبي ﷺ.

ففي المرة الأولى مشى إليه أشراف قريش، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهم وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيك،

(١) السيرة النبوية ١/ ٤٥٩، ٤٦٠، علماً بأنه ساق في سيرته تضعيف العلماء لعبد الغفار بن القاسم (أبو مريم).

(٢) ابن هشام ١/ ٢٧٥، ٢٧٦.

(٣) انظر: وفاة عمه أبي طالب... في الفصل الثاني ص (٢٤٠).





فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه<sup>(١)</sup>.

ثم مشوا إليه أخرى، فقالوا: إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا، وأنا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وأنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعدوانهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم، ولا خذلانه، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته». ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا بن أخي... فلما أقبل قال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق بتحقيق سهيل زكار ص/ ١٤٨. والسيرة لابن هشام ١ / ٢٧٦، ٢٧٧ - وقد ذكرها ابن إسحاق بلاغاً دون إسناد.

(٢) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق بتحقيق سهيل زكار ص ١٥٤، والسيرة لابن هشام ١ / ٢٧٨. وقد روى ابن إسحاق هذه الرواية عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، وهذا وإن كان ثقة، فلم يدرك أحداً من الصحابة، فهو من تابعي التابعين، وقد توفي سنة ١٢٨هـ.

انظر: (الجرح والتعديل ٢١١/٩، وتهذيب التهذيب ٣٩٢/١١)، فالإسناد معضل، والحديث ضعيف. انظر (حاشية الألباني في فقه السير ص/ ١١٤). وقال محقق الروض الأنف: حديث: «لو وضعوا الشمس...» لم يروه أحد من أصحاب الصحاح (الروض الأنف



أما المرة الثالثة فقد ذهبوا إليه «بعمارة بن الوليد» وقالوا: يا أبا طالب، هذا أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذته فلك عقله<sup>(١)</sup> ونصره، واتخذته ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا فنقتله، فرد عليهم: واللّٰه لبئسما تسومونني! أتعطوني ابنكم أغدوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا واللّٰه ما يكون أبداً<sup>(٢)</sup>.

وفوق ما تقدم فقد جريت قريش - أيضاً - أسلوب التفاوض مع النبي ﷺ مباشرة، لاسيما وقد كثر المؤمنون، وأسلم عمه «حمزة» وكان المرشح لذلك «عتبة بن ربيعة» الذي قال للنبي ﷺ: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة<sup>(٣)</sup> في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم.. فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها، فقال له النبي ﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمع»، فقال:

=

٥٢/٣)، وقد روى الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى هذه الرواية مختصرة، وفيها بدل «لو وضعوا الشمس...، إلخ» قوله: «واللّٰه ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار» ثم قال أبو طالب: واللّٰه ما كذب ابن أخي قط، ارجعوا راشدين. قال الهيثمي: رجال أبي يعلى رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ١٥/٦).

(١) أي: ديته.

(٢) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص ١٥٤، والسيرة لابن هشام ٢٧٩/١.

(٣) السطة: بكسر السين وفتح الطاء (مخففة): المنزلة الرفيعة، أو لعلها من التوسط في النسب، وفي النهاية: «فقامت امرأة من سطة النساء» أي من أوساطهن حسباً ونسباً (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٣٦٦).



يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالأً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالأً، وإن كنت إنما تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، حتى إذا فرغ قال له النبي ﷺ: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاستمع مني»، قال: أفعل، فابتدأ يقرأ عليه القرآن من أول سورة حم السجدة، حتى بلغ السجدة فسجد، ثم قال له: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك»، فقام عتبه إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً واللّٰه ما سمعت بمثله قط، واللّٰه ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلو بين هذا الرجل وما هو فيه، فاعتزلوه، فواللّٰه ليكون لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن نصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك واللّٰه يا أبا واليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه: فاصنعوا ما بدا لكم! <sup>(١)</sup> ومع هذا كله فقد عمدوا إلى الإيذاء والاستهزاء بالنبي ﷺ والمؤمنين معه.

(١) ابن هشام ٣١٢/١، ٣١٤، وقد رواها ابن إسحاق، فقال: حدثني يزيد بن زياد، عن محمد كعب القرظي، فهي مرسلة، لكن وصل إسنادها عبد بن حميد في مسنده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وكذا الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده، والبعثي في تفسيره، كما ساق ذلك ابن كثير في تفسيره (في أوائل سورة فصلت) ٧/١٥٠، ١٥١، وذكرها الهيثمي عن جابر - باختلاف يسير - ثم قال: رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره وبقيته رجاله ثقات. (مجمع الزوائد ٢٠/٦)، وقال الألباني: وسنده حسن إن شاء اللّٰه (فقه السيرة ص/١١٣).



## الإيذاء في سبيل الدعوة:

مر صور من إيذاء المشركين للنبي ﷺ ، ومن آمن معه في المرحلة السرية ، لكن أمر الإيذاء استفحل بعد الجهر بالدعوة ، لاسيما وقد بدأ النبي ﷺ يظهر شعائر دينه ، فلم يعد يستخفي بصلاته مثلاً ، بل بات يصلها عند البيت ، وأمام المشركين ، وهذا أثار حفيظتهم ، وأوقد نار الشر في صدورهم ، حتى قال أبو جهل مستكراً: هل يعضر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قيل: نعم ، فقال: واللات والعزى ، لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن على رقبتَه ، أو لأعفرن وجهه في التراب ، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي - زعم ليطأ على رقبتَه - فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ، ويتقي بيديه ، فقيل له: مالك ؟ فقال: إن بيني وبينه لخدقاً من نار ، وهولاً وأجنحة ، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً ، وأنزل الله عز وجل ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴾ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى .  
الآيات<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه. فبلغ النبي ﷺ فقال: لو فعله لأخذته الملائكة<sup>(٢)</sup>.

هذه حادثة ، وحادثة أخرى تجمع إلى أبي جهل غيره من صنديد قريش ، بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم ، إذ قال

(١) مسلم ٤ / ٢١٥٤: كتاب صفات المنافقين ، باب قوله: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴾ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى .

(٢) فتح الباري ٦ / ٨٩: كتاب التفسير ، باب قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴾ .



قائل منهم<sup>(١)</sup>: ألا تنظرون إلى هذا المرائي أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به، ثم يمهلها حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه، فانبعث أشقاها<sup>(٢)</sup>، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك! فانطلق منطلق إلى فاطمة - وهي جويرية - فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليه تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، ثم سمي: اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة<sup>(٣)</sup> وأمية بن خلف<sup>(٤)</sup>،

(١) هكذا جاء مبهماً في بعض الروايات، وقد جاء التصريح به في روايات أخر: ففي البخاري: فقال أبو جهل وناس من قريش (٣/ ٢٣٤: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، وفي كتاب الوضوء ١/ ٦٥ باب إذا ألقى على ظهر المصلى قدر أو جيفة، وفيها: وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض... إلخ)، وفي مسلم: إفراد أبي جهل وحده بالقول (٣/ ١٤١٨: كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين).

(٢) جاء التصريح بعتبة بن أبي معيط في روايات أخرى. (انظر: البخاري ٤/ ٧١: كتاب الجزيرة والموادعة، باب طرح جيف المشركين في البئر، وفي مناقب الأنصار ٤/ ٢٣٩: باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة)، ومسلم ٣/ ١٤١٩: الجهاد والسير باب (ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين).

(٣) هذا هو الصحيح أنه الوليد بن عتبة، وقد جاء في إحدى روايات مسلم: الوليد بن عتبة، قال أبو إسحاق: وهو غلط في هذا الحديث. (٣/ ١٤١٩).

(٤) هذا هو الصحيح، وقد جاء في بعض الروايات بالشك بين أمية أو أبي بن خلف، قال شعبة: أمية أو أبي - فهو الشاك - لكن جزم البخاري بأمية، فقال: والصحيح أمية. انظر: (البخاري ٣/ ٢٣٤: في الجهاد والسير، وفي الجزيرة والموادعة ٤/ ٧١، وفي مناقب



وعقبة بن أبي معيط، وعمار بن الوليد».

قال ابن مسعود - الراوي - فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القلب قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: «وأتبع أصحاب القلب لعنة»<sup>(١)</sup>.

=

الأنصار ٤ / ٢٣٩ ، ومسلم ٣ / ١٤١٩).

وقد رويت من طريق سفيان الثوري ولم يشك في أمية. كما في مسلم ٣ / ١٤٢٠ ، وكذا في البخاري عن طريق سفيان أيضاً ، لكن وقع عنده أبي بن خلف ٣ / ٢٣٤ ، ويوجه ابن حجر هذا على أنه وهم من البخاري أو من شيخه أبي بكر بن عبد الله بن شيبه ، ويستدل على أن شيخه أبا بكر أخرج الرواية في مسنده ، فقال: «أمية» (الفتح ١ / ٣٥١) ثم قال ابن حجر: وأطبق أصحاب المغازي على أن المقتول ببدر «أمية» وعلى أن أخاه «أبياً» قتل بأحد (المصدر السابق ١ / ٣٥١). وهذا هو الذي صوبه ابن كثير (السيرة ١ / ٤٦٨).

(١) البخاري ١ / ١٣١: كتاب الصلاة ، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى (وقد سبق بيان مواضعه الأخرى في البخاري ومسلم) لكن تتفرد هذه الرواية في البخاري بذكر السابع وهو «عمار بن الوليد ، أما ما عداها فلا تذكره ، ويكتفي أبو إسحاق - وهو أحد الرواة - بقوله: ونسيت السابع ، أو: وعد السابع فلم نحفظه (والذي عده عمرو بن ميمون) لكنه يروي رواية البخاري - في الصلاة - وهي التي أوردت. قد ذكره أبو إسحاق ، وهي رواية إسرائيل عن أبي إسحاق - وهذه الرواية كما يقول الحفاظ - غاية في الإتيان للزومه أباه: لأنه جده ، وقد كان إسرائيل يقول: كنت أحفظ حديث أبي إسحاق كما أحفظ سورة الحمد (الفتح ١ / ٣٥١) ، أما استشكل من استشكل عد عمار معهم وهو لم يقتل ببدر ، فيخرج كلام ابن مسعود - بقتلهم يوم بدر - على حمله على الأكثر ، ويدل عليه أن عقبة بن أبي معيط لم يطرح أيضاً في القلب ، وإنما قتل صبراً بعد رحيلهم عن بدر مرحلة (١ / ٣٥١).



وتتجاوز قريش في إيذائها للنبي ﷺ، وهي تحاول قتله أو خنقه وذلك من أشد ما صنعه المشركون به، كما قال عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - وعروة بن الزبير يسأله ويقول: قلت لعبدالله: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ وقال: أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم<sup>(١)</sup>.

وقد روى القصة ابن سحق - أيضاً - لكن بأطول من هذا السياق، وفيها زيادات لم ترد في رواية البخاري المتقدمة، والرواية بتمامها كما رواها البيهقي عن الحاكم عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس، عن محمد بن إسحاق، حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته؟ فقال: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، وصرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا. قال: فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي

(١) البخاري ٤/ ٢٤٠: مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، وفي فضائل أصحاب النبي ٤/ ١٩٧ في مناقب أبي بكر، وفي التفسير ٦/ ٣٤ (تفسير سورة المؤمنون) قال ابن حجر: وهذا الذي ذكره ابن عمرو يخالف حديث عائشة: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ والحديث سيأتي: والجمع بينهما أن عبدالله بن عمرو استند إلى ما رواه، ولم يكن حاضراً للقصة التي وقت بالطائف. (الفتح ٧/ ١٦٨).



حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ فمضى، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: «أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح» فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه حتى إنه ليقول: انصرف أبا القاسم راشداً فما كنت بجهول، فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه! فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا! لما كان يبلغهم من عيب آلهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك»، ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع رداءه، وقام أبو بكر يبكي دونه ويقول: «ويلكم! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟» ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأكبر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢١٠/١، ومن رواية يونس بن بكير انظر: السير والمغازي لابن إسحاق ٢٢٩/٢، والسيرة لابن كثير ١/ ٤٧١ وقد أورد القصة الهيثمي في مجمعه، فقال: في الصحيح طرف منه، ورواه أحمد وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وبقية رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ١٦/ ٦)، وقول الهيثمي: في الصحيح طرف منه إشارة إلى حديث ابن مسعود المتقدم، وقد أشار البخاري إلى رواية ابن إسحاق هذه، واعتبرها متابعة لحديث ابن مسعود ٤/ ٢٤٠، وتوقف ابن حجر عند روايته ابن إسحاق هذه فقال: وصلها أحمد من طريق إبراهيم بن سعد، والبزار من طريق بكر بن سليمان. (انظر: الفتح ٧/ ١٦٨).





أما حديث عائشة: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟» فسيأتي الحديث عنه عند الحديث عن ذهابه ﷺ للطائف بمشيئة الله.

وتستمر العداوة للنبي ﷺ، وتتوعد وسائل إيذاء المشركين له حيث يلجأون إلى الاستهزاء به، وبما كان ينزل عليه من القرآن، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾<sup>(١)</sup>. قال: نزلت ورسول الله ﷺ مخفف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>. وكذا أوردها ابن إسحاق مع بعض الاختلاف عن رواية الصحيحين<sup>(٣)</sup>.

وحين اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، جاءت إليه امرأة،

(١) الإسراء آية ١١٠.

(٢) البخاري ٥ / ٢٢٩: كتاب التفسير (سورة بن إسرائيل) باب ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها، وفي كتاب التوحيد ٨ / ١٩٦: باب قول الله تعالى ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ وفي باب ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ ٨ / ٢٠٩، وباب: قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة» و«زينوا القرآن بأصواتكم» ٨ / ٢١٤، ومسلم ١ / ٣٢٩: كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار.

(٣) ابن هشام ١ / ٣٣٦. ووجه الاختلاف أن ابن إسحاق جهل الجهر بالقرآن والإسرار به من أجل بعض كفار قريش، فلا تجهر بصلواتك فيتفرقوا عنك، لأنهم لا يرغبون في الاستماع بشكل مكشوف، ولا تخافت بها فلا يسمعها من حيث أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به.



فقلت: يا محمد: إنني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريك منذ ليلتين أو ثلاثاً؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان من أكابر المستهزئين «الأسود بن المطلب بن أسد»<sup>(٢)</sup> وهناك غيره من أكابر المستهزئين ذكرهم ابن إسحاق<sup>(٣)</sup>.

وهل بعد أن يقول أبو جهل - وهو من المستهزئين أيضاً - : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم!! فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣) وَمَا هُمْ إِلَّا لِيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿ الآية<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري ٦ / ٨٦: كتاب التفسير (سورة الضحى).

(٢) البخاري ٦ / ٨٣: كتاب التفسير (سورة الشمس وضحاها) ، وابن هشام ٢ / ١٥ ، ٢٩١ .  
١ / ٣١٥ ، ٢٨٦ .

(٣) قال ابن إسحاق: وكان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير: خمسة نفر من قومه: الأسود بن المطلب بن أسد (من بني أسد) ، والأسود بن عبد يغوث بن وهب (من بني زهرة) ، والوليد بن المغيرة (من بني مخزوم) ، والعاص بن وائل (من بني سهم) ، والحرث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث (من بني خزاعة). (سيرة ابن هشام ٢ / ١٥ ، ١٦).

(٤) البخاري ٥ / ١٩٩: كتاب التفسير ، باب قوله: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ (الأنفال) ، وباب قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ ٥ / ٢٠٠ ، ومسلم ٤ / ٢١٥: كتاب صفات المنافقين ، باب قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ .



ولم يكن هذا الإيذاء والاستهزاء قصراً على النبي ﷺ ، بل نال المسلمين معه من أذى قريش ما نالهم ، ويصور ابن عمر رضي الله عنهما حال المسلمين في تلك الفترة ويقول: «كان الإسلام قليلاً ، فكان الرجل يفتن في دينه ، إما قتلوه وإما يعذبوه ، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة...»<sup>(١)</sup>.

وتقول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وقد سئلت عن الهجرة : لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يضربون أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، واليوم يعبد ربه حيث شاء<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان أبو بكر رضي الله عنه - وهو صاحب المنزلة والمكانة في قريش - يقول لابن الدغنة ، وقد لقيه عند برك الغماد ، فسأله: أين تريد يا أبا بكر؟

فأجابه: أخرجني قومي ، فأنا أريد أن أسبح في الأرض فأعبد ربي...!<sup>(٣)</sup>.

وعند ابن إسحاق: فقال أبو بكر: أخرجني قومي وآذروني ، وضيقوا علي<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان البخاري قد أشار إلى موقف أبي بكر مع النبي ﷺ حين حاول الكفار خنقه ، فقد شاركه ابن إسحاق في ذكر هذه الرواية - مع بعض

---

(١) البخاري ١٥٧ / ٥ : كتاب التفسير ، باب قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَبِطُ الْأَيْضُ .. ﴾ وفي باب ﴿ ما كان الله ليعذبهم ﴾ ٢٠٠ / ٥ .

(٢) البخاري ٢٥٢ / ٤ : كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٣) البخاري ٥٨ / ٣ : كتاب الكفالة ، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده ، وفي كتاب مناقب الأنصار ٢٥٤ / ٤ : باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٤) أخرج ابن إسحاق الرواية بتمامها كما ساقها البخاري ، وقد صرح بالتحديث حيث قال: وحدثني الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت.. (ابن هشام ١ / ٢٩٥).



الاختلاف - كما سبق - ومع ذلك يضيف ابن إسحاق قوله: وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر أنها قالت: رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جذبوه بلحيته، وكان رجلاً كثير الشعر<sup>(١)</sup>.

إذا كان الأمر كذلك مع أبي بكر، فلا شك أن غيره من المسلمين من باب أولى. وقد سبق لنا من كان يوثق على الإسلام<sup>(٢)</sup>، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام حتى بعد هجرته للمدينة كان يدعو لنصر من المسلمين حبسوا وآخرين استضعفوا، فيقول: «اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة<sup>(٣)</sup>، اللهم أنج سلمة بن هشام<sup>(٤)</sup>، اللهم أنج الوليد بن الوليد<sup>(٥)</sup>، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين» متفق عليه<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن هشام ١ / ٣١١.

(٢) انظر: إسلام سعيد بن زيد في هذا الفصل.

(٣) قرشي مخزومي، كان من السابقين الأولين، وهاجر الهجرتين، ثم خدعه أبو جهل إلى أن رجعه من المدينة إلى مكة، فحبسوه، فكان النبي ﷺ يدعو له ومن معه. (الإصابة ٧ / ١٨٤، وفتح الباري ٨ / ٢٢٧).

(٤) من بني مخزوم، وهو أخ لأبي جهل، كان من السابقين، حبسه الكفار عن الهجرة، وأذوه، ففر منهم وهو وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، فلما علم النبي ﷺ بمخرجهم دعا لهم (الإصابة ٤ / ٢٢٦).

(٥) ابن المغيرة: مخزومي - أيضاً - حضر بدرأ مع المشركين فأسر، فافتداه أخواه هشام وخالد، فلما افتدي أسلم، وعاتبوه في ذلك، ولما أسلم حبسه أخواله، فكان النبي ﷺ يدعو له في القنوت. (الإصابة ١٠ / ٣١٦).

(٦) البخاري ٢ / ١٥: كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبي ﷺ: «اجعلها سنين كسني يوسف»، وفي كتاب الأنبياء ٤ / ١٢٢ باب قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ



وقال ابن إسحاق : وحدثني الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد ، أنه حدث أن رجلاً من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد بن المغيرة وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا ، منهم سلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، قال : فقالوا - وخشوا شره - : إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا ، فإننا نأمن بذلك في غيرهم ، قال : هذا فعليكم به فعاتبوه وإياكم ونفسه ثم قال :

ألا لا يقتلن أخي عيسى      فيبقى بيننا أبداً تلاحى

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله لئن قتلتموه ، لأقتلن أشرفكم رجلاً ، قال : فقالوا : اللهم العنه ، من يغرر بهذا الحديث ، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً ، فتركوه ونزعوا عنه ، قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم<sup>(١)</sup> .

وبشكل عام - وكما في رواية ابن إسحاق - فقد تذامرت قريش فيما بينها على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتتونهم عن دينهم<sup>(٢)</sup> .

ويروي لنا ابن إسحاق : حدثني حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم

---

للسائلين ﴿ ، وفي التفسير ١٧١ / ٥ (آل عمران) باب ليس لك من الأمر شيء ، ومسلم

٤٦٧ ، ٤٦٦ / ١ ، كتاب المساجد ، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة .

(١) ابن هشام ١ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ٢٨١ ، ٣٣٩ . وقد ساقه ابن إسحاق دون إسناد .



ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إن الجعل ليمر بهم، فيقولون له: هذا إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده<sup>(١)</sup>.

وإذا صحت هذه الرواية<sup>(٢)</sup> فهي تأكيد للحال التي بلغها المسلمون في مكة.

### إيذاء الموالي:

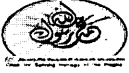
وإذا كانت تلك نماذج من أحوال المسلمين من ذوي النسب والمنعة في مكة، فإن أمر الموالي، ومن لم تكن لهم منعة في قومهم، كان أشد وأنكى. ومن هؤلاء: بلال، وعمار، وصهيب، وخباب، وأمثالهم ممن وقع عليه الرق. قال الإمام البخاري - رحمه الله - : وسبى عمار، وصهيب ، وبلال<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن هشام ١ / ٣٤٢. كما رواها عن ابن إسحاق يونس بن بكير. انظر. (المبتدأ تحقيق حميد الله ص / ١٧٢).

(٢) تكلم العلماء في حكيم بن جبير (راويها) وضعفوه .

قال الإمام أحمد: ضعيف منكر الحديث مضطرب، وقال البخاري: كان شعبة يتكلم فيه، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن معين، : ليس بشيء، وقال يعقوب بن شيبة: ضعيف الحديث، وقال الدارقطني : متروك، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث، له رأي غير محمود ، نسأل الله السلامة، وقال الجوزجاني: حكم بن جبير كذاب، وقال ابن مهدي: إنما روى أحاديث يسيرة وفيها منكرات، وقال الذهبي: شيعي مقل. انظر: (التاريخ الكبير للبخاري ٣ / ١٦، الجرح والتعديل ٣ / ٢٠١، وتهذيب الكمال للمزي «مخطوط مصور» ١ / ٣١٧، والميزان ١ / ٨٣، والكاشف ١ / ٢٤٨، وتهذيب التهذيب ٢ / ٤٤٥).

(٣) ٢ / ٢٨ كتاب البيوع ، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه.



ولهذا حينما قال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه لصهيب: «اتق الله ولا تدع إلى غير أبيك»<sup>(١)</sup>، رد عليه قائلاً: «ما يسرني أن لي كذا وكذا وإني قلت ذلك، ولكنني سرقت وأنا صبي»<sup>(٢)</sup>.

وكان خباب - كما يقول عن نفسه - «رجلاً قيناً في الجاهلية، ثم يحكي لنا معاناته مع أحد كفار قريش، ويقول: «كان لي على العاص بن وائل دين - وفي رواية - كنت قيناً بمكة فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً - فأتيته أتقاضاه قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأوتني مالا وولداً فأقضيك، وفي رواية: قال: وإنني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، فأنزل الله ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اِتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية ابن إسحاق: حتى إذا كان له عليه مال فجاء يتقاضاه، فقال له: يا

(١) كان صهيب يقول: إنه ابن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل، ويسوق نسباً ينتهي إلى النمر بن قاسط، وأن أمه من بني تميم، وكان لسانه أعجمياً، لأنه ربي بين الروم فغلبه عليهم لسانهم، وكان يقول لعمر: أما النسب فلو كنت من ورثة لانتسبت لها، ولكن كان العرب يسبي بعضهم بعضاً، فسباني ناس بعد أن عرفت مولدي وأهلي فباعوني فأخذت بلسانهم، وفي رواية: وأما انتسابي إلى العرب، فإن الروم سبنتني وأنا صغير وإني لا أذكر أهل بيتي. قال الحافظ: وهذه طرق يقوي بعضها ببعض. (الفتح ٤/٤١٣).

(٢) البخاري ٣/ ٢٩ (سبق).

(٣) البخاري ٣/ ١٢: كتاب البيوع، باب ذكر القين والحداد، وفي الإجازة ٣/ ٥٢: باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب، وفي الخصومات ٢/ ٩٢: باب التقاضي، وفي التفسير ٥/ ٢٣٧: باب قوله: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا... ﴾ الآية، ومسلم ٤/ ٢١٥٢ في صفات المنافقين باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح.



خباب، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم؟ قال خباب: «بلى» قال: «فأنظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هناك حَقك»، فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله مني، ولا أعظم حظاً في ذلك فنزلت الآية<sup>(١)</sup>.

وخباب أيضاً هو الذي جاء للنبي ﷺ يشكو إليه ما كان يجده وأصحابه من أذى المشركين، إذ يقول: «أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله لنا، ألا تستنصر لنا؟ فقعد وهو محمر وجهه، فقال: «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»<sup>(٢)</sup>.

أما بلال - رضي الله عنه - فقد سبق لنا القول باتفاق رواية الصحيح مع ابن إسحاق على كونه رقيقاً، ثم إعتاق أبي بكر له من بين من أعتق<sup>(٣)</sup> وكان يقول لأبي بكر: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما

(١) ابن هشام ١ / ٢٨٠. وقد ساقها ابن إسحاق دون إسناد.

(٢) البخاري ٤ / ١٧٩: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي مناقب الأنصار

٤ / ٢٢٨: باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، وفي الإكراه ٨ / ٥٦: باب

من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر.

(٣) انظر: أوائل المؤمنين من هذا الفصل.





اشترتني لله فدعني وعمل الله<sup>(١)</sup>.

وإذا كان البخاري يروي لنا خبر عتق بلال بهذا الاختصار ، فابن إسحاق يفضل الأمر مشيراً إلى تعذيب المشركين له قبل عتقه ، فيقول: «وكان بلال، مولى أبي بكر رضي الله عنهما - لبعض بني جمح مولداً من مولديهم، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجها إذا حميت الظهر فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية مرسلة عند ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة، عن أبيه قال: «كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذب بذلك وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح، فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً»<sup>(٣)</sup>، حتى مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل ، عندي غلام أسود أجلد منه، وأقوى ، على دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلت ، هو لك،

(١) البخاري ٢١٧ / ٤ (سبق).

(٢) ابن هشام ١ / ٣٢٩ ، ٣٤٠ - ذكره ابن إسحاق دون إسناد.

(٣) قال السهيلي: الحنان: الرحمة ، والمعنى: لأتخذن قبره منسكاً ، مسترحماً. (الروض ٢٢٢/٣).



فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه»<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية مع كونها مرسلة<sup>(٢)</sup> يظهر التعارض بينها وبين رواية الصحيح المتقدمة - في الوحي - من كون ورقة لم ينشب أن توفى في فترة الوحي، بما يفيد موته قبل إظهار الرسالة، وتعذيب من عذب من المسلمين، وهذا ما نبه إليه الذهبي حينما قال: «ولم يعيش ورقة إلى ذلك الوقت»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن حجر: «ولم ينشب ورقة أن توفى»، فهذا ظاهره أنه أقر بنبوته، ولكن مات قبل أن يدعو رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام فيكون مثل بحيرا، وفي إثبات الصحبة له نظر»<sup>(٤)</sup>، وإن كان عاد فوضع احتمال الترجيح، أو إمكانية الجمع بين المتعارضين حيث قال: قوله في الحديث «ثم لم ينشب» هذا

(١) ابن هشام ١ / ٣٤٠.

(٢) فالإرسال واضح من عروة بن الزبير، وقد ذكره كذلك ابن سيد الناس في عيون الأثر ١ / ١١٤ دون أن يعلق عليه، وقبله ذكره الإمام أحمد في فضائل الصحابة مرسلأ أيضاً، وأشار محققه إلى ضعف إسناده ١ / ١١٨، كما أخرجه الأصفهاني في الأغاني، المجلد الأول ٣ / ١٥، وأبو نعيم في الحلية ١ / ١٤٧، ١٤٨، والفسوى في تاريخه ٣ / ٢٥٤ مرسلأ أيضاً، وابن القيم في زاد المعاد ٣ / ٢٢ دون إسناد، لكن أشار محققه إلى إرساله، وذكره الذهبي مصرحاً بإرساله (سير أعلام النبلاء ١ / ٣٥٢)، وحينما ذكره عن الليث نسخة هشام جعله من أنكر ما فيه، وقال: هذا مرسل (٣، ٥٣، ٥٤، ١٤٦) عن فضائل الصحابة (١ / ١١٩)، كما ذكره ابن حجر وقال: وهذا مرسل جيد. وإن كان قد ذكر خلافه كما سيتضح (الإصابة ١٠ / ٣٠٥).

(٣) سير أعلام النبلاء ١ / ٣٥٢.

(٤) الإصابة ١٠ / ٣٠٤.



بخلاف ما في السيرة لابن إسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب، وذلك يقتضي أنه تأخر إلى زمن الدعوة، وإلى أن دخل بعض الناس بالإسلام، فإن تمسكنا بالترجيح فما في الصحيح أصح، وإن لحظنا الجمع أمكن أن يقال: الواو في قوله: «وفتر الوحي» ليست للترتيب، فعمل الراوي لم يحفظ لورقة ذكراً بعد ذلك في أمر من الأمور فجعل هذه القصة انتهاء أمره بالنسبة إلى علمه، لا إلى ما هو الواقع<sup>(١)</sup>.

وقال في موطن آخر: والجمع بين هذا وحديث عائشة أن يحمل قوله: «ولم ينشب ورقة أن توفي: أي قبل أن يشتهر الإسلام، ويؤمر النبي ﷺ بالجهاد»<sup>(٢)</sup>، ونقل هذا عنه الصالحي (٩٤٢هـ) في سيرته<sup>(٣)</sup>، أما ابن كثير فقد أثار هذا الاستشكال، وكأنه استغربه فقال: وفيه نظر<sup>(٤)</sup>.

وأقول - وبالله التوفيق - : إن محاولة الجمع بين الروايتين بتلك التأويلات ظاهرة التكلف، ومحتاجة إلى تدعيمها بالأدلة، ولم يكن من ذلك شيء، وقد قال صاحب الأعلام: «وعالج ابن حجر (في الإصابة) التوفيق بين الروايتين فلم يأت بشيء»<sup>(٥)</sup>.

على أن الأمر في إثبات الصحبة - أصلاً - لورقة محل نزاع بين العلماء،

(١) فتح الباري ١ / ٢٧.

(٢) الإصابة ١٠ / ٣٠٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢ / ٣٢٧، ٤٨٤.

(٤) السيرة النبوية ١ / ٤٩٢، ٤٩٣.

(٥) انظر: الأعلام للزركلي ٩ / ١٣١.



فكيف بشهود تعذيب بلال؟ ولهذا ألف البقاعي<sup>(١)</sup> كتاباً بهذا الشأن أسماه: «بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة<sup>(٢)</sup>» شدد الإنكار فيه على من أنكر صحبته.

ولعل من أقوى أدلة القائلين بصحبته وموته على الإسلام، الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل ، فقال: «قد رأيته عليه ثياب بياض، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض» وهذا الحديث حسن إسناده الحافظ ابن كثير، لكنه قال: «لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلأً، فالله أعلم»<sup>(٣)</sup>.

وروى الحافظ «أبو يعلى» بسنده - أيضاً - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل، فقال: «قد رأيته عليه ثياب بياض في بطنان الجنة، وعليه السندس» هذا الحديث - هو الآخر - علق عليه ابن كثير بقوله: «إسناده حسن، ولبعضه شواهد في الصحيح، والله أعلم»<sup>(٤)</sup>.

ويمكن أن يشهد للحديثين السابقين ما أخرجه البزار والحاكم وابن

(١) إبراهيم بن عمر الشافعي، نزيل القاهرة، ثم دمشق، عالم أديب، مفسر، محدث، مؤرخ، له عدة مؤلفات، مات بدمشق سنة ٨٨٥هـ. (معجم المؤلفين ١ / ٧١).

(٢) انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبدالقادر البغدادي (تحقيق عبدالسلام هارون) ٣ / ٣٩١.

(٣) انظر: السيرة لابن كثير ١ / ٣٩٧.

(٤) المصدر السابق ١ / ٣٩٨.



عساكر من حديثه عائشة أيضاً أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا ورقة ، فإني رأيت له جنة أو جنتين» وقد صححه الحاكم ، وقال: على شرط الشيخين<sup>(١)</sup>. وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد ، وروي مرسلأ وهو أشبهه»<sup>(٢)</sup>.

وهناك من يقول : «إن حديث رؤية النبي ﷺ لورقة في الجنة حديث منقطع»<sup>(٣)</sup>.

وقد نقل «ابن حجر» عن محمد بن عائذ الدمشقي<sup>(٤)</sup> موت ورقة على النصرانية<sup>(٥)</sup> ، وإن كان قد ضعف روايته ، فصاحب «المحبر» يؤكد هذا ، ويقول: إن ورقة «استحكم في النصرانية ، وقرأ الكتب ومات عليها»<sup>(٦)</sup> ، وكذا ابن حزم في «الجمهرة» ذكر نصرانية ورقة ولم يذكر له إسلاماً<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: المستدرک علی الصحیحین ٦٠٩/٢ ، وانظر حاشية الألباني على فقه السيرة للغزالي ، وقد مال إلى تصحيح الحديث ص/١٠٠.

(٢) السيرة النبوية ١ / ٣٩٨.

(٣) انظر: حاشية الروض الأنف (لعبد الرحمن الوكيل ٣٥٥/٢).

(٤) ولي خراج الغوطة بدمشق للمأمون ، له كتب منها: السير ، والمغازي: قال صاحب التقريب: محمد بن عائذ - صاحب المغازي - صدوق رمي بالقدر ، مات سنة ٢٣٣هـ (تقريب التهذيب ٢ / ١٧٣ ، والأعلام للزركلي ٧ / ٤٨).

(٥) الإصابة ١٠ / ٣٠٥ ، ٣٠٦.

(٦) محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) المحبر ص / ١٧١.

(٧) جمهرة أنساب العرب ص / ١٢٠ ، ٤٩١.



وابن عساكر يقول: «لا أعرف أحداً قال إنه أسلم»<sup>(١)</sup>. وسبق قول ابن حجر: «وفي إثبات الصحبة له نظر»<sup>(٢)</sup>.

وحتى الذين لم يجزموا بموته على النصرانية أكدوا موته قبل إظهار الدعوة<sup>(٣)</sup> فكيف والحال كذلك يصار إلى إمكانية الجمع بين رواية الصحيح الصريحة في موته في فترة الوحي، ورواية ابن إسحاق المؤكدة لشهود تعذيب بلال؟ وعلى فرض تسليمنا بذلك كله، يبقى أمر الإرسال في رواية ابن إسحاق عائقاً، وهو وحده كاف لتضعيف الرواية وعدم التعويل عليها، وبخاصة أنها تعارض الرواية الصحيحة المسندة.

أما «عمار بن ياسر» فقد ذكر ابن إسحاق ما كان يلقاه هو وأبوه وأمه من أذى المشركين، فقال: «وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه، وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول - فيما بلغني - : «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة»<sup>(٤)</sup>. فأما أمه، فقتلوا وهي تآبى إلا الإسلام».

(١) انظر حاشية الروض الأنف ٢ / ٢٥٥.

(٢) الإصابة ١٠ / ٣٠٤.

(٣) انظر: خزنة الأدب للبغدادي ٣ / ٣٩٢، وعبدالرحمن الوكيل في حاشيته على الروض الأنف ٢ / ٢٥٥، والزركلي في الأعلام ٩ / ١٢١.

(٤) ابن هشام ١ / ٣٤٢. وقد رواه ابن إسحاق بلاغاً - كما مر - لكن وصله الحاكم عن جابر بن عبد الله ٣ / ٢٨٨ - ٢٨٩، وقال: صحيح على شرط مسلم، وواقفه الذهبي، وكذا وصله الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ٩ / ٢٩٢. وقال الهيثمي: ورجاله =



## إبطاء قريش بالإسلام ودعاء الرسول ﷺ عليهم :

واستمر المشركون في عنادهم وإيذائهم ، فدفع ذلك المسلمين إلى الهجرة إلى الحبشة - كما سيأتي بيانه - واضطر النبي ﷺ معه إلى الدعاء عليهم بعد أن أبطأوا في إجابته.

ففي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ ، وفي رواية: أن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدباراً ، وفي أخرى أن قريشاً لما أبطأوا على النبي ﷺ ، وفي رواية رابعة: أن قريشاً لما غلبوا النبي ﷺ واستعصوا عليه ، وفي رواية خامسة: لما دعا قريشاً كذبوه واستعصوا عليه ، دعا عليهم ، وقال : «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» ، فأخذتهم سنة فحصت كل شيء ، حتى أكلوا الميتة والجلود ، حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخاناً من الجوع ، فاتاه أبو سفيان ، فقال: يا محمد ، إنك تأمر بطاعة الله ، وبصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم ، قال الله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ﴾

---

رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبدالعزيز المقوم وهو ثقة ، وكذا ذكره الذهبي في سيرته عن هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر ص/١٢٧ ، وأخرجه أبو أحمد الحاكم - كما في الإصابة - من طريق عقيل عن الزهري عن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر عن أبيه ١٠ / ٣٣١. وقال الألباني: وهذا سند صحيح من مراسيل الصحابة. وهي مقبولة عند العلماء (فقه السيرة للفضالي «الحاشية» ص/ ١٠٨ ، وأخرجه أحمد (رقم ٤٣٩) وأبو نعيم في الحلية ١ / ١٤٠.. قال الألباني: فهذه طرق تشهد لصحة الحديث ، ولهذا قال: حديث حسن صحيح. (حاشية فقه السيرة ص/ ١٠٧ ، وانظر : حاشية زاد المعاد ٣ / ٢٢).



## الْكُبْرَى (١)

وإذا كان بعض الروايات لا تكشف لنا دعاء الرسول ﷺ لهم مرة أخرى أن يكشف الله ما نزل بهم من ضرر، فبعضها الآخر يكشف هذا، ويذكر معه أنهم عادوا مرة أخرى إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، حتى انتقم الله منهم في بدر، والروايات جاءت هكذا: فأتى رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله: استسقى الله لمضر، فإنها قد هلكت، قال: «لمضر؟ إنك لجريء»، استسقى فسقوا، فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ ، يعني يوم بدر (٢).

(١) البخاري ١٥ / ٢ : كتاب الاستسقاء ، باب دعاء النبي ﷺ اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، وفي باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط ١٩ / ٢ ، وفي كتاب التفسير ٣٢ / ٦ (سورة ص) باب: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ التَّكَلِّفِينَ﴾ ، وفي سورة يوسف ٥ / ٢١٧ ، باب: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ ، وفي سورة الروم ١٩ / ٦ ، وفي الدخان باب قوله تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٣٩ / ٦ ، وباب قوله تعالى ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ٤٠ / ٦ ، وباب: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ ٤٠ / ٦ ، وباب: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ ٤٠ / ٦ ، وفي الدعوات ١٦٤ / ٧ : باب الدعاء على المشركين ، ومسلم كتاب صفة المنافقين، باب الدخان ٤ / ٢١٥٥ - ٢١٥٧ ، وفي المساجد مختصراً ٤٦٧ / ١ .

(٢) البخاري ٣٩ / ٦ (وقد سبق) ، ومسلم ٤ / ٢١٥٧ لكن بلفظ: «استغفر الله لمضر» بدل استسقى.





وفي رواية ﴿ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ ، فقليل له: إن كشفنا عنهم عادوا ، فدعا ربه فكشف فعادوا ، فانتقم الله منهم يوم بدر ، فذلك قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ إلى قوله جل ذكره ﴿ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي رواية : فعادوا في كفرهم فأخذهم الله يوم بدر<sup>(٢)</sup>.

ولعله تمسك بهذا من قال بتكرار دعائه عليهم مرتين إحداهما في مكة ، والأخرى في المدينة<sup>(٣)</sup>.

### الهجرة إلى الحبشة :

وهي أول هجرة كانت في الإسلام ، ذكره ابن إسحاق<sup>(٤)</sup>.

### أسباب الهجرة ، ودوافعها :

تتفق رواية الصحيح مع ابن إسحاق في كون الابتلاء في الدين هو السبب في هجرة المسلمين .

ففي البخاري: «فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض

(١) البخاري ٦ / ٤٠ (سبق).

(٢) البخاري ٦ / ١٩ ، ٣٢ (سبق).

(٣) قال ابن حجر: أفاد الدمياطي أن ابتداء دعاء النبي ﷺ على قريش بذلك كان عقب طرحهم على ظهره سلا الجزرو ، وكان ذلك بمكة قبل الهجرة ، وقد دعا النبي ﷺ عليهم بذلك بعدها بالمدينة في القنوت. (الفتح ٥١١/٢).

(٤) ابن هشام ١ / ٣٤٣.



الحبشة»<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن إسحاق: «فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، لمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنها بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق: «فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة، توثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت الفتنة الأخرى التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة»<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان ذلك سبب الهجرة، فإن الدافع لها رضا الله والفرار إليه بالدين، وفي هذا قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها - وهي إحدى المهاجرات - : «كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعط جاهلكم، وكنا في دار البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله»<sup>(٤)</sup>.

(١) ٥٨ / ٢ : كتاب الكفالة ، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، وفي كتاب

مناقب الأنصار ٢٥٤ / ٤ ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٢) ابن هشام ٣٤٣ / ١ .

(٣) السير والمغازي لابن إسحاق - تحقيق سهيل زكار - ص / ٢١٣ .

(٤) البخاري ٨٠ / ٥ : كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر، ومسلم ١٩٤٦ / ٤ : كتاب فضائل

الصحابة، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس.



وأبو بكر رضي الله عنه حين سأله «ابن الدغنة»: أين تريد يا أبا بكر؟  
أجابه قائلاً: «أخرجني قومي، فأريد أن أسبح في الأرض، وأعبد ربي»<sup>(١)</sup>.

وابن إسحاق يقول في السيرة: «فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة  
الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم»<sup>(٢)</sup>.

### أصحاب الهجرة الأولى وأوائل المهاجرين:

عد ابن إسحاق عشرة من الرجال ، وأربع نسوة أول من خرج من المسلمين إلى  
أرض الحبشة، فقال: أول من خرج من المسلمين - من بني أمية - عثمان بن  
عفان، معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، ومن بني عبد شمس أبو حذيفة بن  
عتبة بن ربيعة، معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، ومن بني أسد: الزبير بن  
العوام، ومن بني عبدالدار: مصعب بن عمير، ومن بني زهرة: عبدالرحمن بن  
عوف، ومن بني مخزوم: أبو سلمة بن عبدالأسد، معه امرأته أم سلمة بنت أبي  
أمية بن المغيرة، ومن بني جمح: عثمان بن مظعون، ومن بني عدي: عامر بن  
ربيعة، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة، ومن بني عامر: أبو سبرة بن أبي رهم،  
ويقال: بل أبو حاطب<sup>(٣)</sup> بن عمرو، ومن بني الحارث: سهيل بن بيضاء<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري ٣ / ٥٨: الكفالة (سبق) ، وفي مناقب الأنصار ٤ / ٢٥٤ (سبق).

(٢) ابن هشام ١ / ٣٤٣. وانظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار  
ص/٢١٣.

(٣) هو نفسه حاطب بن عمرو بن عبدشمس، فمرة يسمى بحاطب، ومرة بأبي حاطب. انظر:  
الإصابة ٢ / ١٩٤ ، ١١ / ٧٧.

(٤) ابن هشام ١ / ٣٤٤ ، ٣٤٥. قال ابن هشام: وبلغني أنه كان عليهم عثمان بن مظعون،



وإذا جاز لنا أن نفهم من ابن إسحاق أن عثمان بن عفان أول من هاجر من هؤلاء<sup>(١)</sup>، فإن البخاري يصدر أحاديث هجرة الحبشة بحديث هجرة عثمان بن عفان، وكأنها إشارة منه إلى كونه أول من هاجر كما فهم ذلك بعض الشراح للصحيح<sup>(٢)</sup>.

### أصحاب الهجرة الثانية:

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، فيهم من خرج بنفسه لا أهل له معه.

ثم ذكر المهاجرين، وأنسابهم وفيه العشرة الذين سبقت الإشارة إليهم، ثم قال في الأخيرة: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغاراً وولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً - إن كان

---

وقال ابن حجر معلقاً على ما ذكره ابن إسحاق ووافقته الواقدي في سردهن (أي النساء) وزاد اثنين: عبدالله بن مسعود وحاطب بن عمرو. فالصواب ما قال ابن إسحاق أنه اختلف في الحادي عشر هل هو أبو سبرة، أو حاطب (الفتح ٧ / ١٨٩).

(١) انظر: ابن هشام ١ / ٣٤٤، وابن عبد البر في الدرر ص / ٢١، وابن كثير في السيرة ٤ / ٢، وابن حجر في الفتح ٧ / ١٨٨.

(٢) ابن حجر: الفتح ٧ / ١٨٨. وهذا خلاف ما جزم به الزهري من كون «حاطب بن عمرو» أول من هاجر، كما نقله عنه الحافظ في الإصابة ١٩٤ / ٢ ولم أجد في مغازي الزهري في حديثه عن هجرة الحبشة ص / ٩٦.



عمار بن ياسر فيهم<sup>(١)</sup> - وهو - ابن إسحاق - يشك فيه<sup>(٢)</sup> .

وسأذكر هنا من جاء ذكرهم في الصحيحين من أصحاب الهجرتين مشيراً إلى بعض الفروق بين ما جاء فيها وما ذكره ابن إسحاق.

وأبدأ - مشيراً إلى إثبات الهجرتين: الأولى والثانية - للحبشة ، ففي البخاري ينعت عثمان رضي الله عنه - من بين ما يذكره له من فضائل - ويقال له: وهاجرت الهجرتين الأوليين<sup>(٣)</sup> .

وإذا كان ابن إسحاق قد ذكره في الهجرتين - فهذا يعني التوافق بين رواية ابن إسحاق وما في الصحيح.

وأبو سلمة وزوجه أم سلمة ، رضي الله عنهما ، من المهاجرين للحبشة ، ففي مسلم: أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ بيت أبي سلمة<sup>(٤)</sup> ، وفي الصحيحين أن أم

(١) ابن هشام ١ / ٢٥٣. قال السهيلي: والأصح عند أهل السير - كالواقدي وابن عقبة وغيرهما - أنه لم يكن فيهم (الروض الأنف ٢ / ٢٢٨) ، وذكر ابن عبد البر هجرته إلى الحبشة في الاستيعاب (النسخة الملحقة بالإصابة ٨ / ٢٢٦).

(٢) انظر: الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار ص / ١٧٧ ، ابن هشام ١ / ٣٤٥ - ٣٥٣.

(٣) ٤ / ٢٤٤ (سبق). قال ابن حجر: الأوليين: تشبيه أولى ، وهو على طريق التغليب بالنسبة إلى هجرة الحبشة ، فإنها كانت أولى وثانية ، وأما إلى المدينة فلم تكن إلا واحدة. (الفتح ١٨٩ / ٧).

(٤) ٢ / ٦٢٢: كتاب الجنائز ، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله . قال عبد الباقي (محقق مسلم) معلقاً على حديث أبي سلمة هذا : فهو أول من هاجر بأهله إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة (٢ / ٦٢٢).



سلمة ، وأم حبيبة ذكرتا للنبي ﷺ كنيسة رأيتها بأرض الحبشة<sup>(١)</sup> .

وقد ذكر ابن إسحاق أبا سلمة وزوجه في المهاجرين الأولين للحبشة كما سبق ، أما أم حبيبة فقد ذكرها فيمن هاجر بعد ذلك (الهجرة الثانية) بصحبة زوجها «عبيدالله بن جحش»<sup>(٢)</sup> .

ومما اتفق الشيخان مع ابن إسحاق على ذكر هجرتهم إلى الحبشة: عبد الله ابن مسعود<sup>(٣)</sup> وقد ذكره ابن إسحاق من أصحاب الهجرة الثانية - كما في رواية البكائي ونقله ابن هشام -<sup>(٤)</sup> وهذا هو المشهور<sup>(٥)</sup> لكنه في رواية يونس بن بكير عده من المهاجرين الأولين ، ولم يذكره فيمن لحق بهم من أصحاب الهجرة الثانية<sup>(٦)</sup> .

(١) البخاري ١ / ١١٠ : كتاب الصلاة ، باب هل تتبش قبور مشركي الجاهلية ، وفي الجنائز ٩٣ / ٢ : باب بناء المساجد على القبر ، ومسلم ١ / ٢٧٥ : كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

(٢) ابن هشام ١ / ٣٤٦ .

(٣) البخاري ٤ / ٢٤٥ : مناقب الأنصار (سبق) ، ومسلم ١ / ٣٨٢ : كتاب المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة .

(٤) ابن هشام ١ / ٣٤٨ .

(٥) خلافاً لما ذكره الواقدي ، حيث عده من أصحاب الهجرة الأولى (الفتح ٧ / ١٨٩) ، وابن القيم في زاد المعاد ٣ / ٢٢ ، ويؤيد كونه في الهجرة الثانية ما أخرجه أحمد والطبراني بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: بعثنا النبي ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود ، وجعفر بن أبي طالب . (انظر: مجمع الزوائد ٦ / ٢٤ - ٢٧) و(الفتح ٧ / ١٨٩) ، وانظر : عيون الأثر ١ / ١١٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٢٩٨ .

(٦) انظر: السير والمغازي (تحقيق سهيل زكار) ص / ١٧٦ ، ٢٢٨ ، ولم يذكره هنا في بني زهرة ولا في حلفائهم من هذيل .



وجعفر بن أبي طالب، وزوجه «أسماء بنت عميس» ففي صحيح مسلم قال جعفر لأبي موسى ومن قدم معه الحبشة: إن رسول الله ﷺ بعثنا هنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه، حتى قدمنا جميعاً<sup>(١)</sup>.

وأقام جعفر وزوجته أسماء بالحبشة إلى فتح خيبر، فقدم على النبي ﷺ فقسم له ومن معه من غنائمها، ولم يقسم لأحد لم يشهدا سواهم<sup>(٢)</sup> بل اعتبر لهم وأصحاب سفينتهم هجرتان - كما سيأتي بيانه عند الحديث عن الهجرة للمدينة - بمشيئة الله.

وابن إسحاق ذكر هجرة جعفر وزوجه في الهجرة الثانية للحبشة، ذلك لأنه لم يذكره من بين العشرة الذين عددهم في الهجرة الأولى - كما سبق - وعلى هذا اشتهر هجرة جعفر في الثانية<sup>(٣)</sup>.

لكن ابن كثير يفهم من ابن إسحاق غير هذا حيث يقول: وزعم موسى بن عقبة أن خروج جعفر إنما كان في الهجرة الثانية، وذلك بعد عودة بعض من كان خرج أولاً، حين بلغهم أن المشركين أسلموا، إلى أن يقول: وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرعيل الأول أظهر، لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين

(١) ١٩٤٦/٤: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم.

(٢) البخاري ٥/٨٠، ٨١، كتاب المغازي، غزوة خيبر، ومسلم ٤/١٩٤٦.

(٣) انظر: مغازي عروة بن الزبير ص/١١١، وابن سعد في طبقاته ٤/٣٤، وابن الجوزي في صفة الصفوة ١/٥١١، وابن عبد البر في الدرر ص/٢٢، وابن سيد الناس في عيون الأثر ١/١٦٦، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/٢٨٦، ٢٩٣، وهو يرى أن جعفر وأصحابه تأخروا عن الهجرة حتى رجع المهاجرون الأولون إلى مكة حين نزلت سورة النجم. وانظر: الأعلام للزركلي ٢/١١٨.



أولاً<sup>(١)</sup>.

كما تعقب ابن إسحاق ابن كثير في كونه ذكر من رواية يونس بن بكير أن الذي كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان ، ثم قال: والمشهور أن جعفرأ هو المترجم<sup>(٢)</sup>.

وهذا الذي ذكره ابن كثير - عليه رحمة الله - فيه نظر ، ذلك لأن ابن إسحاق في رواية البكائي عنه - وهي المشهورة - ذكر أن المتحدث عن المسلمين مع النجاشي جعفر<sup>(٣)</sup> وحتى رواية يونس بن بكير عنه وإن كان ذكرها ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> فقد عقب عليها - من رواية يونس أيضاً - بقوله: وليس كذلك، إنما كان يكلمه جعفر بن أبي طالب<sup>(٥)</sup>.

ويتفق ابن إسحاق مع الصحيحين في ذكر أبي موسى الأشعري في عداد المهاجرين للحبشة، لكنهما يختلفان في المكان الذي هاجر منه، هل كان من اليمن كما في الصحيحين، أو كان خروجه من مكة كما يفهم من سياق رواية ابن إسحاق.

ففي الصحيحين جاءت الرواية - في هجرة أبي موسى ومن معه - هكذا - : عن أبي موسى، قال: «بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي، أنا أصغرهما، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٦ / ٢.

(٢) المصدر نفسه ٢٧ / ٢.

(٣) ابن هشام ٣٥٨ / ١.

(٤) السير والمغازي لابن إسحاق (تحقيق سهيل زكار) ص / ٢١٨.

(٥) السيرة والمغازي لابن إسحاق (تحقيق سهيل زكار) ص / ٢١٨.





بضع، وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فألقنتنا سفينتنا إلى النجاشي أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة، فألقنتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر»<sup>(١)</sup>.

أما ابن إسحاق، فقد ذكر أبا موسى فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة<sup>(٢)</sup>، ولهذا قال ابن كثير: وذكر ابن إسحاق أبا موسى الأشعري فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب جداً<sup>(٣)</sup>، وقال في موطن آخر: «ولا يلتفت إلى قول ابن إسحاق في جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة»<sup>(٤)</sup>.

وقد وقف العلماء - قديماً - حول هذا الإشكال بين ما في الصحيحين، وما عند ابن إسحاق، لاسيما وأن الأمر ليس قصراً على ابن إسحاق، فقد أخرج الإمام أحمد - بسند جيد - ما يقتضي أن أبا موسى كان فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة<sup>(٥)</sup>. قال ابن كثير - معلقاً - : وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن، إن لم يكن مدرجاً من بعض الرواة، والله أعلم<sup>(٦)</sup>.

وأخرج أبو نعيم في دلائله، والبيهقي بسنديهما عن أبي موسى، قال: «أمرنا

(١) البخاري ٥ / ٨٠ ، ٨١ : المغازي (سبق) ، ومسلم ٤ / ١٩٤٦ (سبق).

(٢) انظر: ابن هشام ١ / ٣٤٦.

(٣) السيرة النبوية ٢ / ٩.

(٤) المصدر نفسه ١ / ٢٤٨.

(٥) المسند ١ / ٤٦١ (المكتب الإسلامي ، دارصادر بيروت).

(٦) السيرة النبوية ٢ / ١١.



رسول الله ﷺ أن نطلق مع جعفر إلى أرض النجاشي»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ البيهقي: وهذا إسناد صحيح، وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، إلى أرض الحبشة، والصحيح عن يزيد عن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة، عن أبي موسى: «أنه بلغهم مخرج رسول الله ﷺ وهم باليمن، فخرجوا مهاجرين في بضعة وخمسين رجلاً في سفينة، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بالحبشة» إلى أن يقول: فأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي، فأخبر عنه، ولعل الراوي وهم في قوله: أمرنا رسول الله ﷺ أن نطلق. والله أعلم<sup>(٢)</sup>. واحتمل وهم الراوي هذا الذي ذكره البيهقي، قال به غير البيهقي كالذهبي<sup>(٣)</sup> كما أنكر هجرة أبي موسى من مكة ابن حزم<sup>(٤)</sup>، وابن سيد الناس<sup>(٥)</sup>.

وقبل هؤلاء أنكر الواقدي على ابن إسحاق ذكره لهجرة أبي موسى، وتبعه غيره من أهل السير، وقالوا: كيف يخفى ذلك على ابن إسحاق، أو على من دونه؟<sup>(٦)</sup>

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم نشر (عالم الكتاب، بيروت) ص ٨٤، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٩٩/٢.

(٢) دلائل النبوة ٣٠٠/٢.

(٣) السيرة النبوية ص ١١٧.

(٤) جوامع السيرة ص ٥٨.

(٥) عيون الأثر ١١٨/١.

(٦) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٢٨ / ٣، وانظر: إنكار ابن عبد البر لهجرة أبي موسى من مكة، في الدرر ص / ٢٥.



لكن ابن القيم يدافع عن ابن إسحاق ويقول: إن ابن إسحاق لم يقل إن أبا موسى هاجر من مكة إلى أرض الحبشة لينكر عليه<sup>(١)</sup>.

وقد حاول ابن حجر الجمع بين القولين<sup>(٢)</sup>، وتبعه الصالحي في سيرته<sup>(٣)</sup>، ورضي هذا الجمع بعض الباحثين المحدثين فقالوا به<sup>(٤)</sup>.

وعلى كل حال فتتفق روايات الصحيحين مع ابن إسحاق في كون أبي موسى ومن معه عادوا مع جعفر ومن كان معه إلى المدينة يوم افتتح النبي ﷺ خيبر<sup>(٥)</sup>.

وتكاد راوي ابن إسحاق تتفق مع رواية الصحيحين في ذكر ما هم به أبو بكر من الهجرة لأرض الحبشة، لولا ما في البخاري من زيادة حسنة<sup>(٦)</sup>، وإيضاح وتفصيل لبعض ما أجمله ابن إسحاق، وإليك رواية البخاري عن عائشة في حديث

(١) زاد المعاد ٢ / ٢٨.

(٢) فقال: «ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة فتوجه إلى بلاد قومه وهي مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقته السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة، فهذا محتمل، وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد». (الفتح ٧ / ١٨٩).

(٣) سبل الهدى والرشاد ٢ / ٥٣٣.

(٤) سليمان السعود في جمعه لأحاديث الهجرة. (أطروحة ماجستير من الجامعة الإسلامية عام ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ، ص / ٥٠).

(٥) البخاري ٥ / ٨٠، ٨١ (سبق)، ومسلم ٤ / ١٩٤٦ (سبق)، وابن هشام في السيرة ٣ / ١٤٤، ٤١٦.

(٦) وقد انتبه إلى ذلك الحافظ ابن كثير فنص عليها. انظر السيرة النبوية ٢ / ٦٤.



الهجرة الطويل<sup>(١)</sup>. قال: «فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد<sup>(٢)</sup> لقيه ابن الدغنة - وهو سيد القارة - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض<sup>(٣)</sup> وأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وابناؤنا، إلى أن رد عليه أبو بكر جواره ورضي بجوار الله وأرى النبي ﷺ دار الهجرة» (المدينة)<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية أخرى عند البخاري لكنها مختصرة: عن عائشة أيضاً قالت: هاجر إلى الحبشة رجال من المسلمين، وتجهز أبو بكر مهاجراً، فقال النبي ﷺ:

(١) سيأتي بتمامه - إن شاء الله - حين الحديث عن الهجرة.

(٢) برك الغماد: بكسر الغين المعجمة، وقيل: بضمها، والكسر أشهر: موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن. (معجم البلدان لياقوت ١ / ٣٩٩).

(٣) قال ابن حجر: لعل أبا بكر طوى عن ابن الدغنة تعيين جهة قصده لكونه كان كافراً، وإلا فقد تقدم أن قصده التوجه إلى أرض الحبشة، ومن المعلوم أنه لا يصل إليها من الطريق التي قصدها حتى يسير في الأرض وحده زماناً فيصدق أنه سائح، لكن حقيقة السياحة أن لا يقصد موضعاً بعينه يستقر فيه. (الفتح ٧ / ٢٢٣).

(٤) البخاري ٤ / ٢٥٤ (سبق).



«على رسلك ، فياني أرجو أن يؤذن لي ، ..» الحديث <sup>(١)</sup> ، وفيه دلالة - بالإضافة

إلى ما قبله - على استمرار الهجرة للحبشة إلى حين الهجرة للمدينة.

أما ابن إسحاق ، فحديثه عن هجرة أبي بكر للحبشة جاء مسنداً <sup>(٢)</sup> وهو -  
كما قلت - قريب من سياق البخاري ، وإن كان أجمل بعض ما فصله  
البخاري <sup>(٣)</sup>.

وممن جاء ذكرهم في الصحيحين من أهل الحبشة : أم خالد بنت خالد <sup>(٤)</sup>  
وهي التي كانت تقول: قدمت من أرض الحبشة وأنا جويرية ، فكساني رسول  
الله ﷺ خميصة لها أعلام ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الأعلام بيده ،

(١) ٣٩ / ٧ : كتاب اللباس ، باب التقنع.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ١ / ٣٩٤ ، ٣٩٥ وإسناده : حدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن

عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، فرجال السنن موثوقون وابن إسحاق صرح بالتحديث .

(٣) فمثلاً: لم يأت ابن إسحاق على ذكر الحبشة - في هذه الرواية - إطلاقاً بل ذكر ما

نال أبا بكر من الأذى ، وأنه استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة ، كما أنه أجمل موقف أبي

بكر حين اشترطت قريش على ابن الدغنة ما اشترطت في تخفي أبي بكر بعبادته وعدم

استعلائه بذلك - كما فصله البخاري - بل لم يذكر ابن إسحاق اشتراط قريش على

ابن الدغنة حين أعلن لقريش رغبته في إجارته له ، واكتفى بإنكار قريش عليه حين

رأت نسائهم تعجب به وتجتمع إليه.

(٤) هي أمه بنت خالد بن سعيد بن العاص ، ومشهورة بكنيها «أم خالد» ولدت لأبيها في

الحبشة من زوجته أميمة - ويقال همنية - بنت خلف الخزاعية ، تزوجها الزبير بن العوام

وولدت له عمراً وخالداً - وبها كانت تكنى ، دعا النبي ﷺ حين ألبسها الحلة ، فقيل:

لم تعش امرأة ما عاشت. (الملحق بالإصابة) ٢ / ٢١٥ ، والإصابة ١٢ / ١٢١).



ويقول: «سناه سناه» قال الحميدي : يعني : حسن حسن<sup>(١)</sup>

وقد ذكرها ابن إسحاق في من ولد بأرض الحبشة<sup>(٢)</sup>.

ذلك ما أمكن الوقوف عليه في الصحيحين ممن ذكر له هجرة إلى الحبشة، وهذا لا يعني حصرهم في من جاء ذكرهم، بل هناك غيرهم، ولهذا ورد في البخاري : هاجر إلى الحبشة رجال من المسلمين<sup>(٣)</sup> بهذا العموم والإطلاق، وابن إسحاق عد من هاجر كما سبق.

---

(١) البخاري ٤ / ٢٤٥ : مناقب الأنصار (سبق) .

(٢) ابن هشام ١ / ٣٤٦ .

(٣) ٧ / ٢٩ (سبق) .



## عودة المهاجرين وقصة الغرانيق:

جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ حين قال: أريت دار جهرتكم (للمدينة) فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة<sup>(١)</sup>.

فهذا نص من صحيح البخاري يفيد عودة المهاجرة للحبشة حين هاجر المسلمون إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

وهذا العموم الذي ذكرته رواية البخاري في عودة أهل الحبشة، يستثنى منه جعفر ومن كان معه ممن قدموا في فتح خيبر - كما سبقت الإشارة إليه<sup>(٣)</sup>، لكن ألم يكن لمهاجرة الحبشة عودة إلى مكة قبل الهجرة للمدينة؟ وذلك ما نجده عند ابن إسحاق حين يقول: وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم ذلك، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما سبق أن تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً<sup>(٤)</sup> وهذا الذي ذكر ابن إسحاق من توهم إسلام أهل مكة.

وتشير إليه رواية الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ

(١) ٢٤٤ / ٤، ٢٥٥ (وقد سبقت).

(٢) قال ابن حجر: وهذا السبب في مجيء مهاجرة الحبشة غير السبب المذكور في مجيء من رجع منهم أيضاً في الهجرة الأولى، لأن ذلك كان بسبب سجود المشركين مع النبي ﷺ..

إلخ (الفتح ٧ / ٢٣٤).

(٣) وانظر: الفتح ٧ / ٢٣٤.

(٤) ابن هشام ١ / ٣٨٨.



سجد «بالنجم» وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس<sup>(١)</sup>، على أن هناك رواية أخرى - عند ابن إسحاق - لم يروها «الكبائي» عنه، وإنما رواها يونس بن بكير عن ابن إسحاق - دون إسناد - وفيها ذكر قصة الغرانيق حيث جاء فيها: «فأقام مهاجرة الحبشة حتى بلغهم أن أهل مكة قد أسلموا وسجدوا، وذلك أن سورة النجم أنزلت على رسول الله ﷺ، فأنصت إليها كل مسلم ومشرك حتى انتهى إلى قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ فأصاخوا له، والمؤمنون يصدقون<sup>(٢)</sup>، وارتد ناس حين سمعوا سجع الشيطان فقال: والله لنعبدهن ليقربونا إلى الله زلفى، وعلم الشيطان بتيك الآيتين كل مشرك، وذلت بها ألسنتهم، وكبر ذلك على رسول الله ﷺ، حتى أتاه جبريل عليه السلام، فشكا إليه هاتين الآيتين وما لقي فيهما: فتبرأ جبريل عليه السلام منهما، وقال: لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل تعزية وقلت ما لم يقل لك، فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً وخاف فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَمَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

ورواية ابن إسحاق هذه - كما قدمت - ساقها ابن إسحاق دون إسناد، وفيها زيادة على رواية الصحيحين، وعلى رواية البكائي عن ابن إسحاق أيضاً.

(١) البخاري ٢/ ٣٢: الكسوف، باب سجدة النجم، وفي مناقب الأنصار ٤/ ٢٣٩، وفي

تفسير سورة النجم ٦/ ٥٢، ومسلم ١/ ٤٠٥ كتاب المساجد، باب سجود التلاوة.

(٢) وفي بعض النسخ: مصدقون (انظر سهيل زكار محقق السير والمغازي لابن إسحاق

ص/ ١٧٧).

(٣) سورة الحج: ٥٢، السير والمغازي لابن إسحاق: تحقيق سهيل زكار ص/ ١٧٧، ١٧٨.





وقد ذكر ابن جرير - في تفسيره وتاريخه - رواية أخرى عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد المدني عن محمد بن كعب القرظي - وفيها ذكر القصة<sup>(١)</sup> - لكن الرواية مرسلة من القرظي وفيها عنعنة ابن إسحاق<sup>(٢)</sup>.

وبالجمله فقد تعددت روايات وطرق القصة حتى جمع لها بعض الباحثين<sup>(٣)</sup> عشرة طرق، وكلها مرسلة، ما عدا طريقاً واحداً أسند إلى ابن عباس - وفيه مقال كما سيأتي بيانه - أو أشير إلى هذه الطرق باختصار وهي كما يلي:

عن سعيد بن جبير<sup>(٤)</sup>، وعن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث<sup>(٥)</sup> وأبي العالية<sup>(٦)</sup> ومحمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس<sup>(٧)</sup> وعن قتادة<sup>(٨)</sup>، وعروة بن الزبير<sup>(٩)</sup> وعن

- 
- (١) تفسير الطبري ١٧ / ١٣١ ، ١٣٢ ، وتاريخه (الأمم والملوك) ٢ / ٣٣٨.
  - (٢) وانظر: نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق (ط. المكتب الإسلامي) للشيخ ناصر الدين الألباني ص / ١١ ، ١٢.
  - (٣) انظر: رسالة الألباني: نصب المجانيق ص / ٤ - ١٨ ، وقد تكلم عن أسانيد هذه الروايات واحدة تلو الأخرى.
  - (٤) انظر: تفسير الطبري ١٧ / ١٣٣ ، والدر المنثور ٤ / ٣٦٦.
  - (٥) تفسير الطبري ١٧ / ١٢١.
  - (٦) تفسير الطبري ١٧ / ١٢٣.
  - (٧) المصدر نفسه ١٧ / ١٣١١ ، وتاريخ الطبري ٢ / ٣٤٠.
  - (٨) تفسير الطبري ١٧ / ١٣٤.
  - (٩) مجمع الزوائد ٦ / ٣٢ - ٣٤ ، وقال الهيثمي عندها: رواه الطبراني هكذا مرسلأً، وفيه ابن لهيعة أيضاً، وذكر الهيثمي القصة في تفسير الحج ٧ / ٧٠ - ٧٢ ، ثم قال: رواه الطبراني مرسلأً وفيه ابن لهيعة ولا يحتمل هذا منه، وانظر مغازي عروة بن الزبير ص / ١٠٦ ، وكلام محققها د. الأعظمي في رد القصة، وهو كلام نفيس ص ١٠٦ - ١٠٨.



أبي صالح<sup>(١)</sup>، والضحاك<sup>(٢)</sup> ومحمد بن فضالة الظفري والمطلب بن عبدالله بن حنطب<sup>(٣)</sup> وعن ابن عباس<sup>(٤)</sup>.

وحتى لا أطيل في الوقفة عند أسانيد هذه الروايات كلها، أكتفي بتحقيق العلماء وكلامهم فيها، ثم أذكر ما يترجح لي وأعتقده الصواب في هذه المسألة إن شاء الله، فأقول: لا خلاف بين العلماء - سواء القائلون منهم بصحة القصة أو المنكرون لها - في ضعف الرواية المسندة - وهي رواية ابن عباس - ولهذا قال الحافظ ابن حجر - وهو ممن يرى صحة القصة - وكلها (أي الطرق) سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف، وإما منقطع<sup>(٥)</sup>.

لكن خلافهم في بقية طرقها المرسلة، فابن حجر يقول: ... لكن كثرة الطرق تدل على للقصة أصلاً، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين، ثم ذكر طريقتي: أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث، وأبي العالية<sup>(٦)</sup>.

ويرد من خالفه<sup>(٧)</sup> في هذه القاعدة (قاعدة تقوية الحديث بكثرة طرقه) أصل المسألة إلى كتب الحديث المعتبرة في هذا الشأن، وأن المسألة ليست على

(١) الدر المنثور ٤ / ٣٦٦.

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ١٣٣.

(٣) طبقات ابن سعد ١ / ٢٠٥.

(٤) تفسير الطبري ١٧ / ١٣٣، والدر المنثور ٤ / ٢٦٧.

(٥) الفتح ٨ / ٤٣٩.

(٦) المصدر نفسه ٨ / ٤٣٩.

(٧) كالألباني (انظر: رسالته نصب المجانيق ص / ٢٠ وما بعدها).



إطلاقها ، كما فصل القول في ذلك الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في مقدمة علوم الحديث<sup>(١)</sup> بل وكما حرره الحافظ ابن حجر نفسه في نخبه الفكر ، حين ذكر الحديث المرسل في أنواع الحديث المردود ، ثم أخذ يتحدث عن أسباب ذلك<sup>(٢)</sup> .

أضف إلى هذا أن هناك احتمال كون المراسيل الثلاثة الصحيحة مصدرها واحد ، وهذا مما يمنع اعتضاد بعضها ببعض ، ويقوي هذا الاحتمال أن رواها الثلاثة عاشوا في عصر واحد ، وسني وفاتهم متقاربة ، فسعيد بن جبيرة توفى سنة ٩٥هـ ، وأبو بكر بن عبدالرحمن سنة ٩٤هـ ، وأبو العالية سنة ٩٠هـ<sup>(٣)</sup> .

وعلى أية حال فقد مال إلى تصحيح هذه القصة - غير الحافظ ابن حجر - الزمخشري في تفسيره<sup>(٤)</sup> ، والنسفي<sup>(٥)</sup> كما تابع السيوطي ابن حجر في تصحيح القصة<sup>(٦)</sup> ، ونقل ابن سيد الناس عن شيخه الحافظ عبدالمؤمن الدمياني أنه كان يخالف من يردها من جهة رواها<sup>(٧)</sup> ، وذكر القصة الذهبية في سيرته<sup>(٨)</sup> وابن بطلال

(١) مقدمة علوم الحديث ، ص / ١٧ .

(٢) نزهة النظر شرح نخبه الفكر ، ص / ٤١ .

(٣) انظر ما كتبه د. عبدالله الوهبي في مجلة كلية أصول الدين - العدد الخامس - للعام

١٤٠٣هـ / ١٤٠٤هـ ص / ١٩ ، ورسالة نصب المجانيق للشيخ الألباني ص / ٢٤ .

(٤) تفسير الزمخشري (ط. الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٥هـ) ٣ / ١٦٤ .

(٥) تفسير النسفي (المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٣٩م) ٣ / ٤٤٨ .

(٦) لباب النقول في أسباب النزول (دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة ١٣٨٢هـ) ٣ / ٢٠ ،

١٢١ .

(٧) عيون الأثر ١ / ١٢١ . وهو يخالف شيخه كما سيأتي .

(٨) ص / ١١٢ ، وسأبين رأي الذهبية فيها .



– كما نقل ذلك عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ، مع تضعيفه لقوله<sup>(١)</sup> وكذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مختصره السيرة<sup>(٢)</sup> ، و من أشد من يرى ثبوت القصة – دون استنكار لأي شيء ورد ، ففيها – إبراهيم بن حسن الكوراني المتوفى سنة ١١٠١هـ ، وهو الذي تعقبه الآلوسي في تفسيره وأطال في الرد عليه<sup>(٣)</sup> .

ويتعلق بهذه القصة لفيف من المستشرقين ، وفي مقدمتهم «سيرمور»<sup>(٤)</sup> .

وقبل أن ننتقل للمنكرين لهذه القصة نذكر بعض من توقف من العلماء عن الجزم بصحة إسنادها أو ضعفها .

فابن جرير الطبري – عليه رحمة الله – ساق معظم رواياتها ، ولم يعلق عليها بالصحة أو الضعف ، وإن كان تأويله للآيات (في سورة الحج) يشعر بتصحيحه لرواياتها<sup>(٥)</sup> والواحدي – في أسباب النزول – ذكر بعض طرقها ، ولم يعقب على ذلك بتصحيح أو تضعيف<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر: الفتاوى ٢١ / ٢٨١ ، ٢٨٢ قال ابن تيمية: فيقال هذا ضعيف فإن القوم إنما سجدوا لما قرأ النبي ﷺ ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ ص / ٢٨٢ ، وسأتي على مزيد بيان لرأي الشيخ في هذه المسألة ، إن شاء الله .

(٢) انظر: القسم الثالث من مؤلفات الشيخ (طبع جامعة الإمام) ص / ٣١ ، ٨٤ . (وسأعود لرأي الشيخ أيضاً) .

(٣) انظر : روح المعاني (المطبعة المنيرية بالقاهرة) ١٧ / ١٧٨ .

(٤) انظر ما كتبه أبو شهبه في كتابه : الموضوعات والإسرائيليات ص / ٤٥٠ .

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٧ / ١٣٤ ، وتاريخ الطبري ٢ / ٣٣٩ .

(٦) أسباب النزول (تحقيق الأستاذ سيد صقر ، ط. دار الكتاب الجديد بالقاهرة) ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .



أما الذين أنكروا هذه القصة من العلماء فكثير عددهم، وقد تعددت أوجه الرد عندهم، فمنهم من ردها بصريح القرآن، ومنهم من ردها بصحيح السنة، ومنهم من ردها بالعقل والحجة، ومنهم من ردها بذلك كله، كما تعرضوا في ردهم لها وإنكارها - للرواية - من جهة متنها كما تعرضوا لها من جهة سندها، ومن هؤلاء: الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة<sup>(١)</sup>، والإمام البيهقي<sup>(٢)</sup> والبزار<sup>(٣)</sup>، والماتريدي<sup>(٤)</sup>، وابن حزم الأندلسي<sup>(٥)</sup>، وأبو بكر بن

(١) وقد سئل عن هذه القصة؟ فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف فيه كتاباً. انظر: تفسير الفخر الرازي (الطبعة الثانية، نشر دار الكتب العلمية / طهران) ٢٣ / ٥٠، وتابع الرازي في عزو هذا القول لابن خزيمة (الشوكاني في فتح القدير ٣ / ٤٤٧)، أما أبو حيان، فعزاه في تفسيره لمحمد بن إسحاق صاحب السيرة) البحر المحيط، وتبعه الألويسي في تفسيره ١٧ / ١٦١. وعزوه لابن خزيمة أقرب.

(٢) قال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل (انظر حاشية الروض الأنف للسهيلى ٣ / ٢٤٨، وانظر تفسير الفخر الرازي ٢٣ / ٥٠. لم أجد هذا القول للبيهقي في دلائل النبوة، بل وجدته ذكر هذه القصة - عند الحديث عن هجرة الحبشة - عن ابن إسحاق ولم يعلق عليها، لكنه في ذكره لها لم يقل: إن النبي ﷺ تقول بهذه الكلمات تلك الغرائيق) وإنما هو من سجع الشيطان وفتنته، ولم يسمعها المسلمون، وإنما وقعت في قلب كل مشرك بمكة، ولهذا لما سجد النبي ﷺ في آخر سورة النجم استغرب المسلمون لسجود المشركين معهم، والمشركون لتصورهم أنهم أعظموا آلهتهم. (دلائل النبوة ٢ / ٢٨٦، ٢٨٩).

(٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (تحقيق علي الجاوي) ٢ / ٧٥١.

(٤) انظر: حصص الأتقياء (عن الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبه ص / ٤٤٢).

(٥) الفصل الأول في الممل والأهواء والنحل (ط. علي صبيح القاهرة) ٣ / ٤٨.



العربي<sup>(١)</sup>، والقاضي عياض<sup>(٢)</sup> والسهيلي<sup>(٣)</sup>، وابن سيد الناس<sup>(٤)</sup>،  
والقرطبي<sup>(٥)</sup>، والرازي<sup>(٦)</sup> والنيسابوري<sup>(٧)</sup> والبيضاوي<sup>(٨)</sup> والقاضي عبد الجبار<sup>(٩)</sup>  
والكرماني<sup>(١٠)</sup> والعيني<sup>(١١)</sup> وابن كثير<sup>(١٢)</sup> وغيرهم.

وأكتفي بنقل كلام أربعة من هؤلاء العلماء، وعلى وجه الاختصار أيضاً،  
وأترك بقيتها مكتفياً بالإشارة إلى مصادرها ليطلع عليها من أراد المزيد.

١- ابن حزم: قال في الرد على من لم يوجب العصمة على الأنبياء ما مثاله:

(١) أحكام القرآن ٣ / ١٣٠٠ - ١٣٠٤ وقد أطل - رحمه الله - في الرد على هذه القصة  
وضمنها عشر مقامات.

(٢) الشفا ٢ / ٧٥٠ - ٧٦٣، وهو الآخر أطل في الرد، وسنأتي على بعض كلامه.

(٣) الروض الأنف ٢٣ / ٣٤٤ - ٣٤٥، وكان آخر ما انتهى إليه قوله: والحديث على ما  
خيلت غير مقطوع بصحته.

(٤) عيون الأثر ١ / ١٢١.

(٥) تفسير القرطبي (ط. دار الكتب بالقاهرة ١٣٨٧هـ) ١٢ / ٨٠، ٨١.

(٦) تفسير الفخر الرازي ٢٣ / ٥٠ وما بعدها.

(٧) في تفسيره: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (في حاشية تفسير الطبري ١٧ / ١٠٤).

(٨) تفسير البيضاوي ٣ / ٣٨٩، (حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي،  
المكتبة الإسلامية).

(٩) في كتابه: تنزيه القرآن عن المطاعن ص / ٢٤٣.

(١٠) انظر: الفتح ٦ / ٦١٤. وقد قال: «وما قيل من أن ذلك بسبب إلقاء الشيطان في أثناء  
قراءة رسول الله ﷺ لا حجة له عقلاً ولا نقلاً».

(١١) عمدة القارئ: ٧ / ١٠٠، ١٠١.

(١٢) تفسير ابن كثير ٥ / ٤٣٨، وفي السيرة ٢ / ٥٦.



استدلوا بالحديث الكاذب الذي لم يصح قط في قراءته عليه السلام في ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ وذكروا تلك الزيادة المفتراة التي تشبه من وضعها من قولهم: «وانها لهي الغرائيق العلا وإن شفاعتهن لترتجي» ثم قال: وأما الحديث الذي فيه الغرائيق، فكذب بحت موضوع، لأنه لم يصح قط من طريق النقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد<sup>(١)</sup>.

٢- القاضي عياض: وهو من أطال في الكلام على هذه القصة، وأنقل بعض كلامه قال: اعلم - أكرمك الله - أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: أحدهما في توهمين أصله والثاني على تسليمه، أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرج له أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون، والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم<sup>(٢)</sup>. ثم أخذ في نقدها والرد عليها، وبيان معارضتها للآيات القرآنية الأخرى واستحالة القصة نظراً وعرفاً<sup>(٣)</sup>.

٣- ابن سيد الناس قال: «والذي عندي في هذا الخبر مجرى ما يذكر من أخبار هذا الباب من المغازي والسير، والذي ذهب إليه كثير من أهل العلم الترخص في الرقائق وما لا حكم فيه من أخبار المغازي، وما يجري مجرى ذلك. وأنه يقبل فيها من لا يقبل في الحلال والحرام لعدم تعلق الأحكام بها. وأما هذا الخبر، فينبغي بهذا الاعتبار أن يرد إلى ما يتعلق به، إلى أن يثبت بسند لا

(١) الفصل في المثل ٣ / ٤٨.

(٢) الشفاء ٢ / ٧٥٠.

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٧٥٠ - ٧٦٣.



مطعن فيه بوجه، ولا سبيل إلى ذلك فيرجع إلى تأويله<sup>(١)</sup>.

٤- ابن كثير: وقد تعرض للقصة في تفسيره وسيرته، وفصل القول في التفسير حيث ذكر بعض روايات القصة معلقاً على أسانيده، وكانت خلاصة رأيه قول: «قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرائيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظناً منهم، أن مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.

أما في السيرة، فلم يذكر القصة عند حديثه عن عودة أهل الحبشة إلى مكة، واكتفى بالقول: «وذكروا قصة الغرائيق، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها، إلا أن أصل القصة صحيح»<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت تلك بعض ما استكره العلماء على سند القصة، فلهم على متنها استنكار آخر، فاضطراب رواياتها، ونكارة بعض ألفاظها - بالإضافة إلى ما سبق من الحديث عن سندها - جعلهم يحكمون ببطلانها<sup>(٤)</sup>.

ويبقى بعد ذلك ناحية مهمة - وربما تكون هي الفيصل في القضية بين

(١) عيون الأثر ١ / ١٢١.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٥ / ٤٣٨.

(٣) السيرة النبوية ٢ / ٥٦. وقصده بأصل القصة الصحيح ما سبقت الإشارة إليه، وهو ما ورد من أصل القصة في صحيح البخاري من سجود المشركين مع المسلمين وكذلك الجن حين تلا عليهم سورة النجم، فقد أتبع قوله بهذا الحديث.

(٤) انظر: تفصيل ذلك عند القاضي عياض في الشفا ٢ / ٧٥٠، والألباني في نصب المجانيق ص ١٨. ود. عبدالله الوهبي في مقاله بمجلة أصول الدين ص ٢٢.





المنكرين والمثبتين - ألا وهي اختلاف دلالة روايات القصة ، فمعظم رواياتها تقول: إن الشيطان أجرى على لسان النبي ﷺ «تلك الغرائق العلاء...» ونطق بها<sup>(١)</sup>. أما بقيتها<sup>(٢)</sup> ، فقد جاء فيها: أن الشيطان هو الذي تقوّل بهذه الكلمات ونطق بها ، وخيل للمشركين أنها من كلام النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>. وهي ليست من كلامه.

وإذا كان المفهوم الأول للروايات مرفوضاً جملة وتفصيلاً ، وذلك لمصادمته لعصمة النبوة في أخطر قضايا الوحي والرسالة<sup>(٤)</sup>. فإن مما يؤكد ضعف الروايات الثلاث المرسله (التي سبق الإشارة إلى بعض العلماء لها) كونها تنص على هذا المفهوم ، فكلمتها تقول : إن الشيطان ألقى على لسان النبي ﷺ هذه الكلمات!! ولهذا فالعلماء الذين صححوا هذه الروايات - أمثال ابن حجر - يستتكرون ما فيها ، ويضطرون لتأويلها ، فيقول ابن حجر: «وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستتكر ، وهو قوله: «ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلاء وإن شفاعتهن لترجى»، فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره ، لأنه

(١) وهي مجمل روايات القصة ما عدا رواية عروة بن الزبير ، وموسى بن عقبة.

(٢) وهي رواية عروة (وقد سبقت ) ورواية موسى بن عقبة وهي مروية بنحو سند رواية أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث ، إلا أنه لم يذكر فيها ابن شهاب . انظر: الدر المنثور ٤ / ٣٦٧.

(٣) فهي معارضة لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ الشعراء آية / ٢١٠ ، وقوله : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ النجم ، وقوله : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾ .... الآية "ن" ، ثم إذا كان لب الرسالة هو تحقيق العبودية لله وحده ، وترك عبادة الأصنام المنتشرة ، فكيف يدعو عليه الصلاة والسلام إلى تعظيمها وإشراكها في العبادة!!

(٤) انظر : الفتح ٨ / ٤٣٩.



يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه ، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته». ثم يذكر مسالك العلماء في التأويل ويذكر عدة تأويلاتهم ، ثم ينتهي إلى القول :«وقيل : كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ، ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها ، قال : وهذا أحسن الوجوه»<sup>(١)</sup>.

وهنا يلتقي ابن حجر مع المنكرين لاتفاقهم على إنكار أهم ما جاء فيها .

هكذا فالمتأمل لبعض العلماء الذين جاءوا على ذكر هذه القصة يجدهم يقصدون بذكرها وإثباتها هذا الجزء الذي لا يستتكر منها ، بل هو أحد التفسيرات الواردة لمجمل ما ذكره البخاري في هذه القصة .

فشيخ الإسلام ابن تيمية مثلاً - وهو ممن ذكر القصة - يضعف ما يستتكر من القصة ويشير إلى هذا التأويل الممكن لها<sup>(٢)</sup> ، ويؤكد الذهبي على أن الشيطان هو الذي ألقى الكلمات ، وأن المسلمين لم يسمعوا ما ألقاه ، وعلى نسخ الله لما ألقاه الشيطان<sup>(٣)</sup> .

أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فقد ذكر القصة في موطنين من سيرته - كما سبق - وأشار في الموطن الأول منهما إلى هذا التأويل الممكن للقصة ، وأكد ، واستتكر على من لم يميز بين الإسلام الحق الذي أتى به النبي ﷺ ، وبين دين قريش الذي أرسل الله رسوله ينذرهم عنه ، وفي كلامه طول ،

(١) المصدر نفسه ٨ / ٤٤٠ .

(٢) الفتاوى ٢١ / ٢٨٢ .

(٣) السيرة النبوية ص / ١١٢ - ١١٤ .



فليرجع إليه في موطنه<sup>(١)</sup>. وبذلك قال غير واحد من العلماء<sup>(٢)</sup>.

وأخيراً يأتي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لآية الحج مؤكداً لهذا المعنى الذي اتفق العلماء ، ففي البخاري عن ابن عباس في ﴿ إِذَا تَمَّتْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته ، ويقال أمنيته: قراءته<sup>(٣)</sup>.

ولعلنا بهذا نجمع بين من أنكر القصة ومن أثبتها ، فالذين أنكروها إنما قصدوا ما يستتكر منها - كما سلف - ومن أثبتها ، فإنما أراد ما لا يتنافى مع العصمة ومقام النبوة ، والله أعلم.

### إسلام النجاشي:

كان إسلام النجاشي ثمرة من ثمار هجرة الحبشة ، وقد ذكر ابن إسحاق في السيرة ما يفيد إسلام النجاشي ، وذلك حين تعرض - في حديث أم سلمة

(١) انظر: القسم الثالث من مجموعة كتب الشيخ (مختصر سيرة الرسول والفتوى) ص/٣١ ، ٣٢.

(٢) قال السهيلي : وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ، ومن صححه قال فيه أقوالاً . ثم ذكر السهيلي عدة تأويلات للمقصود بحديث الفرانيق ، ومنها ما أشرت إليه (الروض الأنف ٣/٢٤٤).

(٣) ٢٤١ / ٥ : كتاب التفسير : سورة الحج (وقد ذكره البخاري هنا تعليقاً لكن وصله الطبري في تفسيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مقطوعاً منه (انظر: تفسير الطبري ١٧ / ١٢٣ والفتح ٨ / ٤٢٨) . وقال النحاس : هذا من أحسن ما قيل في تأويل الآية وأعلاه وأجله ، ثم أسند عن أحمد بن حنبل قال: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً. (عن الفتح ٨ / ٤٢٨).



الطويل - لموقفه مع المسلمين، وبكائه حين قرئ عليه القرآن، وردّه على مندوبي قريش هداياهم<sup>(١)</sup>.

بل ذكر ابن إسحاق - في رواية أخرى - عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا ، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهياً لهم سفناً وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا ، ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله<sup>(٢)</sup>.

وهذا موافق لما جاء في الصحيحين من ذكر إسلام النجاشي حيث نعاها لهم النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه، وقال: «استغفروا لأخيكم»، وصلى عليه<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر: الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص / ٢١٥، والسيرة لابن هشام ١ / ٢٥٧ - ٣٦١ وقد أسنده ابن إسحاق، وصرح بالتحديث، وكذا رواه الإمام أحمد (المسند ٥ / ٢٩٠) وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع (مجمع الزوائد ٦ / ٢٧) كما تطرق لهذا الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية وذكر أن جماعة من العلماء والحفاظ قد ذكروه كأحمد وابن سعد وأبي نعيم وغيرهم، ثم قال: والقصة متواترة عند العلماء (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطابع المجد التجارية ١ / ٧٩) ، وانظر: تصحيح أحمد شاكر للحديث في المسند ٢ / ٨٠).

(٢) ابن هشام ١ / ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، بسند رجاله ثقات إلا أنه مرسل من محمد بن علي المتوفى سنة ١١٨ هـ (والد جعفر المذكور) انظر: التهذيب ٩ / ٣٥١.

(٣) البخاري ٢ / ٧١: كتاب الجنائز ، باب الرجل ينمي إلى أهل الميت بنفسه، وفي باب من صف صفين أو ثلاثة على الجنائز ٢ / ٨٨ ، وفي باب الصفوف على الجنائز، وفي باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد ٢ / ٩١ ، ومسلم ٢ / ٦٥٦: كتاب الجنائز ، باب في التكبير على الجنائز، وكذا ص / ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، وانظر: الصلاة على النجاشي في سيرة ابن إسحاق (الجزء المطبوع) تحقيق سهيل زكار ص / ٢١٩.



وقد جاء الأمير - في بعض الروايات - صريحاً باسم النجاشي وهو «أصحمة»<sup>(١)</sup> ويؤكد هذا ابن إسحاق مرة أخرى فيقول في إحدى رواياته، لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور<sup>(٢)</sup>.

ولكنه مع هذا كله يذكر - من رواية يونس بن بكير - أن النبي ﷺ بعث إليه كتاباً - على غرار الكتب التي بعثها إلى الملوك والرؤساء - يدعو فيها إلى الإسلام ، وفي الرواية نص على النجاشي الأصحم<sup>(٣)</sup>. فهذه الرواية مع ضعف إسنادها<sup>(٤)</sup> محتملة للتأويل كما قال ابن كثير «الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الأصحم، لعل الأصحم مقحم من الراوي بحسب ما فهم، والله أعلم»<sup>(٥)</sup>.

أقول: ومما يقوي احتمال ابن كثير في إقحام الأصحم في رواية يونس هذه، أن البكائي في روايته عن ابن إسحاق جاء على ذكر الكتاب المرسل إلى النجاشي دون ذكر الأصحم<sup>(٦)</sup>.

(١) البخاري ٢ / ٩١ (الجنائز، وقد سبق) ، ومسلم ٢ / ٦٥٧ (سبق) .

(٢) انظر: الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ص / ٢١٩ ، وابن هشام ١ / ٢٦٢ ، وقد أسنده ابن إسحاق وصرح بالتحديث عن يزيد بن رومان ، وهو أبو روح الأسدي مولى آل الزبير ، ثقة ، توفى سنة ١٢٠ هـ (التهذيب ١١ / ٢٢٥) عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها (فهو حديث حسن لوجود ابن إسحاق فيه).

(٣) انظر: سيرة ابن إسحاق (تحقيق محمد حميد الله) ص / ٢١٠ .

(٤) ذكره ابن إسحاق دون إسناده.

(٥) السيرة ٢ / ٤١ ، ٤٢ .

(٦) ابن هشام ٤ / ٢٧٩ .



وتأتي رواية الإمام مسلم - رحمه الله - لتحسم الأمر ، وقد جاء فيها : عن أنس أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى ، وإلى قيصر ، وإلى النجاشي ، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ<sup>(١)</sup> .

### ذهابه ﷺ إلى الطائف :

ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فأجاب :

«لقد لقيت من قومك<sup>(٢)</sup> ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة<sup>(٣)</sup>»

(١) ١٣٩٧ / ٣ : كتاب الجهاد والسير ، باب كتابة النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل .

(٢) المراد بسبب قومك قريش ، وليس المقصود ما لقيه النبي ﷺ في ذهابه للطائف من قريش أنفسهم ، ولهذا قال الزرقاني في شرحه على المواهب : فلا يرد أن ثقيفاً ليسوا قومها . (شرح المواهب / ١ / ٢٩٧) .

(٣) فهم بعض شراح الحديث أن المقصود بالعقبة هنا هي التي في منى كالعيني . انظر : عمدة القارئ ١٥ / ١٤٢ ، والقسطلاني الذي أنكر عليه ذلك الزرقاني ، فقال : جزم المصنف بأنها التي بمنى ، وفيه ما فيه ، وأين منى والطائف . (شرح المواهب / ١ / ٢٩٧ ، ٢٩٨) ، كما فهم هذا الفهم أيضاً محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على صحيح مسلم (١٤٢٠ / ٣) ، ومما يقوي ضعف هذا الرأي أننا نجد في معجم ياقوت عن العقبة ما يلي :

والعقبة منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة . ثم ذكر العقبة التي عند منى (معجم البلدان ٤ / ١٣٤) ، وعن القاع قال ياقوت : منزل بطريق مكة بعد العقبة لمن يتوجه إلى مكة تدعيه أسد وطية (المصدر السابق ٤ / ٢٩٨) ، ويقول عن واقصة : إنها منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقيل العقبة لبني شهاب من طيء (المصدر نفسه ٥ / ٣٤٥) ، ولهذا قال الزرقاني : قال شيخنا : لعل المراد بها هنا موضع مخصوص



إذ عرضت نفسي على ابن عبدياليل بن عبدكلال<sup>(١)</sup> فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت ، وأنا مهموم ، على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب<sup>(٢)</sup> فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، ذلك فيما شئت<sup>(٣)</sup> إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(٤)</sup>.

هكذا ورد خبر ذهابه ﷺ إلى الطائف في الصحاحين والأمر عند ابن إسحاق أكثر تفصيلاً، فقد جاء على ذكر سبب ذهابه للطائف، فقال:  
ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تتاله

---

اجتمع فيه مع عبدياليل لا عقبه منى التي اجتمع فيها مع الأنصار (شرح المواهب ١ / ٢٩٨).

(١) هذا خلاف ما في سيرة ابن إسحاق (كما سيأتي بيانه).

(٢) قرن الثعالب : هو قرن المنازل - قاله عياض - وهو ميقات أهل نجد تلقاء مكة، على يوم وليلة - مرحلتين من مكة (معجم البلدان ٤ / ٣٣٢)، و(شرح النووي على مسلم ١٢ / ١٥٥).

(٣) هكذا في رواية البخاري، وعند مسلم زيادة... ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت.

(٤) البخاري ٤ / ٨٣: كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء وفي كتاب التوحيد (مختصراً) ٨ / ١٦٧ باب وكان الله سميعاً بصيراً ، ومسلم ٣ / ١٤٢٠ كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.



منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصره من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحده<sup>(١)</sup>. وإن كان هذا الخبر ساقه ابن إسحاق دون إسناد، فقد ذكره غيره من أرباب السير<sup>(٢)</sup>.

كما جاء في سياقه للخبر نفسه بأشياء لم تأت بها رواية الصحيحين السابقة، وأخرى جاءت بها رواية الصحيحين، لكن بمزيد تفصيل لها، ونوع من الاختلاف عنها أحياناً، فمثال الأول: ما ذكره ابن إسحاق من دعائه ﷺ، في تلك المرحلة بهذا الدعاء: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخر من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن هشام ٢٨ / ٢.

(٢) كعروة بن الزبير في مغازيه ص / ١٢٨، وقد ذكره بالسند إلى أن وصل إليه، فهو مرسل، وموسى ابن عقبة في مغازيه (انظر الفتح ٦ / ٢١٥)، وابن سعد في طبقاته ١ / ٢١١، والطبري في تاريخه ٢ / ٣٤٤، وأبو نعيم في دلائله ص / ١٠٣، والبيهقي في دلائله أيضاً ٢ / ٤١٥، والذهبي في السيرة ص / ١٨٥ وغيرهم.

(٣) ابن هشام ٢٩ / ٢، وهذا الدعاء ذكره ابن إسحاق دون إسناد، حيث قال: فيما ذكر لي. ورواه الطبراني عن عبد الله بن جعفر، وقال الهيثمي: فيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد ٦ / ٣٥) كما ذكره الصالحي في سيرته، ولم يأت فيه على ذكر ابن إسحاق، واكتفى بالقول: رواه الطبراني برجال ثقات عن =





ومن ذلك أيضاً موقف ابني ربيعة (عتبة وشيبة) معه، حيث تحركت له رحمهما حينما رآياه على تلك الحال، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عداس، فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عداس... إلخ قصته مع النبي ﷺ، والتي انتهت بتقبيل عداس لرأس النبي ﷺ وبديه وقدميه حين ذكر له نبي الله يونس بن متى عليه السلام، وأخيراً لوم ابني ربيعة لعداس، وقولهما له: ويحك يا عداس! لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه<sup>(١)</sup>.

كما ذكر ابن إسحاق - منصرفه ﷺ من الطائف - خبر جن نصيبين<sup>(٢)</sup>، وتلك سبق الحديث عنها في إسلام الجن.

ومثال الثاني - وهو ما اختلفت فيه رواية ابن إسحاق عما في الصحيحين - تسمية من عرض النبي ﷺ نفسه عليه حين ذهب للطائف، ففي الصحيحين - كما مر - عرضت نفسي على ابن عبدياليل بن عبدكلال، فلم يجبني إلى ما أردت، وعند ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال: فلما انتهى رسول

---

عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما (سبل الهدى والرشاد ٢ / ٥٧٧)، وكان إشارة ألوكيل (محقق الروض الأنف) ترمي إلى تضعيفه حين قال: لم يخرج حديث هذا الدعاء سوى الطبراني عن عبدالله بن جعفر (حاشية الروض الأنف ٤ / ٥٦)، أما الألباني فقد صرح بتضعيفه لكون ابن إسحاق ذكره دون إسناد (فقه السيرة للغزالي ص / ١٢٢ حاشية) ولكون رواية الطبراني فيها ابن إسحاق وقد عنعن (دفاع عن الحديث والسيرة ص / ١٩).

(١) ابن هشام ٢ / ٣٠، ٣١.

(٢) ابن هشام ٢ / ٣١.



اللَّهُ ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو، وحبیب بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاء له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم، هو يمرط ثياب الكعبة: إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً: لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقال لهم - فيما ذكر لي - : «إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني» وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئثرهم <sup>(١)</sup> ذلك عليه <sup>(٢)</sup>.

وهكذا يتضح الفرق بين الروایتين، فالمعروض عليه - في رواية الصحيحين - ابن عبد ياليل بن عبدكلال، بينما هو رواية ابن إسحاق «عبد ياليل» ومعه أخواه مسعود وحبیب، وهذا الخلاف ألمح إليه السهيلي ولم يتوقف عنده <sup>(٣)</sup>، كما ذكره الزرقاني <sup>(٤)</sup>، وقبله ابن حجر الذي قال عند شرحه لحديث البخاري: «والذي في المغازي أن الذي كلمه هو: عبد ياليل نفسه، وعند أهل النسب أن عبدكلال أخوه لا أبوه، وأنه عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف، ويقال: اسم

(١) قال ابن هشام: قوله: يذئثرهم يعني يحرش بينهم. السيرة ٢ / ٢٩.

(٢) المصدر السابق ٢ / ٢٨، ٢٩.

(٣) الروض الأنف ٤ / ٥٧.

(٤) شرح المواهب اللدنية ١ / ٢٩٨.



عبد ياليل مسعود ، وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف»<sup>(١)</sup>.

وهذا الاختلاف وقع أيضاً في روايات المفسرين في تحديد عظيم أهل الطائف والوارد ضمن قوله تعالى وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ...<sup>(٢)</sup> ففي رواية ابن عباس رضي الله عنهما أنه حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ، ومن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد: أنه ابن عبد ياليل الثقفي<sup>(٣)</sup> ، وروى عبد بن حميد<sup>(٤)</sup> ذلك في تفسيره<sup>(٥)</sup> ، وعن قتادة : عروة بن مسعود الثقفي<sup>(٦)</sup> ، وعن السدي: كنانة بن عبد بن عمرو بن عمير عظيم أهل الطائف<sup>(٧)</sup> ، وإزاء هذا لم يستطع إما المفسرين ابن جرير الطبري - رحمه الله - أن يقطع بشيء أو يرجح رأياً على آخر ، لاسيما وقد ذكر أنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة دلالة على الذين عنوا في هذه الآية<sup>(٨)</sup>.

وعلى كل حال ، فإن أمكن الجمع بين الروایتين فذاك بأن يكون ابن عبد ياليل اسمه «مسعود» كما ذكره ابن حجر ، ومسعود هذا أحد الثلاثة الذين ذكرهم ابن إسحاق في روايته ، وإن كان ذلك معارضاً بأن مسعوداً الذي ذكره

(١) الفتح ٦ / ٣١٥ ، وانظر العيني في عمدة القارئ ١٥ / ١٤٢ .

(٢) سورة الزخرف آية ٢١ / ٣١ .

(٣) تفسير الطبري ٢٥ / ٤٠ .

(٤) هو عبد بن حميد بن نصر الكسي (أبو محمد) محدث ، حافظ ، جوال ، مفسر ، توفى بدمشق سنة ٢٤٩ هـ ، من آثاره المسند الكبير ، وتفسير القرآن . انظر: (معجم المؤلفين ٥ / ٦٦) .

(٥) انظر: فتح الباري ٦ / ٣١٥ ، والدر المنثور ٦ / ١٦ ، وقد أضاف ابن المنذر أيضاً .

(٦) تفسير الطبري ٢٥ / ٤٠ .

(٧) المصدر نفسه ٢٥ / ٤٠ .

(٨) المصدر نفسه ٢٥ / ٤٠ .



ابن إسحاق هو ابن عمرو، والذي في البخاري: ابن عبد كلال، وأن تعذر الجمع فما في الصحيح أصح، خصوصاً أن ابن إسحاق ذكر القصة مطولة بسند مرسل في أولها، ودون إسنادها في آخرها، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

---

(١) كما سبق فقد ذكر ابن إسحاق القصة عن محمد بن كعب القرظي (وهي التي فيها ذكر الثلاثة) أما آخر الرواية، فقد قال ابن إسحاق: فيما بلغني وانظر كلام ابن حجر أيضاً في الفتح ٦ / ٢١٥.

# الفصل الرابع : مقدمات الهجرة





## الفصل الرابع : مقدمات الهجرة

### بدئ إسلام الأنصار وبيعتنا العقبة :

كان عليه الصلاة والسلام - قبل هجرته إلى المدينة - يعرض نفسه على الوفود القادمة إلى مكة في المواسم، يدعوهم إلى الله ، ويبين لهم ما بعثه الله إليهم، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه، وكان وفد الأنصار أحد تلك الوفود.

وإذا كانت نصوص الصحيحين لم تفصل كل شيء عن تلك الوفود التي عرض النبي ﷺ نفسه عليها، فقد حفظنا لنا بعضاً من النصوص، وخاصة ما يتعلق منها بالأنصار رضي الله عنهم.

فقد عقد البخاري - رحمه الله - في «مناقب الأنصار» باباً في «وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة». وإذا كان البخاري لم يذكر - في هذا الباب - وفادة للأنصار قبل بيعتي العقبة، واكتفى بسوق عدة روايات في العقبتين - كما سيأتي بيانه - فلعله لم يثبت له شيء على شرطه بهذا الخصوص.

أما ابن إسحاق - رحمه الله - فقد ذكر عدة لقاءات مع الأنصار قبل بيعة العقبة الأولى، وأجملها فيما يلي، مشيراً إلى إسنادها:



## أولاً: اللقاء مع سويد بن الصامت<sup>(١)</sup>:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثم الظفري عن أشياخ من قومه، قالوا: قدم سويد بن الصامت مكة حاجاً أو معتمراً، فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: ففعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك؟» قال: مجلة لقمان، يعني حكمة لقمان، فقال له رسول الله ﷺ: «اعرضها علي»، فعرضها عليه، فقال له: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى علي، هو هدى ونور»، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إن هذا القول حسن، ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم، وكان قتله يوم بعث<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من رواية ابن إسحاق هذه أنها حسنة الإسناد، فابن إسحاق صرح

(١) هو ابن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وأمله ليلي بنت عمرو البخارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبدالمطلب بن هاشم، فسويد هذا ابن خالة عبدالمطلب جد رسول الله ﷺ. (انظر: السيرة لابن كثير ٢ / ١٧٣).

وهو - كما في خبر ابن إسحاق الذي اخصترته - الذي كان يسميه قومه بالكامل لجلده وشرفه ونسبه، ثم ذكر قصة منافرته مع أحد بني سليم وظفروه به (ابن هشام ٢ / ٣٤، ٣٥).

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ٢ / ٣٤. ويوم بعث سيأتي التعريف به حين نتحدث عن دخول الأنصار في الإسلام.





بالتحديث ، ثم هو رواه عن ثقة وهو عاصم بن عمر<sup>(١)</sup> ، أما الأشياخ الذين روى عنهم من قومه ، فلعله قصد بهم بعض الصحابة الذين ثبت روايته عنهم أمثال : جابر بن عبدالله ، ومحمود بن ليبيد<sup>(٢)</sup> وجدته رميثة<sup>(٣)</sup> ، وهنا لا تضر جهالة الصحابي كما أبان ذلك أصحاب الحديث<sup>(٤)</sup> .

(١) قال ابن معين ، وأبو زرعة ، والنسائي: ثقة ، وقال ابن سعد : كان راوية للعلم ، وله علم بالمغازي والسيرة ، أمره عمر بن عبدالعزيز أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة ففعل ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال البزار : ثقة مشهور ، وقال عبدالحق في الأحكام : هو ثقة عند أبي زرعة وابن معين ، وقد ضعفه غيرهما . وقد رد ذلك عليه ابن القطان ، وقال بيل هو ثقة عندهما وعند غيرهما ، ولا أعرف أحداً ضعفه ولا ذكره في الضعفاء ، قال الذهبي : وصدق ابن القطان ، توفي سنة ١٢٠ هـ ، وقيل: قبلها أو بعدها .

(انظر : الميزان ٢ / ٢٥٥ ، والتهذيب ٥ / ٥٣ ، ٥٤) .

(٢) محمود بن ليبيد بن عقبة بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل الأوسي الأنصاري الأشهلي ، مختلف في صحبته ، فقد ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين (الطبقات ٥ / ٧٧) ، وذكره مسلم في الطبقة الثانية من التابعين . وقال ابن حجر: روى عن النبي ﷺ أحاديث ، ولم تصح له رؤية ولا سماع منه . أما الذين ذكروا صحبته فمنهم البخاري حيث روى له عن النبي ﷺ ، وقال ابن عبد البر: قول البخاري أولى ، يعني في إثبات صحبته ، وكذا ذكره ابن حبان في الصحابة ، وقال الترمذي : رأى النبي ﷺ وهو غلام صغير ، وعلى كل حال فهو ثقة . (انظر: التهذيب ١٠ / ٦٥ ، ٦٦ ، وطبقات ابن سعد ٥ / ٧٧) .

(٣) انظر في من روى عنه (التهذيب ٥ / ٥٣) .

(٤) انظر مقدمة ابن الصلاح ص / ٢٦ ، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص / ٤٩ .

=



## ثانياً: اللقاء مع أبي الحيسر ومن معه:

قال ابن إسحاق: وحدثني الحصين بن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن لبيد قال: لما قدم أبو الحيسر أنس<sup>(١)</sup> بن رافع ومعه فتية من بني عبد الأشهل - فيهم إياس بن معاذ - يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع رسول الله ﷺ فأتاهم، فجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم في خير مما جئتم له؟» قال: فقالوا له: وما ذلك؟ قال: «إني رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل علي الكتاب» قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: فقال إياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - أي قوم! هذا والله خير مما جئتم له، قال: فيأخذ أبو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، قال: فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بعثت بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن أهلك، قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعون يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسحبه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين

=

وعلى كل حال - وفوق ما تقدم - فقد حسن سند هذه الرواية من الباحثين محقق زاد المعاد ٢ / ٥٤، وصاحب رسالة الهجرة ص / ٦٩.

(١) كذا في السيرة «أنس»، وفي أسد الغاية أيضاً، وفي جوامع السيرة لابن حزم «أنيس» وفيه زيادة: في مائة من قومه ص / ٦٩، وهو أنس بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل (أسد الغاية ١ / ١٤٧).



سمع من رسول الله ﷺ ما سمع<sup>(١)</sup>.

وهكذا تبدو هذه الرواية - هي الأخرى - حسنة الإسناد ، فابن إسحاق يصرح بالتحديث فينتقي عنه التدليس ، ورواتها: الحصين بن عبد الرحمن ، وهو ثقة<sup>(٢)</sup> ، ومحمود بن ليبيد ثقة أيضاً كما سبق.

وقد روى هذه القصة - غير ابن إسحاق - أحمد ، والطبراني ، ووثق رجالها الهيثمي ، فقال في مجمعه: ورجاله ثقات<sup>(٣)</sup> ، كما ذكر القصة ابن الأثير وعزاها إلى ابن منده ، وأبي نعيم<sup>(٤)</sup> ، وقال في موطن آخر: أخرجه الثلاثة<sup>(٥)</sup>. وقال ابن حجر عن رواية ابن إسحاق: رواه جماعة عن ابن إسحاق هكذا ، وهو من صحيح حديثه<sup>(٦)</sup> كما ذكر القصة الصالحي في سيرته مشيراً إلى جودة إسنادها<sup>(٧)</sup> وهكذا حسن إسنادها بعض الباحثين المحدثين<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٢ / ٣٦ ، ٢٧.

(٢) فقد ذكره ابن حبان في ثقات أتباع التابعين ، وقال الآجري: سألت أبا داود عنه ، فقال: حسن الحديث ، مات سنة ٢٦١ هـ. (التهذيب ٢ / ٢٨٠ ، ٣٨١). وقال الذهبي : لم يضعفه أحمد ، وهو صالح الأمر (الميزان ١ / ٥٥٢ ، ٥٥٣) وذكره البخاري في تاريخه الكبير (٨/٣).

(٣) ٢٦ / ٦.

(٤) أسد الغاية ١ / ١٤٧.

(٥) المصدر نفسه ١ / ١٨٦.

(٦) الإصابة ١ / ١٤٦. وقد ذكر أن ابن منده ساق الحديث من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق كما ساقه ابن هشام ، وقد نبه إليه ابن حجر . (انظر : الإصابة ١ / ٢١٦). وفيه أن أنس بن رافع قد أسلم ، وهو خلاف ما ذكره البكائي عن ابن إسحاق.

(٧) سبل الهدى والرشاد ٣ / ٢٦٢.

(٨) انظر: حاشية زاد المعاد لابن القيم ٣ / ٤٤.



### ثالثاً: اللقاء مع النفر الستة من الأنصار:

وهذا أهم لقاء العقبتين، وكان سبباً لما بعده من لقاءات، قال ابن إسحاق: فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز مواعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، قال: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فدعاهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا، قال ابن إسحاق: وهم - فيما ذكر لي - ستة نفر من



الخزرج منهم من بني النجار: أسعد بن زرارة<sup>(١)</sup> ، وعوف بن الحارث بن رفاعة<sup>(٢)</sup> ومن بني زريق بن عامر: رافع بن مالك بن العجلان<sup>(٣)</sup> ، ومن بني سلمة ابن سعد : قطبة بن عامر بن حديدة<sup>(٤)</sup> ، ومن بني حرام بن كعب : عقبة بن عامر ابن نابي<sup>(٥)</sup> ، ومن بني

(١) هو ابن عسد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، يكنى أبا أمامة، من أول الأنصار إسلاماً ، وذكر الواقدي في أول إسلامه غير ما ذكره ابن إسحاق، شهد العقبتين ، وكان نقيب بني النجار في الثانية، مات في السنة الأولى قبل بدر (انظر: أسد الغابة ١ / ٨٦ ، والإصابة ١ / ٥٠).

(٢) ابن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، وهو ابن عفراء، ويسمى أحياناً بها، واختلف في اسمه، فمنهم من يسميه عوفاً ، ومنهم من يسميه عوداً ، والأول أكثر ، قيل: إنه أحد الستة ليلة العقبة، وقيل: شهد العقبتين ، قتل هو وأخوه معو شهيدين في بدر (الاستيعاب النسخة الملحقة بالإصابة ٩ / ٥٣ ، وأسد الغابة ٤ / ٣٠٨ ، ٣١٠ ، والإصابة ١٧٧/٧).

(٣) نقيب ، عقبي، بدري ، وقال ابن إسحاق: كان أول من قدم المدينة بسورة يوسف، اختلفت الرواية عن ابن إسحاق في شهوده بدرأً بين رواية البكائي وسلمة ، وابن بكير (أسد الغابة ٢ / ١٩٨ ، والإصابة ٣ / ٢٤٣).

(٤) يكنى أبا زيد، شهد العقبة الأولى والثانية، وبدرأً وأحدأً والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكانت معه راية بني سلمة يوم الفتح، جرح تسع جراحات في أحد، ورمى يوم بدر حجراً بين الصفين، وقال: لا أفر حتى يفر هذا الحجر، وتوفي في خلافة عمر، وقيل: عثمان. (أسد الغابة ٤ / ٤٠٦ ، والإصابة ٨ / ١٦٣).

(٥) الأنصاري ، خزرجي سلمى ، شهد بدرأً - بعد شهوده العقبة الأولى - ثم شهد أحدأً ، فأعلم بعصابة خضراء في مغفرة، وشهد الخندق وسائر المشاهد ، وقتل يوم اليمامة شهيداً ، واختلف على بعضهم مع عقبة بن عامر الجهني وهو غيره (الاستيعاب ٢ / ١٠٨ ، أسد الغابة ٤ / ٥٤ ، والإصابة ٧ / ٢٣).



عبيد بن عدي: جابر بن عبد الله بن رثاب<sup>(١)</sup>. فلما قدموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى<sup>(٢)</sup>. (وسياتي بيان ذلك بمشيئة الله).

أما سند هذه الرواية ، فهو السند نفسه الذي سبق الحديث عنه في الرواية الأولى ، وإذا كنا قد انتهينا هناك إلى تحسينه ، فهو كذلك هنا.

على أن الهيثمي ذكر رواية ابن إسحاق هذه ، وعزاها إلى الطبراني مشيراً

---

(١) ابن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن عن بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ، يجتمع هو وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام في غنم بن كعب ، شهد بدرًا ، وأحدًا ، والخندق ، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ (الاستيعاب ٢ / ١٠٨ ، حاشية الإصابة ، وأسد الغابة ١ / ٣٠٦ ، والإصابة ٢ / ٤٤).

هكذا ذكر ابن إسحاق أن هؤلاء النضر الذين التقى بهم النبي ﷺ من الأنصار كانوا ستة نفر ، وهكذا روى عن الشعبي والزهري وغيرهما ، وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهري وعروة ابن الزبير أنهم كانوا ثمانية وهم: معاذ بن عفرأ ، وأسعد بن زرارة ، ورافع بن مالك ، وذكوان بن عبد قيس ، وعبادة بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن ساعدة ، فأسلموا وواعدوه إلى قابل (دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٤٣٠ ، ٤٣٣ ، والسيرة لابن كثير ٢ / ١٧٧).

ونقل ابن سعد عن الواقدي كلا القولين ثم انتهى إلى ترجيح ما ذكره ابن إسحاق ، حيث قال : قال محمد بن عمر: هذا عندنا أثبت ما سمعنا فيهم ، وهو المجتمع عليه. (طبقات ابن سعد ١ / ٢١٩).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢ / ٣٧ - ٣٩.



إلى قوة رجال إسنادها حين قال: رواه الطبراني ورجاله ثقات<sup>(١)</sup>.

### من أسباب إسلام الأنصار:

وبعد هذا العرض لبدايات إسلام الأنصار، رأيت الوقوف قليلاً عند أسباب إسلامهم، فمما لا شك فيه أن الله تعالى أراد الخير لهؤلاء الأنصار حينما هداهم لهذا الدين، ووقفهم للقاء بهذا النبي الكريم، ولا راد لفضله ولا معقب لحكمه، وإذا كنا هنا بصدد البحث عن أهم الأسباب - بعد إرادة الله - التي كانت عوناً لهم ودافعاً على الدخول في الإسلام، فسنكتفي منها بذكر ما جاء في الصحيحين، وعند ابن إسحاق - تلميحاً أو تصريحاً - وهذا لا يعني الحصر لها، أو إغفال غيرها، مما يمكن أن يعد سبباً مباشراً أو غير مباشر لقبولهم دين الإسلام.

فالإمام البخاري - عليه رحمة الله - ينفرد بذكر سبب مهم هياً مجتمع الأنصار لقبول الدين الحق وهو وقعة بعث<sup>(٢)</sup>، وهو الذي قالت عنه أم المؤمنين

(١) مجمع الزوائد ٦ / ٤٢

(٢) بعث: بضم الموحدة - وحكى القزاز فتحها - وبتخفيف العين المهملة، وذكر عن الخليل

إعجامها - قال ابن الأثير: وهو تصحيف (النهاية ١ / ١٣٩، والفتح ٧ / ١١١).

وبعث: مكان، ويقال: حصن، ويقال: مزرعة عند بني قريظة على ميلين من المدينة، كانت له وقعة بين الأوس والخزرج، قتل فيه كثير منهم، وكان رئيس الأوس فيه حضير - والد أسيد بن حضير - وبه قتل، ورئيس الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضي فقتل بها أيضاً، وكان النصر فيها أولاً للخزرج، ثم هزم حضير، فرجعوا وانتصرت الأوس، وكان السبب في قتالهم أنه كان من قاعدتهم أن الأصيل لا يقتل بالحليف، فقتل رجل من الأوس حليفاً للخزرج، فأرادوا أن يقيدوه، فامتنعوا فوقعت بينهما الحرب لأجل ذلك، فقتل فيها من أكابره من كان لا يؤمن أن يتكبروا بأنف



عائشة - رضي الله عنها - : «كان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ ، فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملائهم»<sup>(١)</sup> ، وقتلت سرواتهم ، وجرحوا ، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام»<sup>(٢)</sup> .

وهكذا يتضح الأمر ، فيوم بعث كان سبباً في تفرق ملائهم - وفي هذه الحال يكونون أحوج ما يكونون إلى من يلم شعثهم - وقتل زعمائهم وذوي الشرف والكبرياء فيهم ، ممن كان لا يؤمن تكبرهم ورفضهم للحق ، أنفة أن يدخلوا تحت حكم غيرهم ، وقد حصل لمن بقي منهم أمثال عبد الله بن أبي زعيم المنافقين.

أما زمن هذا اليوم ، فقد اختلف الروايات في تحديد ، فقيل : كان قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل : بأربع<sup>(٣)</sup> ، وقيل : بأكثر ، قال الحافظ ابن حجر :

---

أن يدخل في الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره وقد كان بقي منهم من هذا النحو عبد الله بن أبي بن سلول. (انظر الفتح ٧ / ١١١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ / ٢٦٥ ، ٢٦٦). وللمزيد يرجع إلى أبي الفرج الأصفهاني في أغانيه ، فقد أورد أخباراً عن يوم بعث في الفصل الذي عقده عن نسب أبي قيس بن أسلت. وكذلك السهمودي في وفاء الوفاء ١ / ١٥٢ ، ١٥٦) و (في الفصل السادس فيما كان بين الأوس والخزرج من حرب بعث) ، (ولخص أخبار هذه الحرب ابن الأثير في الكامل ١ / ٦٨ - ٦٨٤).

(١) أي خيارهم وشرفائهم ، والزعماء فيهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم . (انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٣٦٣ ، ٤ / ٣٥١).

(٢) البخاري ٤ / ٢٢١ : كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب الأنصار ، وفي باب القسامة في الجاهلية ٤ / ٢٣٧ ، وفي باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ٤ / ٢٦٥ .

(٣) وقع عند الصالح في سيرته سبل الهدى والرشاد ٢ / ٢٦٦ أربعين بدل أربع وهو خطأ -





والأول أصح<sup>(١)</sup>. وذكر ابن سعد ما يدل على وقوعه بعد المبعث بعشر سنين<sup>(٢)</sup>.

ولابد من التبييه هنا إلى أن ابن إسحاق جاء على ذكر بعثات ، لكن ذكره ليس على أنه سبب في دخول الأنصار الإسلام ، وإنما ذكره في معرض حديثه عن عداوة اليهود للأنصار بعد إسلامهم ، ومحاولتهم الوقية بينهم بتذكيرهم بأيام الجاهلية بينهم ، كيوم بعث<sup>(٣)</sup>.

أما السبب الذي ذكره ابن إسحاق ، وكان له أثر في دخول الأنصار في الإسلام ، فهو ما كان يسمعه الأنصار من اليهود في المدينة - وكانوا أهل كتاب وعلم - عن اقتراب زمان نبي يبعث ، وفي زمن هذا يقول ابن إسحاق: «وكان مما صنع الله به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبياً مبعوث الآن قد أظل

---

فقد نقل ذلك عن ابن حجر ومضى قول ابن حجر - وسار هذا الخطأ حتى على مقحقي الكتاب فلم ينتبهوا له ، وكذلك وقع عند العيني (عمدة القارئ ١٦ / ٢٥٤) ، والزرقاني (شرح المواهب ١ / ٣١٢).

(١) الفتح ٧ / ١١١.

(٢) فقال في حديثه عن لقاء الستة أو الثمانية من الأنصار: وإنما كانت وقعة بعثات عام الأول. (الطبقات ١ / ٢١٩) وهذا الفهم ذكره ابن حجر في الفتح (٧ / ٢٦٥).

(٣) انظر: السيرة لابن هشام ٢ / ١٨٣. ومع هذا نقول: إن رواية ابن إسحاق التي ساقها ابن هشام ذكر فيها ما بين الأوس والخزرج من العداوة ومقالة النضر الستة للنبي ﷺ «إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك...» لكن ذلك كله ليس بشكل صريح ، كما في رواية البخاري.



زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم ، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليهم<sup>(١)</sup>.

### بيعة العقبة الأولى:

روى الشيخان في صحيحيهما عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - وكان شهد بدرًا ومن أصحابه ﷺ ليلة العقبة أن رسول الله ﷺ قال - وحوله عصابة<sup>(٢)</sup> من أصحابه ، وكانوا في مجلس - : «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله<sup>(٣)</sup> فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » . قال : فبايعناه على ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن هشام: ٢٨ / ٢ ، وقد سبق بيان سنده.

(٢) وفي بعض الروايات: وفي رهط ، والمعنى متقارب ، وسنأتي بإذن الله على دلالة هذه الألفاظ على بيعة العقبة الأولى.

(٣) وفي بعض الروايات زيادة: ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له.

(٤) انظر : صحيح البخاري ١٠ / ١ : كتاب الإيمان ، باب ١١ ، وفي مناقب الأنصار ٤ / ٢٥١ : باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة ، وفي التفسير ٦ / ٦١ : باب إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك (سورة الممتحنة) ، وفي الحدود ٨ / ١٥ ، باب الحدود والكفار ، وفي باب توبة السارق ٨ / ١٨ ، وفي الديات ٨ / ٢٧ : باب قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ وفي الأحكام ٨ / ١٢٥ : باب بيعة النساء ، وفي التوحيد ٨ / ١٩١ : باب في المشيئة والإرادة ، وفي صحيح مسلم ٢ / ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، في كتاب الحدود ، باب الحدود كفارات لأهلها.



وفي بعض الروايات زيادة: ولا ننتهب<sup>(١)</sup>.

وقريب من سياق الصحيحين روى ابن إسحاق قصة العقبة الأولى، فقال: وحدثني يزيد<sup>(٢)</sup> بن أبي حبيب، عن أبي مرثد<sup>(٣)</sup>، بن عبد الله اليزني، عن عبد الرحمن<sup>(٤)</sup> بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى. وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب: على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف. فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل، إن شاء غفر وإن شاء عذب<sup>(٥)</sup>.

وهكذا يبدو سند هذه الرواية قوياً، فرجاله ثقات، ما عدا ابن إسحاق، وقد صرح بالتحديث، بل إن البخاري ومسلم أخرجا إحدى روايات بيعة العقبة بهذا السند، فقالا: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن الصنابحي عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - ثم ساقا

(١) وسيأتي تأويل المقصود بها.

(٢) يزيد بن حبيب - واسمه سويد الأذي - مولاهم أبو رجاء المصري، ثقة، فقيه، توفي سنة ١٢٨هـ (التهذيب ١١ / ٣١٨، والتقريب ٢ / ٣٦٢).

(٣) هكذا ورد في سيرة ابن هشام (أبي مرثد)، والصحيح أنه أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني، وهو كذلك في سند البخاري، ولعلها سقطت من السيرة لفظة «أخير»، تابعي ثقة، وله فضل وعبادة، وتوفي سنة ٩٠هـ. (التهذيب ١٠ / ٨٢، ٦ / ٢٢٩).

(٤) هو: المرادي، أبو عبد الله، رحل إلى النبي ﷺ فوجده قد مات قبله بخمس ليال أو ست، ثم نزل الشام، وهو ثقة، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان. (التهذيب ٦ / ٢٢٩).

(٥) انظر: السيرة لابن هشام ٢ / ٤١.



الحديث<sup>(١)</sup>.

ثم قال ابن إسحاق وذكر لي ابن شهاب الزهري<sup>(٢)</sup>، عن عائذ الله بن عبد الله الخولاني أبي إدريس<sup>(٣)</sup> أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر...<sup>(٤)</sup>.

وهذه الرواية هي الأخرى إسنادها قوي، وقد أخرج الشيخان: بهذا السند نفسه معظم أحداث بيعة العقبة الأولى كما سبق<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري ٤ / ٢٥١: في مناقب الأنصار، وفي الدييات ٨ / ٣٧ (وقد سبقت)، ومسلم ١٣٣٤ / ١.

(٢) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله... الزهري، وأبو بكر المدني، فقيه حافظ، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام، كان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية، فقيهاً جامعاً، توفي سنة ١٢٤هـ، أو ونحوها. (التهذيب ٩ / ٤٤٥).

(٣) هو عائذ الله بن عبد الله بن عمرو، ويقال عبد الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة بن غيلان أبو إدريس الخولاني العوزي، تابعي ثقة، مات سنة ٨٠هـ. (التهذيب ٥ / ٨٥).

(٤) السيرة لابن هشام ٢ / ٤٢.

(٥) انظر: البخاري ١ / ١٠: في الإيمان ٤ / ٢٥١، (الرواية الأولى في مناقب الأنصار) ٦ / ٦١، في التفسير ٨ / ١٥، ١٨، في الحدود ٨ / ١٢٥، في الأحكام ٨ / ١٩١، في التوحيد، ومسلم ٣ / ١٣٣٣، (وقد سبقت جميعها).



وهكذا تتفق رواية ابن إسحاق مع رواية الصحيحين في بيعة العقبة الأولى، وتكون رواية ابن إسحاق موضحة لبعض ما أجملته رواية الصحيحين، فتحدد عدد المبايعين بأثنى عشر رجلاً، وتصرح بأن المقصود بهذه البيعة بيعة العقبة الأولى.

وخالف الحافظ ابن حجر في هذا فقال: «... والمبايعة المذكورة في حديث عبادة على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة، وإنما كان ليلة العقبة ما ذكره ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي أن النبي ﷺ قال لمن حضر من الأنصار: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم» فبايعوه على ذلك، وعلى أن يرحل إليهم هو وأصحابه. وسيأتي في هذا الكتاب - في كتاب الفتن وغيره - من حديث عبادة أيضاً قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره... الحديث. وقد وضع أن هذا هو الذي وقع في البيعة الأولى، ثم صدرت مبايعات التي في حديث الباب في الزجر عن الفواحش المذكورة...»<sup>(١)</sup>.

ثم أخذ يذكر الأدلة التي تقوي ما ذهب إليه، فقال: والذي يقوي أنها وقعت بعد فتح مكة بعد أن نزلت الآية في الممتحنة، وهي قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ ونزول هذه الآية متأخر بعد قصة الحديبية بلا خلاف والدليل على ذلك ما عند البخاري في الحدود من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري في حديث عبادة هذا أن النبي ﷺ لما بايعهم قرأ الآية كلها، وعنده في تفسير الممتحنة - من هذا الوجه - قال: اقرأ آية النساء. ولمسلم من طريق معمر

(١) الفتح ١ / ٦٦.



عن الزهري قال: فتلا علينا آية النساء، قال: أن لا يشركن بالله شيئاً، إلى أن قال: فهذه أدلة ظاهرة في أن هذه البيعة إنما صدرت بعد نزول الآية، بل بعد صدور البيعة، بل بعد فتح مكة، ثم قال:

ومما يقوي هذا الأمر - وذكر بيعتين - على وفق بيعة النساء - حضر الأولى منهما عبدالله بن عمرو، وهو ليس من الأنصار ولا ممن حضر بيعتهم، وإنما كان إسلامه قرب إسلام أبي هريرة، وحضر الأخرى: جرير بن عبدالله، وإسلام جرير متأخر عن إسلام أبي هريرة.

قال: إنما حصل الالتباس من جهة أن عبادة حضر البيعتين معاً، وكانت بيعة العقبة من أجل ما يمتدح به، كان يذكرها إذا حدث تنويهاً بسابقتها، فلما ذكر هذه البيعة التي صدرت على مثل بيعة النساء عقب ذلك توهم من لم يقف على حقيقة الحال أن البيعة الأولى وقعت على ذلك... إلى أن يقول: والراجح أن التصريح بذلك - أي بأن البيعة الأولى ليلة العقبة كانت على بيعة النساء - وهم من بعض الرواة<sup>(١)</sup>.

ونقل رأي ابن حجر هذا الزرقاني، وكأنه مال إليه<sup>(٢)</sup>.

وخالفهما في ذلك طائفة من العلماء وأصحاب السير، ورأوا أن حديث عبادة في الصحيحين صريح في دلالاته على بيعة العقبة الأولى، ومن هؤلاء البيهقي<sup>(٣)</sup>، والقاضي عياض<sup>(٤)</sup>، وابن سيد الناس<sup>(٥)</sup>،

(١) انظر: فتح الباري ١/ ٦٦، ٦٧، ١٢/ ١٩٧.

(٢) شرح المواهب ١/ ٣١٤، ٣١٥.

(٣) انظر: دلائل النبوة ٢/ ٤٣٧.

(٤) انظر: الفتح ١/ ٦٦.

(٥) عيون الأثر ١/ ١٥٧، ١٥٨، لكنه ذكر حديث عبادة في العقبة الثانية على منهج من



وابن كثير<sup>(١)</sup>، والذهبي<sup>(٢)</sup> والعيني، وقد أطلال في ذلك، وأتى على جملة ما ذكره ابن حجر ثم أجاب عنه<sup>(٣)</sup> وانتهى في الأخير إلى ترجيح ما ذكره جماعة من الأئمة الأجلاء في كون حديث عبادة صريح في كونه بمكة ليلة العقبة الأولى، ثم قال: ونقيم بصحة ما قالوا دلائل، منها:

أنه ذكر في هذا الحديث «وحوله عصابة» وفسروا أن العصابة هم النقباء الاثنا عشر، ولم يكن غيرهم هناك، والدليل على صحة هذا ما في رواية النسائي<sup>(٤)</sup> في حديث عبادة هذا، قال: «بايعت رسول الله ﷺ ليلة العقبة في رهط» الحديث، وقد قال أهل اللغة: إن الرهط ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة، قال ابن دريد: وربما جاوز ذلك قليلاً، قاله في العباب، والقليل ضد الكثير، وأقل الكثير ثلاثة، وأكثر القليل اثنان، فإذا أضفنا الاثني إلى التسعة (الرهط) يكون أحد عشر، وكان المراد من الرهط هنا أحد عشر نقيباً، ومع عبادة يكونون اثني عشر نقيباً، فإذا ثبت هذا، فقد دل قطعاً أن هذه المبايعة كانت بمكة ليلة العقبة الأولى، لأن البيعة التي وقعت بعد فتح مكة - على زعم هذا القائل<sup>(٥)</sup> - كان فيها الرجال والنساء وكانوا بعدد كثير.

يسمى بيعة العقبة الأولى (النساء) بالعقبة الثانية كما سيأتي بيانه.

(١) السيرة النبوية ٢ / ١٧٩، ١٨٠.

(٢) السيرة ص / ١٩٥.

(٣) انظر: عمدة القارئ ١ / ١٥٧، ١٥٨.

(٤) بل ورد لفظ الرهط في بعض روايات البخاري كما في الحدود ٨ / ١٨١٥، والتوحيد ٨ / ١٩١.

(٥) أظنه يقصد بذلك ابن حجر.



والثاني: أن قوله ليلة العقبة دليل على أن هذه البيعة كانت هي الأولى ، لأنه لم يذكر في بقية الأحاديث ليلة العقبة ، وإنما ذكر في حديث الطبراني يوم فتح مكة ، ولا يلزم من كون البيعة يوم فتح مكة أن تكون البيعة المذكورة هي إياها ، غاية الأمر أن عبادة قد أخبر أنه وقعت بيعة أخرى يوم فتح مكة وكان هو فيمن بايعوه عليه السلام.

والثالث: أن ما وقع في الصحيحين من طريق الصنابحي عن عبادة -رضي الله عنه- قال: إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ، وقال: بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً... الحديث يدل على أن المبايعة المذكورة في الحديث المذكور كانت ليلة العقبة ، وذلك لأنه أخبر فيه أنه كان من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، وأخبر أنهم بايعوه ، ولم يثبت لنا أن أحداً بايعه عليه السلام قبلهم ، فدل على أن بيعتهم أول المبايعات ، وأن الحديث المذكور كان ليلة العقبة<sup>(١)</sup>.

أقول: وأضيف إلى ما ذكره العيني من الأدلة على كون المقصود بحديث عبادة بيعة العقبة الأولى ما يلي:

أولاً: أن إطلاق بيعة النساء على بيعة العقبة الأولى لم ينفرد بذكره ابن إسحاق ، بل ذكره ابن سعد ، وقال: ليس فيه عندنا خلاف<sup>(٢)</sup> ، وذكره ابن حزم في جوامع السيرة<sup>(٣)</sup> ، بل إن البخاري وضع إحدى روايات حديث عبادة تحت باب «بيعة

(١) انظر: عمدة القارئ / ١ / ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) انظر: الطبقات / ١ / ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٣) ص / ٧١ ، ٧٢ .





النساء» كما سبق ، هذا فضلاً عن ثناء العلماء على سياق ابن إسحاق عن شيوخه عن اللقاء مع الأنصار وكون سياقه أتم من غيره<sup>(١)</sup> .

ثانياً: يظهر أن ابن حجر خلط بين بيعتي العقبة الأولى والثانية، بدليل أنه ذكر أحاديث العقبة الثانية عند ابن إسحاق في معرض الحديث عن العقبة الأولى، مشيراً إلى هذه هي التي تدل على بيعة العقبة الأولى وليس حديث عبادة<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٤٣٣ .

(٢) ليس الأمر مقصوداً على ابن حجر، فهناك اختلاف بين أهل السير في تسمية العقبات، فمنهم من عدّها اثنتين، ومنهم من عدّها ثلاثاً، ومنهم من يذكر العقبة الأولى، ومنهم من لا يذكرها وإليك البيان:

فابن إسحاق ومن وافقه (كابن سعد، والطبري، وابن حزم، وابن كثير... وغيرهم) لا يعدون أول لقاء مع الستة (أو الثمانية) من الأنصار من البيعات، بل يعتبرونه بدء إسلام الأنصار، ويسميه بعضهم باللقاء الأول.

ويسمون بيعة العقبة الأولى ببيعة النساء، أما بيعة السبعين، فيسمونها بالعقبة الثانية، وهذا هو المشهور.

وهناك من يسمي أول لقاء مع الأنصار بالعقبة الأولى، وبيعة النساء بالعقبة الثانية، وبيعة السبعين بالعقبة الثالثة، أمثال ابن عبد البر، وابن سيد الناس، والصالح، وهناك من لا تتضح لك الصورة عنده في تسمية العقبات، وتحس بشيء من الاضطراب أو التداخل عنده، أمثال: ابن الأثير في أسد الغابة ١ / ٨٧، ٣٠٧، وابن القيم في زاد المعاد ٣ / ٤٦، ٤٨، وابن حجر في الفتح ١ / ٦٦ .

أما الذين لم يذكروا بيعة العقبة الأولى: فعروة بن الزبير كما في رواية أبي الأسود عنه (مغازي عروة ص / ١٢١ وما بعدها).

ابن شهاب في رواية موسى بن عقبة عنه كما ذكرها البيهقي وعلق عليها بقوله: هكذا ذكر موسى ابن عقبة عن ابن شهاب قصة الأنصار في الخرجة الأولى، وذكرها ابن



ثالثاً: ومما يؤكد توافق رواية الصحيحين وابن إسحاق في بيعة العقبة الأولى ما سبق أن بينته في توافق رجال إسنادهما ، أما ألفاظهما ففيها شبه وتقارب ، وإذا كانت رواية الصحيحين لم تصرح بذكر العقبة الأولى ، ولم تشر إلى عدد المبايعين ، فرواية ابن إسحاق - وهو الإمام في المغازي - تكشف هذا وتوضحه ، وهكذا تكمل الروايات بعضها بعضاً ، ويكشف بعضها ما أجمله بعضها الآخر.

رابعاً: ووضع البخاري حديث عبادة في مناقب الأنصار، وفي وفودهم إلى مكة ، وبيعة العقبة الأولى، كل هذه - لاشك - قرائن قوية تشير إلى أن قصده بهذا الحديث بيعة العقبة الأولى ليس غير.

خامساً: وفوق ما تقدم ، فقد وجدت ابن حجر - في موضع آخر - يكاد يرجع عن قوله ويضع دلالة حديث عبادة على العقبة الأولى موضع الاحتمال فيقول: «ثم رأيت ابن إسحاق جزم بأن بيعة العقبة وقعت بما صدر في الرواية الثانية التي في هذا الباب ، فقال: «حدثني يزيد بن أبي حبيب» فذكر بسند الباب عن عبادة قال: كنت في من حضر العقبة الأولى، فكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، أي على وفق بيعة النساء التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة ، وهذا محتمل...»<sup>(١)</sup>.

---

إسحاق عن شيوخه أتم من ذكره (دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٤٢٣).

وكان عبد الله بن أبي بكر يقول - فيما يروى عنه - لا أدري ما العقبة الأولى؟ ثم يقول ابن إسحاق: بلى لعمرى قد كانت عقبة وعقبة . (انظر: السيرة لابن كثير ٢ / ١٨٠).

(١) انظر: الفتح ٧ / ٢٢٢.



أما الاعتراض على هذه البيعة بكون آية النساء وهي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup> ... الآية، نزلت فيها، وهذه الآية نزلت متأخرة - بعد قصة الحديبية بلا خلاف - كما ذكره ابن حجر<sup>(٢)</sup>، فقد أجيب عن ذلك بأن المقصود: على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة، وليس عجباً، فإن القرآن نزل بموافقة: عمر بن الخطاب في غير موطن<sup>(٣)</sup>. ويحتمل أن عبادة لما حضر البيعات مع النبي ﷺ وسمع منه قراءة الآيات المذكورة في البيعات التي وقعت بعد الحديبية أو بعد فتح مكة ذكرها في حديثه، بخلاف حديث البيعة الأولى، فإنه ليس فيه قراءة شيء من الآيات، ذكره العيني<sup>(٤)</sup>.

وأظهر من ذلك - كما قال ابن كثير - أن يقال: أن البيعة وقعت عن وحي غير متلو<sup>(٥)</sup>.

أما من تمسك بما ورد في بعض روايات البيعة من قوله: «ولا تنتهب» كدليل على تأخر هذه البيعة، لأن الجهاد لم يفرض عند بيعة العقبة الأولى، والمراد بالانتهاج ما يقع بعد القتال في الغنائم<sup>(٦)</sup>، فلا متمسك له، لأن الانتهاج أعم من

(١) سورة الممتحنة، آية / ١٢.

(٢) الفتح ١ / ٦٦، ١٢ / ١٩٧.

(٣) السيرة لابن كثير ٢ / ١٨٠، وانظر: الفتح ٧ / ٢٢٢.

(٤) عمدة القارئ ١ / ١٥٩.

(٥) السيرة ٢ / ١٨٠.

(٦) الفتح ١ / ٦٨.



أن يكون في المغنم وغيرها ، وتخصيصه بالمغنم تحكم ، ومخالف للغة<sup>(١)</sup> .

### بيعة العقبة الثانية :

أخرج البخاري ومسلم بنسديهما عن عبادة بن وليد ، قال : أخبرني أبي عن عبادة بن الصامت ، قال :

بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى آثرة علينا ، وعلى أن لا ينازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم<sup>(٢)</sup> .

وأخرجاه بسند آخر عن جنادة بن أبي أمية ، قال : دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض ، فقلنا : حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به ، سمعته من رسول الله ﷺ ، فقال : دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله . قال : «إلا إن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»<sup>(٣)</sup> .

وهكذا أخرج الشيخان بيعة العقبة الثانية ، وحددا بنودها ، وهي كما

(١) عمدة القارئ ١ / ١٥٩ .

(٢) البخاري ٨ / ١٢٢ : كتاب الأحكام ، باب كيف يبايع الإمام الناس ، ومسلم (واللفظ له) ٣ / ١٤٧٠ : كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية .

(٣) البخاري ٨ / ٨٨ : كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ : «سترون بعدي أموراً تتكرونها» ، ومسلم ٣ / ١٤٧٠ (كما سبق) .



نرى - تختلف عن بنود بيعة العقبة الأولى - كما سبق - فهناك كانت البيعة على عدم الإشراف بالله، وعدم السرقة، والزنا، والقتل.. ونحوها، ولهذا سميت بيعة النساء، أي على وفق مبايعة النساء .

أما هنا ، فالبيعة على السمع والطاعة في المنشط والمكروه والعسر واليسر، وفي حال الغنى أو الأثرة - أو هي باختصار - وكما ستوضحه رواية ابن إسحاق بيعة على الحرب والنصرة.

فإذا ما عدنا إلى ابن إسحاق وجدنا عنده في بيعة العقبة الثانية أكثر من رواية يكاد يتفق بعضها مع روايات الصحيحين سناً وممتناً ويختلف بعضها الآخر بما تضيفه من أحداث، وتكشف من تفصيلات الحادثة، على عادة أهل السير في تتبع الحادثة وذكر جزئياتها.

قال ابن إسحاق: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة<sup>(١)</sup>، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، حين أراد بهم ما أراد من كرامته والنصر لنيبه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله<sup>(٢)</sup>.

ثم بدأ يسوق الروايات ، وسأذكرها مع الوقفة عند أسانيد ليتبين الصحيح منها وما هو دون ذلك، كما سيتضح من خلال العرض أقربها إلى رواية الصحيحين ، والزيادات المهمة في الروايات الصحيحة الأخرى.

(١) ذكر ابن إسحاق في العقبة الأولى أن أصحاب العقبة حين انصرفوا عنه بعث معهم مصعب بن عمير ، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين . (ابن هشام ٢ / ٤٢).

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ٢ / ٤٧.



ولنبداً بأقربها إلى رواية الصحيحين:

قال ابن إسحاق: فحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد عن جدة عبادة بن الصامت - وكان أحد النقباء - قال: بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب - وكان عبادة من الاثني عشر الذين بايعوا في العقبة الاولى على بيعة النساء - على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم<sup>(١)</sup>.

فهذه الرواية رجال إسنادها ثقات<sup>(٢)</sup>، ما عدا ابن إسحاق، وقد صرح بالتحديث، والقرب من متنها من رواية الصحيحين ظاهر.

وننتقل بعد هذا إلى رواية أخرى - عند ابن إسحاق - أكثر تفصيلاً للحادثة:

قال ابن إسحاق: وحدثني معبد بن كعب<sup>(٣)</sup> بن مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة أن أخاه عبد الله بن كعب<sup>(٤)</sup> وكان من أعلم الأنصار، حدثه أن

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٦٣ / ٢، وقد أخرجها أحمد في مسنده بهذا الإسناد ٣١٦ / ٥.

(ط. دار صادر، المكتب الإسلامي).

(٢) عبادة بن الوليد ثقة (التهذيب ٥ / ٢٤١)، الوليد بن عبادة ثقة أيضاً: (التهذيب ١١ / ١٣٧). وعبادة صحابي معروف رضي الله عنه.

(٣) معبد بن كعب... كان أصغر إخوانه، ذكره ابن حبان في الثقات، له في صحيح البخاري حديث واحد (الثقات ٥ / ٤٣٢، والتهذيب ١٠ / ٢٢٤).

(٤) عبد الله بن كعب، تابعي، ثقة، توفي سنة ٩٨هـ، كان قائد أبيه كعب حين عمي. (التهذيب ٥ / ٣٦٩).



أباه كعباً<sup>(١)</sup> حدثه ، وكان كعب ممن شهد العقبة وباع رسول الله ﷺ بها ، قال :  
خرجنا في حجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا البراء بن معرور  
سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا للسفر وخرجنا من المدينة قال البراء لنا : يا هؤلاء ،  
إني قد رأيت رأياً والله ما أدري أتوافقنني عليه أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال :  
قد رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظهر ، يعني الكعبة ، وأن أصلي إليها ، وقال :  
فقلنا : والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه ، قال :  
إني لمصل إليها ، قال : فقلنا له : لكننا لا نفعل ، قال : فكنا إذا حضرت الصلاة  
صلينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة ، قال : وقد كنا عبنا  
عليه ما صنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك .

فلما قدمنا إلى مكة قال لي : يا بن أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى  
نسأله عما صنعت في سفري هذا ، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت  
من خلافكم إياي فيه ، قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ وكنا لا نعرفه ،  
ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجل من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال :  
هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ، قال : فهل تعرفان العباس بن عبدالمطلب عمه ؟ قال : قلنا  
نعم ، قال : وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً ، قال : فإذا  
دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس .

قال : فدخلنا المسجد ، فإذا العباس رضي الله عنه جالس ورسول الله ﷺ  
جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله ﷺ للعباس : «هل تعرف هذين  
الرجلين يا أبا الفضل؟» قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب

(١) هو : الصحابي كعب بن مالك رضي الله عنه .



بن مالك، قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: «الشاعر»؟ قال: نعم، فقال البراء بن معرور: يا نبي الله، إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت ألا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، ماذا ترى يا رسول الله؟ قال: «قد كنت على قبة لو صبرت عليها»<sup>(١)</sup>. قال: فرجع البراء إلى قبة رسول الله ﷺ، وصلى معنا إلى الشام، قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا:، نحن أعلم به منهم.

قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو<sup>(٢)</sup> بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلّمناه وقلنا له: يا أبا جابر: إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا

---

(١) قال السهيلي: فقه قوله: «لو صبرت عليها» أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلى، لأنه كان متأولاً، وفي الحديث دليل على أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس، وهو قول ابن عباس، وقالت طائفة: ما صلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً... الروض الأنف ٤ / ١١٢، وانظر تعليق محمد خليل هراس في السيرة على هذا الحديث ورد صاحب رسالة الهجرة عليه ص ٧٨/.

(٢) أنصاري، خزرجي، كان أحد النقباء في العقبة، وشهد بدرًا وأحدًا وبها استشهد ودفن هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد، وروى مالك في موطئه قصة حفر قبريهما بسبب السيل فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس... إلخ القصة. (انظر: الإصابة ٦ / ١٧٤، ١٧٥).





نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعونا إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً، قال فتمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب<sup>(١)</sup>، أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي<sup>(٢)</sup> إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع، قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذ على دين قومه<sup>(٣)</sup> إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، فلما

(١) أنصارية، مازنية، تزوجها زيد بن عاصم المازني، وبعده غزية بن عمر المازني، شهدت بيعة الرضوان أيضاً، واليامة وشاركت ابنها عبدالله في قتل مسلمة، فقطعت يدها، وجرحت، وهي مشهورة بالشجاعة، ماتت نحو سن ١٣هـ (الروض الأنف ٤ / ١١٨، والإصابة ١٣ / ١٥١ والأعلام ٨ / ٣٣٤).

(٢) أنصارية، سلمية، أم معاذ بن جبل، وفي التجريد، قيل: هي أسماء بنت عدي بن عمرو، وكنيتها «أم منيع».

(٣) هذا هو المشهور من كون العباس في تلك الفترة كان مشركاً، والمسألة محل نظر، فابن سعد ذكره في الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهد بدرأ، ولهم إسلام قديم، ثم ذكر عدة روايات تفيد إسلامه قبل الهجرة... (انظر: الطبقات ٤ / ٥ - ٣٤) لكن الذهبي تتبعه في معظم هذه الروايات - المفيدة لتقديم إسلام العباس - مشيراً إلى ضعفها (سير أعلام النبلاء ٢ / ٧٨) ومع هذا فقد ذكر في مقدمة ترجمته له الرأي القائل بتقديم إسلامه، وأنه كان يكتنم ذلك، وتساءل عن بقائه في مكة مع إسلامه؟ ٩٦ / ٢.

كما تتبع ابن حجر بعض الروايات ابن سعد وضعفها (التهذيب ٥ / ١٢٣) وفي فضائل

=



جلس كان أول متكلم العباس بن عبدالمطلب، فقال: يا معشر الخزرج- قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها- إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده ، قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت : فتلكم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم». قال : فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه

---

الصحابة لأحمد بعض الروايات عن إسلام العباس، ومنها رواية صححها الحاكم ، وقال : هي أصح رواية للعباسيين في إسلام العباس (الفضائل ٢ / ٩٢٢)، وفي الصحيحين قصة مدافعتة عن أبي ذر حين أسلم وضربه المشركون (سبق). وانظر: تعليق ابن حجر عليها في الفتح ٧ / ١٧٦ ، وذكر ابن عبد البر إسلام العباس قبل فتح خيبر. ثم قال: وقيل: أسلم قبل بدر بل ذكر أن إقامته بمكة كانت برغبة الرسول ﷺ (الاستيعاب ٦ / ٦ بهامش الإصابة ، وفي أنساب الأشراف واليعقوبي ذكر لإعطائه النبي ﷺ الخبر بتجهيز المشركين لغزوه في أحد. (انظر : الوثائق السياسية ص / ٥٠) أما ابن كثير. فذكر أنه أسلم عام الفتح، وقيل: أسلم قبل ذلك لكنه أقام بمكة بإذن الرسول ﷺ (البداية والنهاية ٧ / ١٧٦).



أزرننا<sup>(١)</sup> فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب، وأهل الحلقة<sup>(٢)</sup> ورثاها كابرأ عن كابر، قال: فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التهيان ، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين القوم حبلاً، وأنا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدم بالدم، والهدم بالهدم<sup>(٣)</sup>، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتهم، وأسالم من سالمتم».

قال كعب: وقد قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم»<sup>(٤)</sup>، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

قال ابن إسحاق: قال الزهري: حدثني معبد بن كعب بن مالك، فحدثني

(١) أراد: نساءنا، والعرب تكني عن المرأة بالإزار. (الروض الأنف / ٤ / ١١٩).

(٢) الحلقة: بسكون اللام، السلاح عاماً، وقيل: هي الدروع خاصة (النهاية في غريب الحديث والأثر / ١ / ٤٢٧).

(٣) قال السهيلي: قال ابن قتيبة: كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي دمك، وهدمي هدمك، أي: ما هدمت من الدماء هدمته أنا، ويقال أيضاً: بل الدم الدم والهدم الهدم.. (انظر: الروض الأنف / ٤ / ١٢١، ١٢٢).

(٤) وفي رواية أخرى - عند ابن إسحاق - قال: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى، وأنا كفيل على قومي - يعني المسلمين - فقالوا: نعم (انظر: ابن هشام / ٥٥ / ٢) وإسناد الرواية حسن لكنه مرسل (رسالة الهجرة ص / ٨١).



في حديثه عن أخيه عبدالله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك <sup>(١)</sup> ، قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع بعد القوم ، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجبابب (والجبابب المنازل) هل لكم في مذمم والصباء <sup>(٢)</sup> معه قد اجتمعوا على حربكم ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ « هذ أذب العقبة ، هذا ابن أزيب <sup>(٣)</sup> » «استمع أي عدو الله ، أما والله لأفرغن لك» قال : ثم قال رسول الله ﷺ : «ارفضوا إلى رحالكم» فقال له العباس بن عبادة بن نضلة <sup>(٤)</sup> : والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافتنا ، قال : فقال رسول الله ﷺ : «لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم » قال: فرجعنا إلى مضاجعنا ، فتمنا عليها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا عدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا ،

(١) هذا السند هو نفسه يند الرواية السابقة ، مع زيادة الزهري ، والملاحظ أن ابن هشام فصل هذا الجزء من الرواية عما قبله ، وأدخل بينهما روايات أخرى لابن إسحاق بسند آخر ونظراً لكون سياق الرواية واحداً ، فقد أجملتها وألحقت آخرها بأولها وهكذا جاءت الرواية متصلة في مسند الإمام أحمد.

(٢) مذمم: يقصدون به محمداً ﷺ ، والصباء: جمع صابئ وكان المشركون يقولون لمن أسلم مع محمد ﷺ : صبأ وهو صابئ أو «مُصْبُؤاً» لأنهم لا يهمزون ، ويسمون المسلمين «الصباء» بغير همز ، كما نقل ذلك ابن الأثير . (انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣) .

(٣) الأذب في اللغة : الكثير الشعر ، ومنه حديث بيعة العقبة (هو شيطان اسمه أذب العقبة) النهاية ٤٣/١ .

(٤) أنصاري: خزرجي ، من أهل الصفة ، كان أنصارياً مهاجراً ، لأنه بقي بمكة حتى هاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، استشهد بأحد ، وهو الذي قال في البيعة : يا معشر الخرزج هل تدرون على ما تأخذون محمداً ، فإنكم على حرب الأحمر والأسود ... إلخ ، كما سيأتي (الإصابة ٣٢٧/٥) .



فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، قال : فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء ، ومن علمناه ، قال : وقد صدقوا لم يعلموه ، قال : وبعضنا ينظر إلى بعض ، قال : ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي <sup>(١)</sup> وعليه نعلان له جديان ، قال : فقلت له كلمة كأنني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر ، أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتي من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث فخلعهما من رجله ثم رمى بهما إلي فقال : والله لتتعلنهما (فأل) قال : يقول أبو جابر : مه ، أحفظت والله الفتي ، فاردد إليه نعليه ، قال : قلت : لا والله لا أردهما ، فأل والله صالح ، والله لئن صدق فأل لأسلبنه <sup>(٢)</sup>

هذه الرواية رجال إسنادها - كما سبق الحديث عنهم - ثقات ، ما عدا ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث ، فلا تقل درجتها عن الحسن .

وقد أخرجها الإمام أحمد في مسنده <sup>(٣)</sup> وفي فضائل الصحابة <sup>(٤)</sup> باختصار

(١) أخو أبي جهل وابن عم خالد بن الوليد ، وكان شريفاً مذكوراً ، شهد بدرأً وأحدأً مشركاً ، ثم أسلم رضي الله عنه يوم فتح مكة ، وحسن إسلامه ، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ ، وقيل يوم اليرموك سنة ١٥ هـ . (الاستيعاب ٢/٢٥٩ ، والإصابة ١٨١/٢) .

(٢) انظر : السيرة لابن هشام ٤٧/٢ - ١٥ - ، ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) ٤٦٠/٣ .

(٤) ٩٢٣/٢ .



وصحح ابن حبان هذه الرواية <sup>(١)</sup> وكذا ابن حجر <sup>(٢)</sup>، والهيثمي <sup>(٣)</sup> ومال إلى تصحيحها فريق من الباحثين المحدثين <sup>(٤)</sup>.

وبعد معرفتنا بصحة هذه الرواية نتوقف عندها قليلاً لإبراز الزيادات - التي شملتها الرواية - في أحداث العقبة الثانية ، فوق ما جاء في رواية الصحيحين وابن إسحاق السابقة ، فالرواية تكشف -أولاً- عن الكيفية التي خرج بها أصحاب البيعة مع حجاج قومهم ، كما تشير إلى اجتهاد البراء بن معرور في الصلاة إلى جهة الكعبة في سفرهم . وتكشف عن موعد النبي ﷺ معهم عند العقبة ، وكيف تسللوا عند الموعد دون علم قومهم .

كما تحدد عدد المبايعين -وسنأتي على ذكرهم في موطنه إن شاء الله <sup>(٥)</sup> وموقف عمه العباس في البيعة ، وتوثقه لابن أخيه .

وتجمل الرواية بنود البيعة في المنعة والنصرة ، إذ هي بيعة على الحرب كما سبق في الرواية قبلها ، ولهذا فرق ابن إسحاق بين بنود هذ البيعة والبيعة قبلها ، فقال <sup>(٦)</sup> : وكان في بيعة الحرب - حين أذن الله لرسوله في القتال - شروط سوى

(١) كما ذكره الحافظ في الفتح ٢٢١/٧ .

(٢) انظر : حديثه عن صحة سند الرواية في الإصابة ١١٦/١٢ .

(٣) مجمع الزوائد ٤٥/٦ حيث قال : رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجال أحمد ورجال الصحيح ، غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع .

(٤) انظر تعليق الألباني على فقه السيرة للقرظي ص/١٥٩ ، وانظر : تعليق وتحقيق الدكتور وصي الله ابن محمد عباس ، فضائل الصحابة ٩٢٣/٢ ، ورسالة الهجرة للباحث سليمان السعود ص/٨٢ .

(٥) سأذكر قائمة بأسماء أهل العقبتين في نهاية هذا الفصل بمشيئة الله .

(٦) ذكر ابن إسحاق هذا القول دون إسناد .



شرطه عليهم في العقبة الأولى: كانت الأولى على بيعة النساء ، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله في الحرب ، فلما أذن له فيها وبايعهم رسول الله في العقبة الآخرة على حرب الأحمر والأسود أخذ لنفسه ، واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة <sup>(١)</sup> .

ومما تبرزه الرواية أيضاً موقف الهيثم بن التيهان ، واستفساره عن رجوع النبي ﷺ عنهم إذا أظهر الله ، وتطمين النبي ﷺ بعدم صنيع ذلك .

وتنص الرواية على تعيين النقباء الاثني عشر ، وقد سماهم ابن هشام في رواية البكائي عن ابن إسحاق <sup>(٢)</sup> ، وذكر خلاف أهل العلم في أحدهم <sup>(٣)</sup> .

كما تبين أول من ضرب على يد الرسول ﷺ مباحياً ، وهو البراء بن معرور ، وفي ذلك خلاف ذكره ابن إسحاق ، فقال : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة

---

(١) انظر : السيرة لابن هشام ٦٣/٢ . هناك رواية عند الإمام أحمد - رحمة الله - تجمع بنود البيعة وتفصلها ، ومما جاء فيها «... وعلى أن تتصروني إذا قدمت عليكم مما تنتعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم...» (المسند ٢٢٢/٣ ، ٢٣٩) .

قال ابن كثير عن إسناده : ولم يخرجوه (السيرة ١٩٦/٢ ، وانظر : رسالة الهجرة ص/٨٦) .

(٢) انظر : السيرة لابن هشام ٥١/٢ - ٥٣ .

(٣) قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ، ولا يعدو رفاة بن عبدالمنذر ، ثم استشهد على ذلك بقصيدة لكعب بن مالك ، فيها ذكر أبي الهيثم دون رفاة (السيرة ٥٣/٢) .

وانظر تعقب ابن كثير لذكر سعد بن معاذ في قصيدة كعب وهو ليس من النقباء بالكلية (السيرة ٢٠٠/٢) .

وقد اختار السهيلي وابن الأثير ذكر أبي الهيثم في النقباء (انظر : السيرة لابن كثير ١٩٩/٢ ، وأسد الغابة ١٥/٥) .



أسعد ابن زرارة كان أول من ضرب على يده ، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم ابن التيهان <sup>(١)</sup> .

وفي الرواية الخبر عن صرخة الشيطان (أزب العقبة) .

وفيهما أيضاً مقالة العباس بن عباد بن نضلة ، والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا .

وقد ذكر ابن إسحاق - في رواية أخرى - موقفاً آخر للعباس بن عباد ، فقال : وحدثني عاصم بن عمرة بن قتادة <sup>(٢)</sup> أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا: نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرفكم قتل ، أسلمتموه فمن الآن ، فهو والله إنه خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : « الجنة » ، قالوا ، ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه .

فأما عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم .

(١) ابن هشام ٥٦/٢ ، وانظر : الروض الأنف ٤/١١٩ ، والسيرة لابن كثير ٢٠٢/٢ .

(٢) سبقت ترجمته (وهو ثقة) .





وأما عبدالله بن أبي بكر ، فقال <sup>(١)</sup> : ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبدالله بن أبي سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أي ذلك كان <sup>(٢)</sup> .

وأخيراً تكشف الرواية عن قدوم جلة قريش على منازل الأنصار ومشركي قومهم عند الصباح ، مستفسرين عما سمعوه من أخبارهم ، فيتصدي لهم المشركون يحلفون ما كان من هذا شيء ، وفي هذا الصدد يزيد ابن إسحاق الأمر توضيحاً في رواية أخرى فيقول :

وحدثني عبدالله بن أبي بكر ، أنهم أتوا عبدالله بن أبي بن سلول ، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول ، فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومي ليتفوتوا على بمثل هذا ، وما علمته كان ، قال : فانصرفوا عنه ، قال : ونفر الناس من منى فتنطس <sup>(٣)</sup> القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر <sup>(٤)</sup> ، والمنذر بن عمرو - أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج - وكلاهما كان نقيباً ، فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع <sup>(٥)</sup> رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه

(١) هكذا جاء في سيرة ابن هشام : أما ابن كثير ، فقال في سرته : وزعم عبدالله بن أبي بكر ٢/٢٠١ .

(٢) انظر : ابن هشام ٥٥/٢ . وإسناد الرواية حسن ، ولكنها مرسلة ( وانظر : رسالة الهجرة ص/٨٧ ) .

(٣) أصل التنطس : التقدر ، وقيل : هو المبالغة في الطهور ، والتتق فيه ، وكل من تأنق في الأمور ودقق النظر فيها هو نطس ومتنطس . (النهاية ٥/٧٤) .

(٤) أذاخر : موضع قريب من مكة (انظر : معجم البلدان ١/١٢٧) .

(٥) النسعة بالكسر : سير مضمفور يجعل زماماً للبعير وغيره (النهاية ٥/٤٨)



مكة يضربونه ويجذبونه بجمته - وكان ذا شعر كثير - قال سعد : فوالله إني لفي أيدهم إذ اطلع علي نفر من قريش فيهم رجل وضيء أبيض شعشاع حلو من الرجال ، قال : قلت في نفسي : إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا ، قال : فلما دنا مني رفع يديه ، فلكمني لكمة شديدة ، قال : قلت في نفسي : لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ، قال : فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني ، إذ أوى لي رجل <sup>(١)</sup> ممن كان معهم ، فقال : ويحك !! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال : بلى والله ، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف تجارة ، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي ، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما ، قال : ففعلت وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ليهتف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً قالاً : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة ، قالاً : صدق والله ، إن كان ليجير لنا تجارنا ، ويمنعهم أن يظلموا ببلده ، قال : فجاء فخلصا سعداً من أيدهم فانطلق وكان الذي لكم سعداً سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي <sup>(٢)</sup> .

(١) قال ابن هشام : هو البختری ابن هشام . (السيرة ٥٩/٢) .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام ٥٧/٢ - ٥٩ ، وهذه الرواية هي الأخرى إسنادها حسن ، لكنها مرسلة .

وانظر : رسالة الهجرة ص/٨٤، ٨٢ .



## من سمي من أصحاب العقبة في الصحيحين

- ١- عبادة بن الصامت : ذكره الشيخان في العقبتين كما سبق .
- ٢- كعب بن مالك : ذكره البخاري في العقبة الثانية ، وذكر قوله «ولقد شهدت مع النبي ﷺ ليلة العقبة حين توثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها»<sup>(١)</sup> ..
- ٣- جابر بن عبد الله ، وأبوه ، وخاله :  
فقد روى البخاري عنه قوله «شهد بي خالاي العقبة»<sup>(٢)</sup> . قال أبو عبد الله (البخاري) قال ابن عيينة : أحدهما : البراء بن معرور<sup>(٣)</sup> ووقع في رواية الإسماعيلي : قال سفيان : خاله البراء بن معرور وأخوه ولم يسمه<sup>(٤)</sup> .  
وتعقبه الدمياطي ، فقال : أم جابر هي أنيسة بنت عنمة بن عدي ، وأخواها ثعلبة ، وعمرو<sup>(٥)</sup> وهما خالا جابر ، وقد شهدا العقبة الأخيرة ، وأما البراء بن معرور فليس من أحوال جابر<sup>(٦)</sup> .

---

(١) ٢٥٠/٤ : مناقب الأنصار ، باب وفود الأنصار - بيعة العقبة ، وفي المغازي ١٣٠/٥ (غزوة تبوك ، باب حديث كعب بن مالك ، وقول الله عز وجل ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ )  
(٢) ٢٥٠/٤ . مناقب الأنصار (سبق) .  
(٣) المصدر نفسه ٢٥٠/٤ .  
(٤) انظر الفتح : ٢٢١/٧ .  
(٥) هما : ثعلبة ، وعمرو بن عنمة بن عدي ... ذكرهما ابن إسحاق في العقبة الثانية كما سأني .  
(٦) الفتح : ٢٢١/٧ ، ٢٢٢ .



قال الحافظ ابن حجر : قلت : لكن من أقارب أمه ، وأقارب الأم يسمون أخوالاً مجازاً ، ثم ساق دليلاً على ذلك ، وإن كان مال في الأخير ، إلى أن يكون الخال الآخر إما ثعلبة ، وإما عمراً ...<sup>(١)</sup> .

أما والد جابر ، فقد روى البخاري بسنده قال جابر : «أنا وأبي وخالي<sup>(٢)</sup> من أصحاب العقبة»<sup>(٣)</sup> .

فإذا علم أن أحداً من هؤلاء لم يشهد العقبة الأولى - كما في رواية ابن إسحاق - تعين أن يكون قصد جابر بالعقبة : الثانية ، ويؤيده أن أم جابراً ، وأباه (عبدالله بن حرام) والبراء بن معرور ، وثعلبة أو عمرو بن عنمة .. كل هؤلاء في عداد أصحاب العقبة الثانية - كما ذكره ابن إسحاق وسيأتي بيانه .

٤ - رافع بن مالك العجلان: ذكره البخاري ، فروى من طريق يحيى بن سعيد عن معاذ بن رافع ، وكان رفاة من أهل بدر ، وكان رافع من أهل العقبة فكان يقول لابنه : ما يسرني أنني شهدت بدرأ بالعقبة<sup>(٤)</sup> .

(١) المصدر السابق ٢٢٢/٧ .

(٢) وقع في بعض النسخ خالاي (وهي كذلك في النسخة التي عليها فتح الباري) .

(٣) ٢٥٠/٤ .

(٤) ١٤/٥ : كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة بدرأ ، وقد علق ابن حجر على قول رافع يقول : والذي يظهر أن رافع بن مالك لم يسمع من النبي ﷺ التصريح بتفضيل أهل بدر على غيرهم فقال ما قال باجتهاد منه ، وشبهته الأن العقبة كانت منشأ نصرة الإسلام وسبب الهجرة التي نشأ منها الاستعداد للغزوات كلها ، لكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله أعلم . (الفتح ١٣/٧) .



## تسمية من شهد العقبتين كما ذكرهم ابن إسحاق<sup>(١)</sup>

### مع الإشارة إلى من ذكر في الصحيحين منهم

أولاً : أهل بيعة العقبة الأولى (وعددهم اثنا عشر رجلاً)<sup>(٢)</sup> :

١- عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم الخزرجي (وقد ذكر في الصحيحين في العقبتين). قال ابن إسحاق : نقيب ، شهد بدرًا والمشاهد كلها<sup>(٣)</sup> ، وذكره في العقبتين .

٢- أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة الخزرجي ، قال ابن إسحاق : نقيب ، مات قبل بدر ، ومسجد رسول الله ﷺ يُبنى . ذكره في العقبتين<sup>(٤)</sup> .

٣- رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، الخزرجي ،

---

(١) هذا التحديد بابن إسحاق والصحيحين يحتمه عنوان الكتاب ، وهو مع ذلك يقيناً من الخلاف الواقع في تسمية الذين شهدوا العقبتين ، ولهذا فمن وجد غير هذه الأسماء ، أو لم يجد بعضها عند آخرين من أرباب السيرة ، فليعلم أن منشأ ذلك خلافهم حول بعض الأسماء في شهود العقبتين ، وليتأمل قول ابن سيد الناس عن حديثه عن تسمية من شهد العقبة الثانية حيث قال «وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين ، هذا العدد المعروف ، وإن زاد في التفصيل على ذلك فليس ذلك بزيادة في الجملة ، وإنما هو لمحل الخلاف في من شهد ، فبعض الرواة يثبت ، وبعضهم يثبت غير بدله ، وقد وقع ذلك في غير موضع في أهل بدر وشهداء أحد ، وغير ذلك» (عيون الأثر ١/١٦٧) .

(٢) انظر : السيرة لابن هشام ٤٠/٢ ، ٤١ .

(٣) انظر : السيرة لابن هشام ٧٢/٢ .

(٤) السيرة لابن هشام ٦٦/٢ .



قال ابن إسحاق : نقيب<sup>(١)</sup> ذكره في العقبين .

٤ - ذكوان بن عبد قيس بن خلد بن عامر بن زريق (خزرجي) قال ابن إسحاق : خرج إلى رسول الله ﷺ ، وكان معه بمكة ، فهاجر إلى رسول الله ﷺ من المدينة ، فكان يقال له : مهاجري أنصاري ، شهد بدرًا ، وقتل يوم أحد شهيداً<sup>(٢)</sup> . ذكره في العقبين .

٥ - عوف بن الحارث بن رفاعه (من بني النجار) قال ابن إسحاق : شهد بدرًا ، وقتل بها شهيداً<sup>(٣)</sup> . ذكره في العقبين .

٦ - معاذ بن الحارث بن رفاعه (أخو عوف وهما ابنا عفران) قال ابن إسحاق : شهد بدرًا وأحدًا ، والخندق ، والمشاهد كلها<sup>(٤)</sup> . ذكره في العقبين .

٧ - يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم ، أبو عبدالرحمن (ممن بني غصينة من بني حليف لبني عوف بن الخزرج)<sup>(٥)</sup> . وذكره في العقبين .

٨ - العباس بن عبادة بن نضلة (من بني سالم بن عوف) . قال ابن إسحاق : كان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فأقام معه بها ، فكان يقال له : مهاجري أنصاري ، وقتل يوم أحد شهيداً<sup>(٦)</sup> . ذكره في العقبين .

٩ - عقبة بن عامر بن نابي (من بني سلمة بن سعد) ذكره ابن إسحاق في

(١) المصدر نفسه ٦٩/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٦٩/٢ .

(٣) المصدر نفسه ٦٦/٢ .

(٤) السيرة لابن هشام ٦٦/٢ .

(٥) المصدر نفسه ٧٣/٢ .

(٦) المصدر نفسه ٧٢/٢ ، ٧٣ .



الأولى . ولم ذكره في الثانية .

١٠ - قطبة بن عامر بن حديدة (من بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة)  
قال ابن إسحاق : شهد بدرًا<sup>(١)</sup> . ذكره في العقبين .

فهؤلاء عشرة كلهم من الخزرج ، والباقي اثنان من الأوس ، هما :

١١ - أبو الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك (من الأوس بن حارثة بن ثعلبة) .  
قال ابن إسحاق : شهد بدرًا<sup>(٢)</sup> . وذكره في العقبين .

١٢ - عويم بن سعادة (من بني عمرو بن عوف) قال ابن إسحاق : شهد بدرًا ،  
وأحدًا ، والخندق<sup>(٣)</sup> . وذكره في العقبين .

**ثانياً : أهل بيعة العقبة الثانية :** (وعدتهم ثلاثة وسبعون رجلاً ، وامرأتان)  
من الأوس أحد عشر رجلاً وهم : من الأوس حارثة ثلاثة نفر :

١ - أسيد بن خضير بن سماك ، قال ابن إسحاق : نقيب لم يشهد بدرًا<sup>(٤)</sup> .

٢ - أبو الهيثم بن التيهان : (وقد ذكره في الأولى) .

٣ - سلمة بن سلامة بن وقش : شهد بدرًا كما قاله ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> .

**ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج ثلاثة نفر :**

٤ - ظهير بن رافع بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة<sup>(٦)</sup> .

(١) المصدر نفسه ٧١/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٦٤/٢ .

(٣) السيرة لابن هشام ٦٥/٢ .

(٤) المصدر نفسه ٦٤/٢ .

(٥) المصدر نفسه ٦٤/٢ .

(٦) المصدر نفسه ٦٤/٢ .



٥- أبو بردة بن نيار، واسمه: هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد : شهد بدرأ .

٦- نهير بن الهيثم ، من بني نابي بن مجدعة بن حارثة .

### ومن بني عمرو بن عوف خمسة نفر:

٧- سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك <sup>(١)</sup> . قال ابن إسحاق نقيب ، شهد بدرأ ، فقتل بها مع رسول الله ﷺ شهيداً .

٨- رفاعة بن عبد المنذر بن زبير : نقيب ، شهد بدرأ وقتل يوم أحد شهيداً .

٩- عبد الله بن جبير بن النعمان ، شهد بدرأ ، قتل يوم أحد شهيداً ، أميراً لرسول الله ﷺ على الرماة .

١٠- معن بن عدي بن الجد بن العجلان : شهد بدرأ ، وأحدأ ، والخندق ومشاهد رسول الله ﷺ كلها ، قتل يوم اليمامة في حلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

١١- عويم بن سعادة (وقد سبق ذكره في الأولى )

### ومن الخزرج بقبيتهم وهم : ومن الخزرج بن حارثة ستة نفر:

١٢- أبو أيوب : خالد بن زيد بن كليب ، شهد بدرأ ، وأحدأ ، والمشاهد كلها ، مات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية بن أبي سفيان .

١٣- معاذ بن الحارث بن رفاعة (سبق ذكره في الأولى) .

١٤- عوف بن الحارث (أخو معاذ ، سبق ذكره في الأولى) .

(١) قال ابن هشام : ونسبه ابن إسحاق في بني عمرو بن عوف ، وهو من بني غنم بن السلم ؛ لأنه ربما كانت دعوة الرجل في القوم أو يكون فيهم فينسب إليهم . (السيرة ٦٥/٢)





١٥- وأخوه معوذ بن الحارث :شهد بدرأ ، وقتل به شهيداً ، وهو الذي قتل أبا جهل بن هشام<sup>(١)</sup> .

١٦- عمارة بن حزم بن زيد :شهد بدرأ ، وأحدأ ، و الخندق ، والمشاهد كلها ، وقتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

١٧- أسعد بن زرارة (سبق ذكره في الأولى) .

**ومن بني عمرو بن مبنول رجل واحد وهو :**

١٨- سهل بن عتيك بن نعمان :شهد بدرأ .

**ومن بني عمرو بن مالك رجلان هما :**

١٩- أوس بن ثابت بن المنذر :شهدا بدرأ .

٢٠- وأبو طلحة :زيد بن سهل بن الأسود :شهد بدرأ .

**ومن بني مازن بن النجار رجلاً هما :**

٢١- قيس بن أبي صعصعة (عمر بن زيد) شهد بدرأ ، وكان رسول الله ﷺ جعله على الساقة يومئذ .

٢٢- عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة .

**ومن بلحارث بن الخزرج سبعة نفر هم :**

٢٣- سعد بن الربيع :نقيب ، شهد بدرأ ، وقتل يوم أحد شهيداً .

---

(١) هكذا في النسخة التي اعتمدت عليها (المطبوعة) وفي بعض النسخ تثبت قتل أبي جهل لأخيه عوف . (انظر : حاشية ابن هشام ٦٦/٢) .



٢٤- خارجه بن زيد بن أبي زهير : شهد بدرأ ، وقتل يوم أحد شهيدأ .  
٢٥- عبدالله بن رواجة : نقيب ، شهد بدرأ ، وأحدأ ، ، والخندق ،  
ومشاهد رسول الله ﷺ كلها ، إلا الفتح وما بعده ، قتل يوم مؤتة شهيدأ ، أمير  
لرسول الله ﷺ .

٢٦- بشير بن سعيد بن ثعلبة : شهد بدرأ .

٢٧- عبدالله بن زيد مناة بن ثعلبة : شهد بدرأ ، وهو الذي أري النداء  
للصلاة ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فأمره به .

٢٨- خلاد بن سويد بن ثعلبة : شهد بدرأ ، وأحدأ ، والخندق ، وقتل يوم  
بني قريظة شهيدأ ، طرحت عليه رحا من أطم<sup>(١)</sup> من أطامها فشدخته شدخأ  
كبيرأ ، فقال رسول الله ﷺ - فيما يذكرون- : «إن له لأجر شهيدين» .

٢٩- عقبة بن عمرو بن ثعلبة (أبو مسعود) وكان أحدث من شهد العقبة  
سناً ، مات في أيام معاوية ، لم يشهد بدرأ .

**ومن بني بياضه بن عامر بن زريق ثلاثة نفر ، هم :**

٣٠- زياد بن لبيد بن ثعلبة : شهد بدرأ .

٣١- فروة بن عمرو بن وذقة : شهد بدرأ .

٣٢- خالد بن قيس بن مالك بن العجلان : شهد بدرأ .

**ومن بني زريق عامر أربعة نفر ، هم :**

٣٣- رافع بن مالك بن العجلان (سبق في الأولى)

(١) الأطم - بضم تين : الحصن .



- ٣٤- ذكوان بن عبد قيس (سبق في الأولى) .  
٣٥- عبادة بن قيس بن خالد : شهد بدرأ .  
٣٦- الحارث بن قيس بن خالد : شهد بدرأ .

**ومن بين سلمة بن سعد أحد عشر رجلاً ، هم :**

- ٣٧- البراء بن معرور : وهو الذي تزعم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ وشرط له واشترط عليه ، ثم توفى قبل مقدم رسول الله ﷺ .  
٣٨- بشر بن البراء بن معور : شهد بدرأ ، وأحدأ ، والخندق ، ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله ﷺ من الشاة التي سم فيها ، وهو سيد بني سلمة كما أخبرهم بذلك رسول الله ﷺ .  
٣٩- سنان بن صيفي بن صخر بن خنساء : شهد بدرأ ، وتوفى يوم الخندق شهيدأ .  
٤٠- الطفيل بن النعمان بن خنساء : شهد بدرأ ، وقتل يوم الخندق شهيدأ .  
٤١- ومقل بن المنذر بن سرح بن خناس : شهد بدرأ .  
٤٢- يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس : شهد بدرأ .  
٤٣- مسعود بن يزيد بن سبيع خنساء .  
٤٤- الضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة : شهد بدرأ .  
٤٥- يزيد بن خدام بن سبيع بن خنساء .  
٤٦- حبار<sup>(١)</sup> بن صخر بن أمية بن خنساء : شهد بدرأ .

(١) قال ابن هشام : ويقال جبأر بن صخر بن أمية بن خناس .



٤٧- الطفيل بن مالك بن خنساء بين سنان : شهد بدرأ .

**ومن بني سواد بن غنم بن كعب رجل هو :**

٤٨- كعب بن مالك بن أبي كعب (وقد سبق ذكر البخاري له).

٤٩- سليم بن عمر بن حديدة : شهد بدرأ .

٥٠- وقطبة بن عامر بن حديد ( سبق ذكره في الأولى ) .

٥١- يزيد بن عامر بن حديد (أبو المنذر) : شهد بدرأ .

٥٢- أبو اليسر : كعب بن عمرو بن عباد : شهد بدرأ .

٥٣- صيفي بن سواد بن عباد .

**ومن بني نابي بن عمر خمسة نفر ، هم :**

٥٤- ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي : شهد بدرأ ، وقتل بالخنديق شهيداً .

٥٥- عمرو بن عنمة بن عدي بن نابي .

٥٦- عبس بن عامر بن عدي بن نابي : شهد بدرأ .

٥٧- عبدالله بن أنيس : حليف لهم من قضاة .

٥٨- خالد بن عمرو بن عدي بن نابي .

**ومن بني حرام كعب بن غنم سبعة نفر ، هم :**

٥٩- عبدالله بن عمر بن حرام : نقيب ، شهد بدرأ ، وقتل يوم أحد شهيداً .

٦٠- ابنه جابر بن عبدالله .

٦١- معاذ بن عمرو بن الجموح : شهد بدرأ .



٦٢- ثابت بن الجذع ، والجذع : ثعلبة بن زيد ، شهد بدرأ ، وقتل بالطائف شهيداً .

٦٣- عمير بن الحارث بن ثعلبة بن زيد : شهد بدرأ .

٦٤- خديج بن سلامة بن أوس : حليف لهم من بلي .

٦٥- معاذ بن جبل بن عمرو : شهد بدرأ ، والمشاهد كلها ، ومات بعمواس عام الطاعون بالشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

**ومن بني عوف بن الخزرج ثم من بني سالم بن عوف أربعة نفر :**

٦٦- عبادة بن الصامت (سبق في الأولى)

٦٧- العباس بن عبادة بن نضلة (سبق في الأولى)

٦٨- أبو عبدالرحمن : يزيد بن ثعلبة بن خزمة (سبق في الأولى)

٦٩- عمرو بن الحارث بن لبدة بن عمرو بن ثعلبة .

**ومن بني سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج رجلان :**

٧٠- رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو (أبو الوليد) شهد بدرأ .

٧١- عقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد : شهد بدرأ ، وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجراً من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجري أنصاري .

**ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان :**

٧٢- سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة : نقيب .

٧٣- المنذر بن عمر بن خنيس بن حارثة : نقيب ، شهد بدرأ ، وأحدأ ،



وقتل يوم بئر معونة ، أميراً لرسول الله ﷺ ، وهو الذي كان يقال له : أعنق<sup>(١)</sup> ليموت .

قال ابن إسحاق : فجميع ما شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان منهم ، يزعمون أنهما قد بايعتا ، وكان رسولا لله ﷺ لا يضافح النساء ، إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقررن قال : « اذهبن فقد بايعتكن » .

١ - من بني مازن بن النجار: نسيبة بنت كعب بن عمرو ، وهي أم عمارة ، كان شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ ، وشهدت معها أختها ، وزوجها زيد بن عاصم بن كعب وابناها حبيب وعبدالله ابنا زيد ، وخرجت إلى اليمامة مع المسلمين ، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً من بين طعنة وضربة .

٢ - ومن بني سلمة : أم منيع ، واسمها : أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي<sup>(٢)</sup> .

(١) أعنق : بنون بعد العين المهملة ، أي سار العنق ، وهو ضرب من السير السريع .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام ٦٣/٢ - ٧٥ ، وقد ساقها ابن إسحاق دون إسناد .

**الفصل الخامس :**

**الهجرة إلى المدينة**







## الفصل الخامس :

### الهجرة إلى المدينة

#### أسبابها ودوافعها :

لم تكن الهجرة إلى المدينة سياحة رغب فيها المهاجرون ، ولم تكن مكة أرض وباء أو دار مملة ليفرح المهاجرون بنبأ الهجرة عنها ، وإنما جاء أمر الهجرة تكليفاً من تكاليف العقيدة التي آمنوا بها ، وضرورة استلزامتها طبيعة رسالة الإسلام ، ووجوب إبلاغها .

وحين ضاقت مكة بهذه الدعوة ، وأذنت من يؤمن بها ، وسدّت الآفاق أمام انتشارها وانتفاع العالمين بها ، كان لا بد من الهجرة إلى مكان آخر يأمن فيه المؤمنون ، وتتهيأ فيه الفرصة لنشر هذا الدين ، فكانت الهجرة إلى المدينة لأسباب ودوافع جاء منها في الصحيحين ما يلي :

#### اضطهاد المؤمنين :

مرّ معنا في الفصل الثالث نماذج لهذه القضية ، سواء ما يخص الرسول ﷺ أم ما يعم المؤمنين معه (من الموالي ، وذوي الحسب والنسب) .

والذي نضيفه هنا هو ذلك النص الذي يربط بين الإيذاء والهجرة ، وقد جاء فيه قول بلال<sup>(١)</sup> - رضي الله عنه - : «... اللهم العن شبية بين ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمّية بن خلف ، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء ...»<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر: الفتح ٢٦٣/٧ .

(٢) البخاري ٢٢٢٥/٢ : كتاب فضائل المدينة (آخر باب فيه ، لم يسم) ومقالة بلال هذه جزء من حديث عائشة ، وقد أخرجه البخاري في أكثر من موطن كما سيأتي بيانه -



وكانت مقالته تلك على إثر وعكة نزلت به حين قدومه المدينة مهاجراً ،  
كما سيأتي .

ونضيف نصاً آخر متعلقاً بهجرة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-  
ويكشف عن سبب هجرته ، ففي صحيح البخاري عن عائشة -رضي الله  
عنها- قالت : «استأذن النبي ﷺ أبو بكر في الخروج<sup>(١)</sup> حين اشتد عليه الأذى ،  
فقال له : أقم ، فقال : يا رسول الله : أتطمع أن يؤذن لك ، فكان رسول الله ﷺ  
يقول : «إني لأرجو ذلك» قالت : فانتظره أبو بكر<sup>(٢)</sup> .

### خوف الفتنة في الدين :

وهذا الأمر أهمّ المسلمين ، حفاظاً على دينهم ، ومخافة أن يفتتوا فيه ،  
وهذا السبب تجلّيه أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- كما يرويه عطاء بن  
أبي رباح<sup>(٣)</sup> قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير<sup>(٤)</sup> فسألها عن الهجرة فقالت : لا

بمشيئة الله - لكن لم تذكر مقولة بلال إلا في هذا الموضع .

(١) قال العيني : قوله في الخروج : يعني في الهجرة من مكة إلى المدينة . قوله : الأذى : يعني  
من كفار مكة (العمدة ١٧/١٧٣).

(٢) ٤٣/٥ المغازي ، باب غزوة الرجيع .

(٣) واسم أبي رباح أسلم ، وكان عطاء من مولدي الجند من مخاليف اليمن نشأ بمكة ،  
وهو مولى آل أبي ميسرة بن أبي خيثم الفهري ، كان من سادات التابعين فقهاً وعلماً  
وورعاً وفضلاً ، وانتهت إليه فتوى أهل مكة وإلى مجاهد في زمانهما . اختلف في سنة  
موته بين ١١٤ و ١١٧ هـ . (الطبقات لابن سعد ٥/٤٦٧ ، التهذيب لابن حجر ٧/١٩٩) .

(٤) الليثي ، أبو عاصم المكي ، قاضي أهل مكة ، كان ثقة كثير الحديث ، وهو من  
كبار التابعين ، كان ابن عمر يجلس إليه ، مات سنة ١٦٨ هـ . (الطبقات ٥/٤٦٣ ،  
التهذيب ٧/٧١)



هجرة اليوم كان المؤمنون يفرّ أحدهما بدينه إلى الله وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يفتن فيه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء ، ولكن جهاد ونية <sup>(١)</sup> .

### تكذيب قريش للنبي ﷺ وإخراجه من مكة :

وهذا الأمر يفهم ضمناً مما سبق ، ولكن الصحابي سعد بن معاذ رضي الله عنه يبرزه لنا حين يقول : « اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه ... » وفي لفظ : « من قوم كذبوا نبيك وأخرجوه من قريش » <sup>(٢)</sup> .

أما ابن إسحاق فتجده يذكر من الأسباب : الإذن بالحرب ، وإسلام الأنصار ووجود مكان يأمن فيه المؤمنون ، وفي هذا يقول :

فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب ، وتابعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن تبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة ، والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : « إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تؤمنون بها » فخرجوا أرسالاً <sup>(٣)</sup> .

واجتمعت إلى هذه الأمور المسببة للهجرة دوافع الرغبة فيما عند الله ،

(١) البخاري ٢٥٣/٤ : مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، وفي المغازي ٩٨/٥ في غزوة الفتح (والنص المثبت هنا في هذا الموضع الأخير ، وفيما قبله فيه اختلاف يسير فليراجع) .

(٢) البخاري ٢٥٣/٤ (سبق) .

(٣) انظر : ابن هشام ٧٦/٢ ، وقد ساقه ابن إسحاق بدون سند .



وابتغاء وجهه ، فكان لهم ما أرادوا ، وفي هذا يقول خباب رضي الله عنه :  
هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله ، ووجب أجرنا على الله ، فمننا من  
مضى لم يأكل من أجره شيئاً ، منهم مصعب بن عمير فقتل يوم أحد ، فلم نجد  
شيئاً نكفنه فيه إلا نمرة ، كنا إذا غطينا به رأسه خرجت رجلاه ، فإذا غطينا  
رجليه خرج رأسه ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه به ونجعل على رجله من  
أذخر<sup>(١)</sup> ، ومننا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها<sup>(٢)</sup> .

ومما يؤكد قصد المهاجرين ، وتقانيهم في سبيل عقيدتهم ، أنه لم يكن  
ثمة أرض أوبأ من المدينة التي أمروا بالهجرة إليها ، ففي البخاري وابن إسحاق عن  
عائشة - رضي الله عنها - قالت : وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله<sup>(٣)</sup> .

ولم يسلم المهاجرون<sup>(٤)</sup> من هذا الوباء ، بل نالهم منه ما نالهم ، ووعك له أبو  
بكر وبلال - رضي الله عنهما - وربما غيرهما ، فكان أبو بكر إذا أخذته  
الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

(١) الإذخر : حشيش معروف طيب الرائحة ، تسقف بها البيوت فوق الخشب . (النهاية في  
غريب الحديث والأثر ١/٢٣).

(٢) البخاري ٧٨/٢ : كتاب الجنائز : باب إذا لم يجد كفنأ إلا ما يوارى رأسه أو قدميه  
غطى به رأسه ، وفي مناقب الأنصار ، ٢٥٣/٤ ، ٢٦١ في هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى  
المدينة وفي المغازي ٢٩/٥ ، ٣٠ في غزوة أحد ، وفي الرقاق ١٧٤/٣ (مختصراً) في باب ما  
يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، وفي باب فضل الفقر ١٧٨/٧ ، ومسلم ٦٤٩/٢ :  
كتاب الجنائز ، باب في كفن الميت .

(٣) ٢٢٥/٢ : في فضائل المدينة (سابق) ، سيرة ابن هشام ٢٢٠/٢ .

(٤) استثنى منهم ابن إسحاق رسول الله ﷺ فقال : وصرف الله ذلك عنه ٢٢٢/٢ .



وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى ويرفع عقيرته يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد<sup>(١)</sup> وحولي إذخر وجليل<sup>(٢)</sup>

وهل أردن يوماً مياه مجنة<sup>(٣)</sup> وهل يبدون لي شامة وطفيل

ولم يكن يطيق هذا الوباء ، ويصبر على تلك الحمى من لم يكن دافعه الإيمان بالله ، ويحتسب أجر ما يصيبه عند الله ، ولهذا فالأعرابي الذي بايع رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup> حينما وعك بالمدينة أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد أقلني بيعتي ، فأبي رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup> ثم جاءه فقال : أقلني بيعتي ، فأبي ثم جاءه فقال : أقلني بيعتي ، فأبي<sup>(٦)</sup> ، فخرج الأعرابي ، فقال رسول الله ﷺ : «إنما المدينة كالكير تنفي

(١) المقصود بالوادي هنا : مكة . (انظر معجم البلدان ١٨٣/٥) ، وعند ابن إسحاق «بفخ» (ابن هشام ٢٢١/٢) .

(٢) إذخر وجليل :الإذخر سبق بيانه ، والجليل : هو الثمام ، وقيل : هو الثمام إذا عظم وجل (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨٩/١) .

(٣) مجنة (بالفتح وتشديد النون) وهو اسم سوق كان للعرب في الجاهلية . قيل : هو بلد على أميال من مكة . وقال الأصمعي : هو جبل لبني الدئل خاصة بتهمة بجنب طفيل ، وإياه أراد بلال فيما كان يتمثل (معجم البلدان ٥٨/٥) .

(٤) شامة : جبل قرب مكة ، يجاوره آخر يقال له طفيل . (معجم البلدان ٣١٥/٣) .

(٥) قال العلماء : وهذا الأعرابي كان ممن هاجر ، وبايع النبي ﷺ على المقام معه ، وقال القاضي عياض : ويحتمل أن بيعة هذا الأعرابي كانت بعد فتح مكة وسقوط الهجرة إليه ﷺ ، وإنما بايع على الإسلام وطلب الإقالة منه فلم يقله . قال النووي : والصحيح الأول والله أعلم . (شرح النووي على مسلم ١٥٦/٩) .

(٦) قال العلماء : إنما لم يقله النبي ﷺ بيعته ، لأنه لا يجوز لمن أسلم أن يترك الإسلام ، ولا



خبثها وينصع طيبها»<sup>(١)</sup>.

وعلى إثر ما أصاب المسلمين ، وما قد يصحبه من ضيق أو كره لأرض الهجرة ، توجه النبي ﷺ إلى ربه بالدعاء : «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحَبْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحَّحَهَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمَدَهَا ، وَانْقِلْ حَمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجَحْفَةِ»<sup>(٢)</sup>.

ونظراً لظروف الهجرة وارتباطها بأوضاع وأسباب معينة ، كان لها فضلها وكان للمهاجرين مزيتهم<sup>(٣)</sup> ، ولم تكن الهجرة في حال غربة الإسلام كحالها بعد أن عزَّ وانتصر ، ولهذا قال المصطفى ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ..»<sup>(٤)</sup>.

---

لمن هاجر إلى النبي ﷺ للمقام عنده أن يترك الهجرة ويذهب إلى وطنه أو غيره ، قالوا : وهذا الأعرابي كان ممكن هاجر ويبيع . ( المصدر السابق ١٥٥/٩ )

- (١) مسلم ١٠٠٦/٢ : كتاب الحج ، باب المدينة تنفي شرارها .
- (٢) البخاري ٢٢٥/٢ : (سابق في فضائل المدينة) وفي مناقب الأنصار ٢٦٤/٤ ، وفي كتاب المرضى باب عيادة النساء للرجال ٥/٧ ، وباب من دعا برفع الوباء والحمى ١١/٧ ، وفي كتاب الدعوات ، باب الدعاء برفع الوباء والوجع ١٦٠/٧ .
- (٣) يكفي أن الله تعالى أثني عليهم في محكم التنزيل ، فقال ﴿ لِلْمُفْرَرِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فُضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً وَأَنَا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحشر : الآية ٨)

- (٤) البخاري ٢١٠/٣ : كتاب الجهاد والسير ، باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية ، وفي جزاء الصيد ٢١٤/٢ باب لا يحل القتال بمكة ، وفي المغازي عن ابن عمر ٩٨/٥ (سابق) ومسلم ١٤٨٨/٣ كتاب الإمارة باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد



وحين جاءه مجاشع بن مسعود السلمي<sup>(١)</sup> -بعد الفتح- بأخيه أبي معبد ليبيعه على الهجرة قال له : «إن الهجرة قد مضت لأهلها ، ولكن على الإسلام والجهاد والخير»<sup>(٢)</sup>.

وقال للأعرابي الذي جاء يسأله عن الهجرة : «ويحك ! إن الهجرة شأنها شديد»<sup>(٣)</sup>.

### اختيار المدينة مكاناً للهجرة :

روى البخاري في حديث الهجرة الطويل عن عائشة قوله ﷺ : «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين» ، وهما الحرثان<sup>(٤)</sup>.

=

والخير وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح .

قال النووي : قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام باقية إلى يوم القيامة ، وتأولوا هذا الحديث تأويلين : أحدهما : الهجرة بعد الفتح من مكة ، لأنها صارت دار إسلام فلا تتصور منها الهجرة ، والثاني - وهو الأصح - أن معناه أن الهجرة الفاضلة المهمة المطلوبة التي يمتاز بها أهلها امتيازاً ظاهراً انقطعت بفتح مكة ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة : لأن الإسلام قوي وعز بعد فتح مكة عزاً ظاهراً بخلاف قبله . (شرح مسلم ٨/١٣) ، وانظر : كلام الخطابي وغيره في تأويل هذا الحديث في الفتح ٢٨/٦ ، ٣٩) .

(١) قال البخاري وغيره : له صحبة ، وهو من شجعان المسلمين ، له جهاد في فتح فارس ، وكابل من بلاد الهند ، قتل في الجمل الأولى - قبل قدوم علي إلى البصرة - سنة ٣٦ هـ . (تاريخ خليفة ص ١٤٢ ، ١٦٤ ، والإصابة ٨٧/٩)

(٢) البخاري ٩٧/٥ : في المغازي (سبق) ومسلم ١٤٨٨/٣ في الإمارة (سبق) .

(٣) البخاري ١٢٣/٢ : في الزكاة ، وفي الأدب ١١٢/٧ ، ومسلم ١٤٨٨/٣ في الإمارة .

(٤) ٢٥٥/٤ : في مناقب الأنصار (سبق) وفي هجرة الحبشة (مختصراً) ٢٤٤/٤ ، وقوله :

=



وذكر البخاري ومسلم قول أبي موسى عن النبي ﷺ : « رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب»<sup>(١)</sup> .

وفي مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : «أمرت بقريّة تأكل القرى<sup>(٢)</sup> يقولون يثرب وهي المدينة ، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»<sup>(٣)</sup> .

ومن خلال هذه الروايات يرى ابن حجر أن الرؤيا في حديث عائشة غيرها في حديث أبي موسى ، نظراً لكون الرؤيا في حديث أبي موسى تردد فيها النبي (كما سبق في الحديث) ، ثم نقل قول ابن التين : «كأن النبي ﷺ أرى دار الهجرة بصفة تجمع المدينة وغيرها ، ثم أرى الصفة بالمدينة فتعينت<sup>(٤)</sup> وإذا كانت رواية الصحيحين تشير إلى تردد النبي ﷺ - أول ما أرى دار الهجرة - بين اليمامة وهجر ، حتى تعينت له المدينة.

---

«وهما الحرتان» مدرج في الخبر وهو من تفسير الزهري . والحرّة : أرض حجارتها سود (الفتح ٧/٢٢٤) .

(١) البخاري ٤/٢٥٢ : في الهجرة ، وفي كتاب التعبير ٨/٨١ : باب إذا رأى بقرأً تحجر ، ومسلم ٤/١٧٧٩ : كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ .

(٢) ذكروا في معنى أكلها القرى وجهين : أحدهما أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر ، فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها ، والثاني : أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتحة واليه تساق غنائمها (شرح النووي ٩/١٥٤) .

(٣) مسلم ٢/١٠٠٦ : كتاب الحج ، باب المدينة تنفي شرارها .

(٤) انظر الفتح ٧/٢٢٤ .





فهناك رواية عند الترمذي تخالف ذلك ، والرواية عن جيري بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إن الله عز وجل أوحى إلى : أي هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهي دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرين»<sup>(١)</sup> .

وفوق ما في هذا الحديث من مخالفة لرواية الصحيحين ، فقد استغفريه وأنكره جمع من العلماء<sup>(٢)</sup> .

أما ابن إسحاق ، فلا نجده يذكر من هذه الروايات شيئاً عند حديثه عن الهجرة .

- 
- (١) سنن الترمذي ٧٢١/٥ ، وانظر : المستدرک للحاکم ٢/٣ وقد صححه ووافقه الذهبي .  
(٢) فالترمذي ساق الحديث بهذا السند : حدثنا الحسين بن حريث ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن عيسى بن عبيد ، عن غيلان بن عبد الله العامري ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير .. ثم ذكر الحديث ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل بن موسى .  
وابن حبان وإن كان ذكر «غيلان بن عبد الله العامري» في الثقباب ، فقد قال ، روى عن أبي زرعة حديثاً منكراً في الهجرة (الثقباب ٣١١/٧ نشر الدار السلفية ، ط . الأولى ١٤٠١هـ) .

وقال ابن كثير : هذا حديث غريب جداً ، وقد رواه الترمذي في المناقب من جامعه منفرداً به عن أبي عمار الحسين بن حريث .. (السيرة ٢١٤/٢) .

والذهبي وإن كان وافق الحاكم على تصحيحه كما سبق ، ووثق غيلان بن عبد الله كما في الكاشف ٢٧٧/٢ فقد قال في الميزان ٣٣٨/٣ : غيلان بن عبد الله عن أبي زرعة البجلي ما علمت روى عنه سوى عيسى بن عبيد الكندي ، حديثه منكر ، ما أقدم الترمذي علي تحسينه ، بل قال : غريب وقال ابن حجر : في ثبوته نظر ، لأنه مخالف لما في الصحيح من ذكر اليمامة .. (الفتح ٢٢٨/٧) ، وذكر في التهذيب ٢٥٤/٨ إنكار ابن حبان لحديث غيلان في الهجرة ، وقول الترمذي .



## هجرة المؤمنين إلى المدينة

### أول من هاجر :

حين تعينت المدينة داراً للهجرة أذن النبي ﷺ للصحابة بالهجرة إليها ، فكان أول من قدم المدينة من أصحاب النبي ﷺ : مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، فجعلوا يقرئان الناس القرآن ، كما يقول البراء بن عازب رضي الله عنهما <sup>(١)</sup> .

وإذا كانت هذه رواية البخاري في أول من قدم المدينة من أصحاب النبي ﷺ فالأمر - في ظاهره - غير ذلك عند ابن إسحاق ، وقد ذكر أن أول من هاجر أبو سلمة بن عبد الأسد ، فقال : «.... فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بني مخزوم ، أبو سلمة بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - واسمه عبد الله - هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قدم على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة ، فلما آذنته قريش ، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً <sup>(٢)</sup> .

ويجمع بينهما بحمل الأولوية على صفة خاصة ، هي أن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة ، بل فراراً من المشركين ، بخلاف مصعب فكان على نية الإقامة بها ، وإلا فقد جزم ابن عقبة بأن أول من قدم المدينة من المهاجرين مطلقاً

(١) البخاري ٢٦٣/٤ : كتاب مناقب الأنصار ، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ، وفي التفسير ٨٢/٦ : في سورة الأعلى .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٧٧/٢ . وقد ذكره ابن إسحاق دون إسناد ، لكن ذكره ابن سعد في طبقاته ٢٢٥/١ برواية مسندة أن أبا سلمة أول من قدم المدينة من أصحاب النبي ﷺ



أبو سلمة<sup>(١)</sup>.

وقيل - في سبيل الجمع بينهما : إن خروج مصعب لما كان لتعليم من أسلم بالمدينة لم يعده من الخارجين لأذى المشركين بخلاف أبي سلمة<sup>(٢)</sup>

وعلى كل حال فقد روى مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت حين مات أبو سلمة : أي المسلمين خير من أبي سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>

### هجرة أبي سلمة وأهل بيته :

وما دمننا بصدد الحديث عن أبي سلمة وأهله ، فلا نجد عن خبرهم في الهجرة في الصحيحين سوى ما ذكر ، لكنا نجد تفصيل ذلك عند ابن إسحاق ، حيث أخرج لنا الرواية المسندة التالية فقال: فحدثني أبي : إسحاق بن يسار<sup>(٤)</sup> عن سلمة بن عبد الله بن عمرو بن أبي سلمة<sup>(٥)</sup> عن جدته أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره ، ثم حملني عليه ، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج بي يقود بي

(١) ابن حجر : الفتح ٢٦١/٧ .

(٢) شرح المواهب للزرقاني ٣١٩/١ .

(٣) ٦٣٢/٢ : كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند المصيبة .

(٤) وثقه ابن معين ، وأبو زرعة ، وابن حبان ، وقال الدراقطني : لا يحتج به (التهذيب ٢٥٧/١) .

(٥) ذكره البخاري في تاريخه ، وذكر رواية ابن إسحاق عن أبيه عن سلمة (التاريخ الكبير ٨٠/٤) ، وذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً (الجرح والتعديل ٤ / ١٦٦) ، وذكره ابن حبان في ثقات أتباع التابعين . (التهذيب ٤ / ١٤٨ ، ١٤٩) .



بعيره ، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرايت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه ، قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة ، قالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وأطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، قالت : ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني ، قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي حتى أمسي ، سنة أو قريباً منها ، حتى مرّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي ، فرحمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ، قالت : فقالوا لي : إلحقي بزوجك إن شئت ، قالت : وردّ بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني ، قالت : فارتحلت بعيري ، ثم أخذت ابني فوضعتة في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، قالت : وما معي أحد من خلق الله ، قالت : فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتعميم <sup>(١)</sup> لقيت عثمان بن طلحة <sup>(٢)</sup> بن أبي طلحة أخوا بني عبد الدار ، فقال لي : إلى أين يابنت أبي أمية <sup>(٣)</sup> ؟

(١) موضع بمكة في الحل .

(٢) أسلم في هدنة الحديبية ، وهاجر مع خالد بن الوليد ، وشهد الفتح مع النبي ﷺ فأعطاه مفتاح الكعبة ، وكان فيمن دخلوا معه في الكعبة ، سكن المدينة إلى أن مات بها سنة ٤٢هـ (الإصابة ٦/٣٨٧) .

(٣) هو أبوها ، واسمه حذيفة ، وقيل ، سهيل ، ويلقب بزاد الراكب ، لأنه كان أحد الأجواد ، فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد ، بل يكفي رفقته من الزاد (الإصابة ١٣/٢٢٢)



قالت : فقلت : أريد زوجي المدينة ، قال : أو ما معك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله إلا الله وبني هذا ، قال : والله مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يهوي بي ، فو الله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيري فحط عنه ، ثم قيده في الشجرة ، ثم تتحنى إلى الشجرة فاضطجع عني فقال : اركبي ، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه ، فقاد بي حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء ، قال : زوجك في هذه القرية ، وكان أبو سلمة بها نازلاً ، فادخلها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، قال : فكانت تقول : والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة <sup>(١)</sup> .

هذه الرواية - كما يبدو من إسنادها - حسنة الإسناد <sup>(٢)</sup> ، وهي شاهد آخر يضاف إلى ما قبله من شواهد في تأكيد دوافع المسلمين للهجرة .

### طائفة من المهاجرين

جاء في بقية رواية البراء السابقة : «... فقدم بلال ، وسعد ، وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ ...» <sup>(٣)</sup> . وهذا الاحتمال في رواية البخاري عن الذين هاجروا مع عمر من الصحابة يكشف لنا ابن إسحاق معظمة ، فيذكر جملة ممن هاجر مع عمر ،

(١) انظر : السيرة لابن هشام ٧٧/٢ ، ٧٨ .

(٢) وانظر رسالة الهجرة ص ١٠٩ .

(٣) البخاري ٢٦٣/٤ ، ٢٦٤ (سبق) ، ٨٢/٦ (سبق) .



فيقول: «ونزل عمر حين قدمه المدينة، ومن لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو، وعبدالله ابنا سراقفة من المعتمر، وخنيس بن حذافة السهمي (وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر، فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده) وسعيد بن زيد بن عمرو وبن نضيل، وواقد بن عبدالله التميمي. -حليف لهم- وخولي بن أبي خولي، ومالك بن أبي خولي- حليفان لهم-، وبنو البكير أربعتهم: إياس بن البكير، وعافل بن البكير، وعامر بن البكير، وخالد بن البكير - حلفاؤهم من بني سعد بن ليث - على رفاعة بن عبد المنذر بن زبير في بني عمر بن عوف بقباء، وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن يضاف إلى من هاجر مع عمر: ابنه عبدالله بن عمر، وزوجه «زينب بنت مظعون الجمحية»<sup>(٢)</sup> فقد جاء في رواية عند البخاري أن عمر حين فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف في أربعة، فرض لابن عمر ثلاثة آلاف

(١) انظر ابن هشام ٨٨/٢. وقد ذكر ابن إسحاق دون إسناد.

(٢) هي زوجة عمر، ووالدة ابنه عبدالله، وحفصة (أم المؤمنين)، ذكر الزبير أنها كانت من المهاجرات، ثم قال ابن عبد البر: وأخشى أن يكون وهماً، لأنه قد قيل: إنها ماتت مسلمة بمكة قبل الهجرة، وحفصة ابنتها من المهاجرات. (الاستيعاب ٣٢/١٣، ٣٣). وتعقبه ابن فتحون، وابن حجر الذي قال: بل الوهم ممن قال ذلك، ثم نقل رواية البخاري (المشار إليها آنفاً) كدليل على ما يقول (الإصابة ٢٨٧/١٢).

وكذا وقع الاختلاف في هجرة عبدالله بن عمر، فابن عبد البر وابن الأثير يرون أن هجرته قبل هجرة أبيه (الاستيعاب ٣١٠/٦، وأسد الغابة ٣/٣٤٠)، وخالفهم الذهبي وابن حجر فذكروا هجرته مع أبيه (سير أعلام النبلاء ٢٠٤/٣، الإصابة ١٦٧/٦)



وخمسمائة ، فقليل له : هو من المهاجرين ، فلم نقصته من أربعة آلاف؟ قال : إنما هاجر به أبوه ، يقول : ليس هو كمن هاجر بنفسه <sup>(١)</sup> .

وهكذا يتضح أن جملة من خرجوا مع عمر : من أهله ، وأقاربه وحلفائهم ، ولعل بقية العشرين كانوا من أتباعهم ، كما قال الحافظ ابن حجر <sup>(٢)</sup> .

### كيف كانت هجرة عمر ومن معه ؟

ويستمر ابن إسحاق في تفصيل هجرة عمر ومن معه ، فيقول : فحدثني نافع <sup>(٣)</sup> مولى عبدالله بن عمر ، عن عبدالله بن عمر <sup>(٤)</sup> ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : «أتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة <sup>(٥)</sup> ، وهشام بن العاص ابن وائل السهمي <sup>(٦)</sup> التناضب <sup>(٧)</sup> من أضاة بني غفار فوق

(١) ٢٦١/٤ : في مناقب الأنصار .

(٢) الفتح ٢٦١/٧ .

(٣) هو : أبو عبدالله المدني ، ثقة ثبت فقيه ، توفى سنة ١١٧ هـ أو نحوها (التهذيب ٤١٢/١٠ ، والتقريب ٢٩٦/٢)

(٤) عبدالله بن عمر بن الخطاب ، ولد سنة ثلاث من البعثة ، وأسلم مع أبيه وهاجر وله عشر أو إحدى عشر سنة ، عرض على النبي ﷺ في بدر وأحد فاستصغره ، ثم أجازته في الخندق ، توفى سنة اثنين أو ثلاث وسبعين للهجرة . (الإصابة ١٦٧/٦ وما بعدها)

(٥) عياش بن أبي ربيعة واسمه (عمرو) بن عبدالله ، قرشي مخزومي من السابقين إلى الإسلام ، هاجر الهجرتين ودعا له النبي ﷺ ، مات سنة ١٥ هـ بالشام وقيل : استشهد باليمامة ، وقيل : باليرموك . (الإصابة ١٨٤/٧)

(٦) قديم الإسلام ، هاجر إلى الحبشة ، استشهد بأجنادين ، وله فيها موقف محمود . (الإصابة ٢٤٦/١٠)

(٧) هو بكسر الضاد : ضرب من الشجر ، وأضاة بني غفار على عشرة أميال من مكة ، والأضاة : الغدير . (الروض الأنف للسهيلى ١٨٨/٤ - ١٩٠).



سرف، وقلنا ، أينا لم يصبح عندها فقد حبس ، فليمض صاحباه ، قال : فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب ، وحبس عنها هشام ، وفتن فافتتن ، فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل بن هشام ، والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة ، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قدما علينا المدينة ، ورسول الله ﷺ بمكة ، فكلماه وقالوا : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرق لها ، فقلت له : يا عياش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتكوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لا متشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لا ستظلت . قال : أبر قسم أمي ، ولي هناك مال فأخذه ، قال : فقلت : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما . قال : فأبي علي إلا أن يخرج معهما ، فلما أبي إلا ذلك قلت : أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها ، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها ، فخرج عليها معهما . حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا ، أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟ قال : بلي ، قال : فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استتوا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن<sup>(1)</sup> قال : فكنا نقول : ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة ، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء

(1) بعد هذا قال ابن إسحاق : فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة أنهم حين دخلا به مكة دخلا به نهراً موثقاً ، ثم قال يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهاثكم كما فعلنا بسفيهننا هذا .

ونظراً لكونه بغير السند السابق ، وما بعده تنمة للسند السابق ، فقد وصلت الرواية المسندة





أصابهم . قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾<sup>(١)</sup> . قال عمر بن الخطاب : فكتبتها بيدي في صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام ابن العاص ، قال : فقال هشام : فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى<sup>(٢)</sup> أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها ، حتى قلت : اللهم فهمنيها ، قال : فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما نزلت فينا وفيما كنا نقول لأنفسنا ويقال فينا : فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> .

هذه الرواية جيدة الإسناد ، وقد أشار إلى صحتها الهيثمي<sup>(٤)</sup> ، وابن حجر<sup>(٥)</sup> . ودلائها على السرية في هجرة عمر واضحة ، فليس فيها أي إشارة إلى إعلان الهجرة ، بل أن تواعدهم في التناضب من أضاة بني غفار - وهي على عشرة أميال من مكة كما سبق - لؤكد إسرارهم بهجرتهم ، بل إن خروج أبي جهل ومن معه طلباً لعيش يؤكد السرية ، ولو أعلنوا الخروج لما أحوج السفر للمدينة ولمنع

(١) سورة الزمر ، الآيات : ٥٣ - ٥٥ .

(٢) طوى : بالفتح والقصر - ومنهم من يضمها - والفتح أشهر : واد بمكة (معجم البلدان

٤٥/٤)

(٣) انظر : السيرة لابن هشام ٨٤/٢ - ٨٧ .

(٤) مجمع الزوائد ٦١/٦ . وقد ساق القصة بطولها ، ثم قال : رواه البزار ورجاله ثقات .

(٥) في الإصابة ٢٤٦/١٠ .



بمكة أصلاً .

وفوق هذا فقد جاء الأمر صريحاً في رواية ذكرها ابن سعد في هجرة عمر ، حيث ساق نحواً من رواية ابن إسحاق - السابقة - وزاد فيها قول عمر « ... وكنا إنما نخرج سراً ... »<sup>(١)</sup> .

كل هذا لا يصحح ما توارثه الناس وألفوه من كون عمر أعلن هجرته على الملأ من قريش عند الكعبة ، وتهديدهم وتحداهم ، في رواية تتسبب إلى علي رضي الله عنه ، فقال فيها : « ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب ، فإنه هم بالهجرة تقلد سيفه ، وتكعب قوسه ، وانتضى في يده أسهماً واحتصر عنزته<sup>(٢)</sup> ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعاً متمكناً ، ثم أتى المقام فصلى متمكناً ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ، وقال لهم : شاهت<sup>(٣)</sup> الوجوه ، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس<sup>(٤)</sup> ، من أراد أن تثكله أمه ، ويوتم ولده ، ويرمل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادي ، قال علي : فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين ، علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه »<sup>(٥)</sup> .

(١) الطبقات ٢/٢٧١ .

(٢) العنزة - بفتح العين والزاي - مثل نصف الرمح أو أكبر شيئاً ، وفيها سنان مثل سنان الرمح . (النهاية ٣/٣٠٨) .

(٣) شاهت : أي قبحت . (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٥١١) .

(٤) المعاطس : الأنوف ، لأن العطاس يخرج منها . (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٥٧) .

(٥) أخرج هذه الرواية عن علي : ابن عساكر ، وابن السمان في الموافقة ( انظر شرح المواهب ٣١٩/١) و(سيرة الصالحين ٣/٣١٥) . كما ذكر هذه الرواية ابن الأثير في كتابة : أسد



أقول : هذه الرواية مع مخالفتها لرواية ابن إسحاق السابقة في متنها ، فهي ليست سليماً في إسناده ، وإذا كان يكفي لإسقاطها وجود روا مجهول فيها ، فكيف وفيها ثلاثة مجاهيل !؟<sup>(١)</sup> .

الغابة ١٥٢/٤ بهذا السند : أنبأنا عبد الوهاب بن هبة الله الدقاق إذن ، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، حدثنا أبو محمد الجوهري إملأ ، أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد الحافظ ، حدثنا أبو روق أحمد بن محمد ابن بكر الحفراني بالبصرة ، حدثنا الزبير بن محمد بن خالد العثماني بمصر سنة خمس وستين ومائتين ، حدثنا عبد الله بن القاسم الأيلي ، وعن أبيه ، عن عقيل بن خالد ، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن عبد الله بن العباس ، قال : قال لي علي بن أبي طالب (ثم ذكر الرواية السابقة) .

(١) قال الشيخ الألباني في رده علي البوطي في سيرته .

«جزمه بأن عمر - رضي الله عنه - هاجر علانية اعتماداً منه على رواية علي المذكورة ، وجزمه بأن علياً رواها ليس صواباً ، لأن السند بها إليه لا يصح وصاحب «أسد الغابة» لم يجزم أولاً بنسبتها إليه - رضي الله عنه - ، وهو ثانياً قد ساق إسناده بذلك إليه لتبرأ ذمته ، ولينظر فيه من كان من أهل العلم ، وقد وجدت مداره على الزبير بن محمد بن خالد العثماني : حدثنا عبد الله بن القاسم الأملي (كذا الأصل ولعله الأيلي) عن أبيه ، بإسناده إلى علي ، وهؤلاء الثلاثة في عداد المجهولين ، فإن أحداً من أهل الجرح والتعديل لم يذكرهم مطلقاً ...» . (دفاع عن الحديث النبوي والسيره ص ٤٣) . وانظر ما قاله صاحب الهجرة ، وقد انتهى إلى هذه النتيجة ص ١١٣ . قلت : والتأكيد على صحة الرواية أولاً أولى من التكلف في استخراج الدروس والعبر في قضية قد لا تكون ثابتة أصلاً - كهذه التي بين أيدينا ، وانظر تكلف السباعي والبوطي - مثلاً - في استخراج العبر منها - وهي كما رأينا . (السيره النبوية دروس وعبر ص ٨٠) و (وفقه السيره للبوطي ص ١٣٥ ، ١٣٦)



ومن المهاجرين الذين جاء ذكرهم في الصحيحين : عامر بن ربيعة <sup>(١)</sup> ، وزيد ابن حارثة <sup>(٢)</sup> ، وسالم - مولة أبي حذيفة <sup>(٣)</sup> - ، وقد جاء ذكر البخاري لهم مع جماعة كان فيهم أبو بكر ، وعمر ، وأبو سلمة ، وكان سالم يؤمهم في مسجد قباء حين نزلوا القصبة - موضع قباء - قبل مقدم رسول الله ﷺ ، لكونه أكثرهم قرآناً <sup>(٤)</sup> .

(١) هو : أبو عبدالله ، حليف بني عدي ، ثم الخطاب - والد عمر - كان أحد السابقين الأولين ، وهاجر إلى الحبشة ومعه امرأته شهد بداراً وما بعدها ، كان صاحب عمر لما قدم الجابية ، واستحلفه عثمان على المدينة لما حج ، قيل : إنه توفى سنة (٢٣٢هـ) ، وقيل : سنة (٢٣٧هـ) وقيل : بعد قتل عثمان بأيام . (الإصابة ٥/٢٧٧) .

(٢) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، وقع في الرق نتيجة غارة لبني القين على بني معن (قوم أمه) فبيع في سوق عكاظ ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فوهبته للنبي ﷺ بعد زواجها به ، فكان يدعى زيد بن محمد حتى نهي عن ذلك ، شهد بداراً وما بعدها ، وقتل في مؤتة أميراً للجيش . (الإصابة ٤/٤٧) .

(٣) هو : سالم بن معقل ، يكنى أبا عبدالله ، من أهل فارس ، كان من فضلاء الموالي ، ومن خيار الصحابة وكبارهم ، كان عمر يفرط في الشاء عليه ، شهد سالم بداراً ، وقتل يوم اليمامة شهيداً هو ومولاه أبو حذيفة ، فوجد رأس أحدهما عند رجلي الآخر . (الاستيعاب - حاشية الإصابة ٤/١٠١) .

(٤) ١٧٠/١ : كتاب الأذان باب إمامة العبد والمولى ، وفي الأحكام ٨/١١٥ : باب استقضاء الموالي واستعمالهم . وقد استشكل قوله في الحديث - قبل مقدم رسول الله ﷺ - ذلك لأن أبا بكر ذكر مع من يؤمهم سالم ، ومن المعلوم هجرة أبي بكر مع النبي كما سيأتي ، وقد أجاب البيهقي باحتمال أن يكون سالم استمر يؤمهم بعد أن تحول النبي ﷺ إلى المدينة ، ونزل بدار أبي أيوب قبل بناء مسجده بها ، فيحتمل أن يقال : كان أبو بكر يصلي خلفه إذا جاء إلى قباء . (الفتح ١٢/١٦٨)



وهؤلاء الثلاثة ذكر ابن إسحق هجرتهم، فأما عامر فقد عده ابن إسحاق أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة، وذكر أن امرأته ليلى بنت أبي حثمة ابن غانم كانت معه<sup>(١)</sup>.

كما ذكر هجرة زيد وعلي من نزل<sup>(٢)</sup> وكذا سالم مولي أبي حذيفة<sup>(٣)</sup>.  
ومن المهاجرات كما في الصحيحين - أم قيس بنت محصن الأسدية<sup>(٤)</sup> وقد جاء ذكرها على أنها من المهاجرات الأول<sup>(٥)</sup>.  
وعند ابن إسحاق أن بني غنم بن دودان أهل إسلام، وقد أوعبوا<sup>(٦)</sup> إلى

(١) ابن هشام ٧٨/٢.

(٢) ابن هشام ٩٠/٢.

(٣) المصدر نفسه ٩١/٢.

(٤) يقال: إن اسمها أمية أو أمانة (ولعله اختلاف في الضبط) أسلمت قديما، وبايعت، وهاجرت إلى المدينة، دعا لها النبي ﷺ بطول العمر، فقيل لم يعلم امرأة عمرت مثلها، وسبب ذلك أن ابنا لها توفي، فجزعت فقالت للذي يغسله: لا تغسل ابني بالماء البارد فتقتله. فذكر أخوها عكاشة ذلك للنبي فدعا لها. (الاسياعاب ٢٦٧/١٣، والإصابة ٢٦٩/١٣، وتهذيب التهذيب ٤٧٦/١٢)

(٥) البخاري ١٨/٧، ١٩، كتاب الطب، باب العذرة وذات الجنب، مسلم ٢٣٨/١: كتاب الطهارة، باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفيه غسله، وفي كتاب السلام ١٧٣٥/٤، باب التداوي بالعود الهندي وهو الكست. وعلى كل حال، فقد ذكر ابن حجر، والعيني احتمال أن يكون هذا الوصف لأم قيس بأنها من المهاجرات الأول، مدرجاً من كلام الزهري، أو موصلاً من كلام شيخه، ورجحه ابن حجر. (الفتح ١٦٨/١٠، عمدة القارئ ٢٥٠/٢١).

(٦) أي: خرجوا جميعهم.



المدينة مع رسول الله ﷺ هجرة رجالهم ونسائهم ، ثم ذكر «أم قيس» من بين نسائهم المهاجرات <sup>(١)</sup> .

وهناك من المهاجرين والمهاجرات غير هؤلاء ذكرهم ابن إسحاق <sup>(٢)</sup> على أن الهجرة لم تنقطع ، والمهاجرون لم يتوقفوا ، حتى إذا فتحت مكة قال النبي ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح» (كما سبق) .

---

(١) ابن هشام ٢/٨٠ ، ٨١

(٢) المصدر السابق ص ٩٠ - ٩٢ .



## هجرة المصطفى ﷺ

### ومن معه إلى المدينة

#### الإذن بالهجرة والوصول إلى غار ثور :

ظل النبي ﷺ - بعد هجرة من هاجر من الصحابة - ينتظر الإذن من ربه في الهجرة ، وفي هذه الفترة كان يعاود الإتيان إلى بيت أبي بكر - وهو ممن استبقاه النبي ﷺ في مكة - طرife النهار بكرة وعشية .

حتى إذا جاءه الإذن بالهجرة فأجأ أبا بكر في منزله ، وأتاه في وقت لم يكن من عادته المجيء إليه فيه .

تقول عائشة رضي الله عنها - في رواية البخاري - : لقلّ يوم كان يأتي على النبي ﷺ إلا يأتي فيه بيت أبي بكر أحد طرife النهار .

وفي رواية : لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر عليهما يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرife النهار بكرة وعشية .

فلما أذن له في الخروج إلى المدينة لم يرعنا إلا وقد أتانا ظهراً ، فخبربه أبو بكر ، فقال : ما جاءنا النبي ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث . فلما دخل عليه قال لأبي بكر : «أخرج من عندك» قال : يا رسول الله ، إنما هما ابنتاي يعني عائشة وأسماء ، قال : «أشعرت أن قد أذن لي في الخروج» .

وفي رواية : قالت عائشة : بينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهر ، قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال : أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر ، قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال النبي



ﷺ لأبي بكر : «أخرج من عندك» ، فقال أبو بكر : إنا هم أهلك<sup>(١)</sup> ، بأبي أنت يا رسول الله قال : «فإني قد أذن لي في الخروج» فقال أبو بكر : الصحابة<sup>(٢)</sup> بأبي أنت يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : «نعم» قال أبو بكر ، فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحتي هاتين ، قال رسول الله ﷺ : «بالمثنى» قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها ، فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق<sup>(٣)</sup> قالت : ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور<sup>(٤)</sup> فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر - وهو غلام شاب ثقف لقن - فيدلج من عندهما بسحر فيصبح من قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمراً يكتادان<sup>(٥)</sup> به إلا وعاه ، حتى يأتيهم بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة<sup>(٦)</sup> مولى أبي بكر منحة من غنم ، فيريحها عليهما حين تذهب

(١) وفي الرواية السابقة إنما هم ابنتاي : «إنما قال أبو بكر : «إنما هم أهلك» ؛ لأنه كان أنكحه عائشة قبل ذلك . (الروض الأنف للسهيلي ٢٠٢/٤).

(٢) وفي بعض الروايات : «الصحبة» .

(٣) هكذا في هذه الرواية « ذات النطاق» وفي بعض الروايات : «ذات النطاقين» وهي عند ابن إسحاق بالإفراد ، وتعقبه ابن هشام بأنه سمع غير واحد من العلماء يقول : « ذات النطاقين» . (السيرة ٩٩/٢) .

(٤) جبل بمكة ، قال الجوهري : وفيه الغار المذكور في القرآن ، وقال الزمخشري : ثور أطلع من جبال مكة بالمفجر من خلف مكة على طريق اليمن . (معجم البلدان ٨٦/٢) .

(٥) يكتادانه : مبني للمفعول من الكيد ، أي : ما يدبر لهما من كيد .

(٦) عامر بن فهيرة الميمي ، مولى أبي بكر الصديق ، أحد السابقين إلى الإسلام ، وكان ممن يعذب في الله ، كان ممن اشتكى بعد الهجرة للمدينة ، ذكر ابن إسحاق أنه





ساعة من العشاء ، فيبيتان في رسل - وهو لبن - منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث ، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل وهو من بني عدي بن عدي هادياً خريئاً والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً في العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فدفعوا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث<sup>(١)</sup> .

هذه هي رواية البخاري في الإذن بهجرة النبي ﷺ إلى أن وصل إلى غار ثور وهي تبرز قضايا ، وتنشئ تساؤلات .

ولعل من أبرز هذه القضايا تكتم النبي ﷺ ، وإسراؤه بالإذن بهجرته ، فهو أولاً يأتي إلى أبي بكر على غير عادته ، وفي وقت يستغرب المجيء فيه «نحر الظهيرة» ثم هو يعمد إلى إخفاء هيئته ، حيث جاء «متقنعاً» ومع هذا كله يأمر أبا بكر بإخراج من عنده ، فالحديث جلل ، والأمر خطير ، ويدرك أبو بكر هذا فيقول : «والله ما جاء به هذه الساعة إلا أمر» .

فهل يعني هذا أن هناك عيوناً تترصده ؟ وهل ذلك يشير -ولو من بعيد - إلى قصة تأمر المشركين عليه في دار الندوة ، تلك الرواية التي أغفلتها رواية البخاري

---

مولد من الأزدي ، كان للطفيل بن عبد الله ، فاشتراه منه أبو بكر فأعتقه ، قُتل في بئر معونة رضي الله عنه . (الإصابة ٢٩٤/٥) .

(١) البخاري ٢٤/٣ : كتاب البيوع ، باب إذا اشترى متاعاً أو دابة فوضعه عند البائع ، وفي مناقب الأنصار ٢٥٥/٤ ، ٢٥٦ والمغازي ٤٣/٥ في غزوة بئر معونة ، وفي اللباس ٣٩/٧ باب التنعق ، وفي الأدب ٩١/٧ : باب هل يزور صاحبه كل يوم أو بكرة وعشياً .



، وذكرها ابن إسحاق كسبب مباشر للهجرة لكن بسند فيه مجهول<sup>(١)</sup> وآخر مرسل<sup>(٢)</sup> وذكر القصة غير ابن إسحاق بسند قوي<sup>(٣)</sup> .

ومع صحة رواية تأمر المشركين ينشأ السؤال : فهل يكون مجئ النبي ﷺ إلى أبي بكر في نحر الظهيرة من اليوم الذي يلي ليلة تأمر المشركين عليه؟ أم في نحر اليوم الذي أعقبته ليلة التأمر؟ وإذا كان مجيئه لأبي بكر بعد ليلة التأمر ، فأين كان مبيته تلك الليلة؟ وأين قضى شطراً من النهار إلى أن جاء أبا بكر في نحر الظهيرة؟ تلك تساؤلات استوقف بعضها «الزرقاني» في شرحه للمواهب<sup>(٤)</sup> ، و«صادق عرجون» في سيرته .

(١) قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم من أصحابنا !! عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ثم ساق القصة ، وفيها المبيت على فراشه ، ثم طلب النبي ﷺ من علي بن أبي طالب أن يبيت في فراشه . ( انظر : السيرة لابن هشام ٩٣/٢ - ٩٥ )

(٢) قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، ثم ساق قصة اجتماع المشركين على بابه ، ثم خروجه من عندهم وذره التراب على رؤوسهم . ( انظر : السيرة لابن هشام ٩٥/٢ ، ٩٦ )

(٣) ذكر القصة ابن سعد في طبقاته ٢٢٧/١ ، وذكر صاحب رسالة الهجرة أن رجال سنده كلهم ثقات عدا الواقدي (رسالة الهجرة ص ١١٨) وعبدالرزاق في مصنفه ٢٨٩/٥ لكن بسند مرسل عن قتادة ، كما ذكر الإمام أحمد عن ابن عباس رواية في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية (٢٠) من الأنفال «تحكي تأمر المشركين ، ومبيت علي ، وخروج النبي ﷺ إلى الغار ونسج العنكبوت عليه . (المسند ٣٤٨/١) وحسن إسنادها ابن كثير في سيرته : (٢٣٩/٢) .

(٤) شرح الزرقاني على المواهب ٢٢٣/١ .



قال الزرقاني : قال صاحب النور : ولم أقف على ما صنع رسول الله ﷺ من حين خروجه إلى أن جاء إلى أبي بكر في نحر الظهيرة .

وقد حاول الزرقاني الإجابة عن ذلك ، فقال : روى الإمام أحمد بإسناد حسن : تشاورت قريش .. الحديث ، وفيه فأطلع الله نبيه على ذلك ، فبات علي على فراشه ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار - أي غار ثور - كما في رواية ابن هشام وغيره ، فأفاد أنه توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه في نحر الظهيرة ، ثم خرج إليه هو أبو بكر ثانياً ، ومن هذا الحديث علم الجواب عن قوله في النور : «ولم أقف على ما صنع ..»

كما ذكر الزرقاني رواية أخرى عن البيضاوي تفيد خروجه إلى الغار وبصحته أبو بكر الصديق <sup>(١)</sup> .

وثالثة عن الدمياطي تفيد أنه ذهب تلك الليلة إلى بيت أبي بكر ، فكان فيه إلى الليلة - أي المقبلة - ثم خرج هو وأبو بكر إلى جبل ثور <sup>(٢)</sup> .

أما صادق عرجون ، فقد علق الإجابة على هذه التساؤلات بسؤال آخر عن دور بني هاشم في الذود عن النبي ﷺ في تلك المؤامرة الخطيرة ، وانتهى إلى أنه من غير المعقول أن يقفوا فيها مكتوفي الأيدي ، وهم الذين حموه من قبل في أكثر من موقف ، وبالتالي فهو يرجح مبيته تلك الليلة في مكان اختاره له بنو هاشم تحت أعينهم ، وفي ظل حمايتهم ، لكنه مع هذا يعترف بأن هذا الرأي الذي انتهى إليه لم يعثر له على سند في رواية من الروايات <sup>(٣)</sup> .

(١) شرح الزرقاني على المواهب ١/٢٢٣ ..

(٢) المصدر نفسه ١/٢٢٣ .

(٣) انظر محمد رسول الله ﷺ - منهج ورسالة ، بحث وتحقيق لمحمد صادق عرجون ، نشر =



أما الإيحاءات التي اعتمد عليها في تعزيز هذا الرأي<sup>(١)</sup> ، فهي في نظري غير كافية .

ونعود مرة أخرى إلى الروايات في المؤامرة ، فنجد رواية الإمام أحمد - التي أشار إليها الزرقاني - أقرب الروايات إجابة عن التساؤل المطروح ، لو استقامت لهذه الرواية علائم القبول .

بيد أن الذي نجده أن الفهم الذي فهمه الزرقاني « في شرحه على المواهب » من رواية أحمد لا توحى به الرواية - عند الرجوع إليها - فليس فيها التصريح بذهاب النبي ﷺ إلى الغار وحده بل الذي في آخرها يوحي بكونه ذهب إلى الغار ومعه أبو بكر حيث جاء فيها : « فمكث فيه ثلاثاً » . ومن المعلوم أن المكوث هذه المدة كان بصحبة أبي بكر رضي الله عنه .

ومما يؤكد هذا أن الإمام أحمد رواها عن « عبدالرزاق » و « عبدالرزاق » أخرج الرواية في « مصنفه » وصرح بكون أبي بكر معه ، فقال : فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك ، فخرج هو وأبو بكر إلى غار في الجبل يقال له ثور ، ونام علي على فراش النبي ﷺ<sup>(٢)</sup> .

وهناك رواية أخرى عند الإمام أحمد تفيد مجيء أبي بكر وعلي نائم على

---

دار القلم ، دمشق ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ ( ٥١٢/٢ - ٥٢٠ )

(١) المرجع السابق ٥١٦/٢ .

(٢) المصنف لعبدالرزاق : ٢٨٩/٥ ، وهو مرسل . ( ط . المكتب الإسلامي ط . الأولى ١٣٩٢

هـ ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ) .



فراش النبي ﷺ ، وهو يحسب أنه نبي الله ، فقال له : يا نبي الله ، فقال علي : إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون<sup>(١)</sup> فأدركه ، فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار<sup>(٢)</sup> .

وهذه الرواية شهد لها بعض العلماء بالصحة<sup>(٣)</sup> ، لكنها لا تتفق مع رواية البخاري التي تشير إلى مجيء النبي ﷺ إلى بيت أبي بكر دون أن يكون عنده سابق علم ، إلا إن أمكن الجمع بينهما بأن يكون مجيء النبي ﷺ إلى أبي بكر في نحر الظهر من ذلك اليوم الذي حاصر المشركون فيه بيت النبي ﷺ ليلاً ، فمر عليه أبو بكر ليلاً فلم يجده ، وعندما أخبره علي خبره لحق به في بئر ميمون ، ومنها انطلقا إلى غار ثور .

أما رواية «ابن سعد فتفيد أن رسول الله ﷺ صار إلى منزل أبي بكر ، فكان فيه إلى الليل ، ثم خرج هو أبو بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه<sup>(٤)</sup> .

لكننا لا نعلم أيقصد ابن سعد صيرورة النبي ﷺ إلى بيت أبي بكر ليلة حصار المشركين له ، بعد أن خرج وهم لا يشعرون ، فبات بقية ليلته عند أبي بكر ، ومكث نهار الغد حتى إذا جن الليل خرجا إلى الغار ؟

(١) بئر ميمون : في معجم البلدان : بمكة منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر الحضرمي ، وقيل : إن صاحبها ميمون أخو أبو العلاء بن الحضرمي - والي البحرين - حضرها بأعلى مكة (٣٠٢/١) . وفي أخبار مكة : عدها من الآبار التي بين المعلاة ومناة ، وهي التي الآن بسيل الست بطريق منى .

(٢) المسند ١/٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٣) صححها الحاكم ، ووافقه الذهبي (المستدرک ٤/٣) ، والهيتمي في مجمع الزوائد ١١٩/٩ ، ١٢٠ ، وصحح سندها المحقق أحمد شاكر كما في المسند ٢٥/٥ .

(٤) الطبقات ١/٢٢٧ .



وهذا ما جزم به الدمياطي <sup>(١)</sup> والنجم عمر بن فهد <sup>(٢)</sup> .

أم أنه قصد صيرورة النبي ﷺ إلى أبي بكر بعدما بات تلك الليلة في مكان آخر فجاءه في النهار ومكث عنده إلى الليل حيث خرجا إلى الغار ؟

وفوق ما ذكرنا من الروايات ، فقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله ﷺ سبق الصديق في الذهاب إلى غار ثور ، وأمر علياً أن يدلّه على مسيره ليلحقه ، فلحقه في أثناء الطريق <sup>(٣)</sup> ، وهذه علق عليها ابن كثير بقوله : وهذا غريب جداً ، وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً <sup>(٤)</sup> .

وعلى كل حال - وإذا كان المشهور خروجهما إلى الغار سوياً - فهناك عدد من الروايات تتجه إلى أن ذلك كان ليلاً <sup>(٥)</sup>

وأخيراً - وبعد هذه الجولة - في الروايات أعود فأقول : إن رواية البخاري وإن

(١) انظر شرح المواهب ١/٣٢٣ .

(٢) صاحب : إتحاف الوري بأخبار أم القرى ١/٣٦٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٧٤ .

(٤) السيرة النبوية ٢/٢٣٦ . وهذا التعليق لم يرضه صادق عرجون ، بل اعتبره نقداً غير مستوعب ، وقال : إنه إلى السطحيه أقرب منه إلى العمق !! ( محمد رسو الله ٢/٥١٠ ) لكنه لم يذكر أسباب نقده لرأي ابن كثير ، بل لقد نقد هو نفسه رواية الطبري ، وقال : إنه لا يعول عليها .

(٥) كرواية أحمد - السابقة - وعروة بن الزبير (مغازي عروة ص ١٢٨ ، ١٢٩) وموسي بن عقبة ( انظر : السيرة لابن كثير ٢/٢٤٤ ) ورواية الحسن بن أبي الحسن البصري - ذكرها ابن هشام في السيرة ٢/٩٨ ، وإن كان فيها انقطاع من طرفها كما قال ابن كثير في السيرة (٢/٢٣٧) ، وابن سعد في الطبقات (١/٢٢٧) ، وابن حزم في جوامع السيرة ص ٩١ ، والدمياطي في سيرته كما نقله الزرقاني في شرحه في المواهب (١/٣٢٣)



كانت لم تصرح بالمكان الذي بات فيه النبي ﷺ فلعل فإمكاننا أن نفهم أن مجيء النبي ﷺ إلى أبي بكر في نحر الظهرية يحتمل أن يكون في اليوم نفسه الذي أعقبة ليلة المؤامرة - ويؤيد ذلك رواية عروة بن الزبير<sup>(١)</sup> - ويكون النبي ﷺ خرج من عند أبي بكر بعدما أخبره بالإذن بالهجرة والاستعداد لها إلى بيته ، حيث ترصدته المشركون فحفظه الله ، فأغشى أبصارهم عن رؤيته حين خرج عليهم ، متجهاً إلى بئر ميمون في طريقه إلى الغار . وجاء أبو بكر في الليلة نفسها إلى بيته فوجد علياً مكانه ، فسأله عن رسول الله فدلّه على جهته . فاتجه أبو بكر إلى بئر ميمون ، ومنه إلى الغار سواء كان بصحبة النبي ﷺ - وهو الأقرب<sup>(٢)</sup> - أم كان على أثره كما تشير بعض الروايات . وبهذا نحل الإشكال ، ونجمع بين ما صح وتوفر لنا من الأخبار ، والله أعلم .

ومن القضايا التي تبرزها رواية البخاري : جهد آل أبي بكر في الهجرة ، فالراحتان - منذ زمن - كان أبو بكر يلفهما ورق السمر ، والجهاز يشترك في إعداده بيت أبي بكر ، وتفندي إحدى بناته «أسماء» بنطاقها حين لا تجد ما تربط به فم الجراب !!

(١) مغازي عروة ص ١٢٩ . ونصها : «ويبلغه ذلك اليوم الذي أتى فيه الرسول ﷺ دار أبي بكر أنهم مبيتوه إذا أمسى على فراشه ، وخرج من تحت الليل هو وأبو بكر قبل الغار بثور ... وعمد علي فرقد على فراشه ...»

(٢) ويؤيد هذا فوق ما تقدم - إحدى روايات البخاري ، ففيها : «... فركبا فانطلقا حتى أتيا الغار وهو بثور ...» ٤٣/٥ ، ورواية الحاكم التي أكد فيها على خروجهما معاً . وأن أبا بكر كان يمشي بين يدي النبي ﷺ ساعة ، وخلفه ساعة (شفقة عليه) . المستدرک ٦/٣ قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وذكر ابن كثير أن له شواهد أخر . (انظر السيرة ٢/٢٣٧) .



وعن أسماء رضي الله عنها - قالت : صنعت سفرة رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة ، قالت : فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نرطبهما به ، فقلت لأبي بكر : والله ما أجد شيئاً أربط به إلا نطاقي قال : فشقيه باثنين فاربطيه : بواحد السقاء وبالأخر السفرة ، ففعلت ، فلذلك سميت ذات النطاقين .<sup>(١)</sup>

وحين عير أهل الشام «ابن الزبير» بقولهم : يابن ذات النطاقين ، ذكرت له أمه «أسماء» سبب هذه التسمية ، فكان بعدها إذا عيروه بها يقول : إيها والإله «تلك شكاة ظاهر عنك عارها»<sup>(٢)</sup> .

وعبدالله بن أبي بكر - وهو الشاب الثقف اللقن - يختار ليكون عيناً لهما على المشركين ، يسمع ما يكاد لهما ، وينقل كل حركة أو هاجس في مكة يتعلق بهما ، وكانت حركته تلك لا تثيرريباً أو شكوكاً ، إذ هو يدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فيعي ما يقال ثم يعود إليهما إذا أختلط الظلام بالخبر<sup>(٣)</sup> .

ثم يأتي «عامر بن فهيرة» مولى أبي بكر بعده ليعضي على أثره ، وليريح

---

(١) البخاري ١٣/٤ : الجهاد والسيرة ، باب حمل الزاد في الغزو ، وفي مناقب الأنصار ٢٥٨/٤ ، وفي الأطعمة ١٩٩/٦ : باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة . وهذا خلاف تفسير ابن هشام لها ، وأنها علقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر ، فلهذا سميت ذات النطاقين . ( السيرة ٩٩/٢ )

(٢) المصدر نفسه ١٩٩/٦ : كتاب الأطعمة ، باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة

(٣) البخاري ٢٥٦/٤ ، ٣٩/٧ .





عليهما منحة لأبي بكر ليشربا من رسلها ، وبحركة (هي الأخرى) لا تثير الرعاة من حوله ، ومن يفظن له وقد اختار الدلجة زماناً لرواحه وغدوة عليهما !!<sup>(١)</sup> .

كما تبرز رواية البخاري «دليل الهجرة» وهو كما جاء في الرواية : من بني الدليل ، ومن بني عبد عدي ، لكنها لا تذكر اسمه ، وقد جاءت تسميته عند ابن إسحاق بـ «عبداله بن أرقد»<sup>(٢)</sup> .

وهو عند غيره<sup>(٣)</sup> «عبدالله بن أريقط» على المشهور .

والرواية تؤكد على كون الدليل مشركاً حين استأجره للهجرة لكنهما أمناه<sup>(٤)</sup> ثم هي لا تشير إلى إسلامه ، أو عدمه بعد ذلك ، لكن الغالب من أقوال

(١) البخاري ٢٥٦/٤ ، ٤٣/٥ ، ٣٩/٧ .

(٢) هكذا جاء النقل عن ابن إسحاق في تسميته «عبدالله بن أرقد» بالدال (انظر تاريخ الطبري ٢/٢٧٨ ، ٢٨٠ ، والفتح ٧/٢٢٨ ، وشرح المواهب ١/٣٣٩) لكنه في المطبوع من سيرة ابن هشام (عبدالله بن أريقط) ٩٨/٢ ، ١٠٢ ، وكذا هو في أصل الروض الأنف ٤/١٨١ ، وعند الرجوع إلى أصل ابن هشام (مخطوط الأسكوريال) وجدته بالدال ق٤٦/ب قلعله (تصحف) في المطبوع من سيرة ابن هشام .

(٣) ذكره موسى بن عقبة (انظر : الفتح ٧/٢٢٨ ، شرح المواهب ١/٣٣٩) ، وابن هشام في السيرة ٢/١٠٢ ، وابن سعد في الطبقات ١/٢٢٩ ، والطبري في تاريخه ٢/٤٠٠ ، وابن كثير في السيرة ٢/٢٥٥ وقال : وهو المشهور ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص ١١٧ ، والبيهقي في دلائله ٢/٤٧٩ إلا أنه اكتفي بـ «أريقط» دون عبدالله ، وابن حزم في السيرة ص ٩١ ، والسهيلي في الروض ٤/٢٠٢ ، ٢٢٥ ، والخشني في شرحه للسيرة ١/١٢٧ وغيرهم .

(٤) بالإضافة إلي ما سبق انظر : البخاري ٤٨/٣ : كتاب الإجارة ، باب استئجار المشركين عند الضرورة أو إذا لم يوجد أهل الإسلام .. ، وباب إذا استأجر أجير ليعمل له بعد ثلاثة أيام .



العلماء على أنه لم يسلم<sup>(١)</sup>

وعلى كل حال فالرواية تصفه بأنه كان هادياً خريماً ، والخريت - كما جاء تفسيرها في بعض الروايات - : الماهر بالهداية ، ولهذا السبب ، وشدة الحاجة إليه ، مع أمنهما جانبه ، اختاره النبي ﷺ دليلاً في هجرته ، مع كونه مشركاً ، ولهذا نبه البخاري في إحدى تراجمه لقصة الدليل إلى هذا ، فقال : باب استئجار المشركين عند الضرورة .. إلخ كما سبق .

### في الغار:

وقد أفادت الرواية السابقة أنهم مكثوا في غار ثور ثلاث ليال ، حيث واعدوا الدليل فيه صبح ثلاث.

وتفيد روايات أخرى أن المشركين وصلوا الغار الذي يكمنان فيه ، بحثاً عن النبي ﷺ ، ولم يكن بينهم وبين ما يشتهون إلا أن يطأطئ أحدهم بصره إلى موضع قدميه ، كما قال أبو بكر - رضي الله عنه - : كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت : يا نبي الله ، لو أن بعضهم

---

(١) فقد جزم عبدالغني المقدسي (ت ٦٠٠هـ) في سيرته (الدرة المضيئة في السيرة النبوية) مخطوط في باريس ١٩٦٦ (عن معجم ما ألف عن رسول الله للمنجد ص ١١٠) بأنهم لم يعرف له إسلاماً (انظر : الإصابة ٥/٦) ، وتبعه النووي في سيرته (السيرة النبوية ص ٢٤- تحقيق عبدالرؤوف علي ، بسام الجابي) .

وقال السهيلي : ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك ٢٢٥/٤ ، وقال ابن حجر : ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد (الإصابة ٥/٦) ، وانظر : التجريد ٢٩٦/١ (تصحيح صالحة عبدالحكيم شرف الدين ، نشر شرف الدين الكتبي وأولاده ، الهند ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) .



طأطأ بصره رأنا ، قال : «اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما»<sup>(١)</sup> .

لكنها العناية الإلهية فوق كيد الماكرين ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ

الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد نسب «أبو نعيم» إلى ابن إسحاق برواية زياد بن عبد الله أن أبا بكر الصديق قال - فيما يزعمون - في دخوله الغار مع رسول الله ﷺ ، ومسيره معه حين ساروا في طلب سراقه بن جعشم إياهم أبياتاً من الشعر منها :

قال النبي ولم أجزع يوقرني      ونحن في سدنة في ظلمة الغار

لا تخش شيئاً فإن الله ثالثنا      وقد توكل لي منه بإظهار

وإنما كيد من تخشى بواده      كيد الشياطين كادته لكفار

في أبيات طويلة ....<sup>(٣)</sup>

ولم أجد ذلك في سيرة ابن هشام.

كما نسب ابن كثير إلى ابن إسحاق - من رواية يونس بن بكير - هذه القصيدة أيضاً لأبي بكر<sup>(٤)</sup> ، ولم أجده كذلك في المطبوع من رواية يونس عن ابن إسحاق .

(١) البخاري ٤ / ١٦٣ : مناقب الأنصار ، وهذه إحدى روايات البخاري ، وانظر الرواية مع اختلاف يسير في البخاري - أيضاً - ٤ / ١٩٠ في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، وفي التفسير ٥ / ٢٠٤ باب قوله ﴿إِنِّي آتِيَنُ إِذْهُمْ مُّصِيفِي الْغَارِ...﴾ ، ومسلم ٤ / ١٨٥٤ : فضائل الصحابة ، من فضائل أبي بكر رضي الله عنه .

(٢) الأنفال آية ٣٠

(٣) دلائل النبوة : لأبي نعيم ص ١١٥ .

(٤) السيرة النبوية : لابن كثير ٢ / ٢٤٣ ، ٢٤٤ .



وعلى كل حال ، فرواية الصحيحين في الغار تؤكد رواية ابن إسحاق في رصد المشركين للنبي ﷺ حين فقدوه ، وجعلوا مائة ناقة لمن يرده عليهم<sup>(١)</sup> وسيأتي - من رواية الصحيح أيضاً - في قصة سراقه - ما يؤكد طلب المشركين للنبي ﷺ وأبي بكر ، وجعلهم فيهما دية كل واحد منهما من قتله أو أسره<sup>(٢)</sup>.

أما عن طعامهم في الغار ، فقد سبق في رواية البخاري أن مولى أبي بكر كان يروح ويغدو عليهم بمنيحة أبي بكر فيببتان في رسلها ، كما سبق - في الرواية نفسها - أنهما جهزا بأحد الجهاز من بيت أبي بكر ، ويضيف ابن إسحاق : أن أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما<sup>(٣)</sup>.

وتتفق رواية الصحيح مع رواية ابن إسحاق في صحبة «عامر بن فهيرة» مع الدليل لهما في طريقة الهجرة ، ففي آخر رواية البخاري السابقة قال : «وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل ...»<sup>(٤)</sup>.

وفي السيرة لان إسحاق : وأردف أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- عامر ابن فهيرة مولاه خلفه لخدمتهما في الطريق<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر : ابن هشام ٩٩/٢ . وهي دون إسناد ، ثم ذكرها في قصة سراقه مسنده ١٠١/٢ وستأتي .

(٢) انظر -مثلاً- البخاري : ١٨٩/٤ ، ١٩٠ ، في فضائل أصحاب النبي ﷺ ٢٥٦/٤ ، ٢٦٢ في مناقب الأنصار .

(٣) انظر : السيرة لابن هشام ٩٨/٢ : وقدر ساقها ابن إسحاق دون إسناد .

(٤) البخاري ٢٥٦/٤ (سبق)

(٥) ابن هشام ١٠٠/٢ وهو دون إسناد



## الهجرة إلى المدينة

كما يتفقان - أيضاً - في تحديد الطريق الذي سلكوه ، وسأتي بيانه إن شاء الله .



## في طريق الهجرة

### ( حديث الرّحل )

أخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث البراء بن عازب أنه قال : جاء أبو بكر الصديق إلى أبي في منزله فاشترى منه رحلاً ، فقال لعازب : ابعث معي إلى منزلي ، فقال لي أبي : احمله ، فحملته ، وخرج أبي معه ينتقد ثمنه ، فقال له أبي : يا أبا بكر ، حدثني كيف صنعتما ليلة سررت مع رسول الله ﷺ قال : نعم ، أسرينا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهر وخلا الطريق فلا يمر فيه أحد ، حتى رفعت لنا صخرة<sup>(١)</sup> طويلة لها ظل ، لم تأت عليه الشمس فيه أحد ، فنزلنا عندها ، فأتيت الصخرة فسويت بيدي مكاناً ينام فيه النبي ﷺ في ظلها ، ثم بسطت عليه فروة ، ثم قلت : نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك فنام وخرجت أنفض ما حوله ، فإذا أنا براعي غنم مقبل بغنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا ، فلقيته فقلت : لمن أنت يا غلام؟ فقال : لرجل من أهل المدينة<sup>(٢)</sup> . قلت : أي غنمك لبن؟ قال : نعم . قلت : أفتحلب لي ؟ قال : نعم ، فأخذ شاة فقلت له : انفض الضرع من الشعر والتراب والقذى ، فحلب لي في قعب معه كثبة من لبن ، قال : ومعى إداوة أرتوي فيها للنبي ﷺ ليشرب منها ويتوضأ ، قال : فأتيت النبي ﷺ وكرهت أن أوقظه من نومه ، فوافقته استيقظ ، فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله ، فقلت : يا رسول الله اشرب من هذا اللبن ، قال : فشرب حتى رضيت ،

(١) أي ظهرت لأبصارنا

(٢) هكذا جاءت الرواية عند مسلم "لرجل من أهل المدينة" وعند البخاري : من أهل المدينة أو مكة ، وفي رواية «الرجل في قريش» وسيأتي بيان ذلك.



ثم قال: "ألم يأن للرحيل؟ قلت: بلى، قال: فارتحلنا بعد ما زالت الشمس، واتبعنا سراقه بن مالك، قال: ونحن في جلد من الأرض"<sup>(١)</sup>، فقلت يا رسول الله أتينا، فقال "لا تحزن إن الله معنا"، فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت فرسه إلى بطنها، أرى، فقال: إني قد علمت أنكما قد دعوتما عليّ، فادعوا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا الله، فنجنا، فرجع لا يلقي أحداً إلا قال: قد كفيتمكم ما ههنا، فلا يلقي أحداً إلا رده، قال: ووفى لنا<sup>(٢)</sup>.

ومن حديث الرجل نقف على الأمور التالية:

### أولاً: خبر الراعي:

وقد سبق في رواية مسلم أنه لرجل من أهل المدينة، وجاء في إحدى روايات البخاري: «لرجل من أهل المدينة أو مكة»<sup>(٣)</sup> وهو شك من الراوي<sup>(٤)</sup> وفي بعضها:

«لرجل من قريش»<sup>(٥)</sup> وفي بعضها الآخر: «فإذا أنا براع.. فسألته لمن أنت يا غلام؟ فقال: أنا لفلان»<sup>(٦)</sup> ولا تعارض، ولا وهم بين هذه الروايات، إذ ليس المقصود «بالمدينة» الواردة في بعض الروايات - سواء بالقطع أم بالشك - مدينة

(١) أي أرض صلبه، وكانت الأرض مستوية صلبه. (النووي ١٨/١٤٩).

(٢) مسلم ٤/٢٢٠٩: كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة، ويقال له: حديث

الرجل والبخاري ٤/١٨٩: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي المناقب ٤/١٨٠.

(٣) ٤/١٨١: كتاب المناقب، باب علامات النبوة

(٤) انظر: الفتح ٦/٦٢٣

(٥) البخاري ٣/٩٦: كتاب اللقطة، آخر أبوابه (لم يسم)، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ

٤/١٩٠.

(٦) البخاري ٤/٢٦٢: في مناقب الأنصار، ومسلم ٣/١٥٩٢: كتاب الأشربة، باب جواز

شرب اللبن. لكن دون قوله: "قال: أنا لفلان".



الرسول ﷺ وإنما المراد بها مكة ، ويؤيده التصريح بمكة - كما في بعضها - وكذا الإشارة إلى أنه لرجل من قريش ، لأن قريشاً لم يكونوا يسكنون المدينة النبوية إذ ذاك<sup>(١)</sup>. وقول أبي بكر - في الرواية نفسها - : «فسماه فعرفته» مشعر بهذا ، ولهذا كله قال الإمام النووي تعليقاً على رواية مسلم : «المراد بالمدينة هنا مكة ، ولم تكن مدينة النبي ﷺ سميت بالمدينة ، إنما كان اسمها «يثرب» هذا هو الجواب الصحيح ، وأما قول القاضي : إن ذكر المدينة هنا وهم ، فليس كما قال ، بل هو صحيح والمراد بها مكة»<sup>(٢)</sup>.

وتضيف الروايات إحدى روايات الصحيحين - على خبر الراعي السابقة - أن النبي ﷺ حين مروا بالراعي قد عطش<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: قصة سراقه بن مالك :

وهذه القصة التي جاءت مختصرة في حديث البراء - السابق - رواها البخاري ، بما فيها من آيات وعجائب الإعجاز التي أكرم الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم مستوفاة في باب الهجرة النبوية ، فقال: بالسند الموصول إلى عائشة - رضي الله عنها<sup>(٤)</sup> - قال ابن شهاب : وأخبرني عبدالرحمن بن مالك المدلجي - وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم - أن أباه أخبره أنه سمع

(١) انظر : الفتح ٦/٦٢٣

(٢) شرح مسلم للنووي ١٨/١٤٨

(٣) البخاري ٤/٢٥٩ : في مناقب الأنصار ، ومسلم ٣/١٥٩٢ : في الأشربة

(٤) ذكر ذلك ابن حجر : وذكر أن البيهقي أفردته في الدلائل ، وقبله الحاكم في الإكليل من طريق ابن إسحاق (الفتح ٧/٢٤٠).





سراقة بن جعشم<sup>(١)</sup> يقول : جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي ، بني مدلج ، أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة ! إني قد رأيت أنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه ، قال سراقة: فعرفت أنهم هم ، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قممت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها عليّ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت ، فحططت بزجة الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقممت ، فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام فاستقسمت بها أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصيت الأزام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزام فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم

(١) قال ابن حجر : المعتمد : سراقة بن مالك، وحيث جاء سراقة بن جعشم في الروايات يكون نسب إلى جده .. (الفتح ٧/٢٤٠) أما عبدالرحمن بن مالك المدلجي فيظهر أنه نسب إلى جده، وإلا فهو عبدالرحمن بن الحارث بن مالك، وهذا ما استدركه ابن هشام على ابن إسحاق، كما سيأتي.



الزاد والمتاع فلم يرزاني<sup>(١)</sup>، ولم يسألاني، إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر ابن فهيرة فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وتضيف رواية أخرى - عند البخاري - أن سراقا كان آخر النهار مسلحة للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كان جاهداً عليه أول النهار، وقد جاء في هذه الرواية أن أبا بكر التفت فإذا هو بفارس قد لحقهم، قال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت رسول الله ﷺ فقال: "اللهم اصصره" فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم، فقال: يا نبي الله، مرني بما شئت، فقال: "فقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا"، قال: فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة له<sup>(٣)</sup>.

كما تضيف رواية أخرى عند "مسلم" أن سراقا حين ساخ في الأرض إلى بطنه، ووثب عنه وقال: يا محمد! قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه، ولك عليّ لأعمين على من ورائي، وهذه كنانتي فخذ سهماً منها، فإنك ستمر على إبلي وغلماني بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك. قال: «لا حاجة لي في إيلك<sup>(٤)</sup>».

وحين نعود إلى ابن إسحاق في شأن هاتين الحادثتين في طريق الهجرة، نجد أنه لا يذكر شيئاً عن خبر الراعي، وبهذا تصبح زيادة للصحيحين ينفردان بذكرها

(١) أي: لم يأخذها ولم ينقصها من الزاد والمتاع الذي معي شيء.

(٢) ٢٥٦/٤، ٢٥٧: كتاب مناقب الأنصار

(٣) ٢٥٩/٤.

(٤) ٢٣١١/٤: في باب حديث الرجل (المتقدم).



دون ابن إسحاق ، تضاف إلى غيرها من زوائد السيرة في الصحيحين.

أما قصة سراقه ، فقد ذكرها ابن إسحاق بسنده ، فقال : وحدثني الزهري أن عبدالرحمن بن مالك بن جعشم<sup>(١)</sup> حدثه عن أبيه ، عن عمه سراقه بن مالك بن جعشم ، قال : لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة<sup>(٢)</sup> لمن رده عليهم ، قال : فبينما أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علي أنفاً إنني لأراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعيني أن اسكت ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ، قال : لعله ، ثم سكت قال : ثم مكثت قليلاً ، ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي فقيّد لي إلى بطن الوادي ، وأمرت بسلاحي ، فأخرج لي من دبر حجرتي ، ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها ، ثم انطلقت فلبست لأمتي ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره لا يضره<sup>(٣)</sup> ، قال : وكنت أرجو أن أرده على قريش فأخذ المائة ناقة ، قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسي يشتد بي عثر بي فسقطت عنه ، قال : فقلت : ما هذا ؟ قال : ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره لا يضره . قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، قال : فركبت في أثره ، فبينما فرسي يشتد بي عثر بي ،

(١) قال ابن هشام : عبدالرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم (السيرة ١٠٤/٢). وهذا مما استدركه ابن هشام على ابن إسحاق ، وقد أعجب ابن كثير هذا الاستدراك لابن هشام ، فقال : وهذا الذي قاله جيد. (السيرة ٢٤٨/٢).

(٢) هنا عن الجعل الذي جعلته قريش ، أما في البخاري ففيه : دية كل واحد منهما (كما سبق).

(٣) وهنا فيه تصريح (بالذي يكره) وفي البخاري اكتفى بقوله : «فخرج الذي أكره» ولم يصرح بقوله : «لا يضره».



فسقطت عنه ، قال : فقلت : ما هذا ؟ قال : ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره لا يضره ، قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عشر بي فرس فذهبت يداه في الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يده من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار <sup>(١)</sup> ، قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني ، وأنه ظاهر ، قال : فناديت القوم ، فقلت : أنا سراقا بن جعشم ، أنظروني أكلمكم ، فو الله لا أريبكم ولا يأتیکم مني شيء تكرهونه ، قال : فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : قل له : «وما تبتغي منا» ؟ قال : فقال : لي ذلك أبو بكر ، قال : قلت تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك . قال : «اكتب له يا أبا بكر» <sup>(٢)</sup> ، فكتب لي كتاباً في عظم أو رقعة أو في خزفة <sup>(٣)</sup> ثم ألقاه إلى ، فأخذته فجعلته في كنانتي ، ثم رجعت فسكت ، فلم أذكر شيئاً مما كان ، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ ، وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعى الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجعرانة <sup>(٤)</sup> . قال : فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار ، قال : فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون : إليك إليك ،

(١) لعل هذا تفسير لـ «العشان» الوارد في رواية البخاري .

(٢) وفي رواية البخاري : «فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم (كما سبق) فلعله يجمع بينهما بكون النبي ﷺ قال لأبي بكر ، وأبو بكر أمر خادمه ابن فهيرة «فكتب ، والله أعلم . انظر : رسالة الهجرة ص ١٧٩ .

(٣) قال محقق سيرة ابن هشام (محيي الدين عبدالحميد) : الخزفة هي الشقفة ، وفي بعض النسخ «خرقة» اهـ . والأخيرة ذكرها صاحب الفتح .

(٤) الجعرانة : موضع قريب من مكة ، وهي في الحل ، وميقات للإحرام ، وهي بتسكين العين والتخفيف ، وقد تكسر العين وتشد الراء . (النهاية ١/٢٧٦) .



ماذا تريد ؟ قال : فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته ، والله لكأني أنظر إلى ساقه في غرزه كأنها جمارة ، قال : فرفعت يدي بالكتاب ، ثم قلت : يا رسول الله : هذا كتابك لي ، أنا سراقه بن جعشم ، قال : فقال رسول الله ﷺ : «يوم وفاء وبر ، أدنه» قال : فدنوت منه ، فأسلمت<sup>(١)</sup> ، ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله ﷺ عنه فما أذكره ، إلا أني قلت : يا رسول الله : الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي ، هل لي من أجر إن سقيتها؟ قال : «نعم في كل ذات كبد حرى أجر» . قال : ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله ﷺ صدقتي<sup>(٢)</sup> .

هذه رواية ابن إسحاق لقصة سراقه ، وإذا تبين لنا قوة إسنادها<sup>(٣)</sup> فالزيادة فيها على رواية الصحيحين ظاهرة .

وحيث يوجد - في رواية الصحيحين - في ثنايا قصة سراقه ما لم تحط به رواية ابن إسحاق ، فيمكننا القول بأن الروایتين تكمل إحداهما الأخرى ، وتشكلان رواية صحيحة متكاملة لقصة سراقه .

ويروى عن ابن إسحاق أن أبا جهل حين سمع بخبر سراقه مع النبي ﷺ وتخوف

(١) في هذا إشارة إلى إسلام سراقه ، وهذا لم تصرح به رواية الصحيحين . ويفهم من رواية ابن إسحاق هذه أنه أسلم بعد فتح مكة ، والذي ذكره ابن حجر أنه أسلم بعد الفتح (الإصابة ٤/١٢٧) وذكر غيره إسلامه بعد غزوة الطائف . انظر الأعلام للزركلي (١٢٦/٣)

(٢) انظر : السيرة لابن هشام ٢/١٠٢ - ١٠٤ ، وسند الرواية قوي كما سأبين .

(٣) فرجال سندها رجال الصحيح (وهو نفس سند البخاري) ما عدا ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث .



أن يسلم - لما رأى - قال شعراً منه :

سراقة مستغوى لنصر محمد

بني مدلج إني أخاف سفيهكم

فتصبح شتى بعد عز وسؤدد

عليكم به لا يفرقن جموعكم

فإجابة سراقة بقوله :

لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه

أبا حكم والله لو كنت شاهداً

نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه<sup>(١)</sup>

عجبت ولم تشك بأن محمداً

لكن ابن إسحاق لم يذكر لها سنداً بل قال : فما يزعمون<sup>(٢)</sup> .

## روايات أخرفي طريق الهجرة

### لقيا الزبير في ركب من المسلمين :

قال ابن شهاب<sup>(٣)</sup> : فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي

- (١) انظر : دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١١٥ - ١١٧ ، والفتح ٢٤٢/٧ .
- (٢) دلائل النبوة ص ١١٦ . ويمكن أن يلحق بهذه الرواية رواية أخرى ضعيفة - وإن كان ابن إسحاق لم يروها - فقد ذكرها ابن عبد البر عن سفيان بن عيينة ، عن أبي موسى ، عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة : كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ؟ .. إلخ القصة . (انظر الاستيعاب النسخة المنشورة بهامش الإصابة ١٣١/٤ ، والإصابة ١٢٧/٤) ففي سند الرواية انقطاع بين طرفيه (رسالة الهجرة ص ١٨١) وعلى فرض أن الحسن رواها عن سراقة ، عن النبي ﷺ فروايته عن سراقة منقطعة (انظر التهذيب ٤٥٦/٣) وقد سئل الإمام أحمد - رحمه الله - : سمع الحسن من سراقة قال : لا . المصدر نفسه ٢٦٨/٢ .

(٣) هو متصل بالإسناد المذكور أولاً إلى ابن شهاب ، قد أفردته الحاكم من وجه آخر عن

=



الزبير<sup>(١)</sup> في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض<sup>(٢)</sup>

كذا في رواية البخاري أما ابن إسحاق فلم يتعرض لها<sup>(٣)</sup>

قصة أم معبد<sup>(٤)</sup> :

يحيى بن بكير بالإسناد المذكور . (انظر : الفتح ٢٤٣/٧) .

- (١) صورة هذا الإسناد توحى بأنه مرسل عن عروة لكن وصله الحاكم من طريق معمر عن الزهري ، قال : أخبرني عروة أنه سمع الزبير . (الفتح ٢٤٣/٧)
- (٢) البخاري ٢٥٧/٤ : كتاب مناقب الأنصار (سبق) .

(٣) لكن تعرض لها أرباب السير غيره ، مع اختلاف عن سياق الصحيح ، فموسى بن عقبة أخرج الرواية عن ابن شهاب به وأتم منه ، وزاد : قال : «ويقال لما دنا من المدينة كان طلحة قدم من الشام ، خرج عائداً إلى مكة إما متلقياً أو معتمراً ، ومعه ثياب أهداها لأبي بكر من ثياب الشام ، فلما لقيه أعطاه فلبس منها هو وأبو بكر» قال ابن حجر : وهذا وإن كان محفوظاً احتمال أن يكون كل من طلحة والزبير أهدى لهما من الثياب ، والذي في السير هو الثاني ، ومال الدمياطي إلى ترجيحه على عادته في ترجيح ما في السير على ما في الصحيح ، والأولى الجمع بينهما ، وإلا فما في الصحيح أصح ، لأن الرواية التي فيها طلحة من طريق «ابن لهيعة» عن أبي الأسود ، عن عروة ، والتي في الصحيح من طريق عقيل ، عن الزهري ، عن عروة (انظر الفتح : ٢٤٣/٧) .

- (٤) اسمها : عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة ، ويقال : عاتكة بنت خالد بن خليف ، إحدى بني كعب ابن خزاعة ، زوجها أبو معبد ، وأخوها حبيش - أو خنيس - بن خالد له صحبه ورواية ، قيل : إنها كانت مسلمة حين مر بها النبي ﷺ ، وقيل : بل قدمت بعد ذلك وأسلمت (الاستيعاب ٧٢/١٣ ، ٢٩٠ ، والإصابة ٢٨٩/١٣ ، وانظر السيرة لابن هشام

(١٠١/٢)



وهذه لم يذكرها رواية الصحيحين ، وأشار إليها «ابن إسحاق» في روايته عن أسماء ، وفيها أنها قالت : «ثم انصرفوا (تعني النبي ﷺ وأبا بكر) ، فمكثا ثلاث ليال وما ندري أين وجه رسول الله ﷺ ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه      رفيقين حلا خيمتي أم معبد  
هما نزلا بالبرثم تروحا      فأفاح من أمسى رفيق محمد  
ليهن بني كعب مكان فتاتهم      ومقعدا للمؤمنين بمرصد

قال ابن إسحاق: قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه عنها - : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ وأن وجهه إلى المدينة <sup>(١)</sup> .

تلك رواية مختصرة ذكر فيها ابن إسحاق «أم معبد» ، وهي مكن طريق «البكائي» وعنه «ابن هشام» مع بعض التعقيب عليها <sup>(٢)</sup> .

وقد روى ابن إسحاق القصة بأطول من هذا من طريق «يونس بن بكير» فقال: «ونزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد وهي التي غرد بها الجن بأعلى مكة ،

(١) انظر : السيرة لابن هشام ١٠٠/٢ ، وسندها معضل (انظر : حاشية فقه السيرة للغزالي ص ١٧٨) .

(٢) قال ابن هشام - معقباً على هذه الرواية - : أم معبد بنت كعب ، امرأة من بني كعب من خزاعة ، وقوله : «حلا خيمتي أم معبد» و «هما نزلا بالبرثم تروحا» عن غير ابن إسحاق (السيرة ١٠١/٢) .





واسماها عاتكه بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم ، فأرادوا القرى فقالت :  
والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ، ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله ﷺ  
ببعض غنمها ، فمسح ضرعها بيده ، ودعا الله ، وحلب في العس<sup>(١)</sup> حتى  
رغى<sup>(٢)</sup> ، وقال: اشربي يا أم مبعد ، فقالت : اشرب فأنت أحق به ، فرده عليها ،  
فشربت ثم دعا بحائل أخرى ، ففعل بها مثل ذلك فشرب ثم دعا بحائل أخرى ،  
ففعل بها مثل ذلك فسقى دليبه ، ثم دعا بحائل أخرى ، ففعل بها مثل ذلك فسقى  
عامراً ، ثم تروح ، وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم مبعد فسألوها عنه  
فقالوا : رأيت محمداً وحليته كذا ؟ فوصفوه لها ، فقالت : ما أدري ما تقولون ،  
قد ضافني حالب الحائل ، قالت قريش : فذاك الذي نريد<sup>(٣)</sup> .

هذه الرواية في سندها مقال ، نظراً لكون ابن إسحاق ذكرها دون إسناد ،  
لكن القصة رواها جمع من العلماء غير ابن إسحاق<sup>(٤)</sup>

(١) العس : القدح الكبير : وجمعه عساس ، وأعساس ، ( كذا في النهاية لابن الأثير  
٢٣٦/٣ )

(٢) رعى : علت رغوته .

(٣) انظر : دلائل النبوة للبيهقي ٤٩٣/٢ .

(٤) منهم ابن سعد في طبقاته ٢٣٠/١ وقد أخرج القصة بسند فيه «الحر بن الصباح» عن

أبي مبعد الخزاعي عن رسول الله ﷺ وهذا السند فيه ضعف ، فحديث الحر بن الصباح  
عن أبي مبعد مرسل . (انظر : الإصابة ٢٢١/٢) ، وأبو مبعد - أيضاً - مات قبل النبي  
ﷺ قاله البخاري (انظر : الإصابة ٢١/١٢) وبهذا السند أخرج القصة البخاري في  
تاريخه ، وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي ، وقد أعلاها البخاري بالإرسال (انظر : الإصابة  
٢١/١٢ ، شرح الزرقاني للمواهب ٣٤١/١) كما رواها الطبراني في المعجم الكبير  
(٥٦/٤) ، قال الهيثمي : وفي إسناده جماعة لم أعرفهم ( مجمع الزوائد ٥٨/٦ ) كما



رواها الطبراني من طريق آخر ، لكنه ضعيف أيضا ( انظر : مجمع الزوائد ٧٩/٨ )  
ومنهم الحاكم في مستدرکه ٩/٣ - ١٠ من حديث هشام بن حبيش ، وقال : صحيح  
الإسناد ، ووافقه الذهبي ، قال الألباني : وفيما قالاه نظر ( تعليقه علي السيرة للغزالي  
ص ١٧٩ ) وروى القصة أبو نعيم بسنده ، عن محمد بن إسحاق السراج ، قال : ثنا مكرم  
ابن محرز الكعبي الخزاعي ، قال حدثني أبي محرز بن مهدي ، عن حزام بن هشام ،  
عن أبيه هشام ، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ .. ثم ذكر القصة ،  
وفيها أن النبي ﷺ نظر إلى شاة في كسر الخيمة .. الخ ( انظر : دلائل النبوة ص ١١٧ ) .

وهذا السند مثل سند الطبراني - المتقدم - إلى أن يصل إلى مكرم بن محرز حيث روى  
عنه في سند أبي نعيم «محمد بن إسحاق السراج» وهو صدوق ثقة . ( انظر الجرح والتعديل  
١٥٦/٧ ) وفي سند الطبراني روى عنه موسى بن هارون الجمال وعلي بن سعيد الرازي ،  
وزكريا بن يحيى الساجي ، وهؤلاء الأول ومنهم الأخير ثقات كما في التقريب ، أما  
الأوسط فليس بذاك ، حكاه الدارقطني ( انظر الميزان ١٣١/٢ ) ، والمغنى في الضعفاء  
٤٤٨/٢ ) ( نشر دار المعارف ، تحقيق نور الدين عتر ، ط . الأولى ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ) وقال  
الذهبي : تفرد بأشياء .

وروى القصة - أيضاً - البيهقي بسنده إلى عبدالرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بكر  
الصديق - رضي الله عنه - مع بعض الاختلاف في سياقها - ولهذا قال البيهقي في  
آخرها : «وهذه القصة وإن كانت تنقص عما روينا في قصة أم معبد ويزيد في بعضها  
فهي قريبة منها ، ويشبه أن يكونا واحدة» ( دلائل النبوة ٤٩٢/٢ ) .

ثم نقلها عنه ابن كثير ، وحسن إسنادها ، وقال : والظاهر أنها هي ( السيرة ٢٦٠/٢ ) .  
ويبدو أن في تحسين ابن كثير لها نظر ، فعبدالرحمن بن أبي ليلى لم يدرك أبا بكر ،  
حيث ولد لست بقين من خلافة عمر ، وإذا كان الحفاظ لا يثبتون سماعه من عمر  
( انظر : التهذيب ٢٦٠/٦ - ٢٦٢ ) تأكد الانقطاع بينه وبين أبي بكر في هذه الرواية .  
وانظر : رسالة الهجرة ص ١٩٨ .



كما روى القصة : البزار بسنده قال : حدثنا محمد بن معمر ، ثنا يعقوب بن محمد ، ثنا عبدالرحمن بن جابر ، قال حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جابر قال : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر مهاجرين .. ثم روى القصة مختصره .. قال البزار : «لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد ، وعبدالرحمن بن عقبة لا نعلم من حدث عنه إلا يعقوب وإن كان معروفاً في النسب» . (انظر : كشف الأستار بزوائد البزار ٢/٣٠٠) وهو ضعيف بهذا السند (رسالة الهجرة ص ١٩٩) وقال ابن عمر : «ثم مروا على خيمة أم مبعد ، فكان من حديثها في قصة شاتها ما هو منقول مشهور عن الثقات» (الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٥٢).

وقصة أم مبعد ذكرها ابن حجر في الفتح وسكت عنها (٢٣٧/٧ ، ٢٥١) وتعرض لها «الوكيل» في تعليقه على الروض الأنف ، وذكر من رواها ، وقال : قصة أم مبعد ضعيفة السند (حاشية الروض ٤/٢٢١) وانتهى «الألباني» إلى أن القصة بطرقها لا تنزل عن رتبة الحسن (فقه السيرة للغزالي ، الحاشية ص ١٧٩) لكنه اعتمدها كما قاله على طريقين أوردهما ابن كثير -يعززان طريق الحاكم والطبراني- وقد سبق الحديث عن تحسين ابن كثير لأحد هذه الطرق ومتابعته فيما قال ، لا سيما وهناك انقطاع في السند - كما بينت - ومال الباحث سليمان السعود إلى تحسين القصة في رسالته عن الهجرة ص ١٩٩ ، وممن مال إلى تحسينها -أيضاً- محقق زاد المعاد ، وقد اعتمد هو الآخر على الطريقين اللذين أخرجهما ابن كثير من حديث جابر ، وأبي مبعد -كشواهد ٠٠ لهذه الرواية . (انظر : حاشية زاد المعاد ٣/٥٧) .

فأما رواية جابر فهي التي أخرجها البزار ، وقد سبق بيان ضعف إسنادها ، أما التي عن أبي مبعد فهي إحدى روايات البيهقي -ساقها ابن كثير عنه- وهي التي من طريق «الحر بن الصباح» عن أبي مبعد - وإن كانت وقعت عند ابن كثير عن «أبجر بن الصباح» ولعله تصحيف ، فقد رواها «ابن سعد» عن «الحر بن الصباح» وقد سبق بيان ضعفها لإرسال «الحر» عن أبي مبعد ، وعدم إدراك أبي مبعد للنبي ﷺ

ومع هذا كله ، فقد قال ابن كثير عن قصة أم مبعد « أنها مشهورة مروية من طرق

يشهد بعضها بعضاً» (السيرة ٢/٢٥٧)



## أبو بكر يلهي الناس عن النبي ﷺ

### وهم في الطريق إلى المدينة

روى البخاري - بسنده - عن أنس بن مالك رضي الله عنه : «أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف<sup>(١)</sup> أبا بكر ، وأبو بكر شيخ<sup>(٢)</sup> يعرف ، ونبي الله ﷺ شاب<sup>(٣)</sup> لا يعرف ، قال : فيلقى الرجل أبا بكر ، فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل ، قال : فيحسب الحاسب أنها إنما يعني الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير ، فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم ...»<sup>(٤)</sup>.

(١) وفي رواية - في الباب بعده - «وكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته ، وأبو بكر ردفه» (البخاري ١٦/٤).

(٢) يريد أنه قد شاب ، ويؤيده قول أنس - في رواية أخرى - : «قدم النبي ﷺ وليس في أصحابه أشمط غير أبي بكر فغلفها بالحناء والكتم». (انظر: البخاري ٢٦٢/٤ من الباب نفسه في مناقب الأنصار . أما معرفته : فلأنه كان يختلف إلى الشام ، ويمر على أهل المدينة في سفر التجارة (انظر : طبقات ابن سعد ٢٣٣/١ ، والفتح ٢٥٠/٧).

(٣) ظاهر هذا أن أبا بكر كان أسن من النبي ﷺ ، وقد ورد في هذا رواية لكنها مرسلة ، واعتبرها المحققون وهمًا ، وأصح منها وألزم ما ورد في سنن أبي بكر في صحيح مسلم ، مما يؤكد كونه أصغر من النبي ﷺ . (انظر : الفتح ٢٥١/٧).

(٤) ٢٥٩/٤ : باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

وهذه الرواية لم ترد عند ابن إسحاق في سيرته ، فهي زيادة للصحيح. وقد أورد ابن سعد في طبقاته بنحو من هذا في أكثر من رواية ، ومنها رواية ابن وهب مولى أبي هريرة (وإن كانت مرسلة ، وفي سندها أبو معشر / انظر : رسالة الهجرة ص ٢١٤) أن رسول الله ﷺ ركب وراء أبي بكر ناقته ، فكلما لقيه إنسان قال : من أنت ؟ قال باغ أبغي ، فقال : من هذا وراءك ؟ قال : هاد يهديني . (الطبقات ٢٣٤/١).



## الطريق الذي سلكه النبي ﷺ في هجرته:

ورد في رواية البخاري السابقة - في الإذن بالهجرة - «وانطلق معهما عامر ابن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل»<sup>(١)</sup>.

وكذا جاء التأكيد على اختيارهم طريق الساحل في الهجرة، في قول أحد بني مدلج لسراقة: «يا سراقة، إنني قد رأيت أنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه»<sup>(٢)</sup>.

ويتفق ابن إسحاق مع رواية الصحيح في هذا، لكن بنوع من الزيادة والتفصيل حيث يقول<sup>(٣)</sup>: «فلما خرج بهما دليلهما عبدالله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل - حتى عارض الطريق - أسفل من عسفان<sup>(٤)</sup>. ثم سلك بهما على أسفل أمج<sup>(٥)</sup>، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما

(١) انظر: البخاري ٢٥٦/٤.

(٢) المصدر نفسه ٢٥٦/٤.

(٣) هذه الرواية ساقها ابن إسحاق دون إسناد، لكن أسندها غيره وصححها، وسأبين ذلك في نهايتها.

(٤) عسفان: لبني المصطلق من خزاعة، سميت بذلك لتعسف السيل فيها، وهي من مكة على مرحلتين أو (٨٠) كيلاً. (انظر: المناسك المنسوب للحري ص ٤٦٣، ومعجم البلدان ١٢١/٤).

(٥) أمج: بلد من أعراض المدينة، وهي وجران: واديان يأخذان من مرة بني سليم ويفرغان في البحر (معجم البلدان ٢٤٩/١)، وهو أسفل وادي «ساية» الوادي الذي يقع في أسفله «خليص». (انظر مجلة العرب، السنة الأولى ١٣٨٧هـ، الجزء السابع / محرم في مقال لحمد الجاسر بعنوان: «رحلة إلى طيبة» ص (٥٨٩).



الطريق بعد أن أجاز قديداً<sup>(١)</sup> ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخرار<sup>(٢)</sup>، ثم سلك بهما ثنية المرة<sup>(٣)</sup>، ثم سلك بهما لقفا<sup>(٤)</sup>، ثم أجاز بهما مدلجة لقف<sup>(٥)</sup>، ثم استبتن بهما مدلجة مجاج<sup>(٦)</sup>، ثم سلك بهما

(١) قديد: اسم موضع قرب مكة، سميت بذلك لهبوب رياح شديدة فيها قدت خيام أصحاب تبع حين نزل بها. (معجم البلدان ٣١٢/٤).

وقال حمد الجاسر: هو واد طويل، ويظهر أن طريق الرسول ﷺ كان على أسفل الوادي: لأن ابن هشام وغيره ذكر أن الدليل سلك بهما الخرار بعد قديد. (المرجع السابق ص ٥٨٩).

(٢) الخرار: موضع قرب الجحفة. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢١/٢). قال الجاسر: وبعضهم يعده فيها، والجحفة لا تزال معروفة. (انظر: مجلة العرب العدد السابق ص ٥٨٩).

(٣) المرة: قال السهيلي: كذا وجدته مخفف الراء مقيداً، كأنه مسهل الهمزة من المرأة. (الروض ٢٤٨/٤). وذكره ياقوت في معجمه ولم يحدد مكانه بأرض الحجاز (٨٥/٢).

وقال الجاسر: ولم أجد من يعرفها، ولكن يوجد بجهة «كلية» فيما بينهما وبين «رابع» ثنية يسلكها المتوجه إلى كلية، والمتقدمون يقولون عن ثنية المرة: إنها قريبة من ماء يدعى «الأحياء» وأنه في وادي رابع. (المرجع السابق ص ٥٨٩).

(٤) لقفا: قال ابن هشام: ويقال: لفتا، قال ياقوت: هما موضعان في الطريق بين مكة والمدينة. (معجم البلدان ٢٠/٥، ٢١). وقال الجاسر: وهو واد لا يزال معروفاً وهو من روافد وادي النخل، ويفيض فيه عند محطة بئر رضوان. (المرجع السابق ص ٥٨٩).

(٥) مدلجة لقف: قلعة كبيرة تصب في وادي (لقف) تبعد عن بئر رضوان مسافة ١٠ أكيال إذا سندات في وادي لقف تفيض من جهة الشمال.

قال الجاسر: ويظهر من سياق الخبر أن الرسول ﷺ ترك طريق ثنية (هرشا) يساره إذ هو الطريق المعروف وأنه نزل (مدلجة لقف). (مجلة العرب - العدد السابق - ص ٥٩٠).

(٦) كذا عند ابن إسحاق «مجاج» ويقال «مَجَّاج» فيما قال ابن هشام (السيرة ١٠٦/٢). ويقال «مجاج» نسبها ياقوت إلى ابن إسحاق. وقال ياقوت: والصحيح (مجاج) بفتح الميم، وبعده جيم، ثم حاء مهملة، وهو موضع من نواحي مكة. (معجم البلدان ٥٥/٥). ومدلجة



مرجح<sup>(١)</sup> مجاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين<sup>(٢)</sup>، ثم من ذي كشر<sup>(٣)</sup>، ثم أخذ بهما على الجداجد<sup>(٤)</sup>، ثم على الأجر<sup>(٥)</sup>، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن

=

مجاج رافد من راوفده، وتقترب هي ومدلجة لقف حتى تلتقيان. (انظر : مجلة العرب - العدد السابق - ص ٥٩٠ ، ٥٩١).

(١) «مَرَجِح» كذا ضبطها ياقوت بفتح أولها وسكون ثانيه وكسر الجيم والحاء المهملة (معجم البلدان). و مَرَجِح: رافد من روافد مجاج مقابل لمدلجة مجاج يصب فيه. (مجلة العرب ص ٥٩١).

(٢) الغضوين: قال ابن هشام ويقال (العصوين) بالصاد المهملة ، وصوبه حمد الجاسر (بالعصوين) (بالعين والصاد المهملتين) ويرى أن : الغضوين أو العضوين تصحيف (مجلة العرب ص ٥٩١).

(٣) ذي كشر : وهكذا أيضاً ضبطه صاحب المعجم (بالفتح ثم السكون) بين مكة والمدينة . (معجم البلدان ٤/٤٦٢). وضبطه حمد الجاسر (كشُر) وقال: يعرف الآن باسم «أم كشد» بكاف مكسورة وشين معجمة ساكنة ودال مهملة ، لا كما جاء في سيرة ابن هشام وفي معجم البلدان ، وأم كشد هذه قلعة تصب في واد يدعى (ثقيب) وهو وادي يجتمع مع وادي (القاحة) بعد أن يتجه المرء من (بئر مبيريك) إلى جهة المدينة بما يقرب من ١٥ كيلاً. (مجلة العرب، العدد السابق، ص ٥٩١).

(٤) الجداجد: - بالفتح - جمع جدجد، وهي الأرض المستوية الصلبة ... ويجوز أن يكون جمع جدجد، وهي البئر القديمة، وأظنها على هذا آباراً قديمة في طريق ليس يعلم. (معجم البلدان ٢/١١٢). وهو واد صغير من روافد وادي (ثقيب). (مجلة العرب، العدد السابق ، ص ٥٩٢).

(٥) الأجرد: وهو الموضع الذي لا نبات فيه ، قال ياقوت: اسم جبل من جبال القبلية، له ذكر في حديث الهجرة عن ابن إسحاق. (معجم البلدان ١/١٠١). ويقول الجاسر : ويسمى الآن (أجيرد) وهو على الشمال من (أم كشد) . المرجع السابق، ص ٥٩٢).



أعدا مدلجة تعهن<sup>(١)</sup> ثم على العباييد<sup>(٢)</sup> ، ثم أجاز بهما الفاجة<sup>(٣)</sup> . قال ابن هشام : ثم هبط بهما العرج<sup>(٤)</sup> ، وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهما ، فحمل رسول الله ﷺ رجلٌ من أسلم يقلال له «أوس بن حجر»<sup>(٥)</sup> على جمل يقال له «ابن الرداء» إلى

(١) تعهن: اسم عين ماء سمي به ، موضع على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة. (المصدر السابق، ٢٥/٢).

وقال الجاسر: إنها واد كبير يصب في (القاحة) عند المحطة المعروفة الآن باسم «أم البرك» وقديما باسم «السقيا» (المرجع السابق ص ٥٩٢).

(٢) العباييد: قال ابن هشام: ويقال: العباييب ، ويقال: العثيانة. (انظر السيرة ١٠٧/٢ ، ومعجم البلدان ٧٣/٤).

وقال الجاسر : ولم أجد أحداً يعرف شيئاً عن هذا الموضع الذي ذكر ابن هشام له لثلاثة أسماء (مجلة العرب ، الجزء الثامن من السنة الأولى، ص ٦٩٢).

(٣) قال ابن هشام: ويقال : القاحة ، وهي مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل (انظر: السيرة لابن هشام ١٠٧/٢ ، ومعجم البلدان ٢٩٠/٤).

والسقيا: هي سقيا بني غفار قبيلة معروفة قديماً كانت من مساكنها في القديم ، وأعالى السقيا تبتدئ من مكان يبعد عن «أم البرك» بما يقارب (٤٥) كيلاً بعد أم البرك للمتوجه إلى المدينة ، عند محل يدعى «الرصفة» ، وهو جبل منحوت قديماً لسلوك المسافرين أرضه مرصوفة . (حمد الجاسر ، المرجع السابق، ص ٦٩٢).

(٤) العرج بفتح العين وسكون الراء: عقبة بين مكة والمدينة، جادة الحاج ، تذكر مع السقيا. (معجم البلدان ٩٨/٤ ، ٩٩). والعرج - على ما ذكره المتقدمون - يبعد من أول وادي «القاحة» بما يقارب ثلاثة عشر ميلاً . (حمد الجاسر ، المرجع السابق ص ٦٩٢).

(٥) هو : أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي ، وربما ينسب إلى جده فقيل : أوس بن حجر ، روى قصة مرور النبي ﷺ وأبي بكر في طريق الهجرة : البيهقي ، وابن السكن ، وابن منده عن طريق فيض بن وثيق ، عن صخر بن مالك بن إياس بن مالك بن أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي ، شيخ من أهل العرج ، قال أخبرني أبي : مالك بن إياس بن





المدينة ، وبعث معه غلاماً له يقال له : «مسعود بن هنيذة»<sup>(١)</sup> ، ثم خرج بهما دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثنية العائد على يمين ركوبه<sup>(٢)</sup> ، حتى هبط بهما في بطن رئم<sup>(٣)</sup> ، ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر بيع الأول ، يوم الاثنين ، حين اشتد الضحاء ، وكادت الشمس تعتدل<sup>(٤)</sup> وانظر الشكل رقم (١) في توضيح طريق الهجرة.

- مالك ، أن أباه إياس أخبره أن أباه مالك بن أوس أخبره ، أن أباه أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي مر به رسول الله ﷺ .. ورواها الطبراني ، وأبو العباس السراج في تاريخه ، وقال ابن عبد البر : مخرج حديثه عن ولده وهو حديث حسن (الإصابة ١/١٣٨) .
- وفي حاشية الروض الأنف : قصة أوس لم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة (ثم ذكر من رواها) قال ابن حبان والطبراني : له صحبة ولم يخرج حديثه (٤/٢٥٢) .
- (١) ذكر الحاكم في الإكلیل قصة لقياه بالنبي ﷺ لقصد الإسلام (الإصابة ١/١٣٨) .
- (٢) ركوبه : بفتح أوله ، وبعد الواو باء موحدة : ثنية بين مكة والمدينة عند العرج ، صعبة ، سلكها النبي ﷺ عند مهاجرة للمدينة (معجم البلدان ٣/٦٤) .
- قال الجاسر : والعائر تصحيف وصوابه الفائر (بالغين المعجمة) (المرجع السابق ص ٦٩٦)
- (٣) رئم : واد لمزينة قرب المدينة على أربعة أو ثلاثة برد من المدينة (معجم البلدان ٣/١١٤) .
- (٤) انظر : السيرة لابن هشام ٢/١٠٤ - ١٠٩ . وقد ساق ابن إسحاق هذه الرواية دون إسناد . لكن وصلها من طريقة الحاكم في مستدركة (٨/٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وصححه ابن حجر . (الفتح ٧/٢٣٨) وقال : وأخرجه الزبير بن بكار في «أخبار المدينة» مفسراً منزله إلى قباء وكذلك ابن عائد من حديث ابن عباس . قلت : وقد تتبع «حمد الجاسر» طريق الهجرة في رحلة قام بها ، وكتب خلاصتها في بحث له في مجلة العرب بعنوان «رحلة إلى طيبة» استغرق أكثر من خمسة أعداد من مجلته ، فليرجع إليه في أعداد السنة الأولى ١٢٨٧ هـ





## الوصول إلى المدينة واستقبال الأنصار :

روى البخاري عن ابن شهاب ، عن عروة <sup>(١)</sup> أن المسلمين في المدينة سمعوا مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ، فينتظرونه حتى يردهم حد الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما آووا إلى بيوتهم أو في رجل من يهود على أطم من آطمائهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : «يا معشر العرب <sup>(٢)</sup> هذا جدكم الذي تنتظرون ...» <sup>(٣)</sup>

كما روى ذلك ابن إسحاق -وبأتم مما سبق- بسنده . فقال : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : لما سمعنا يمخرج رسول الله ﷺ من مكة وتوكلنا <sup>(٤)</sup> قدومه كنا نخرج إذا صلبنا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ﷺ ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا وذلك في أيام حارة ، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قيلة <sup>(٥)</sup> هذا جدكم قد جاء ، قال : فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل

(١) سبق الحديث عن وصل هذا الحديث في البخاري .

(٢) وفي رواية ابن إسحاق -كما سيأتي- يا بني قيلة .

(٣) ٢٥٧/٤ : سبق

(٤) في النهاية : وتوكل الخبر : إذا انتظر وكفه أي وقوعة (٢٢١/٥)

(٥) هي الجدة الكبرى للأنصاري والدة الأوس والخزرج ، وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة .



نخلة ، ومعه أبو بكر رضي الله عنه - في مثل سنه وأكثرنا رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك ، وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فأظله برادائه فعرفناه عند ذلك <sup>(١)</sup> .

هذه الرواية والتي قبلها تؤكد أن مدى الشوق والمحبة والتعلق برسول الله ﷺ وقد صرحت إحدى روايات البخاري بأن أهل المدينة ما فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حين قدم عليهم <sup>(٢)</sup> .

وتتجلى مظاهر الفرح والمسلمون إلى السلاح ليتلقوا به رسول الله ﷺ <sup>(٣)</sup> ويحفون به دونه ودون صاحبه أبي بكر وهما راكبان <sup>(٤)</sup> وصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم في الطرق بنادون : يا محمد يا رسول الله ، يا

(الفتح ٢٤٣/٧) . وقد سبق في الرواية قبلها : يا معشر العرب .

(١) انظر السيرة لابن هشام ١٠٩/٢ : وإسناده - كما يظهر من رجاله - فمحمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي ثقة (انظر التهذيب ٩٢/٩) وعروة بن الزبير ثقة أيضاً ، وهو معروف ، وعبد الرحمن بن عويم بن ساعدة الأنصاري : ولد على عهد رسول الله ﷺ ، وقيل : ولد قبل الهجرة (أسد الغابة ٤٨٦/٢) وذكره البخاري في التاريخ الكبير ٣٢٥/٥ ، وذكر أن حديثه هذا مرسل (فهو تابعي كبير) وقال البغوي - في شرح السنة - حديثه مرسل ، وذكره ابن منده في الصحابة (الإصابة ٢٢٠/٧) ونظراً لكونه رواه عن رجال من قومه ، وابن إسحاق صرح بالتحديث فيظهر حسن إسناده . انظر رسالة الهجرة ص (٢٢٧) .

(٢) ٢٦٤/٤ : في مناقب الأنصار ، وفي تفسير ٨٢/٦ في سورة الأعلى .

(٣) البخاري ٢٥٧/٤ .

(٤) المصدر نفسه ٢٦٠/٤



محمد يا رسول الله !<sup>(١)</sup> وأشرف بعضهم يقول : جاء نبي الله ، جاء نبي الله ﷺ<sup>(٢)</sup>  
أما عن تاريخ وصوله المدينة ، وأول منزل له ، فتتفق رواية الصحيحين مع  
ابن إسحاق في كون ذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول<sup>(٣)</sup> لكنهما يختلفان في  
الوقت ، فعند ابن إسحاق - كما سبق - حين اشتد الضحى وكادت الشمس أن

(١) مسلم ٢٣١١/٤ .

(٢) البخاري ٢٦٠/٤ أقول : هذه العبارات الواردة في روايات الصحيحين في استقبال النبي ﷺ  
حين وصوله إلى المدينة مهاجراً تخالف ما اشتهر عند الناس من كونه استقبل بهذه  
الآبيات :

طلوع البدر علينا      من ثيات الوداع

وجب الشكر علينا      ما دعا لله داع

فهذه مع ما في سندها من مقال ، حيث رويت بسند معضل من طريق عبيد الله بن عائشة  
، كما أخرجهما أبو سعيد في «شرف المصطفى» وفي فوائد الخلمي» (انظر : الفتح  
٢٦١/٧ ، ٢٦٢ ) كذلك في متنها إشكال ، انظر لكون ثيات الوداع إنما هي من ناحية  
الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام ، ولهذا  
نسب «ابن القيم» الوهم لبعض الرواة الذين قالوا ذلك ( انظر : زاد المعاد ٥٥١/٣ )

قلت : في صحيح البخاري ما يفيد أن «ثية الوداع» على طريق الشام ، حيث ذكر خروج  
الغلمان إلى «ثية الوداع» يتلقون رسول الله ﷺ مقدمه من غزوة تبوك - وتبوك على طريق  
الشام - ١٣٦/٥ كتاب المغازي ، غزوة تبوك ، كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر .  
وعلى كل حال فالمسألة محل نظر وخلاف بين العلماء . (انظر في تفصيل ذلك : شرح  
المواهب ١/٣٥٩ ، ٣٦٠ )

(٣) انظر : البخاري ٢٥٨/٤ ، والسير لابن هشام ١٠٩/٢ ، ٢٢٣ .



تعتدل<sup>(١)</sup> ، بينما نجد في رواية الصحيحين أن ذلك كان ليلاً<sup>(٢)</sup> ويزيد ابن إسحاق أن ذلك كان لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول<sup>(٣)</sup>

كما يتفقان في أول منزل له : في بني عمرو بن عوف ، وإن كان بينهما خلاف<sup>(٤)</sup> في مدة المكوث ، فعند ابن إسحاق أنه "قام في بني عوف يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس ، وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله

(١) ابن هشام ١٠٩/٢ ، ٢٢٣

(٢) مسلم ٢٣١١/٤ . قال الحافظ ابن حجر : والأكثر أنه قدم نهاراً ووقع في رواية مسلم ليلاً ويجمع بأن القدوم كان آخر الليل فدخل نهاراً ( الفتح ٢٤٤/٧ ) .

(٣) انظر : سيرة ابن هشام ١٠٩/٢ ، ٢٢٣ . قال ابن كثير : وهذا المشهور الذي عليه الجمهور ( السيرة لابن كثير ٢٩٠/٢ ) وبه جزم النووي في كتاب السير من الروضة . ( انظر روضة الطالبين للنووي ٢٠٥/١٠ ، وشرح المواهب ٣٥١/١ )

(٤) ففي البخاري في كتاب مناقب الأنصار عن أنس : لما قدم رسول الله ﷺ نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمر بن عوف ( ٢٦٦/٤ ، ٢٦٨ ) وفي كتاب الايمان عن البراء بن عازب رضي الله عنه « كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال أخواله - من الأنصار . ثم علق ابن حجر قائلًا : وفي إطلاق أجداده أو أخواله مجاز ، لأن الأنصار أقاربه من جهة الأمومة لأن أم جده عبدالمطلب بن هاشم منهم وهي سلمى بنت عمر أحد بني عدي بن النجار ، وإنما نزل النبي ﷺ بالمدينة على إخوتهم بني مالك بن النجار ، ففيه على هذا مجاز ثان » ( انظر فتح الباري ٩٥/١ ، ٩٦ ) أما ابن إسحاق . فقد ذكر البيت الذي نزل فيه رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف ، مشيراً إلى « كلثوم بن هدم » في قول ، و « سعد بن خيثمة » في قول آخر ، وهو وإن نقل وجهاً للجميع بينهما - فلم يقطع بأحدهما . كما ذكر البيت نزل فيه أبو بكر الصديق ( السيرة ١١٠/٢ ) .



من بين أظهرهم يوم الجمعة ....»<sup>(١)</sup>

أما رواية الصحيحين ففيها أنه مكث فيهم عشرة ليلة<sup>(٢)</sup> ، وجاء تحديدي هذا البضع في رواية أخرى بأربع عشرة ليلة<sup>(٣)</sup> ، وإذا كان بعض أرباب السير أقرب إلى قول ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> ، فيبقي ما في الصحيح أصح ، خاصة إذا علم أن ابن إسحاق لم يسند روايته ، بل أشار في آخرها إلى احتمال القول الآخر حين قال : «.. وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك ، فالله أعلم أي ذلك كان»<sup>(٥)</sup> .

ويبقى بعد ذلك أن نقول : إن الهجرة لما لها من أهمية ومكانة في سيرة النبي ﷺ ، أصبحت معلماً بارزاً في تاريخ الإسلام ، حتى عدت بداية التاريخ عند المسلمين ، وفي صحيح البخاري : « من أين أرخو التاريخ» عن سهل بن سعد قال : «ما عدوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته ، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة»<sup>(٦)</sup>

(١) السيرة لابن هشام ١١١/٢ .

(٢) البخاري ٢٥٨/٤ .

(٣) البخاري ٢٦٦/٤ .

(٤) «فموسى بن عقبة» قال : إن مكوثه بقباء ( في بني عمرو بن عوف ) ثلاث ليال ، وجزم

«ابن حبان» أن إقامته أربع ليال ، وقال ابن كثير - بعد ذكره لهذه الأقوال وغيرها :

والأشهر ما ذكره ابن إسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلى

يوم الجمعة ( السيرة لابن كثير ٢٩٢/٢ ، وشرح المواهب ٣٥١/١ )

(٥) السيرة لابن هشام ١١٢/٢ ، .

(٦) ٢٦٧/٤ : في كتاب مناقب الأنصار



وهكذا تنتهي أحداث الهجرة النبوية لتنتهي معها مرحلة الدعوة كانت لها سماتها وخصائصها ، ولتبدأ بعدها مرحلة أخرى جديد لها ما يميزها ويخصها عن الفترة السابقة.



# الخاتمة ونتائج البحث



## الخاتمة ونتائج البحث



## الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله أولاً وأخراً ، وهو الذي بنعمته تتم الصالحات ... وبعد :

ففي نهاية هذه الرسالة ، ومن خلال المقارنة بين رواية الصحيحين ، وابن

إسحاق في أحداث السيرة نستطيع أن نسجل الملحوظات الآتية :

أولاً : كثرة أحداث السيرة في الصحيحين - خاصة في البخاري - بشكل لا يتوقعه الباحث . لكن جمع ذلك يحتاج إلى نوع من التقصي تفرضه طبيعة منهجها - التي سبق الحديث عنها - وهذا المنهج من الدقة أحياناً ، وعدم الوضوح أحياناً بحيث يحتاج إلي إمعان نظر ، والرجوع إلى الشروح المعتبرة لتسهم في بيان المجل وإيضاح المشكل .

ومع هذه الكثرة تنتظم رواية الصحيحين جميع أحداث السيرة ، ولعل من أبرز الإسناد في ذلك أن الشيخين اشترطا للتدوين في صحيحيهما علواً في الإسناد تقصر دونه بعض الأحداث في السيرة ، وقبلها غيرهما كابن إسحاق وغيره من أرباب السير ، بل وأصحاب كتب الحديث الأخرى الذين لم يلتزموا بشرط الشيخين .

ومن هذه الأحداث التي أغفلتها رواية الصحيحين - في الفترة المكية - حديث إرضاع حليلة السعدية للنبي ﷺ ، وفترة إقامته في بادية بني سعد ، يستثني من ذلك حديث مسلم عن شق الصدر في تلك الفترة .

ومنها حديث ذهاب النبي ﷺ - وهو غلام - مع عمه إلى الشام ، وقصته مع «بحيرى» الراهب .

ومنها : خبر إسلام عمه حمزة بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه .



ومنها: الروايات في عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل .

**ثانياً:** وهناك نوع من الحوادث في السيرة وردت الإشارة إليها في الصحيحين بشكل مجمل دون الإسهاب في تفصيلاتها ، وهذا النوع نستفيد منه بتوثيق أصل الحادثة الواردة عند ابن إسحاق -لورودها في الصحيحين أو أحدهما - ونحتاج في تفصيلاتها إلى نوع من الدراسة المنهجية الناقدة لتبين الصحيح من الضعيف .  
ومن نماذج هذا النوع حادثة حصار الشعب ، وتزويج خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ ، وإسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه ، والهجرة إلى الحبشة .... ونحوها .

**ثالثاً:** وفي مقابل هذا نجد في الصحيحين روايات لا وجود لها عند ابن إسحاق ، وهذه تضيف إلى نصوص السيرة المشهورة نصوصاً أخرى ربما غفل عنها بعض الباحثين ، ففي «شق الصدر» مثلاً تتفق رواية الصحيحين مع ابن إسحاق على شق صدره ﷺ وهو في بني سعد ، وتزيد رواية الصحيحين بذكر الواقعة مرة أخرى عند الإسراء والمعراج ، وكذا «انشقاق القمر» وهو من معجزات النبوة في مكة تثبت رواية الصحيحين ، ولم أجد له ذكراً عند ابن إسحاق .

ومثال ذلك يقال في صعوده ﷺ جبل حراء بمكة وهو نفر من أصحابه ، وإخباره حينها عن أمور غيبية وقعت كما أخبر ، وهذه ليس لها ذكر عند ابن إسحاق وهي من روايات «مسلم» ، وفي وقائع الهجرة إلى المدينة تضيف رواية الصحيحين -في طريق الهجرة- أحداثاً لم تأت عليها رواية «ابن إسحاق» كخبر الراعي ولقيا النبي ﷺ للزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، هذا فضلاً عما في قصة «سراقة» لا تذكرها رواية ابن إسحاق ، كما



سبق بيان ذلك .

**رابعاً:** وهناك نوع من الحوادث تختلف دلالاته بين رواية ابن إسحاق وبين الصحيحين ، وتبرز الفروق جلية واضحة بينهما ، وقد أمنت في فصول الرسالة أشياء كثيرة من هذا النوع ، ومن أمثلة هذا النوع .

الاختلاف في كيفية بدء الوحي ونزول جبريل -أول ما نزل على النبي ﷺ- فحين تعرضه رواية ابن إسحاق والنبي ﷺ نائم ، تؤكد رواية الصحيحين أن ذلك كان في اليقظة .

وأول ما نزل من القرآن -بعد فترة الوحي- سورة «الضحى» في رواية ابن إسحاق ، بينما في رواية الصحيحين سورة «المدثر» .

وفي موت ورقة بن نوفل خلاف بين رواية ابن إسحاق والشيخين في تحديد زمنها ، فتذكره الأولى بعد أن اشتهر الإسلام ، وعذب من عذب من المؤمنين ، وتذكره الأخرى بعد بدء الوحي وقبل إظهار الإسلام .

وفي هجرة الحبشة تذكر رواية ابن إسحاق هجرة أبي موسى الأشعري ومن معه من مكة بينما تذكره رواية الصحيحين من اليمن ، وكذا الخلاف في أول من هاجر إلى المدينة من المسلمين .

ومن أعظم الخلاف بين رواية الصحيحين وابن إسحاق خلافهما في موت أبي طالب ، وهل كان على الإسلام كما يفهم من رواية ابن إسحاق ، أم على الكفر كما في رواية الصحيحين وصريح القرآن .

هذه نماذج لاختلاف الرواية بني ابن إسحاق والشيخين في الفترة المكية ، ولو انتقلنا إلى الفترة المدينة لوجدنا من ذلك -أيضاً- الشيء الكثير ، ومن



أمثلته : في سرية «الرجيع» ذكر ابن إسحاق أن عدة أصحابها ستة نفر ، وأميرهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي<sup>(١)</sup> ، بينما نجد في البخاري أن عدتهم عشرة ، وأميرهم عاصم بن ثابت بن الأقلح<sup>(٢)</sup> ، والقراء الذين قتلوا في بئر معونة عدتهم عند ابن إسحاق أربعون رجلاً<sup>(٣)</sup> . وعند البخاري ومسلم سبعون رجلاً<sup>(٤)</sup> .

وأصحاب الحديدية عند ابن إسحاق سبعمائة<sup>(٥)</sup> ، والذي في الصحيحين أنهم ألف وأربعمائة أو أكثر<sup>(٦)</sup> ، إلى غير ذلك من مناحي الاختلاف .

وأخيراً أشكره تعالى على ما يسر وأعان على إنجاز هذا البحث وأقول : ومع ما قضيته فيه من الوقت ، وما أفرغته فيه من الجهد ما وسعني الجهد ، فإنني أقف في الخاتمة معترفاً عما زل به القلم ، مما هو مندرج تحت طبائع البشر وتقصيرهم.

وأسأله تعالى أن يتجاوز عن الخطأ - حيث وقع - وأن يجزي على الصواب الذي إليه هدى .. وهو حسبي ونعم الوكيل

وصلي الله على نبينا محمد

- 
- (١) السيرة لابن هشام ١٦٠/٢ ، ١٦١ .
  - (٢) صحيح البخاري ١١/٥ : كتاب المغازي .
  - (٣) السيرة لابن هشام ١٨٥/٢ .
  - (٤) صحيح البخاري ٤١/٥ : كتاب المغازي ، ومسلم ١٥١١/٣ : كتاب الإمارة .
  - (٥) السيرة لابن هشام ٢٥٦/٢ . وهذه الرواية لابن إسحاق في العدد هي التي اعتمدها في روايته المسند حيث قال : «وكان الناس سبعمائة رجل» وإلا فقد نقل أيضاً عن جابر بلاغاً أنهم كانوا أربع عشر مائة ٣٥٦/٣ .
  - (٦) صحيح البخاري ٦٢/٥ ، ٦٣ : كتاب المغازي .

## ثبُتُ المصادر والمراجع



## المصادر والمراجع





## ثانياً: المراجع:

- الأبي : محمد بن خليفة بن عمر التونسي (ت ٨٢٨هـ) .  
إكمال إكمال المعلم (شرح صحيح مسلم)  
نشر: دار الكتب العلمية - بيروت .
- ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ) .  
أسد الغابة في معرفة الصحابة  
تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، محمد أحمد عاشور ، محمود عبد الوهاب فايد ،  
طبعة دار الشعب - القاهرة .  
الكامل في التاريخ :
- طبعة (مصورة) دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ابن الأثير الجزري : أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)  
جامع الأصول في أحاديث الرسول  
تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، نشر مكتبة الحلواني ، مطبعة الملاح ، مكتبة  
دار البيان ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .  
النهاية في غريب الحديث والأثر :
- تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، نشر : دار الفكر ، ط .  
الثانية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسا المطلبي (ت ١٥١هـ) تقريباً.  
سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي



تحقيق : محمد حميد الله ، نشر : جمعية الوقف للخدمات الخيرية / قونية ،  
تركيا ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

### السيرة والمغازي :

تحقيق : سهيل زكار ، نشر : دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- الألباني : محمد بن ناصر الدين

تعليقه على فقه السيرة للغزالي .

دفاع عن الحديث النبوي والسيرة :

نشر : مؤسسة ومكتبة الخافقين - دمشق

نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق :

نشر : المكتب الإسلامي - بدمش .

- الألوسي : محمد

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :

المطبعة المنيرة بالقاهرة .

- البخاري : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) .

التاريخ الكبير :

طبع في مطبعة دائرة المعارف العثمانية - بحيدرآباد ، (الهند)

خلق أفعال العباد :

تحقيق : عبدالرحمن عميرة ، نشر : دار المعارف السعودية ، الرياض .

صحيح البخاري (الجامع الصحيح)



نشر: المكتبة الإسلامية ، محمد أوزدمير ، إستانبول ، تركيا

- بروكلمان : كارل

تاريخ الأدب العربي :

نقله إلى العربية عبدالحليم النجار ، نشر: دار المعارف مصر ، الطبعة الرابعة .

- البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣هـ)

تاريخ بغداد أو مدينة السلام :

الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت لبنان .

- البغدادي : عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب :

تحقيق : عبدالسلام هارون ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية .

- البكري : عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ)

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع :

تحقيق: مصطفى السقا ، نشر: عالم الكتب - بيروت.

- البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جبار (ت ٢٧٩هـ).

أنساب الأشراف:

تحقيق : المحمودي والدوري وإحسان عباس وآخرين .

- البيهقي : أحمد بن الحسين أبو بكر (ت ٤٥٨هـ)

دلائل النبوة ومعرفة أحوال أصحاب الشريعة :



تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي ، نشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط  
الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

السنن الكبرى :

نشر دار الفكر .

- الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)

الجامع الصحيح :

تحقيق وتصحيح : عبد الوهاب عبداللطيف ، الناشر : مكتبة الرياض  
الحديثة ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

- ابن تيمية : أبو العباس أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨ هـ )

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح :

مطابع نجد التجارية

الفتاوى ( مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية )

جميع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ، وابنه محمد ، طبعة مصورة  
عن الطبعة الأولى ( ١٣٩٨ هـ )

مناهج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية :

الناشر : مكتبة الرياض الحديثة

- الجاسر : حمد

رحلة إلى طيبة :

مجموعة مقالات كتبها في مجلة العرب ، تصدر عن دار اليمامة للبحث



والترجمة والنشر - الرياض.

- الجمحي: أبو عبدالله محمد (ت ٢٣١ هـ) .

طبقات الشعراء :

إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي ، دار النهضة - بيروت .

- ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين (ت ٥٩٧ هـ)

صفة الصفوة :

تحقيق وتعليق : محمود فاخوري ، خرج أحاديثه محمد رواس قلعجي ، الناشر

: دار الوعي بحلب ، الطبعة الأولى (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م)

- ابن أبي حاتم : أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ)

الجرح والتعديل :

نشر : مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن ، مصورة

عن الطبعة الأولى ، ١٣٧٢ هـ .

- الحاكم : محمد بن عبدالله أبو عبدالله (ت ٤٠٥ هـ)

المستدرك على الصحيحين في الحديث :

نشر : دار الكتب العلمية .

- ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت ٣٥٤ هـ)

الثقات :

الناشر : دائرة المعارف العثمانية - بحيدرآباد الدكن ، مصور عن الطبعة

الأولى ، ١٤٠١ هـ .



### المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين :

تحقيق : محمود إبراهيم زايد

نشر : دار الوعي - حلب .

- ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية ( ت ٢٤٥ هـ )

المحبر :

اعتنت بتصحيحه الدكتور إيلزه ليختن شتينز ، من منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت .

- ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ( ت ٨٥٢ هـ )

الإصابة في تمييز الصحابة :

تحقيق : الدكتور طه محمد الزيني ، نشر : مكتبة الكليات الأزهرية بالأزهر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

تفليق التعليق على صحيح البخاري :

دراسة وتحقيق : سعيد عبدالرحمن موسى القزقي ، نشر : المكتب الإسلامي ، دار عمار للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

تقريب التهذيب :

تحقيق : عبدالوهاب عبداللطيف ، نشر دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

تهذيب التهذيب :

الطبعة الأولى ، مصورة ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ م .



## فتح الباري :

رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه ، واستقصى أطرافه : محمد فؤاد عبد الباقي ،  
وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه وأشراف على طبعه : محب الدين الخطيب ،  
نشر وتوزيع : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ،  
المملكة العربية السعودية .

## نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر :

نشر : مؤسسة ومكتبة الخافقين ، ١٤٠٠ هـ .

## هدي الساري ( مقدمة فتح الباري ) :

نشر وتوزيع رئاسته البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض .

- ابن حديدة : محمد بن علي بن أحمد ( ت بعد سنة ٧٧٩ هـ )

## المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي :

نشر : عالم الكتب ، ط ، الثانية ١٤٠٥ هـ .

الحري : أبو إسحاق إبراهيم ابن إسحاق ( ت ٢٨٥ هـ )

## المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة :

تحقيق : حمد الجاسر : مطبعة المثني - بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

- ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد ( ت ٤٥٦ هـ )

## جمهرة أنساب العرب :

تحقيق وتعليق : عبدالسلام هارون . الناشر : دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

## جوامع السيرة :



تحقيق: د. إحسان عباس ، د. ناصر الدين الأسد ، مراجعة: أحمد محمد شاكر ، طبع المطبعة العربية ، لاهور ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .  
جوامع المجلى ( ضمن كتاب الذخيرة من المصنفات الصغيرة )  
جمعها وحققها : أبو عبدالرحمن بن عقل الظاهري ، السفر الأول ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ

#### الفصل في الممل والأهواء والنحل :

ط. علي صبيح ، القاهرة .

نوادير الإمام ابن حزم :

خرجها وعلق عليها : أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- الحموي : أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ)

معجم الأدباء:

نشر: مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، طبع دار المأمون.

معجم البلدان :

نشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت

- حميد الله : محمد .

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة :

نشر: دارا لإرشاد ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

- ابن حنبل : أبو عبدالله أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ)





فضائل الصحابة :

تحقيق : وصي الله بن محمد عباس ، من منشورات مركز البحوث العلمي  
بجامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .  
المسند :

تحقيق : أحمد شاكر ، نشر : دار صادر ، المكتب الإسلامي .

- خاطر : خليل إبراهيم ملا .

مكانة الصحيحين :

الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة

- الخشني .

شرح السيرة :

- ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد ( ت ٦٨١ هـ )

وفيات الأعيان وأنباء الزمان :

تحقيق : إحسان عباس ، نشر : دار صادر ، بيروت .

- ابن خياط : خليفة بن خياط العصفري ( ت ٢٤٠ هـ )

تاريخ خليفة بن خياط :

تحقيق : د. أكرم ضياء العمري ، نشر : دار القلم ، دمشق ، مؤسسة

الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

الطبقات :

تحقيق : أكرم ضياء العمري ، نشر دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ .



- الدراقطني : أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد (ت ٣٨٥هـ )

الإلتزمات والتتبع :

تحقيق ودراسة : مقبل بن هادي بن مقبل الوداعي ، الناشر : المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

- الدارمي : عثمان بن سعيد (ت ٢٨٠هـ )

تاريخ عثمان بن سعيد الدرامي :

تحقيق : د. أحمد محمد نور سيف ، نشر : مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز ، طبع دارا لمأمون للتراث ، دمشق ، بيروت

- الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ )

تجريد أسماء الصحابة :

تصحيح : صالحة عبدالحكيم شرف الدين ، الناشر : شرف الدين الكتبي وأولاده ، الهند ، سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩ م

تذكرة الحفاظ :

طبعة مصورة عن الطبعة الهندية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

تلخيص المستدرك للحاكم (بذيلة) :

نشر دار الكتب العلمية .

سير أعلام النبلاء :

أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوطي ، وحقق أجزاء الكتاب : جماعة منهم حسين الأسد ، صالح السمر . نشر : مؤسسة



الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

السيرة النبوية (مستقاة من كتاب تاريخ الإسلام للمؤلف) :

عني بتحقيق النص وتحريير الحواشي : حسام الدين المقدسي ، نشر دار  
مكتبة الهلال ، بيروت .

الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة :

تحقيق : عزت علي عيد عطية ، موسى محمد علي الموشى ، الناشر : دار  
الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م .

المفني في الضعفاء :

تحقيق : نور الدين عتر

ميزان الاعتدال في نقد الرجال :

تحقيق : علي محمد البجاوي ، نشر دار المعرفة ، بيروت

- الزرقاني : أبو عبدالله محمد بن عبد الباقي ( ت ١١٢٢ هـ )

شرح المواهب اللدنية :

نشر دار المعرفة ، بيروت .

- الزركلي : خير الدين

الأعلام :

الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

- الزمخشري : أبو القاسم محمد بن عمر ( ت ٥٣٨ هـ )

الكاشف عن حقائق التنزيل :



ط / الاستقامة بالقاهرة ، ١٣٦٥ هـ .

- الزهري : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب ( ت ١٢٤ هـ )

المغازي النبوية :

تحقيق : د . سهيل زكار ، الناشر : دار الفكر ، دمشق ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

- السبكي : أبو نصر عبد الوهاب بن علي ( ت ٧٧١ هـ )

طبقات الشافعية الكبرى :

تحقيق : محمود محمد الطناحي ، عبدالفتاح محمد الحلو ، الطبعة الأولى  
١٢٨٤ هـ / ١٩٦٥ م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين :

تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، الناشر : دار الوعي ، حلب ، الطبعة الثانية ،  
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- السخاوي : محمد بن عبدالرحمن ( ت ٩٠٢ هـ )

الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ :

الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبعة مصورة عن نسخة خزانة أحمد  
باشا تيمور ( عني بنشره القدسي ) ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- سنركين : فؤاد

تاريخ التراث العربي :

نشر : إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

- ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعيد بن منيع البصري الزهري



(ت ٢٣٠هـ)

### الطبقات الكبرى :

نشر : دار صادر ، بيروت

- السعود : سليمان بن علي .

أحاديث الهجرة ( جمع وتحقيق ودراسة ) :

أطروحة ماجستير في الجامعة الإسلامية لعام ١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ

- السلمي : محمد بن صامل العلياني .

منهج كتابة التاريخ الإسلامي :

الناشر : دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- السمهودي : علي بن أحمد ( ت ٩١١ هـ )

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى :

تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، نشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- السهيلي : عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد ( ت ٥٨١ هـ )

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام .

تحقيق وتعليق : عبدالرحمن الوكيل ، نشر : دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

- ابن سيد الناس : أبو الفتح محمد بن محمد ( ت ٧٣٤ هـ )

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسيرة :

نشر : دار المعرفة ، بيروت .



- السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ)

الإتقان في علوم القرآن :

الناشر : مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ /  
١٩٧٨ م .

الدر المنثور في التفسير المأثور :

الناشر : دار المعرفة ، بيروت

لباب النقول في أسباب النزول :

نشر : دار التحرير بالقاهرة ، ١٣٨٢ هـ

- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ)

فتح القدير :

نشر : دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

نيل الأوطار :

تحقيق : طه عبدالرؤف سعد ، مصطفى محمد الهواري ، نشر : مكتبة

الكلية الأزهرية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- أبو شهبه :

الموضوعات والإسرائيليات :

- الصالحي : محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ).

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد :

تحقيق : الدكتور مصطفى عبدالواحد وآخرين ، نشر : لجنة إحياء التراث



الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر .

- ابن الصلاح : أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري (٦٤٢هـ)

صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط:

تحقيق : موفق بن عبدالله بن عبدالقادر ، نشر : دار الغرب الإسلامي ،  
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث :

دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- الطرايشي : مطاع

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق . مجلد ٥٦ ج ٣

مقال بعنوان : رواة المغازي والسير عن محمد بن إسحاق .

- الطحان : محمود

تيسير مصطلح الحديث :

نشر : دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

تاريخ الأمم والملوك :

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر : دار المعارف بمصر .

جامع البيان في تفسير القرآن :

الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

- ابن عبدالبر : يوسف بن عبدالبر النميري (ت ٤٦٣ هـ)



### الاستيعاب في معرفة الأصحاب :

( بذيل الإصابة لابن حجر ) ، تحقيق : د . طه محمد الزيني ، نشر : مكتبة الكليات الأزهرية .

### الدرر في اختصار المغازي والسيرة :

الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- ابن عبد الوهاب : محمد

مختصر سير الرسول ﷺ :

القسم الثالث من مؤلفات الشيخ ، الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

- عتر : نور الدين .

### الإمام الترمذي والموازنة بين جامعهِ وبين الصحيحين :

الطبعة الأولى ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

- ابن عدي : أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ( ت ٣٦٥ هـ )

### الكامل في ضعفاء الرجال :

تحقيق وضبط ومراجعة : لجنة من المختصين بإشراف الناشر ( دار الفكر ، بيروت ) ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- ابن العربي : أبو بكر محمد بن عبد الله ( ت ٥٤٣ هـ )

### أحكام القرآن :

تحقيق : علي محمد البجاوي / الناشر : دار الفكر ، بيروت





- عرجون : محمد الصادق إبراهيم .
- محمد رسول الله ﷺ (منهج ورسالة ، بحث وتحقيق )
- الناشر : دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- عروة بين الزبير ( ت ٩٣ أو ٩٤ هـ )
- مغازي رسول الله ﷺ : لعروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه .
- جمعه وحققه : الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، نشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض ، عام ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .
- العصامي : عبد الملك بن حسين ( ت ١١١١ هـ )
- سمط النجوم العوالي :
- المطبعة السلفية ، القاهرة .
- العقيلي : أبو جعفر محمد عمرو بن موسى ( ت ٣٢٢ هـ )
- الضعفاء الكبير :
- حقيقه ووثقه : د. عبد المعطي أمين قلعجي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ابن العماد الحنبلي : ابو الفلاح عبدالحى بن العماد ( ت ١٠٨٩ هـ )
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب :
- نشر : دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- العمري : أكرم ضياء
- المجتمع المدني في عهد النبوة : خصائصه وتنظيماته الأولى :



من مطبوعات الجامعة الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- العيني : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى ( ت ٨٥٥ هـ )

عمدة القاري شرح صحيح البخاري :

نشر : دار الفكر ، بيروت .

- الغزالي : محمد

فقه السيرة :

بتعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، نشر : دار الكتب الحديثة ، ط

السادسة ، ١٩٦٥ .

- الغضبان : منير

أبو ذر الغفاري الزاهد المجاهد :

نشر : الدار العربية والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

- الفخر الرازي : محمد بن عمر بن الحسن ( ت ٦٠٦ هـ )

التفسير الكبير :

نشر : الكتب العلمية ، طهران ، الطبعة الثانية .

- الفسوي : يعقوب بن سفيان ( ت ٢٧٧ هـ )

المعرفة والتاريخ :

تحقيق : أكرم العمري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٣٩٤ هـ .

- ابن فهد : عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد القرشي ( ت ٨٨٥ هـ )

إتحاف الوري بأخبار أم القرى :



تحقيق وتقديم : فهيم محمد شلتوت ، نشر : مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة .

- فيدا : ليفي دلا

دائرة المعارف الإسلامية ط طهران ، مقال في مادة «سيرة»

- القاري الملا علي

شرح الشفا :

الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت

- ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ( ت ٢٧٦هـ )

المعارف :

تصحيح وتعليق : محمد إسماعيل الصاوي ، نشر دار إحياء التراث ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م .

- القرطبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد ( ت ٦٧١ هـ )

الجامع لأحكام القرآن :

ط . دار الكتب بالقاهرة ، ١٣٨٧ هـ ، الطبعة الثالثة .

- القسطلاني : أبو العباس أحمد بن محمد ( ٩٢٣هـ )

إرشاد الساري إلى شرح البخاري :

نشر : دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة السادسة .

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية :

نشر : دار المعرفة ، بيروت .



- القنوجي : أبو الطيب السيد صديق حسن ( ١٣٠٧ هـ )  
الحطة في ذكر الصحاح الستة :  
نشر : إسلامي أكاديمي ، لاهور ، باكستان ، ١٩٧٧ م .
- ابن القيسراني : أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي ( ت ٥٠٧ هـ )  
الجمع بين رجال الصحيحين :  
نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ
- ابن القيم : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ( ت ٧٥١ هـ )  
تهذيب سنن أبي داود ( المطبوع في ذيل عون المعبود ) :  
نشر : المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط . الثانية ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .  
جلاء الأفهام :
- زاد المعاد في هدي خير العباد :  
تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عبدالقادر الأرنؤوط ، نشر : مؤسسة الرسالة ،  
مكتبة المنار الإسلامية ، ط . الأولى ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر ( ت ٧٧٤ هـ )  
اختصار علوم الحديث ( وعليه شرح أحمد شاكر «الباعث الحثيث»  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، توزيع : دار الباز ، مكة المكرمة .  
البداية والنهاية :  
تحقيق ومراجعة : محمد عبدالعزيز النجار ، نشر : مؤسسة دار العربي للنشر  
والتوزيع ، الرياض .



### تفسير القرآن الكريم :

تحقيق : عبدالعزيز غنيم ، محمد أحمد عاشور ، محمد إبراهيم البنا ، ط .  
دار الشعب ، القاهرة .

### السيرة النبوية :

تحقيق : مصطفى عبدالواحد ، ط . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،  
القاهرة ، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

- كحالة : عمر رضا

### معجم المؤلفين :

نشر : مكتبة المثنى ببغداد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

- اللالكائي : أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري (ت  
٤١٨هـ)

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة  
والتابعين من بعدهم :

تحقيق : د. أحمد سعد حمدان ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض .

- المحمود : عبدالرحمن بن صالح

القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه :

أطروحة ماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، بكلية أصول الدين  
، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام ١٤٠١هـ / ١٤٠٢ هـ .

- المزي : جمال الدين يوسف (ت ٧٤٢هـ)

### تهذيب الكمال :

( مخطوط في ثلاث مجلدات ) تصوير : دار المأمون دمشق .



- مسلم : ابن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)

صحيح مسلم :

تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .

- ابن معين : يحيى بن معين بن عون (ت ٢٣٣هـ)

التاريخ :

دراسة وتحقيق : د. أحمد محمد نور سيف ، نشر : مركز البحوث العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ .

- المنذري : عبدالعظيم بن عبدالقوي بن سلامة (٦٥٦ هـ)

مختصر صحيح مسلم :

تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : المكتب الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ .

- ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي (ت ٧٧١ هـ)

لسان العرب :

نشر : دار صادر ، بيروت .

- ابن النديم : محمد بن إسحاق (٤٣٨ هـ)

الفهرست :

نشر : المكتبة التجارية ، القاهرة .

- النسائي : أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)

الضعفاء والمتروكين :



تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، نشر دار الوعي ، حلب ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦ هـ .

النسفي : أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت ٧١٠هـ)

تفسير النسفي :

نشر : دار إحياء الكتب العربية .

- أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :

الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

دلائل النبوة :

الناشر : عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المثني ، القاهرة ، مكتبة سعد الدين ، دمشق .

- النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)

تهذيب الأسماء واللغات :

روضة الطالبين :

نشر : المكتب الإسلامي ، بإشراف : زهير الشاويش .

السيرة النبوية .

صحيح مسلم بشرح النووي :

المطبعة المصرية ومكبتها ، القاهرة .

ما تمس إليه حاجة القاري لصحيح الإمام البخاري .

تحقيق : علي حسن علي عبد الحميد ، نشر : دار الفكر ، عمان توزيع دار الكتب العلمية ، بيروت .



- ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ)  
سيرة النبي ﷺ :
- تعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض .
- هو رقتس : يوسف  
المغازي الأولى ومؤلفوها :
- ترجمة : حسين نصار ، نشر مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
- الهيثمي : علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ)  
كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة :
- تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى . نشر :  
مؤسسة الرسالة ، ط . الأولى ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :
- الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط . الثالثة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- الواحدي : أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)  
أسباب النزول :
- تحقيق : الأستاذ سيد صقر ، ط . دار الكتاب الجديد ، القاهرة .
- الواحدي : مقبل بن هادي .  
الصحيح المسند من دلائل النبوة :
- الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- الواحدي : محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)





المغازي :

تحقيق : مارسدن جونز ، نشر : الأعلمي للمطبوعات ، بيروت

- الوهبي : عبدالله

مناقشة قصة الغرانيق عند المفسرين :

مقال في مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،

العدد الخامس ، العام الجامعي ١٤٠٣ هـ - ١٤٠٤ هـ

- ابن أبي يعلى : أبو الحسين محمد بن أبي يعلى

طبقات الحنابلة :

نشر : دار المعرفة ، بيروت